The Islamic Universityof Gaza
Deanship of Research and graduate studies
Faculty of Arts
PhD of Arabic Language

الجامعـــــــة الإســـلاميــة بغـزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كليـــــــــــــــــــــة الآداب
دكتـــوراه اللغـة العربيـــــــــــة

الآخر في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي

The Other in the Poetry of Women in the Pre-Islamic and Islamic Eras

إِعْدَادُ البَاحِثِ

أحمد سلمان عبدالله مهنا

إشراف

الأستاذ الدكتور

عبدالخالق محمد العف

قُدِّمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الدَّكتُورَاه

فِي اللُغَةِ العَرَبِيةِ كُلّية الآدَاب فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

نوفمبر/2017م- صفر / 1439هـ

إقــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الآخر في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي

The Other in the Poetry of Women in The Pre-Islamic and Islamic Eras

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	أحمد سلمان مهنا	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:	2017/11/14م	التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية غزة
The Islamic University of Gaza

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref:

التاريخ: 2017/11/14م Date:

نتيجة الحكم على أطروحة دكتوراة

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **أحمد سلمان عبدالله مهنا** لنيل درجة الدكتوراة في **كلية *الآداب*/ قسم اللغة العربية**، وموضوعها:

الآخر في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الثلاثاء 25 صفر 1439هـ، الموافق 2017/11/14م الساعة العاشرة صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. عبد الخالق محمد العف	مشرفاً و رئيساً	.....
أ.د. كمال أحمد غنيم	مناقشاً داخلياً	.....
أ.د. ماجد محمد النعامي	مناقشاً داخلياً	.....
د. أسامة عزت أبو سلطان	مناقشاً خارجياً	.....
أ.د. عبد الفتاح أحمد أبو زايدة	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الدكتوراة في **كلية *الآداب*/**قسم **اللغة العربية**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. مازن اسماعيل هنية

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
Deanship of Research and Graduate Studies

الملخص

الآخر في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي

يستجلي هذا البحث صورة الآخر في شعر النساء، في العصرين الجاهلي والإسلامي، قريبا كان أم غير قريب، زوجا ومحبوبا، مسلما وغير مسلم، عربيا وأعجميا ،مذهبيا وغير مذهبي، اتبعت فيه المنهج الوصفي والتاريخي، ثم التحليلي.

ويسير البحث على النحو التالي:

تمهيد اشتمل على: التعريف بالآخر في ثقافة المجتمع العربي، والعلاقة بين الأنا والآخر في الشعر العربي في العصرين الجاهلي والإسلامي، ثم شعر النساء في الأدب العربي القديم بصفة عامة.

وبحث الفصل الأول في صورة الآخر القريب في شعر النساء، سواء أكان ابنا، أو أخا، أو أبا، أو قريبا، وفي ثناياه تحدث البحث عن مكانة الأم، والأخت، والبنت، عند العرب في العصرين.

وبحث الفصل الثاني في صورة الآخر الزوج والمحبوب في شعر النساء.

ويبحث الفصل الثالث في صورة الآخر الأعجمي (الفرس نموذجا)، والآخر الديني (مسلمون – مشركون – يهود)، والآخر المذهبي (الخوارج نموذجا)، والآخر النبي القدوة (صلى الله عليه وسلم).

ثم تناول الفصل الرابع شعر النساء بالدراسة والتحليل، من خلال ثلاثة محاور هي: المحور الأول: اللغة، والثاني: الصورة البيانية، وتحدثت فيها عن التشبيه، والاستعارة، والمجاز، والكناية، والثالث: الموسيقا.وختمت البحث بالنتائج والتوصيات، ثم المصادر والمراجع.

Abstract

The other in the poetry of women in the pre-Islamic and Islamic eras

This research explores the image of the other in the poetry of women in the pre-Islamic and Islamic times. The investigated other could be a relative or a stranger, a beloved or husband, Muslim or non-Muslim, Arabic or non-Arabic, and sectarian or non-sectarian. This study followed the descriptive and historical approach, in addition to the analytical approach.

The research proceeds as follows:

An introduction that includes two topics: the linguistic and applied definition of the other, and the relationship between the ego and the other in Arabic poetry in the pre-Islamic and Islamic ears.

The first chapter examined the image of the other in the poetry of women, whether it is a son, a brother, a father, or a relative. The chapter also presented the status of mother, the sister, and the daughter amongst the Arabs in the two eras.

The second chapter examined the image of the other, particularly the husband and the beloved in the poetry of women.

The third chapter examines the image of the non-Arabic other (Persian people as an example), the religious other (Muslims, polytheists, and Jews as examples), the sectarian other (al-Khawarej as an example), and the role model other (the Prophet may peace and blessings be upon him as an example).

The fourth chapter discussed and analyzed women's poetry in the study through three topics: the language, the expressive image (including assimilation, metaphor, and metonymy), and music.

The research was concluded by the conclusions, recommendations, and bibliography and references.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾

[النساء: 113]

الإهداء

إلى كل عاشق للّغة العربية

غيور عليها...

شكرٌ وتقديرٌ

بعد شكري لربي وخالقي جل في علاه، الذي أنعم علي بنعمه الكثيرة، وآلائه الجسيمة، أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى أستاذي الكريم فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبدالخالق محمد العف " أستاذ الأدب والنقد في الجامعة الإسلامية، صاحب الخلق الرفيع، والعلم الجم، والذي نهلت من خلقه، وأدبه، وظرفه، قبل أن أنهل من فيض علمه، والذي لم يأل جهدا في رعايتي، لإنجاز هذه الرسالة، وقد أفدت منه كثيرا، فجزاه الله عني خير الجزاء.

والشكر موصول إلى الأساتذة المناقشين: فضيلة الأستاذ الدكتور: كمال أحمد غنيم، وفضيلة الأستاذ الدكتور: ماجد النعامي بالجامعة الإسلامية، وفضيلة الأستاذ الدكتور: أسامة أبو سلطان، وفضيلة الأستاذ الدكتور: عبدالفتاح أبو زايدة، الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الدراسة.

وشكري كذلك إلى الجامعة الإسلامية راعية هذا البرنامج، والتي أتاحت لي فرصة إكمال مسيرتي التعليمية، حيث سخرت جل إمكاناتها من أجل الارتقاء العلمي بطلبتها وأكاديمييها.

والشكر موصول إلى جميع الأساتذة الذين تتلمذت على أيديهم،، ونهلت من علمهم، في كل مراحل دراستي.

ولا يفوتني أن أقدم شكري وتقديري إلى كل من أفادني من زملائي وأحبتي، وقدم لي يد العون والمساعدة، سائلا الله أن يوفقني وإياهم لكل خير.

والله ولي التوفيق ،،،

الباحث

أحمد سلمان عبدالله مهنا

فهرس المحتويات

إقـرار ..... أ

نتيجة الحكم ..... ب

الملخص ..... ت

Abstract ..... ث

اقتباس ..... ج

الإهداء ..... ح

شكرٌ وتقديرٌ ..... خ

فهرس المحتويات ..... د

المقدمة 1

أهمية البحث: 2

دوافع الدراسة: 2

منهج البحث: 2

أهداف الدراسة: 2

الصعوبات التي تواجه الباحث: 2

الدراسات السابقة: 3

التَّمهِـيـد 4

المبحث الأول: الآخر لغةً واصطلاحاً: 5

المبحث الثاني العلاقة بين الأنا و الآخر في الشعر العربي القديم 7

الفصل الأول الآخر القريب في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي 26

المبحث الأول الأب 27

المطلب الأول: مكانة الأب عند ابنته 27

المطلب الثاني: صورة الأب في شعر ابنته 32

المبحث الثاني: الابن 53
المطلب الأول: الأم:..... 53
المطلب الثاني: الابن في شعر النساء 66
المبحث الثالث: الأخ 98
المطلب الأول: مكانة الأخت عند أخيها: 98
المطلب الثاني: صورة الأخ في شعر النساء.....103
الفصل الثاني الآخر الزوج والمحبوب في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي. ...142
المبحث الأول: الآخر الزوج في شعر النساء.....143
المبحث الثاني: الآخر المحبوب 189
المطلب الأول: الشوق إلى المحبوب:.....195
المطلب الثاني: البوح بالحب والشوق: 199
المطلب الثالث: صفات المحبوب:.....208
الفصل الثالث آفاق الآخر في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي 226
المبحث الأول: الآخر القدوة.....227
المبحث الثاني: الآخر الديني.....236
المبحث الثالث: الآخر المذهبي في شعر النساء (الخوارج نموذجا) 253
المطلب الأول: التسمية والنشأة: 253
المطلب الثاني: الآخر الخارجي القريب في شعر النساء. 255
المطلب الثالث: الآخر غير القريب. 271
المبحث الرابع: الآخر الأعجمي 274
الفصل الرابع الدراسة الفنية (اللغة – الصورة البيانية – الموسيقى) 288
المبحث الاول اللغة.....289
المبحث الثاني الصورة البيانية.....298

المطلب الأول: مفهوم الصورة: 298
المطلب الثاني:التشبيه: 300
المطلب الثالث الإستعارة 320
المطلب الرابع: الكناية. 326
المبحث الثالث الموسيقا في شعر النساء 340
الخاتمة 355
أولاً: النتائج 355
ثانياً: التوصيات 358
المصادر والمراجع 359

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي علّم الإنسان بالقلم، علّمه ما لم يعلم من فصاحة وبلاغة وبيان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي أدبه ربُّه فأحسن تأديبه، خير من نطق بالعربية خطيباً، فكان أفصحهم كلاماً وبلاغةً، صلى الله عليه وسلم... وبعد.

ظل شعر النساء في الأدب العربي القديم بعيدا عن دراسة شاملة عميقة، حيث تعددت الدراسات الجزئية، التي تناولت جانبا منه، كدراسة شعر الرثاء مثلا، في مرحلة معينة دون غيرها، الأمر الذي دفعني بقوة إلى التفكير في دراسة شعر المرأة القديم، واستجلاء صورة الآخر فيه، ومعرفة هذه الصورة، وكيف نظرت المرأة العربية إلى الآخر، في جميع أغراض شعرها، إن هذه الدراسة الشاملة تحاول الكشف عن جانب مهم من جوانب حياة النساء الشاعرات، في مرحلة فارقة من تاريخنا القديم.

حيث تتبعت الدراسة صورة الآخر في شعر النساء، في العصرين الجاهلي والإسلامي، ابنا، وأبا، وأخا، وقريبا وبعيدا، رجلا، وطفلا، زوجا وحبيبا وبغيضا ،حاكما، ومحكوما ،عربيا، وأعجميا، مسلما، وغير مسلم.

ربما يكون موضوع الدراسة كبير، والصعوبات جمة، ولكن دراسة أدب يزخر بالنفائس الأدبية؛ التي لا يزال بعضها بكرا يختبئ في جنبات أمهات الكتب، يعد أمرا مشوقا ومحفزا، خصوصا إذا ما كانت النتائج المرجوة قيمة.

وبحثي المرسوم ب(الآخر في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي)، يتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، وخاتمة، أما التمهيد فيشتمل على: التعريف بالآخر لغة واصطلاحا، والعلاقة بين الأنا والآخر في الشعر العربي في العصرين الجاهلي والإسلامي، ثم شعر النساء في الأدب العربي القديم بصفة عامة.

وبحث الفصل الأول في صورة الآخر القريب في شعر النساء، سواء أكان ابنا، أو أخا، أو أبا، أو قريبا، وفي ثناياه تحدث البحث عن مكانة الأم، والأخت، والبنت، عند العرب في العصرين. وبحث الفصل الثاني في صورة الآخر الزوج والمحبوب في شعر النساء، ويبحث الفصل الثالث في صورة الآخر الأعجمي (الفرس نموذجا)، والآخر الديني (مسلمون – مشركون – يهود)، والآخر المذهبي (الخوارج نموذجا)، والآخر القدوة (النبي صلى الله عليه وسلم)، ثم تناول الفصل الرابع شعر النساء بالدراسة والتحليل، من خلال ثلاثة محاور هي: المحور الأول: اللغة، والثاني: الصورة البيانية، وتحدثت فيها عن التشبيه، والاستعارة،، والكناية، والثالث: الموسيقا. وختمت البحث بالنتائج، والتوصيات، ثم المصادر والمراجع.

أسأل الله العلي القدير، أن يعينني على إنجاز هذه الدراسة على أتم وجه، إنه نعم المولى، ونعم المعين، وهو يهدي السبيل.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه سيلقي الضوء على صورة الآخر في شعر النساء في مرحلة تعد من أزهى مراحل الشعر العربي، يستجلي هذه الصورة في كل أغراض هذا الشعر .

دوافع الدراسة:

من أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع الحرص على معرفة الصورة التي رسمتها المرأة للآخر، سواء أكان قريبا، أم زوجا، أم محبوبا، عربيا أم أعجميا ،وفي جميع أغراض شعرها، خصوصا وأن هذا الموضوع لم يبحث بحثا شاملا متكاملا من قبل، مما قد يضيف للمكتبة العربية دراسة جديدة؛ ينتفع بها الدارسون لشعر شريحة مبدعة من نساء العرب في العصرين، الجاهلي والإسلامي.

منهج البحث:

اتبعت في دراستي هذه المنهجين الوصفي والتاريخي، والذي من خلالهما أحاول الكشف عن صورة الآخر في شعر شواعر العرب في العصرين ،الجاهلي والإسلامي.

أهداف الدراسة:

1- الكشف عن صورة الآخر في شعر النساء بجميع أغراضه.

2- بيان مكانته عندها.

3- معرفة الصفات المعنوية، والحسية التي أحبتها المرأة في الأخر وحرصت عليها، وامتدحتها، وتغنت بها في شعرها، والصفات التي أبغضتها، وذمتها.

4- بيان قدرة المرأة على توظيف اللغة، والصورة البيانية، في شعرها، ومدى انسجام الموسيقى مع الغرض الشعري عندها.

الصعوبات التي تواجه الباحث:

- لم تواجه الباحث صعوبات يمكن ذكرها، فموضوع الدراسة، ومتعة البحث فيه، والهدف السامي الذي يسعى الباحث لتحقيقه، ذلل الصعوبات.

الدراسات السابقة:

- الآخر في الشعر الجاهلي، (رسالة ماجستير)، للباحثة مي عودة، جامعة النجاح، (2006). وفيها تناولت الأخر الأعجمي والديني في الشعر الجاهلي فقط للشعراء والشواعر.
- صورة الرجل في شعر المرأة في العصر العباسي، (رسالة ماجستير)، للباحث إبراهيم الحمايدة، جامعة النجاح،(2013).وهي دراسة تناولت صورة الرجل في العصر العباسي دون غيره.
- صورة الطفل في العصر الجاهلي، (رسالة ماجستير)، للباحثة ربى سمارة، جامعة النجاح، (2013).وكما يبدو من العنوان فقد تناولت صورة الطفل فقط، وفي العصر الجاهلي دون غيره، ولجميع الشعراء.
- أما هذا البحث فيختلف في كونه دراسة شاملة لصورة الآخر، في شعر النساء خاصة، وفي كل أغراضه، وفي العصرين الجاهلي والإسلامي.

التَّمهِـيـد

التَّمهِـيـد

المبحث الأول: الآخر لغةً واصطلاحاً:

الآخر: لغة بفتح الخاء هو الغائب[1]، وهو "أحد الشيئين، وهو اسم فاعل والأنثى أخرى"[2]، وهو بمعنى غير "كقولك: رجل آخر وثوب آخر"[3]، يقول الأزهري: معنى آخر: شيء غير الأول الذي قبله" [4]

وقد ورد لفظ (الآخر) في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة، منها قوله تعالى: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ** ﴾ [يوسف: 41]، وقوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة: 27].

وفي الشعر العربي القديم ورد لفظ الآخر بذات المعنى كقول امرئ القيس[5]:

---

(1) الفراهيدي، العين، مادة(أخر).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة ،مادة (أخر).

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أخر).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة (ج227/7) .

(5) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار(130– 80 ق هـ= نحو 497 – 545 م): أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يماني الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عديّ. وكان أبوه ملك أسد وغطفان. وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته. فأبعده إلى (دمّون) بحضرموت، موطن آبائه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. فأقام زهاء خمس سنين، ثم جعل يتنقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فبلغ ذلك امرأ القيس وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي! ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا، لاصحو اليوم ولا سكر غدا! اليوم خمر وغدا أمر!، ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعرا كثيرا. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج11/2).

إذا قلــت هــذا صــاحب قــد رضــيته وقــرت بــه العينــان بــدلت آخــرا [1]

وقول المتنبي [2]:

ودع كــلَ صــوتٍ غيــرَ صــوتي فــإنّني أنــا الطــائرُ المحكــيُّ والآخــرُ الصــدى[3]

الآخر اصطلاحاً:

يعد مصطلح الآخر من المصطلحات الفضفاضة، " إذ يتشظّى هذا المصطلح ليحمل دلالات تتشابك علاقاتها في الذات، فالآخر قد يكون الدين، أو اللغة، أو السياسة، أو الحضارة"[4]

وفي المنظور الأدبي يأخذ أنماطاً متعددة؛ أي أن أنماط حضوره وتشكلاته في الشعر متعددة فقد يكون إنساناً، أو مكاناً، أو واقعة [5].

وسيتناول هذا البحث الآخر الإنسان بالبحث والدراسة .

---

(1) امرؤ القيس، الديوان (ص 69).

(2)أَبُو الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي، (303 – 354 هـ = 915 – 965 م)، أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أَبُو الطَّيِّب المُتَنَبِّي: الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربيّ. له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. وفي علماء الأدب من يعده أشعر الإسلاميين. ولد بالكوفة في محلة تسمى (كندة) وإليها نسبته، ونشأ بالشام، ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس. وقال الشعر صبيا.

(3) المتنبي، الديوان (ص373).

(4) الديك، إحسان، الآخر وأثره في شعر الأعشى الكبير(ص9).

(5) كاظم، نجم، الآخر في الشعر العربي الحديث (ص 21).

المبحث الثاني

العلاقة بين الأنا و الآخر في الشعر العربي القديم

مفهوم الآخر بالنسبة للشعراء يعني كل ما هو غيري وخارج الذات، سواء أكان مفردا أم جماعة، لذلك فإن كل نص أدبي لا يخلو من آخر، وكل نص غايته أن يصل إلى هدف محدد أو يريد أن يوضح فكرة معينة، أو ينقد حالة أو ظاهرة.

وفيما يأتي حديث حول الآخر في الشعر القديم، لنقف سويا على تصورات العربي للأشياء، ولا شك أن الآخر العام عند العربي الجاهلي هو الفارسي أو الرومي، حيث الحضارتين العظيمتين.

نظر المسلمون إلى الروم نظرة إيجابية حيت التقدير والتعاطف وقد سجل القرآن الكريم هذه النظرة بقوله تعالى: ﴿**الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** (5)﴾ [الروم: 1 – 5]

ولكن العرب في الجاهلية يمقتون الفرس، فالصراع بينهم كان محتدما، حيث الوقائع المستمرة، منها وقعة ذي قار؛ التي صور الأعشى[1] مشاهدها، ووثق الانتصار المؤزر على الفرس فيها، حيث أتي الفرس ببهرجهم وزينتهم، وقد علقوا الحلي في آذانهم وعلى رقابهم دلالة على السيادة، لكن خيول العرب فرقت جمعهم، وشتتت شملهم، فعادوا مهزومين، بين قتيل وجريح. يقول:

وَجُنْـدُ كِسـرى غَـداةَ الحِنـوِ صَـبَّحَهُم ... مِنّـا كَتائِـبُ تُزجـي المَـوتَ فَانصَـرَفوا

جَحـاجِحٌ وَبَنـو مُلـكٍ غَطارِفَـةٌ ... مِـنَ الأَعـاجِمِ فـي آذانِهـا النُطَـفُ

إِذا أَمـالوا إِلـى النُشّـابِ أَيـدِيَهُم ... مِلنـا بِبـيضٍ فَظَـلَّ الهـامُ يُختَطَـفُ

---

(1) الأَعْشَى (000 – 7 هـ = 000 – 629 م) ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير: من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعرا منه. وكان يغنّي بشعره، فسمي (صنّاجة العرب) قال البغدادي: كان يفد على الملوك. ينظر: الزركلي (ج341/7).

وَخَيــلُ بَكــرٍ فَمــا تَنفَــكُّ تَطحَــنُهُم حَتّــى تَوَلّــوا وَكــادَ اليَــومُ يَنتَصِــفُ

لَــو أَنَّ كُــلَّ مَعَــدٍّ كــانَ شــارَكَنا فــي يَـومِ ذي قـارَ مـا أَخطـاهُمُ الشَـرَفُ

لَمّــا أَتَونــا كَــأَنَّ اللَيــلَ يَقــدُمُهُم مُطَبِّــقَ الأَرضَ يَغشــاها بِهِــم سَــدَفُ

وَظُعنُنــا خَلفَنــا كُحــلاً مَــدامِعُها أَكبادُهــا وُجُــفٌ مِمّــا تَــرى تَجِــفُ

حَواسِــرٌ عَــن خُــدودٍ عايَنَــت عِبَــراً وَلاحَهــا وَعَلاهــا غُبــرَةٌ كُسُــفُ

مِــن كُــلِّ مَرجانَــةٍ فــي البَحــرِ أَخرَجَهــا غَوّاصُــها وَوَقاهــا طينَهــا الصَــدَفُ[1]

وتفخر الشاعرة صفية بنت ثعلبة[2] على الفرس في مشهد يقل مثيله، فالشاعرة تأخذها العزة بقومها وأهلها الذين لا يذل الجار فيهم، فهم أهل الكرم والعزة والشرف، والإباء، والشاعرة إذ تفاخر بقومها، فإنها تعرض تعريضا خفيا بالفرس ممثلين في ملوكهم الأكاسرة، فهم وإن كانوا ملوكا فإنه لا يليق بهم أن يفكروا في الزواج ببنات العرب، ثم إن الشاعرة لا تخاطب في شعرها كسرى مباشرة، بل بطريقة غير مباشرة، استعلاء وعزة وترفعا :

أنــا الحجيجــة مــن قــوم ذوي شــرف أولــي الحفــاظ وأهــل العــز والكــرم

والعــز فــيهم قــديما غيــر مقتــرف والجــار فــاعلم عزيــزاً داره بهــم

قولــوا لكســرى أجرنــا جــارة فثــوت فــي شــامخ العز يــا كسـرى علـى الـرغم

نحــن الــذين إذا قمنــا لداهيــة لــم نبتــدع عنــدها شــيئاً مــن النــدم

نحــيط جارتنــا مــن كــل نائبــة ونرفـد الجـار مـا يرضـى مـن الـنعم[3]

---

(1) الأعشى، الديوان (ص 113-114).

(2) صفية بنت ثعلبة الشيبانية، ينتهي نسبها الأعلى إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. أسهمت إسهاماً ضخماً في جمع قومها شيبان والقبائل الأخرى ليوقعوا بالفرس في ذي قار بقيادة هاني بن مسعود. وأخوها عمرو بن ثعلبة كان على رأس الوقعة الأخيرة بين العرب والعجم. ينظر: يموت، شاعرات العرب (ص11).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص12).

وتحضر صورة الروم في شعر الشعراء العرب الفاتحين، حيث أظهروهم بصورة الآخر الكافر العدو، الذي يقابل الأنا المسلم، ومن أشعار العرب الفاتحين التي نقلت لنا صورة الآخر الرومي، ما قاله عبد الله بن سبرة [1]، في قصيدة يصف فيها مبارزة جرت بينه وبين قائد رومي، يسمى (أرطبون) فيقول :

ويــلُ امِّ جــارٍ غــداة الــروع فــارقني ... أَهــون علــيَّ بــه إذا بــانَ فانقطعــا

يُمنــى يــديَّ غــدت منّــي مفارقــةً ... لــم أســتطع يــوم فلطــاس لهــا تبعــا

ومــا ضــننتُ عليهــا أن أُصــاحِبَها ... لقــد حرصــتُ علــى أن نســتريح معــا

وقائــل غــابَ عــن شــأني وقائلــةٍ ... هــلاّ اجتنبــتَ عــدو الله إذ صُــرِعا

وكيــف أركبــه يســعى بمُنصُــلِهِ ... نحــوي وأعجــز عنــه بعــدما وقعــا

مــا كــان ذالــك يــوم الـرَّوع مــن خلقــي ... ولــو تقــارب منّــي المــوت فاكتنعــا

ويــلُ أمِّــهِ فارســاً أجلــت عشــيرته ... حــامى وقــد ضــيّعوا الأحســاب فارتجعــا

يمشــي إلــى مســتَميتٍ مثلــه بطــلٍ ... حتــى إذا أمكنــا ســيفيهما امتصــعا

حاســيته المــوتَ حتــى اشــتفّ آخِــرهُ ... فمــا اســتكانَ لمــا لاقــى ولا جزعــا

كــأنّ لِمّتَــهُ هُــدّابُ مُخملــة ... أحــمُّ أزرقُ لــم يَشــمط وقــد صــلعا

فــإنّ يكــن أرطبــون الــروم قطّعهــا ... فقــد تركــتُ بهــا أوصــاله قِطعــا

وإن يكــن أرطبــون الــروم قطّعهــا ... فــإنّ فيهــا بحمــد الله منتفعــا

بنــانَتين وُجــذمُوراً أُقــيم بهــا ... صــدرَ القنــاةِ إذا مــا آنســوا فَزَعــا[2]

---

(1) عبد الله بن سبرة الحرشي، شاعر فارس، ذكره أبو علي الهجري، وقال: شهد الجسر في فتوح العراق، فقطعت أصابع يده اليمنى فرثاها بأبيات. ينظر: ابن حجر، الإصابة (ج69/5)

(2) القالي، الأمالي (ج47/1-48). وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (ج10/5).

لقد صور الشاعر صراعا مريرا، وقتالا شرسا، مع خصم عنيد، شجاع متمرس على فنون القتال، صراعا أدى إلى فقد يده، لكنه لم يضعف ولم يجبن، وواصل القتال، حتى ترك الخصم، أشلاء ممزقة.

ويصور أبو تمام مشهدا من مشاهد الصراع مع الروم، عند أحد حصونهم، حيث احتدام القتال بين المسلمين الصائمين الصابرين على الظمأ والجوع والطامعين في ثواب الله وعظيم أجره والنصر والتمكين، وبين الروم الذين هزموا شر هزيمة، فجاء قادتهم وجنودهم أذلاء منكسرين. يقول:

حَتّــى نَقَضــتَ الــرومَ مِنــكَ بِوَقعَــةٍ ... شَــنعاءَ لَــيسَ لِنَقضِــها إِبــرامُ

فــي مَعــرَكٍ أَمّــا الحِمــامُ ... فــي هَبوَتَيــهِ وَالكُمــاةُ صِــيامُ

وَالضَــربُ يُقعِــدُ قَــرمَ كُــلِّ كَتيبَــةٍ ... شَــرِسِ الضَــريبَةِ وَالحُتــوفُ قِيــامُ

فَفَصَــمتَ عُــروَةَ جَمعِهِــم فيــهِ وَقَــد ... جَعَلَــت تَفَصَّــمُ عَــن عُراهــا الهــامُ

أَلقــوا دِلاءً فــي بُحــورِكَ أَســلَمَت ... تَرَعاتِهــا الأَكــرابُ وَالأَوذامُ

مــا كــانَ لِلإِشــراكِ فَــوزَةُ مَشــهَدٍ ... وَاللَــهُ فيــهِ وَأَنــتَ وَالإِســلامُ

لَمّــا رَأَيــتَهُمُ تُســاقُ مُلــوكُهُم ... حِزَقــاً إِلَيــكَ كَــأَنَّهُم أَنعــامُ

جَرحــى إِلــى جَرحــى كَــأَنَّ جُلــودَهُم ... يُطلــى بِهــا الشَــيّانُ وَالعُــلّامُ

مُتَســاقِطي وَرَقِ الثِيــابِ كَــأَنَّهُم ... دانــوا فَأُحــدِثَ فــيهِمِ الإِحــرامُ[1]

ويصف الشاعر ثابت قطنة [2] انتصار العرب المسلمين على الترك في إحدى المعارك فيقول:

---

(1) أبو تمام، الديوان (157/3).

(2) ثابت قُطْنَة، (000 – 110 هـ = 000 – 728 م)، ثابت بن كعب بن جابر العتكيّ، من الأزد: من شجعان العرب وأشرافهم في العصر الأموي، يكنى أبا العلاء. له شعر جيد. شهد الوقائع في خراسان (سنة 102 هـ وأصيبت عينه فجعل عليها قطنة فعرف بها. ولما غزا أشرس بن عبد الله بلاد سمر قند وما وراء النهر، كان ثابت معه، ووجهه في خيل إلى (آمل) لقتال من فيها من الترك، فقاتلهم وظفر، واستمرت وقائعه معهم إلى أن قتلوه. جمع ماجد بن أحمد السامرائي البغدادي، ما وجد من شعره.

فَـــدَت نَفســـي فَـــوارِسَ مِـــن تَمـــيمٍ غَـــداةَ الـــرَوعِ فـــي ضَـــنكِ المَقـــامِ

فَـــدَت نَفســـي فَوارِســـاً اِكتَفـــوني عَلـــى الأَعـــداءِ فـــي رَهَـــجِ القِتـــامِ

بِقُصـــرِ البـــاهِلِيَّ وَفـــدٌ رَأَونـــي أُحـــامي حَيـــثُ ظَـــنَّ بِـــهِ المُحـــامي

بِسَـــيفي بَعـــدَ حَطـــمِ الـــرُمحِ قَـــدماً أَذودُهُـــم بِـــذي شَـــطبٍ حُســـامِ

أَكُـــرُّ عَلَـــيهِم اليَحمـــومَ كَـــرّاً كَكَـــرِّ الشُـــربِ آنِيَـــةَ المُـــدامِ

أَكُـــرُّ بِـــهِ لَـــدى الغَمَـــراتِ حَتّـــى تَجَلَّـــت لا يَضـــيقَ بِـــهِ مَقـــامي

فَلَـــولا اللَـــهَ لَـــيسَ لَـــهُ شَـــريكُ وَضَـــربي قَـــوسَ المُلـــكِ الهُمـــامِ

إِذَن لَسَـــعَت نِســـاءَ بَنّـــي دَثـــارٍ أَمـــامَ التُـــركِ بادِيَـــةَ الخِـــدامِ

فَمَـــن مِثـــلُ المُسَـــيَّبِ فـــي تَمـــيمٍ أَبـــي بَشَـــرٍ كَقادِمَـــةَ الحِمـــامِ [1]

لقد افتخر الشاعر بانتصاره على عدوه، وقتله قائدا كبيرا من قادتهم. لقد نظر العرب المسلمون لكل من الفرس والروم، والترك على أنهم أعداء للعرب والمسلمين، وهم بذللك يمثلون الآخر غير المسلم، الآخر الكافر المعتدي الذي يقابل الأنا المسلم. وسيتم مناقشة الآخر الأعجمي في مبحث منفصل ضمن هذا البحث.

ثالثاً: شعر النساء في الأدب العربي القديم بصفة عامة.

شاركت المرأة الرجل في الحياة الثقافية والاجتماعية، فكانت شاعرة وناثرة يشار إليها بالبنان، وقد برعت طائفة ليست بالقليلة في قول الشعر من خلال موضوعاته المختلفة كالغزل والزهد والرثاء والمديح والهجاء سواء كن من الحرائر أو من الجواري.

(1) الطبري، تاريخ الطبري (ج150/1) و(ج611/6).

وقد كانت مشاركة المرأة استجابة للظروف المحيطة، حيث التأثير والتأثر بها، فقد كانت المرأة العربية على قدرة عقلية، ونشاط فكري مميز، ما خلف لنا بيانا مشرقا، وأدبا جميلا.

وعلى الرغم من هذا فإن ما وصل إلينا من أدب النساء قليل جدا نسبة إلى أدب الرجل لعل ذلك يرجع إلى الأسباب الآتية:

1- عدم اهتمام رواة الشعر بشعر النساء، وانشغالهم برواية شعر الرجال، فقد نظر الكثير من الرواة والنقاد القدماء إلى أدب المرأة نظرة مغايرة عن نظرتهم لشعر الرجل. فهو لا يرقى إلى مستوى الأدب الذي تنتجه قرائح الرجال، ومن ذلك تعليق التنوخي على شعر عابدة بنت محمد [1]الذي قال فيه:" فهجته هذه المرأة بما تحقق عندي أنها صادقة فيه ؛ لأنه يليق بكلام النساء " [2].

2- غلبة نظم المقطوعات الشعرية سهلة الحفظ، والتناقل بين المجالس، وكان النقاد يرون هذا عيبا، حيث كانوا يفرحون بالشعر المهلل الطويل.

3- ألف الكثير من الأدباء كتبا عن النساء، كما ذكر الحموي في معجم الأدباء، لكن هذه الكتابات جاءت في أغلبها، حول أخبار النساء ومحاسنهن وأحوالهن، دون الاهتمام المركز في الجانب الأدبي، وجل ما ورد في هذه الكتب عبارة عن مقطوعات قصيرة أنشدت في موقف عابر.

4-النظرة الذكورية للمجتمع الجاهلي. 5- قلة ما قالته الشاعرات قياسا بالشعراء.

وعلى الرغم من هذه الأسباب، فإنه تجدر الإشارة إلى أن المرأة في عصور الأدب الأولى قد أبدعت في كتاباتها، لا سيما في العصر العباسي، وما كان ذلك إلا انخراطا في النشاط الفكري المتسارع، وتجاوبا مع الحالة الثقافية الراقية في ذلك العصر.

---

(1) هي عابدة بنت محمد الجهنية امرأة عم أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي كانت أديبة شاعرة فصيحة فاضلة روى عنها القاضي أبو علي المحسن التنوخي ومن شعرها:

شاورني الكرخي لما دنا الني... روز والسن له ضاحكه

فقال ما نهدي لسلطاننا... من خير ما الكف له مالكه

قلت له كل الهدايا سوى... مشورتي ضائعة هالكه

ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات (ج314/16).

(2) التنوخي، نشوار المحاضرة (ج224/2).

وقد توافر في المرأة " قدرات خلاقة وحيوية ربما لا نجدها في الرجل؛ فقد منحتها قدرة الله الرقة والعذوبة، وقد اقتضت وظيفة الأمومة أن تكون المرأة أكثر حساسية من الرجل، وأسرع استجابة للمؤثرات العاطفيّة والوجدانية، وكثير اً ما تهتدي عن طريق شعورها وبصيرتها إلى حقائق قد لا يستطيع الرجل أن يهتدي إليها بعقله وتفكيره المجرد، فالمرأة هي الواحة الخضراء في صحراء الحياة، والمرأة قصيدة الدهر "[1].

لم يغفل العرب المرأة، بل إنها برزت بمكانتها السامية في العصور القديمة ابتداء من العصر الجاهلي، فلم يغفل الشعراء الكبار مكانتها، كيف لا وقد احتلت صدور المعلقات، فهذا امرؤ القيس يقول:

قفــا نبــك مــن ذكــرى حبيــب ومنــزل بســقط اللــوى بــين الــدخول فحومــل[2]

وهذا طرفة[3] يقول:

لخولـــــة أطـــــلال ببرقـــــة ثهمـــــد تلـوح كبـاقي الوشـم فـي ظـاهر اليـد [4]

ويقول زهير[5]:

---

(1) معبدي، محمد بدر، أدب النساء في الجاهلية والإسلام ،(ص9).

(2) البطليوسي، شرح ديوان امرؤ القيس (ص 69).

(3) طَرَفَة بن العَبْد، (نحو 86 – 60 ق هـ = نحو 538 – 564 م)، طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمرو: شاعر، جاهلي، من الطبقة الأولى. ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد. واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه. ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر (عامله على البحرين وعمان) يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر، شابا، في (هجر) قيل: ابن عشرين عاما، وقيل: ابن ست وعشرين. أشهر شعره معلقته، ومطلعها: (لخولة أطلال ببرقة ثهمد) وقد شرحها كثيرون من العلماء. وجمع المحفوظ من شعره. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج225/3).

(4) طرفة بن العبد، الديوان (ص 30).

(5) زهير بن أبي سُلْمى، (000 – 13 ق هـ = 000 – 609 م)، زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رياح المزني، من مضر: حكيم الشعراء في الجاهلية. وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة. قال ابن الأعرابي: كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره، كان أبوه شاعرا، وخاله شاعرا، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة. ولد في بلاد (مُزَينة) بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد) واستمر بنوه فيه بعد الإسلام. قيل: كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة فكانت قصائده تسمى (الحوليّات) أشهر شعره معلقته التي مطلعها: (أمن أم أوفى دمنة لم تكلم) ويقال: إن أبياته التي في آخر هذه القصيدة تشبه كلام الأنبياء. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج52/3).

أمـــن أم أوفـــى دمنـــة لـــم تكلـــم بحومانـــــة الـــــدراج فـــــالمتثلم [1]

ويقول عنترة [2]:

يـــا دار عبلـــة بـــالجواء تكلمـــي وعمـــي صـباحا دار عبلـــة واسـلمي [3]

من خلال الأبيات السابقة تتضح مكانة المرأة في تاريخ الأدب العربي القديم، وما كان لها من الحقوق والمكانة، فقد صورها الشعراء في صورة كريمة تليق بمكانتها، وكانت أول شيء يبدؤون به قصائدهم، ويزينون به أدبهم وشعرهم.

وكان لها حقوق وعليها واجبات، ومن أهم حقوقها على الرجل أن يحميها، ويمنع عنها الضيم، ويشعرها بأنها تعيش في حمى حقيقي، فتجد فيه كفايتها، وترى فيه ملجأها وحماها، ولم يكن هذا في حق الزوجة وحدها بل في حق كل نساء القبيلة، يقول حاتم الطائي[4]:

وإنـــي لأخـــزى أن تـــرى بـــي بطنـــة وجـــارات بيتـــي طاويـــات ونحـــف[5]

وكان عروة [6] يفخر بغض الطرف عن جاراته، فيقول:

---

(1) التبريزي، شرح القصائد العشر (ص 137).

(2) عَنْتَرة العَبْسي، (000 – نحو 22 ق هـ = 000 – نحو 600 م)، عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العبسيّ: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها. وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفسا، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة، وكان مغرما بابنة عمه " عبلة " فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها. اجتمع في شبابه بإمرئ القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء، وعاش طويلا، وقتله الأسد الرهيص أو جبّار ابن عمرو الطائي. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج91/5).

(3) عنترة ابن شداد، الديوان (ص 11).

(4) حاتِم الطَّائي، (0 00 – 46 ق هـ = 000 – 578 م)، حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عَدِيّ: فارس، شاعر، جواد، جاهلي، يضرب المثل بجودة. كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض (جبل في بلاد طيِّئ) قال ياقوت: وقبر حاتم عليه. شعره كثير، ضاع معظمه، وبقي منه (ديوان – ط). صغير. وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب والتاريخ. وأرخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي صلّى الله عليه وسلم. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج151/2).

(5) حاتم الطائي، الديوان (ص70).

(6) عُرْوَة بن بالورد، (000 – نحو 30 ق هـ = 000 – نحو 594 م) عروة بن الورد بن زيد العبسيّ، من غطفان: من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها. كان يلقب بعروة الصعاليك، لجمعه إياهم، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم. قال عبد الملك بن مروان: من قال إن حاتما أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد. ينظر الزركلي، الأعلام (ج227/4).

وإن جـــارتي الـــوت ريـــاح ببيتهـــا تغافلـــت حتـــى يســـتر البيـــت جانبـــه [1]

ومما يدل على رفيع منزلتها ومكانتها، أنها تقلدت أرفع المناصب؛ فقد روى التاريخ أن كثير اً منهن وصلن إلى الملك والرئاسة، وعلى سبيل المثال لا الحصر(زنوبيا)[2]ملكة تدمر، وهي من أصل عربي من بني السميدع، وقد خضعت لها القبائل، وضُرب بها المثل في الكبرياء، وقيل :أعزّ من الزباء. [3] ونقرأ في القرآن الكريم عن سيرة(بلقيس) ملكة سبأ، وما لها من التجربة والحكمة وحنكة الرأي، إذ كانت تستشير قومها في كل معضلة، وتأخذ برأيهم في كل أمر.

وقد كانت المرأة من أوائل النقاد، إذ ارتبط تاريخ النقد العربي بقصة أم جندب وهي كما يقال أول من نقد الشعر، فقد ذكروا أن امرأ القيس نازع علقمة بن عبدة الشعر فقال علقمة: قد رضيت بامرأتك أم جندب حكماً بيني وبينك. فحكّماها. فقالت أم جندب لهما: قولا شعراً تصفان فيه فرسيكما على قافيه واحدة وروى واحد، فقال امرؤ القيس :

خليلـــي مـــرا بـــي علـــى أم جنـــدب لنقضـــي لبانـــات الفـــؤاد المعـــذَّب

---

(1) عروة، الديوان (ص16) الوت رياح ببيتها: أي ذهبت به والقته.

(2) الزَّبَّاء، (000 – 358 ق هـ = 000 – 285 م)، الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان ابن أذينة بن السميدع: الملكة المشهورة في العصر الجاهلي، صاحبة تدمر وملكة الشام والجزيرة. يسميها الإفرنج Zenobie وأمها يونانية من ذرية كليوبطرة ملكة مصر. كانت غزيرة المعارف، بديعة الجمال، مولعة بالصيد والقنص، تحسن أكثر اللغات الشائعة في عصرها، وكتبت تاريخا للشرق. وليت تدمر (وكانت تابعة للرومان) بعد وفاة زوجها (والعرب تقول بعد مقتل أبيها) سنة 267 م، ولم تلبث أن طردت الرومان وحاربتهم، فهزمت هيرقليوس القائد العام لجيش الإمبراطور غاليانوس، واستقلت بالملك، فامتد حكمها من الفرات إلى بحر الروم ومن صحراء العرب إلى آسية الصغرى، واستولت على مصر مدة.
أما خاتمة أمرها فمؤرخو العرب متفقون على قصة، خلاصتها: أن الزباء قتلت جذيمة الوضاح ملك العراق فاحتال ابن أخت له اسمه عمرو بن عدي حتى دخل قصرها وهمّ بقتلها فامتصت سما قاتلا وقالت (بيدي لا بيد عمرو!)

(3) الميداني، مجمع الأمثال (ج43/2)، مثل رقم: 2596. والزمخشري، المستقصى (ج243/1)،مثل رقم:1036. والعسكري، جمهرة الأمثال (ج66/2)، مثل رقم:1242.

وقال علقمة[1] :

ذهبــت مــن الهجــران فــي كــل مــذهب ولــم يــك حقــاً طــول هــذا التجنُّــب

فأنشداها جميعا القصيدتين. فقالت لا مرئ القيس: علقمة أشعر منك. قال: وكيف ؟ قالت :

لأنّك قلت :

فللســـــوط ألهـــــوب وللســـــاق درة وللزجــــر منـــــه وقـــع أهـــوج منْعـــبِ

فجهدت فرسك بسوطك، ومريته بساقك وزجرك، وأتعبته بجهدك.

وعلقمة قال :

فـــــأدركهن ثانيـــــاً مـــــن عنانـــــه يمـــــر كمـــــر الـــــرائح المتحلّـــــب

فلم يضرب فرسه بسوطه، ولم يمره بساق، ولم يتعبه بزجر[2].

ومن هنا يظهر للقارئ تلك المكانة العظيمة التي حظيت بها المرأة لدى الشعراء، غير أنه لم يقتصر دور المرأة على أن تذكر في الشعر بألسنة الشعراء بل كان لها دور مهم في صناعة الأشعار، وإن غلب عليها طابع الرثاء، والذي يضبط حالتها مع الآخر القريب كالأخ والأب والعم وغير ذلك.

وقد أشارت بعض كتب الأدب للعديد من الشاعرات في العصر الجاهلي، يُذكر منهن:

الخرنق بنت بدر[3]: وهي أخت طرفة بن العبد، رثت زوجها بشرا فقالت عند فقده:

---

(1) عَلْقَمَة الفَحل، (000 – نحو 20 ق هـ = 000 – نحو 603 م)، علقمة بن عَبَدة (بفتح العين والباء) بن ناشرة بن قيس، من بني تميم: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. كان معاصرا لا مرئ القيس، وله معه مساجلات. وأسر " الحارث ابن أبي شمر الغساني " أخا له اسمه " شأس " فشفع به علقمة ومدح الحارث بأبيات، فأطلقه. له ديوان شعر، شرحه الأعلم الشنتمري.

(2) الأصفهاني، الأغاني (121/7).

(3) الخرنق بنت بدر: وهي الخرنق بنت بدر بن هفان بن مالك، شاعرة جاهلية، اخت الشاعر الجاهلي، طرفة بن العبد لأمّه. ينظر: الديوان، برواية أبي عمرو بن العلاء.

ألا أقسمتُ آسى بعد بشرٍ على حيٍّ يموتُ ولا صديق[1]

وما ذاك إلا لما يتصف به زوجها بشر، من صفات الشجاعة والإقدام والحمية، والكرم، تقول:

ألا ذهب الحلَّال في القفراتِ ومن يملأ الجفان في الحَجَرات

ومن يرجع الرمح الأصم كُعُوبُه عليه دِمَاءُ القوم كالشقرات[2]

وتقول مفتخرة بزوجها:

لَقَد عَلِمَت جَديلَةُ أنَّ بِشراً غَداةَ مُرَبَّحٍ مُرُّ التقاضي

غداةَ أتاهُمُ بِالخَيلِ شُعثاً يَدُقُّ نُسورَها حَدُّ القِضاض

عَلَيها كُلُّ أَصيَدَ تَغلِبِيّ كَريمِ مُرَكَّبِ الحَدَّين ماضِ

بِأَيديهِم صَوارِمُ مُرهَفاتٌ جَلاها القَينُ خالِصَةُ البَياضِ

وَكُلُّ مُثَقَّفٍ بِالكَفِّ لَدنٍ وَسابِغَةٍ مِنَ الحَلَقِ المُفاض

فَغادَرَ مَعقِلاً وَأَخاهُ حِصناً عَفيرَ الوَجهِ لَيسَ بِذي اِنتِهاضِ[3]

"فبشر بن عمرو سيد بني مرثد، وكان رجلاً ذا كبرٍ ونخوة"[4].

---

(1) الخرنق، الديوان، رواية أبي عمرو بن العلاء (ص 39).

(2) المرجع السابق (ص 48 – 49). الحجرات: السنوات المجدبة، يطعم فيها الأضياف. الشقرات: مفردها الشقرة، وهي شقائق النعمان.

(3) الخرنق ،الديوان، (ص 50 – 51). نسورها: بواطن حوافرها، القضاض: االحصى الصغار. الأصيد: المتكبِّر أو المغرور، أي الذي يرفع رأسه تيهاً وكبراً، ومن هنا قالوا: (الملوك الصيد). الصارم: السيف الثقيل. جلاها القين: صقلها وسنها الحداد. المثقف: الرمح المهذب المسوّى، اللدن: الطري، المهتز، السهل السيطرة عليه. سابغة: واسعة. المفاضة: هي الثياب الفضفاضة. ليس بذي انتهاض: أرادت الخرنق أنه أصبح جثة هامدة لا حراك لها.

(4) المرجع السابق (ص 33).

فالشاعرة تعدد صفات زوجها التي أحبتها فيه، والتي تحرص على ذكرها في شعرها، لما لها من أهمية في حياتها، فهو جواد كريم، يحمي الحرمات ويذود عنها، ويجالس علية القوم من الملوك والأمراء، تقول:

فكمْ بقلابَ من أوصالِ خرقٍ أخي ثقةٍ وجُمْجُمةٍ فليقِ

ندامى للملوكِ إذا لقوهمْ حُبُوا وسقوا بِكأسِهمُ الرحيق

همُ جدعوا الأنوفَ وأوعبوها فما ينساغُ لي من بعدُ ريقي

و بيضٍ قد قعدنَ وكلُّ كحلٍ بأعينهنَّ أصبحَ لا يليق

أضاع بضوعَهن مُصابُ بشرٍ و طعنةُ فاتكٍ، فمتى تفيقي ؟![1]

جليلة بنت مرة [2]: وينتهي نسبها إلى قبيلة بكر، تزوجها كليب، وقصتها مشهورة عند قتل أخيها جساس لكليب بسبب البسوس؛ التي أشعلت حربا ضروسا بين العرب، صورت مأساتها يوم أن طردت من بيت زوجها فقالت :

يا ابنة الأقوام إن لمت فلا تعجلي باللوم حتى تسألي

فإذا أنت تبينت الذي يوجب اللوم فلومي واعذلي

إن تكن اخت امرئ ليمت على شقق منها ليه فاعذلي

جل عندي فعل جساس فيا فيا حسرتي عما انجلت أو تبخلي

فعل جساس على وجدي به قاطع ظهري ومدن أجلي

---

(1) الخرنق ،الديوان (ص 41 – 42). الخرق: الجواد التي يتخرق بالمعروف.

(2) جليلة بنت مرّة: شاعرة جاهلية من بني شيبان بن ثعلبة أخت جسّاس بن مرة قاتل زوجها كليب، واسم زوجها وائل، وكان سيد ربيعة، وكان كثير الفخر بنفسه أمامها وكثير التعريض بأهلها حتى رماه أخوها جسّاس فقتلهُ؛ بسبب ناقة خالته البسوس. ينظر: الزر كلي، الأعلام:(ج133/2)، وينظر: لويس شيخو، رياض الأدب في مراثي شواعر العرب(ج9/1)، وينظر: الجبوري، كامل، معجم الشعراء (ج419/1-420).

فأنـــــا قاتلـــــة أو مقتولـــــة ولعـــــل الله أن ينظـــــر لـــــي[1]

فلعل هذا الرثاء ينقل تلك التجربة الشعورية الصادقة، حيث تجلت عاطفة المرأة التي تعبر تعبيرا حيا عن عواطفها الحزينة لمصرع زوجها بيد أخيها، حتى ضاع حاضرها ومستقبلها.

1- جنوب أخت عمرو ذي الكلب[2]: الشاعرة الباكية، التي عرفت برثائها الحزين، ونشيجها المؤلم، ولوعتها التي لا تنقضي.

2- ليلى الأخيلية [3]: وهي بنت عبد الله بن الرحالة، وهي من أشعر النساء، ولا يقدم عليها غير الخنساء، وهي مخضرمة بين الجاهلية والإسلام، عاشت أكثر حياتها الشعرية زمن الأمويين، وأكثر أخبارها متصلة بهذه المرحلة وقد رثت الخليفة عثمان بن عفان فقالت:

أبعـــد عثمـــان ترجـــو الخيـــر أمتـــه وكـــان آمـــن مـــن يمشـــي علـــى ســـاق

خليفـــــة الله أعطـــــاهم وحـــــولهم مـــــا كـــــان مـــــن ذهـــــب جـــــم وأوراق

فـــــلا تكـــــذب بوعـــــد الله وارض بـــــه ولا توكـــــل علـــــى شـــــيء بإشـــــفاق

ولا تقـــــولن لشـــــيء ســـــوف أفعلـــــه قـــــد قـــــدر الله مـــــا كـــــل امـــــرئ لاق [4]

ولهند بنت عتبة [5]مراث كثيرة في أبيها المقتول يوم بدر، فتقول :

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص37- ص38).

(2) جنوب الهذلية: هي جنوب بنت العجلان بن عامر بن برد بن منبه إحدى بني كاهل بن هذيل وهي شاعرة جاهلية هذلية رثت أخاها عمراً ذا الكلب. ينظر: البغدادي، خزانة الأدب،(415/10)، وينظر: البصري، الحماسة البصرية (255/1).

(3) ليلى الأخيلية شاعرة فصيحة مقدمة بين شعراء وشاعرات العصر الإسلامي، والأموي. ينظر: يموت، شاعرات العرب (ص 206).

(4) ليلى الأخيلية، الديوان (ص 92).

(5) هند بنت عتبة: هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد مناف أم معاوية بن أبي سفيان، امرأة ذات جمال ومكانة في الجاهلية؛ وهي شاعرة فصيحة، لها مراث في قتلى بدر من المشركين، أسلمت يوم الفتح بعدما اسلم زوجها أبو سفيان. ينظر: القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ج474/4)، وينظر: ابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة (ج346/8).

أعينـــي جـــوداً بـــدمع ســـرب علـــى خيـــر خنـــدف لـــم ينقلـــب

تـــداعى لـــه رهطـــه غـــدوة بنـــو هاشـــم وبنـــو المطلـــب

يذيقونـــه حـــد أســـيافهم يعلونـــه بعـــد مـــا قـــد عطـــب

يجـــرون منـــه عفيـــر التـــراب علـــى وجهـــه عاريـــاً قـــد ســـلب

وكـــان لنـــا جـــبلاً راســـياً جميـــل المـــراح كثيـــر العشـــب

وقامـــت يهـــود بأســـيافها قصـــار الجـــود لئـــام الحســـب

عبيـــد أبـــي كـــربٍ تبـــعٍ عبيـــدٌ قصـــارٌ دقـــاق النســـب[1]

وفي المقابل رأت في مقتل حمزة رضي الله عنه يوم أحد ثأرا لأبيها فقالت:

شـــفيت مـــن حمـــزة نفســـي بأحـــد حتـــى بقـــرت بطنـــه عـــن الكبـــد

أذهـــب عنـــي ذاك مـــا كنـــت أجـــد مـــن لذعـــة الحـــزن الشـــديد المعتمـــد

والحـــرب تعلـــوكم بشـــؤبوب بـــرد تقـــدم إقـــداماً علـــيكم كالأســـد[2]

وتغضب أروى بنت الحارث[3]من مقالة هند بنت عتبة في أحد فترد عليها قائلة:

يـــا بنـــت جبـــار كثيـــر الكفـــر خزيـــت فـــي بـــدر وغيـــر بـــدر

صـــبحك الله قبيـــل الفجـــر بالهاشـــميين الطـــوال الزهـــر

بكـــل قطـــاع حســـام يفـــري حمـــزة ليثـــي وعلـــي صـــقري

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 128).

(2) المرجع السابق (ص130).

(3) أروى بنت الحارث: وهي أروى بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم أبنة عم الرسول (ﷺ)، وأمّها غزيه بنت قيس، وأروى صحابية مشهورة ،وشاعرة فصيحة، لها رثاء في رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولها أيضا رثاء في أبيها الحارث، ينظر الإصابة في تمييز الصحابة:(ج7/8)، وينظر: الحيالي، ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام (ص4).

رام شـــــبيب وأبـــــوك غـــــدري فخضـــبا منـــه ضـــواحي النحـــر

هتـــك وحشـــي حجـــاب الســـتر مـــا للبغايـــا بعـــدها مـــن فخـــر [1]

وكذلك بكت صفية بنت عبد المطلب[2] أخاها حمزة يوم أحد، لكن بكاء المسلمات لم يكن أكثر من بكاء المشركات، ذلك لثقتهن بمكانة الشهداء الكريمة في الآخرة يقول أحمد الشايب" وكانت فيه – الرثاء – منافسة بين مكة والمدينة أيضا، ولعل شواعر قريش كن أقوى فنا لحرقة الهزيمة وزوال العز التليد"[3].

ونجد شعر الشوق للديار والمحبوب عند الشاعرة وجيهة بنت أوس الضبية[4]، التي ترى أنه لا طائل من اللوم والعتاب، فلا شيء يمحو الشوق والغرام والصابة من قلبها، كما أنها تبدي استغرابها من محبتها لأرض عشيرتها، وبغضها للأرض الجديدة التي حلت بها، وهذا نوع من عدم التصريح، ولو أن الريح توصل الرسائل لتمنت من ريح الجنوب أن توصل رسالتها لأحبتها، دون أن تهينها وتذلها بخلطها بالتراب، حرصاً منها على من تحب، تقول:

وعاذلـــة تغـــدو علـــيّ تلـــومني على الشوق لم تمْحُ الصبابة من قلبي

فمـــالي إن أحببْـــتُ أرض عشـــيرتي وأبْغَضْـــتُ طرْفـــاءَ القُصـــيْبةِ مـــن ذنـــب

فلـــو أنّ ريحـــاً بلَّغـــت وحْـــي مُرسِـــلٍ حفـــيٍّ لناجيـــتُ الجنـــوب علـــى النَّقـــبِ

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 132).

(2) صفية بنت عبد المطلب: وهي السيدة صفية بنت عبد المطلب بن عبد مناف الهاشمية القرشية، عمّة النبيِّ (ﷺ) وأمها هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي خالة رسول الله (ﷺ)، وصفية رضي الله عنها صحابية وشاعرة مخضرمة لها شعر في الجاهلية والإسلام منه مراثٍ في أبيها عبد المطلب ومراثٍ في أخيها الحمرة بن عبد المطلب وأبنها الزبير بن العوام وقد ذكرت الباحثة ليلى الحيالي مرثية لها قالت أنها في أخيها الزبير بن عبد المطلب، توفيت صفية في المدينة المنورة سنة 20هـ. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ج427/2)، وينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (ج213/8-214)، وينظر: عبد الرحمن المصطاوي، أعلام النساء (ص 140).

(3) ابن رشيق، العمدة (145/2).

(4) وجيهة بنت أوس الضبية: شاعرة. أورد لها أبو تمام في " الحماسة " أبياتا في الحنين إلى وطنها، من رقيق الشعر. واستشهد البكري ببيت من شعرها على صحة اسم " النميرة " في ديار بني تميم، مما يدل على أنها جاهلية أو في أوائل العصر الإسلامي. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج111/8).

فقلــتُ لهــا أدي إلــيهم رســالتي ولا تخلطيهــا طــال سَــغْدُك بــالتُّرب

فــإني إذا هبَّــت شــمال ســألتُها هــل ازداد صُـدَّاح النُّميْـرة مــن قــربِ[1]

إنها تعجب ممن يلومها في شوقها إلى وطنها، بل إن الملامة لتزيدها ولوعاً به، وما ذنبها أن تكلف بأرض عشيرتها وتقلى غيرها؟ وإنها لتتمنى أن تقدر الريح على نقل نجواها، وتلطف وتظرف في تمنيها أن تبلغ الريح تحياتها، وفي دعائها لها بالخير، راجية ألا تمس بتحيتها الثرى، وإنها لحفية بالريح الشمالية تسائلها عن قومها أيقتربون ؟ ومتى يقتربون؟[2]

وتشكو ليلى بنت لُكَيْز[3] من ألم الشوق الذي أذاب أحشاءها كذوبان الرصاص في النار، فتقول:

لمــا ذكــرت غُرَيْســاً غــالني أمــدي حتــى هممــت مــن البلــوى بــإعلان

تربَّـع الشـوقُ فـي أحشـائي ذِيْـب كمـا ذاب الرَّصَـــاصُ إذا أُغلـــي بنيـــران

فلـــو ترانـــي وأشـــواقي تُقَلِّبُنـــي عَجبْـت بـرَّاق مـن صـبري وكتمـاني[4]

ويأخذ الشوق هند بنت عصم السدوسية[5]، فتحن إلى موطنها، " وتصور حنينها في أن الماء الذي تشرب منه لا يبل أوامها، وتود لو جاءها أحد بشربة من ماء وطنها لتعطيه أربعاً من وطن زوجها، ثم تقول إنها تشتعل شوقاً إلى ديار أهلها ومسقط رأسها، ويزيد شوقها اشتعالاً أنها يائسة من أوبة قريبة"[6]، تقول:

---

(1) التبريزي، شرح الحماسة(162/2)، ماردیني، شواعر الجاهلية (ص310)، العذل: اللوم، الطرفاء: شجر، القصيبة: موضع بين خيبر والمدينة. الوحي: الإخبار. الحفيِّ: المُلِحُّ واللطيف. النقب: الطريق في الجبل. النميرة: هضبة بين نجد والبصرة بعد الدهناء. الصَّدح: الصوت.

(2) ينظر: الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 651).

(3) ليلى بنت لكيز: هي ليلى بنت لكيز بن مرة بن أسد، بن ربيعة بن نزار، شاعرة جاهلية أسرها أحد أمراء العجم فامتنعت على الزواج منه إلى أن جاء ابن عمها وخطيبها البراق بن روحان فأنقذها وتزوج بها. ينظر: الزركلي، الأعلام: (ج247/5)، وينظر: يموت، شاعرات العرب (ص32)، وينظر: الجبوري، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م (ج246/4)

(4) ماردیني، شواعر الجاهلية (ص 295).

(5) هند بنت عصم السدوسية، شاعرة جاهلية، كانت عند ربيعة بن غزالة الكندي، وكان عنيناً. ينظر معجم الشعراء (ص2272).

(6) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 651).

ألا لا أرى مـــاء المصَـــبَّح شـــافياً نفوســاً إلـــى أمـــواهِ بقعـــاءَ نزَّعـــا

فمـن جـاء مـن مـاء السـبال بشـربة فـإن لـــه مـــن مـــاء لِينـــة أربعـــاً

وقـــد زادنـــي وَجـــداً ببقعـــاء أننـــي رأيـــت مطايانـــا بلينـــة ظُلَّعـــا[1]

وهذه امرأة من أبان تزوجت في كلب رأت بكراً من ديارها يحن إلى موطنه، فتشاركه مشاركة وجدانية، سببها شوقها إلى موطنها، تقول:

ألا أيهـــا البكـــر الأبـــانيُّ إننـــي وإيـــاك فـــي كلـــب لمغتربـــان

تحـــنُّ وأبكـــي ذا الهـــوى لصـــبابة وإنّـــا علـــى البلـــوى لمصـــطحبانِ

وإن زمانـــاً أيهـــا البكـــر ضـــمَّني وإيـــاك فـــي كلـــبٍ لشـــرُّ زمـــانِ[2]

وهذه ميسون بنت بحدل[3] تحن إلى بيتها، وبيئة أهلها فتقول :

لبيـــت تخفـــق الأرواح فيـــه أحـــب إلـــي مـــن قصـــر منيـــف

وبكـــر يتبـــع الأظعـــان ســـبقا أحـــب إلـــي مـــن بغـــل زفـــوف

ولـــبس عبـــاءة وتقـــر عينـــي أحـــب إلـــي مـــن لـــبس الشـــفوف[4]

وهذه ليلى الأخيلية[5] تبرع في مدح الحجاج، ومما قالت فيه:

---

(1) ابن طيفور، بلاغات النساء (ص 106). نُزَّعاً: مشتاقة، المصبِّح، وبقعاء، والسِّبال، ولينة أسماء مواضع. ظلّعاً: مقيمة.

(2) الجاحظ، رسائل الجاحظ (ج 400/2)، ياقوت، معجم البلدان (ج1/ 63).

(3) ميسون بنت بحدل بن أنيف الكلبي. أم يزيد بن معاوية تزوجها معاوية وطلقها من فرط حنينها إلى البادية. توفيت نحوى سنة 80 هجرية. ينظر شاعرات العرب ،(معجم البلدان (ج1/ 63).

(4) يموت، شاعرات العرب،(ص157–ص158).

(5) لَيْلى الأَخْيَلِيَّة، (000 – نحو 80 هـ = 000 – نحو 700 م)، ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد ابن كعب، الأخيلية من بني عامر بن صعصعة: شاعرة فصيحة ذكية جميلة. اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير. وطبقتها في الشعر تلي طبقة الخنساء. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج249/5).

أحجـــاج إن الله أعطـــاك غايـــة ... يقصـــر عنهـــا مـــن أراد مـــداها

أحجـــاج لا يفلـــل ســـلاحك إنمـــا ... المنايـــا بكـــف الله حيـــث تراهـــا

أذا هـــبط الحجـــاج أرضـــاً مريضـــةً ... تتبـــع أقصـــى دائهـــا فشـــفاها

شـفاها مـن الـداء العضـال الـذي بهـا ... غـــلام إذا هـــز القنـــاة ســـقاها

ســـقاها دمـــاء المـــارقين وعلهـــا ... إذا جمحـــت يومـــاً وخيـــف أذاهـــا

إذا ســـمع الحجـــاج صـــوت كتيبـــةٍ ... أعـــد لهـــا قبـــل النـــزول قراهـــا

أعـــد لهـــا مصـــقولة فارســـية ... بأيـــدي رجـــال يحســـنون غـــذاها

أحجـــاج لا تعـــط العصـــاة منـــاهم ... ولا الله يعطـــي للعصـــاة مناهـــا

ولا كـــل خـــلافٍ تقلـــد بيعـــة ... فـــأعظم عهـــد الله ثـــم شـــراها[1]

وفي الهجاء ظهر هجاء الزوج كقول حميدة بنت النعمان[2] :

نَكحـــتُ المـــدينيّ إذ جـــاءَني ... فَيـــا لـــكِ مِـــن نكحـــةٍ غاوِيَـــه

لَـــهُ ذفـــرٌ كصـــنانِ التيـــوس ... أَعيـــا عَلـــى المســـكِ وَالغالِيَـــه

كُهـــولُ دمشـــقَ وَشـــبّانها ... أحـــبّ إِلينـــا مِـــنَ الجالِيَـــه

---

(1) الأخيلية، الديوان (ص120– ص122).

(2) حميدة بنت النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي شاعرة دمشقية أصلها من المدينة. كان أبوها والياً على حمص تزوجت مرة بعد مرة رجالاً منهم روح بن زنباع وآخرهم فيض بن محمد بن الحكم وولدت له ابنةً تزوجها الحجاج بن يوسف. توفيت حميدة نحو 85 هجرية. ينظر: يموت، شاعرات العرب (ص174) والحموي، معجم الأدباء (ج1227/3).

فَقـــــدتُ الشـــــيوخَ وَأشـــــياعهم وَذلـــــك مِـــــن بعـــــضِ أَقوالِيَـــــه

تـــــرى زَوجـــــة الشـــــيخِ مَغمومـــــةً وَتمســـــي لصـــــحبتهِ قالِيَـــــه[1]

وفي باب الغزل تصور خولة بنت ثابت[2] شوقها ولهفتها على محبوبها عمارة بن الوليد ابن المغيرة المخزومي، وقيل الشعر للفارعة بنت ثابت[3] في عبد الرحمن بن هشام المخزومي:

يـــــا خليلـــــي نـــــابني ســـــهدي لـــــم تـــــنم عينـــــي ولـــــم تكـــــد

فشـــــرابي مـــــا أُســـــيغ ومـــــا أشـــــتكي مـــــا بـــــي إلـــــى أحـــــد

كيـــــف تلحُـــــوني علـــــى رجـــــلٍ آنـــــسٍ تلتـــــذه كبـــــدي

مثـــــل ضـــــوء البـــــدر صـــــورته لـــــيس بالزَّميلـــــة النكـــــدِ

مـــــن بنـــــي آل المغيـــــرة لا خامـــــل نكـــــس ولا جَحـــــدِ

نظـــــرت يومـــــاً فـــــلا نظـــــرت بعـــــد عينـــــي إلـــــى أَحَـــــدِ[4]

ومن خلال النماذج السابقة يظهر دور المرأة في مواكبة الحركة الشعرية، لكن هذا لا يعني أبدا اقتصارها على مواكبة الحياة الحربية والدينية وما تبعها من حماسة وفخر وعتاب ورثاء وبكاء وغيرها، بل تطرقت إلى ألوان مختلفة منها الغزل، والمديح، والهجاء، وهي تلك الألوان التي طرقها الرجل.

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 177)، ابن طيفور، بلاغات النساء (ص 98). الجالية: هم أهل الحجاز يجلون عنها نحو الشمال.

(2) خولة بنت ثابت بن المنذر بن عمرو بن حزام الأنصاري، أخت حسان بن ثابت، روى إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن الأصمعي لها شعرا، ذكره في كتاب الأغاني، ونقله عنه أبو الفرج الأصبهاني بسنده إليه. ينظر الإصابة (ج113/8).

(3) لم أجد لها ترجمة في كتب التراجم.

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد (ج7/ 31).

الفصل الأول

الآخر القريب في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي

المبحث الأول

الأب

المطلب الأول: مكانة الأب عند ابنته

تتعلق البنت بأبيها منذ طفولتها تجد فيه حاميها وعائلها وراعيها، فإذا ما تزوجت ظلت تحبه وتشتاقه، ولا شك أنها كانت تؤثر أباها على زوجها "لأن روابط العاطفة في الجماعات الأولى كانت بين البنت وأبيها، وبين الأخ وأخته أقوى منها بين الزوج وزوجته "[1].

ومن مظاهر حبها لأبيها:

1-خوفها عليه من أن يقتل في الحرب، فتحاول أن تثنيه ؛ لأنه رجلها وليس لها أب غيره، يقول سلامة بن جندل[2]:

تقــول ابنتــي إن انطلاقــك واحــدا إلــى الــروع يومــا تــاركي لا أباليــا

دعينــا مــن الإشــفاق أو قــدمي لنــا مـــن الحـــدثان والمنيـــة واقيـــا[3]

كما أنها تجد وحشة في بعده عنها لذلك تحاول أن تصرفه عن السفر، فإذا ما هم به، وعجزت عن ثنيه لجأت إلى الدعاء له ان يؤوب سالما:

تقــول ابنتــي وقــد قربــت مــرتحلا يــا رب جنــب أبــي الأوصــاب والوجعــا

ويقول:

تقــول ابنتـــي حـــين جـــد الرحيـــل أرانـــا ســـواء ومـــن قـــد يـــتم

---

(1) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي(ص 305).

(2) سَلَامَة بن جَنْدَل، (000 – نحو 23 ق هـ = 000 – نحو 600 م)، سلامة بن جندل بن عبد عمرو، من بني كعب بن سعد التميمي، أبو مالك: شاعر جاهلي، من الفرسان. من أهل الحجاز. في شعره حكمة وجودة. يعد في طبقة المتلمس. وهو من وُصّاف الخيل. له(ديوان شعر صغير مطبوع)، رواه الأصمعي. وأكثر المؤرخين على إنه (جاهلي قديم) مع أنهم يذكرون معاصرته لعمرو بن كلثوم. ينظر:الزركلي، الأعلام(ج106/2).

(3) المرجع السابق (ص 306).

(4) القرشي، جمهرة أشعار العرب (ص 18)، البغدادي، خزانة الآدب (ج2 /296).

أبانـــا فـــلا رمـــت مـــن عنـــدنا فاءنـــا بخيـــر إذا لـــم تـــرم

ويـــا ابتـــا لا تـــزل مـــن عنـــدنا فإنـــا نخـــاف بـــأن تختـــرم

أرانـــا إذا أضـــمرتك الـــبلا د نجفـــى وتقطـــع منـــا الـــرّحم [1]

يصور عواطف ابنته، من حبها له وشفقتها عليه، وشعورها بآلام اليتم في بعاده، وإيثارها لقربه، وأنها تقنع من كل شيء، وترضى به ما دام أبوها بجوارها، وهي تتوجس أن يصيبه مكروه في رحلته، ولا طاقة لها باحتمال فقده ولن تجد بعده عطوفا أو معينا؛لأنها على ثقة بأن الناس سيجفونها، والأقارب سيهجرونها [2].

وظلت عاطفة البنوة إلى ما بعد العصر الجاهلي، وظلت البنت تبكي بعاد أبيها، فحين خرج مالك بن الريب[3] مع سعيد بن عثمان تعلقت به ابنته وبكت وقالت أخشى أن يطول سفرك، أو يحول الموت بيننا، فلا نلتقي، فأنشأ يقول:

ولقـــد قلـــت لابنتـــي وهـــي تبكـــي بـــد خيـــل الهمـــوم قلبـــا كئيبـــا

وهـــي تـــذري مـــن الـــدموع علـــى الخـــد يـــن مـــن لوعـــة الفـــراق غروبـــا

عبـــرات يكـــدن يجـــرحن مـــا جـــز ن بـــه أو يـــدعن فيـــه نـــدوبا

حـــذر الحتـــف أن يصـــيب أباهـــا و يلاقـــي فـــي غيـــر أهـــل شـــعوبا

اســـكتي قـــد حـــزنت بالـــدمع قلبـــي طالمـــا حـــز دمعكـــن القلوبـــا

---

(1) ابن عبد ربه العقد الفريد (ج343/1).

(2) ينظر الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، (ص 306– ص307).

(3) مالِك بن الرَّيْب، (000 – نحو 60 هـ = 000 – نحو 680 م)، مالك بن الريب بن حوط بن قرط المازني التميمي: شاعر، من الظرفاء الأدباء الفتاك. اشتهر في أوائل العصر الأموي. ورويت عنه أخبار في أنه قطع الطريق مدة. ورآه سعيد بن عثمان ابن عفان. بالبادية في طريقه بين المدينة والبصرة، وهو ذاهب إلى خراسان وقد ولّاه عليها معاوية (سنة 56) فأنّبه سعيد على ما يقال عنه من العيث وقطع الطريق واستصلحه واصطحبه معه إلى خراسان، فشهد فتح سمرقند، وتنسك، وأقام بعد عزل سعيد، فمرض في " مرو " وأحس بالموت فقال قصيدته المشهورة، وهي من غرر الشعر، وعدّتها 85 بيتا. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج261/5).

فعســـــى الله أن يـــــدافع عنـــــي ريــب مــا تحــذرين حتــى أؤوبــا [1]

وإذا ما فجعها الدهر في أبيها حزنت حتى يمضها الحزن، وبكت حتى يحرقها البكاء، فشقت جيبها، وخمشت وجهها، وحلقت شعرها، يقول لبيد:

تمنــى ابنتــاي أن يعــيش أبوهمــا و هــل أنــا إلا مــن ربيعــة أو مضــر

فقومــا فقــولا بالــذي تعلمانــه ولا تخمشــا وجهــا ولا تحلقــا الشــعر

ويتوقــع أبــو ذؤيــب الهــذلي[3] مــا تفعــل بناتــه بعــد موتــه مــن ضــرب صــدورهن بالنعال، فيقول:

وقــام بنــاتي بالنعــال حواســرا وألصــقن وقــع الســبت تحــت القلائــد

ويقول عبد مناف بن ربع الهذلي[5]:

إذا تــأوب نــوح قامتــا معــه ضــربا أليمــا بســبت يعلــج الجلــدا [6]

---

(1) ابن الريب، مالك، الديوان (ص61). والأصفهاني، الأغاني (ج317/22). الغروب: جمع الغرب؛ وهي الدلو العظيمة.

(2) ابن عبدربه، العقد الفريد (ج377/2).

(3) أبو ذُؤَيْب الهُذَلي، (000 – نحو 27 = 000 – نحو 648 م)، خويلد بن خالد بن محرّث، أبو ذؤيب، من بني هذيل بن مدركة، من مضر: شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. وسكن المدينة. واشترك في الغزو والفتوح. وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى إفريقية (سنة 26 هـ غازيا، فشهد فتح إفريقية وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشرى الفتح إلى عثمان (رضي الله عنه) فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها. وقيل مات بإفريقية. أشهر شعره عينية رثى بها خمسة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد، مطلعها: (أمن المنون وريبه تتوجع). ينظر: الزركلي، الأعلام (ج225/2).

(4) الجاحظ، البيان والتبيين (ج75/3).

(5) لم أجد له ترجمة في كتب التراجم.

(6) المبرد، الكامل (ج46/4).

" والآباء في كل عصر على يقين من فجيعة بناتهم فيهم، وبكائهن إياهم " يقول أبو فراس الحمداني[1] قبيل وفاته مخاطبا ابنته:

ابنتـــــــــي لا تجزعـــــــــي كـــــل الأنـــــام إلـــــى ذهـــــاب

نـــــــوحي علـــــــي بحســـــــرة مـــن خلـــف ســـترك والحجـــاب [2]

أما إذا قتل أبوها فإنها تهب تشعل الحفيظة في صدور أوليائه، ليثأروا له فيشفوا بعض ما تجد من الحزن ولوعة الأسى ،فقد حمست أمامة بنت كليب عمها المهلهل ليثأر له. يقول المهلهل[3]:

تســـائلني أمامـــة عـــن أبيهـــا ومـــا تـــدري أمامـــة عـــن ضـــميري

فـــلا وأبـــي أمامـــة مـــا أبوهـــا مـــن الـــنعم المؤبـــل والجـــذور [4]

ثم إنها ترثيه فتصور فجيعتها فيه، وتعدد مناقبه، وتشيد بمفاخره ،ومن أمثلة ذلك أن هند بنت عتبة ترثي أباها يوم بدر بأن هلك أبيها لامثيل له، وأن الفجيعة التي نزلت بها تنسي

---

(1) أَبُو فِرَاس الحَمْداني، (320 – 357 هـ = 932 – 968 م)، الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي، أَبُو فِرَاس الحَمْدَاني: أمير، شاعر، فارس، وهو ابن عم سيف الدولة. كان الصاحب بن عباد يقول: بدئ الشعر بملك وختم بملك – يعني امرأ القيس وأبا فراس – وله وقائع كثيرة، قاتل بها بين يدي سيف الدولة. وكان سيف الدولة يحبه ويجله وسيتصحبه في غزواته ويقدمه على سائر قومه، وقلده منبجا وحران وأعمالها، فكان يسكن بمنبج (بين حلب والفرات) ويتنقل في بلاد الشام. وجرح في معركة مع الروم، فأسروه (سنة 351 هـ فامتاز شهره في الأسر برومياته. وبقي في القسطنطينية أعواما، ثم فداه سيف الدولة بأموال عظيمة. قال الذهبي: كانت له منبج. وتملك حمص، وسار ليتملك حلب، فقتل في تدمر. وقال ابن خلكان: مات قتيلا في صدد (على مقربة من حمص). ينظر الزركلي: الأعلام(ج155/2).

(2) شيخو، مجاني الأدب في حدائق العرب (ج302/6).

(3) المُهَلْهِل (000 – نحو 100 ق هـ = 000 – نحو 525 م)، عديّ بن ربيعة بن مرة بن هبيرة، من بني جشم، من تغلب، أبو ليلى، المهلهل، شاعر، من أبطال العرب في الجاهلية. من أهل نجد. وهو خال امرئ القيس الشاعر. قيل: لقب مهلهلا، لأنه أول من هلهل نسج الشعر، أي رققه. ينظر الزركلي: الأعلام، (ج220/4).

(4) ينظر الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص309– ص310).

المفجوعات فجيعتهن، وتستدر دموعهن، مواساة لها، وأنها كانت تخشى هذا اليوم من قبل، ثم نزل بها ما خشيت، فطار عقلها وعزب رشدها [1]، تقول:

لله عينـــــــا مـــــــن رأى هلكـــــا كهلـــــك رجاليـــــة

يـــــا رب بـــــاك لـــــي غـــــدا فـــــي النائبـــــات وباكيـــــة

قـــــد كنـــــت أحـــــذر مـــــا أرى فـــــاليوم حـــــق حذاريـــــة

قـــــد كنـــــت أحـــــذر مـــــا أرى فأنـــــا الغـــــداة مواميـــــة

يـــــا رب قائلـــــة غـــــدا يـــــا ويـــــح أم معاويـــــة [2]

والمرأة يسرها أن يشبه ابنها أباها، قد تتسامى بمجد أبيها فترى من العسير على ابنها اللحاق به، تقول منفوسة بنت زيد[3] الخيل وهي ترقص ابنها حكيم بن قيس بن عاصم:

أشـــبه أخـــي أو أشـــبهن أباكـــا أمـــا أبـــي فلـــن تنـــال ذاكـــا

تقصر أن تناله يداكا [4]

---

(1) ينظر الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص310).

(2) السيوطي، شرح شواهد المغني (ج411/1).

(3) هي زوجة قيس بن عاصم، ويقول بشير يموت: هي زوجة دريد بن الصمة سيد بني جشم وفارسهم أدرك الإسلام ولم يسلم، وقتل عام 8 هـ. ينظر شاعرات العرب (ص55).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص55).

المطلب الثاني: صورة الأب في شعر ابنته

أولا: الصفات المعنوية:

أ- الشجاعة والإقدام:

لطالما تغنت البنت بشجاعة أبيها وفروسيته وإقدامه، " فالفارس الشجاع يحتل في قلوب أبناء قبيلته، وخاصة النساء مكانة سامية ؛ لأنه لا يتوانى عن تلبية استغاثاتهم الملهوفة في ميادين الوغى، فيدافع عنهم، وينقذهم، ويحميهم من كل أذى ؛ ليبرهن بذلك على شجاعة إنسانية نبيلة " [1]

تقول سليمى بنت المهلهل [2]:

أعينـــيّ جـــودا بالـــدموع الســـوافح علـى فـارس الفرسـان فـي كـل صـافح

ألا تبكيـان المرتجـى عنـد كـل مشـهد يثيـر مـــع الفرســـان نقـــع الأبـــاطح

عـديا أخـا المعـروف فـي كـل شـتوة و فارســها المرهـوب عنــد التكـافح[3]

فالشاعرة تبكي بحرقة على والدها، فهو فارس الفرسان في كل مشهد من مشاهد الحرب، وهو في المقدمة حين تستعر الحرب، ويشتد أوارها، ويرتفع غبارها، وتبلغ القلوب الخناجر، وتضيق الأرض بما رحبت، فيلوذ الناس به، فمن مثله يحمي الديار، ويرهب الأعداء.

وفي موضع آخر تقول:

لمـــا ســـمعت بنعـــي فـــارس تغلـــب أعنـــــي مهلهـــــل قاتـــــل الأقـــــران

المرتجـــى عنـــد الشـــدائد إن غـــدا دهـــــر حـــــرون معضـــــل الحـــــدثان

---

(1) الخطيب، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام (ص84).

(2) سليمى بنت المهلهل: هي سليمى بنت عدي بن ربيعة التغلبي الملقّب بالمهلهل، شاعرة جاهلية من قبيلة تغلب، كان أبوها من أبطال العرب بالجاهلية، وكان ميالاً إلى اللهو، والشراب، ولكنَّهُ انقطع عنهما ليثأر لأخيه كليب. ينظر: بشير يموت، شاعرات العرب (ص56)، وينظر: عمر كحالة، أعلام النساء (ج258/2).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص39). وعبدالرحمن، ديوان شعر الأيام (ص188).

والمستغيث به العباد ومن به يحمى الذمار وجورة الجيران

عليه إن توسط معضل حصن العشيرة ضارب بجران [1]

وترى ابنة قيس بن جابر أن أباها فارس قومه، الذي يذود عنهم، ويحمي ديارهم، وينهض بعظيمات الأمور في وقت الشدائد، وهذا ما لا يخفى على أحد ؛ لذلك فإن فقده أطال ليلها وأشاب رأسها، وتقول:

تطاول ليلي للهموم الحواضر و شيب رأسي يوم قيس بن جابر

فإن تكن الأحداث أودت بفارس عظيم المساعي في السنين الغوابر

فقد علمت أحياء زيد وكاهل و عمرو وودان قبيل الغواضر

بأن أبي قد كان فارس قومه به تتقي حد الرماح الشواجر [2]

وهو فارس الفرسان وليس مثله أحد في ركوب الخيل الأصيلة، تقول ابنة مالك بن بدر:

لله عينا من رأى مثل مالك عقيرة قوم إن جرى فرسان

إذا سجعت بالرقمتين حمامة أو الرس تبكي فارس الكتفان [3]

وتقف الحمراء بنت ضمرة[4]مزهوة بأبيها، مفتخرة بنسبها، وهي في أشد الظروف وأحلكها، غير مبالية بالموت حرقا، فحين سألها عمرو بن هند قائلا:أأنت أعجمية ؟ قالت: ما أنا بعجمية ولا ولدني الأعاجم، ثم أنشأت تقول:

إني بنت ضمرة بن جابر ساد معدا كابرا عن كابر

فأغضب قولها عمرو فأمر أن تلقى في النار و ذلك يوم أوارة [5]. فالشاعرة ترى أن أباها سيد معد كلها، أي سيد العرب، ولا ترى كفؤا له، لذلك تجاهر بالفخر به والانتساب إليه.

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص40). وعبدالرحمن، ديوان شعر الأيام (ص189).

(2) ماريني، شواعر الجاهلية، (ص207). الغواضر : قوم بني غاضرة. الشواجر : الرماح المتداخلة.

(3) السابق، (ص207– ص208). وعبدالرحمن، ديوان شعر الأيام (ص 358).

(4) هي الحمراء بنت ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم، شاعرة جاهلية، كانت زوجة لهوذة بن جرول بن نهشل بن دارم، قتلها عمرو بن هند حرقا يوم أوارة. ينظر: ماريني، شواعر الجاهلية (ص246).

(5) ماريني، شواعر الجاهلية (ص246).

أما دخنتوس بنت لقيط فترى أن والدها خير خندق كلها، فهو أشدها على العدو، وأفكها للرقاب ، وهو قائدهم في الملمات، وفارسهم الذي يطأ مواطن الأعداء، فيفرون منه فرار الطير عن أربابها، تقول:

بكـــــر النعـــــي بخيـــــر خنـــــذ ... دف كهلهـــــــــا وشـــــــــبابها

وأضـــــــــــرها لعـــــــــــدوها ... وأفكهـــــــــــا لرقابهـــــــــــا

وقريعهـــــــــا ونجيبهـــــــــا ... فـــــــي المطبقـــــــات ونابهـــــــا

ورئيســـــــها عنـــــــد الملـــــــو ... ك وزيـــــــن يـــــــوم خطابهـــــــا

وأتمهـــــــــا نســـــــــبا إذا ... رجعـــــــت إلـــــــى أنســـــــابها

مرعـــــــى عمـــــــودا للعشـــــــي ... رة رافعـــــــــا لنصـــــــــابها

ويطـــــــا مـــــــواطن للعـــــــدو ... وكـــــــان لا يمشـــــــي بهـــــــا

فعـــــل المـــــدل مـــــن الأســـــو ... د لحينهـــــــــا وتبابهـــــــــا

فـــــرت بنـــــو أســـــد فـــــرا ... ر الطيـــــر مـــــن أربابهـــــا [1]

لقد أجملت الشاعرة في البيت الأول، حين قالت خير خندق، فالإنسان لا يكون خير قومه، إلا إذا كان أشجعهم وأكرمهم، وأحسنهم نسبا، وأعلاهم شرفا وسؤددا، حتى يغدو عمود العشيرة الذي ترتكز عليه.

لقد أجادت الشاعرة في إبراز هذه الصورة الاجتماعية بألفاظ قليلة، ذات معان عدة متلاحقة، فأبوها من خير الناس، وهذه الصورة صورة معنوية فريدة وبارعة فقد ركزت الشاعرة على صفة النسب والشرف، لأن الإنسان عندما يفخر بنسبه وأصالته، فهو يفخر به من طريق أبيه، ففيه يصل إلى شرف القبيلة وبدونه ينقطع نسبه ويفقد شرفه؛ لذلك نجد الشاعرة تفصل في شرف أبيها، فهو يشرب بكأس الملوك وسادة القوم.

---

(1) ماردیني، شواعر الجاهلية (ص251– ص252). القريع: السيد المختار. المطبقات: الشدائد والسنون المجدبة. ناب القوم: رئيسهم. ذب عن الأمر : دافع عنه. المدل: الواثق من نفسه. الحين: الهلاك. التباب: الفساد والهلاك.

وهذا الشرف يكون في ذروته عندما يكون المرؤ شجاعا؛ لذلك ذكرت الشاعرة أن أباها لشجاعته يمشي منفردا في الصحراء، وفي مواطن لا يطؤها إلا الأبطال الشجعان لتعقب الأعداء، والأخذ بالثأر منهم، وهذا فعل الأسد الشجاع الذي يعود عليه إقدامه بالهلاك وملاقاة المنية [1].

وتقول آمنة بنت عتيبة بن الحارث[2] أن والدها فارس شجاع لا يهاب الحرب ولا يخشاها، حازم الرأي، وعلى مثله من الرجال يحق للنساء أن يشققن الجيوب، ويلطمن الخدود، ويخمشن الوجوه، وهذا من عادات الجاهلية، تقول:

على مثل ابن ميّة فانعياه ... تشقّ نواعم البشر الجيوبا

وكان أبي عتيبة شمّريّا ... ولا تلقاه يدخر النصيبا

ضروبا باليدين أذا اشمعلّت ... عوان الحرب لا ورعا هيوبا [3]

وتصف أم حكيم البيضاء[4] والدها بالليث في بأسه وشدته، وإقدامه في أوقات الشدة، فهو المرتجى في الملمات، إليه يفزع الناس، وبه يحتمون:

وليثا حين تشتجر العوالي ... تروق له عيون الناظرات

عقيل بن كنانة والمرجى ... إذا ما الدهر أقبل بالهنات

ومفزعها إذا ما هاج هيج ... بداهية وخصم المعضلات [5]

---

(1) ينظر: الخطيب، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام (ص93).

(2) آمنة بنت عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي، كان والدها فارس بني تميم، قتل في يوم خوّ وهو أحد أيام العرب المعروفة، فرثته بأبيات.

(3) عبد الرحمن، ديوان شعر الأيام (ص294).

(4) أم حكيم البيضاء ابنة عبد المطلب بن هاشم عمة النبي صلّى الله عليه وسلم، وتوأم أبيه عبدالله، كانت عند كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف فولدت له أروى بنت كريز وهي أم عثمان بن عفان رضي الله عنه، لم تشتهر كأخواتها. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات (ج81/1).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص119).

والأب شديد في الحرب، حاد كالسيف، وفي المخاصمة يكون له فصل الخطاب، يفحم الخصوم ويغلبهم، تقول عاتكة بنت عبد المطلب[1]:

و سيف لدى الحرب صمصامة و مردي المخاصم عند الخصام [2]

وتفخر عمرة بنت دريد بن الصمة[3] بأبيها الذي قتل يوم حنين، وتعير بني سليم الذين لم يحفظوا الجميل وقابلوه بالعقوق، فلطالما حمى والدها نسائهم وفك وثاقهن، ولبى دعوة الملهوف منهم، ودفع عنهم عظائم الامور، حين اشتد عليهم الأمر وبلغت النفوس التراقي، تقول:

لعمرك ما خشيت على دريد ببطن سميرة جيش العناق
جزى عنا الإله بني سليم بما فعلوا وعقتهم عقاق
وأسقانا إذا قدنا إليهم دماء خيارهم عند التلاقي
فرب كريمة أعتقت منهم وأخرى قد فككت من الوثاق
ورب منوه بك من سليم دعاك فقد أجبت بلا رماق
ورب عظيمة دافعت عنهم وقد بلغت نفوسهم التراقي
فكان جزاؤنا منهم عقوقا وهما ماع منه مخ ساقي [4]

---

(1) عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم: شاعرة، لها في ديوان (الحماسة) أبيات مختارة، وهي من عمّات النبي صلى الله عليه وسلّم. اختلف في إسلامها، والثابت أنها كانت يوم وقعة بدر (سنة 2 هـ – 624 م) بمكة، مع مشركي قريش. وقال ابن سعد: أسلمت بمكة وهاجرت إلى المدينة. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج242/3).

(2) المرجع السابق، (ص 115)

(3) عمرة بنت دريد بن الصمة، شاعرة مخضرمة، لها شعر في رثاء والدها دريد بن الصمة، قتل أبوها في غزوة حنين وهو على الكفر في السنة الثامنة للهجرة. ينظر: يموت، شاعرات العرب (ص57).

(4) ابن طيفور، بلاغات النساء (ص 179).

ب – الكرم:

حرصت المرأة الشاعرة على إبراز صفة الكرم والفخر بها، وخاصة أن العربي يحرص على إكرام الضيف، واغاثة الملهوف، وفك العاني، وإطعام الجائع، لذلك نجد مثل هذه الصفات حاضرة في شعر النساء، تقول سلمى في رثائها لأبيها المهلهل:

عـديا أخـا المعـروف فـي كـل شـتوة وفارســها المرهــوب عنــد التكــافح

رمتــه بنــات الــدهر حتــى انتظمنــه بســهم المنايــا إنهــا شــر رابــح

وقــد كــان يكفــي كــل وغــد مواكــل ويحفــظ أسـرار الحليـل المناصـح [1]

إن والد الشاعرة كريم، في أوقات يكون فيها الكرم عزيزا، فالعرب تفتخر بالإطعام في وقت الشتاء، حيث الجدب وصعوبة العيش، وضيق الرزق (فالشتوة) التي ذكرتها الشاعرة تعني المجاعة؛ لأن الشتاء يكون سببا في يبوسة العشب وجفاف الضرع [2]، فالشمال رياح باردة يندر معها الطعام ويشح، ويغدو الأصحاء ضعافا، ويغلب الهزال على النعم، وفي هذا الوضع القاسي يتجلى كرم الوالد الذي يقدم كرمه لكل هؤلاء الناس وهم في تلك الحالة البائسة، فهو جواد إلى درجة الإيثار، يترك بموته فراغا هائلا، ولوعة مريرة [3].

وتستمر الشاعرة في تعداد القيم الخلقية لأبيها وتذكر نوعا آخر من الكرم يتجاوز الضيافة والإطعام وهو وهو فك الأسرى والعانين، حيث عد العرب هذه الصفة من مراتب الكرم الكبيرة:

كـأن لـم يكـن فـي الحـي حيـا ولـم يـرح إليــه عفــاة النــاس أو كــل رائــح

ولــم يدعــه فــي النكــب كــل مكبــل لفــكّ إســار أو دعــا عنــد صــالح

بكيتــك إن ينفــع ومــا كنــت بــالتي ستسـلوك يـا ابـن الأكـرمين الجحـاجح

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 56).

(2) ينظر: اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي (ص 356).

(3) ينظر: الخطيب الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام (64– ص65).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص56). الجحاجح: مفردها جحجاح وهو السيد السمح الكريم.

" تريد أن المنايا قد أصابته وكأنها لم تعرف قدره، فهو بين قومه حي كبير لعظم منزلته بينهم، والناس والضيوف والمحتاجون يقصدونه عند المساء، فالشاعرة في وثيقتها هذه تستعمل أسلوبا جاهليا في الرثاء وهو معاتبة القدر" [1] .

وبمثل هذه القيم مدحت عمرة بنت دريد والدها حين قالت:

فـــرب كريمـــة أعتقـــت مـــنهم و أخـــرى قـــد فككـــت مـــن الوثـــاق

ورب منـــوه بـــك مـــن ســـليم دعـــاك فقـــد أجبـــت بـــلا رمـــاق [2]

و تحرص دختنوس بنت لقيط على إبراز هذه الصفة، وهي تعدد مآثر أبيها فتقول:

وبخيرهـــــــا نســـــــبا إذا عـــــدت إلـــــى أنســـــابها

وأضـــــــــرها لعـــــــدوها وأفكهـــــــــا لرقابهـــــــا

ويعولهـــــــا ويحوطهـــــــا ويـــــذب عـــــن أحســـــابها [3]

وأما هند بنت عتبة فأنها تصف والدها في كرمه بالجبل الخصب الذي لا يجوع ساكنه:

وكـــــان لنـــــا جـــــبلا راســـــيا جميـــل المـــراح كثيـــر العشـــب[4]

فهو كريم سمح الخليقة، حسن العشرة، ويتجلى كرمه في الشدائد وحين يشتد القحط بالناس:

يطعـــــم يـــــوم المســـــغبة يـــــدفع يـــــوم المغلبـــــة [5]

وتقول:

مـــن كـــل غيـــث فـــي الســـنين إذا الكواكـــــــب خاويـــــــة [6]

---

(1)عبد، قاسم، مراثي النساء في عصري ما قبل الإسلام وصدر الإسلام (ص55).

(2) ابن طيفور، بلاغات النساء (179).

(3) ماريني، شواعر الجاهلية (ص 251). ويموت، شاعرات العرب (ص51).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص 128). المراح: المكان الذي تبيت فيه الإبل.

(5) المرجع السابق (ص 128) .

(6) المرجع نفسه (ص 129).

ووالد أروى بنت عبد المطلب كريم جواد، مكرم لأسرته، مبرز بين أهله وعشيرته، تقول في وصفه:

طويـــل البـــاع أبـــيض شـــيظمي أغـــرّ كـــأن غرتـــه ضـــياء

وكـــان هـــو الفتـــى كرمـــا وجـــودا وبأســـا حـــين تنســـكب الـــدماء [1]

وتقول:

مـــا زال أبـــيض مكرامـــا لأســـرته رحـــب المحاســـن فـــي خصـــب وفـــي

و تصف أم حكيم البيضاء والدها بالغيث في سخائه وعطائه وكرمه، وذلك حين تشتد السنون، ويعم ويعم المحل والجدب ويغد البذل:

ألا يـــا عـــين جـــودي واســـتهلي وبكـــي ذا النـــدى والمكرمـــات

طويـــل البـــاع شـــيبة ذا المعـــالي كـــريم الخـــيم محمـــود الهبـــات

وصـــــولا للقرابـــــة هبرزيـــــا وغيثـــا فـــي الســـنين الممحـــلات [3]

وهو مع كرمه وسخائه في الشدائد، وصلته لأرحامه، فإنه لا ينفق إلا من المال الحلال، حيث لا يدخل الخبث ماله

المـــــال والمجـــــد التليـــــد فضـــــول صـــــون وابتـــــذال

العـــــز والـــــزاد الكثـــــي ر وإنســـــها كمهـــــا الرجـــــال

التـــــارك المـــــال الخبـــــي ث وبـــــاذل الكســـــب الحـــــلال [4]

أما أميمة بنت عبد المطلب[5] فتمدح والده مدحا مغلفا بطابع ديني، فهو من يكرم ضيوف بيت

---

(1) يموت، شاعرات العرب، (ص 120). الشيظمي : طويل الجسم من الفتيان.

(2) المرجع السابق (ص 120).

(3) المرجع نفسه (ص 118– ص 119). الهبرزي : الجلد النافذ، وتعني الأسد أيضا.

(4) المرجع نفسه (ص128).

(5) أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– والدة عبد الله، وأم المؤمنين زينب، وعبيد الله، أسلمت، وهاجرت، قال ابن سعد: أطعمها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أربعين وسقا من تمر خيبر. ينطر الذهبي: سير أعلام النبلاء (ج274/2).

الله الحرام، وهذا لا يتأتى إلا للسادة الكرام، الذين يعدلون أقواما في علو همتهم، وعظيم عطائهم، ثم تصفه وصفا آخر وهو الكرم الدائم، الذي لا ينقطع على مدار العام، فبيته مشرع الأبواب للغرباء وذوي الحاجات في الشدائد والكربات، فكرم والدها يتجلى حين يعز المطر، وتمحل الأرض، وتجف المراعي، ويعم القحط، ويقل المال.تقول:

ألا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد ... و ساقي الحجيج والمحامي عن

ومن يألف الضيف الغريب بيوته ... إذا ما سماء الناس تبخل بالرعد

كسبت وليدا خير ما يكسب الفتى ... فلم تنفك تزداد يا شيبة الحمد

فقد كان زينا للعشيرة كلها ... و كان حميدا حيثما كان من حمد [1]

لقد حاز والدها الحمد والمجد وأصبح قبلة للضعفاء، والمساكين، والغرباء يألفون بيته ويغشونه ليل نهار، لذلك حق له أن يسود قومه صغيرا ويرعاهم كبيرا حتى زانهم وفاتهم بكرمه وجوده وكرمه وعطائه ولو كان أحد مخلد لمجده وعطائه لخلد لكن لا سبيل لذلك، تقول صفية ابنته مبررة بكائها عليه:

أرقت لصوت نائحة بليل ... على رجل بقارعة الصعيد

ففاضت عند ذلكم دموعي ... على خدي كمنحدر الفريد

على رجل كريم غير وغل ... له الفضل المبين على العبيد

على الفياض شيبة ذي المعالي ... أبيك الخير وارث كل جود

طويل الباع أبيض شيظمي ... مطاع في عشيرته حميد

رفيع البيت أبلج ذي فضول ... وغيث الناس في الزمن الجرود

عظيم الحلم من نفر كرام ... خضارمة ملاوثة أسود

فلو خلد امرؤ لقديم مجد ... و لكن لا سبيل إلى الخلود

لكان مخلدا أخرى الليالي ... لفضل المجد والحسب التليد [2]

---

(1) يموت، شاعرات العرب، (ص 118).

(2) المرجع السابق (ص116).

وتفخر خالدة بنت هاشم بن عبد مناف[1] بكرم والدها وجوده، وسيادته وشرفه، فهو غياث الناس في شدتهم، ومطرهم في جدبهم، وهو ملاذهم في كل أمر ألم بهم. تقول:

عـــين جـــودي بعبـــرة وســـجوم واســـفحي الـــدمع للجـــواد الكـــريم

عـــين واســـتعبري وســـحي وحمـــي لأبيـــــك المســـــود المعلـــــوم

هاشـــم الخيـــر ذي الجلالـــة والحـــم د وذي البـــاع والنـــدى المعلـــوم

وربيـــــع للمجتـــــدين ومـــــزن ولـــزاز لكـــل أمـــر جســـيم [2]

وتطلب أروى بنت الحباب[3]من الأرامل والأيتام أن يبكوا الرجل الذي يغيثهم ويقضي حاجاتهم فهو الكريم الجواد:

قـــل للأرامـــل واليتـــامى قـــد ثـــوى فلتبـــك أعينهـــا لفقـــد حبـــاب

أودى ابـــن كـــل مخـــاطر بـــتلاده و لنفســـه بقيـــا علـــى الأحســـاب

الـــراكبين مـــن الأمـــور صـــدورها لا يركبـــون معاقـــد الأذنـــاب [4]

وتقول ناجية بنت ضمضم[5]أن والدها هو الذي يهب المال في وقت تحل الدواهي والمصائب، وحين يشتد البرد، ويقل المطر، ويكثر القحط، وهو في هذه الظروف القاسية مأوى الأرامل والأيتام، تقول:

---

(1) خالدة بنت هاشم بن عبد مناف، من قريش: شاعرة من الحكيمات في الجاهلية. كانت تسمى (قبة الديباج) لها رثاء في أبيها، وأبيات في شأن آخر. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج301/2).

(2) المرجع السابق، (ص 113).

(3) أروى بنت الحباب، شاعرة جاهلية، كان والدها من أكرم الناس يداً وأرفعهم خلقاً، فلما مات رثته بأبيات. ينظر: معجم الشعراء (ص476).

(4) المرجع السابق (ص 105).

(5) ناجية بنت ضمضم المري، هي أخت هرم بن ضمضم كانت من شاعرات العرب الذين يحضرون الوقائع ويحرضون على القتال ولها أشعار قالتها في أخوها هرم –المذكور– حين قتله ورد بن حابس العبسي في حرب داحس والغبراء. ينظر: العاملي، الدر المنثور (ص512).

الواهـــــب المـــــال الـــــتلاد لنـــــا ويكفينـــــا العظيمـــــة

ويكـــــــون مـــــــدرهنا إذا نزلـــــت مجلحـــــة ذميمـــــة

و احمـــــرّ آفـــــاق الســـــماء ولـــم تقـــع فـــي الأرض ديمـــة

و تعـــــذر الآكـــــال حتـــــى كـــــان أحمـــــدها الهشـــــيمة

لا ثلـــــــة ترعـــــــى ولا إبـــــل ولا بقـــــر مســـــيمة

ألفيتـــــه مـــــأوى الأرامـــــل و المدفّعـــــة اليتيمـــــة [1]

و مثله قول بنت أبي الجدعاء[2] في أبيها:

ليبـك أبـي الجـدعاء ضـيف معيّـل و أرملـة تغشـى النـديّ فترمـل [3]

ومن للضيف وللفقير، وللأرملة، ولغيرهم ممن أعوزهم الأمر، واشتدت بهم الحاجة، ليس لهم إلا والدها، ولذلك هم أحق من يبكي عليه.

ومن كرم الوالد تحقيق التكافل الاجتماعي والقضاء على الطبقية في المجتمع فلا غني ولا فقير، وتقول الخزنق بنت خفان في والدها وقومها:

لا يبعـدن قـومي اللـذين هـم سـم العـداة وآفـة الجـزر

و الخـالطين نحيـتهم بنضـيرهم و ذوي الغنـى مـنهم بـذي الفقـر [4]

وتكني الشماء بنت الكميت التغلبية[5] عن كرم والدها، بأن الأضياف كثر ليلا ونهارا، حتى ألفهم الكلب، فلم يعد ينبح على طارق بسحر، وتبالغ في مدحه بالكرم حين ذكرت أنه يفك العاني الأسير ويفتديه، وهذا كرم عظيم، وهمة عالية، وهو مع هذا وذاك، لا يقبل الضيم على أي حال. تقول:

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 48). والجاحظ، البيان والتبيين (ج162/1). والأبيات عنده منسوبة لابنة وثيمة بن عثمان.

(2) لم أقف على ترجمة لها.

(3) الشمشاطي، الأنوار والمحاسن (15).

(4) البصري، الحماسة البصرية (ج227/1).

(5) لم أقف على ترجمة لها.

هــل خبــرت أيّ فتــى كــان أبــي ... إذا الكلـب لـم ينـبح مـن الليـل سـاريا

فهـلا فـداك المـوت مـن لـم يضـر لـه ... عـدوا ولـم يطلـق مـن الكبـل عانيـا

إذا صــر برديــه حمائــل ســيفه ... أبــى الضـيم مجنيـا عليـه وجانيـا (1)

ت- الفصاحة والبيان:

إذا كانت الشجاعة والإقدام، والبذل والعطاء والسخاء، من الخلال المستحبة في الرجل عامة، وفي الأب خاصة، فإن المرأة أعطت هذه الصفات جزءا لا يستهان به من شعرها، فعددتها مزهوة بأبيها فخورة به، مجاهرة بكل محاسنه، لأن في شرفه شرف لها وفي طيب ذكره طيب ذكرها. إلا أنها لم تفضل الصفات الأخرى التي لطالما افتخر بها العرب وحرصوا عليها، ومن هذه الصفات، الفصاحة والبيان، وفضل الخطاب، والقدرة على المحاججة، وسرعة البديهة، واستحضار الحجة والدليل، وافحام الخصم.

تقول ناجية بنت ضمضم في أبيها:

الواهــب المــال الــتلاد ل ... نــا ويكفينــا العظيمــة

ويكــون مــدرهنا إذا ... نزلــت مجلّحــة ذميمــة (2)

والمدره هو لسان القوم، والمتحدث باسمهم في الملمات الكبرى لذلك قالت: نزلت مجلّحة، والمجلّحة هي: الداهية الكبرى، ولا يكون المرء لسان قومه إلا إذا كان أفصحهم قولا، وأحسنهم رأيا وأدفعهم حجة وأسرعهم بادرة، وأجملهم نادرة، ثم تقول:

والــدافع الخصــم الألــد ... إذا تفوضــح فــي الخصــومة

بلســان لقمــان بــن عــاد ... وفضــل خطبتــه الحكيمــة

ألجمــتهم بعــد التــدافع ... والتجــاذب فــي الحكومــة (3)

---

(1) المرزباني، أشعار النساء (ص 103).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 48).

(3) المرجع السابق (ص48).

إن والدها في فصاحته وبيانه، وحضور حجته، وسرعة بديهته، يشبه لقمان بن عاد في فصاحته وبيانه، ولذلك يفحم خصمه، ويثبت حقه، ويغلب عدوه.

وتفتخر عاتكة بنت عبد المطلب بفصاحة أبيها، وقدرته على إفحام خصومه بقولها:

وســـيف لـــدى الحـــرب صمصـــامة و مـردي المخاصـم عنـد الخصـام [1]

ووالد دخنتوس بنت لقيط سيد قومه، ورئيس وفودهم، والناطق باسمهم عند الملوك، وما ذلك إلا لبيانه وفصاحته وقوة حجته:

وقريعهـــــــــا ونجيبهـــــــــا فـــــي المطبقـــــات ونابهـــــا

ورئيســـــــها عنـــــد الملـــــو ك وزيـــــن يـــــوم خطابهـــــا [2]

وتفتخر أروى بنت عبد المطلب بفصاحة والدها ورجاحة عقله وسداد رأيه بقولها:

أقـــب الكشـــح أروع ذو فضـــول لـــه المجـــد المقـــدم والســـناء

ومعقـــل مالـــك وربيـــع فهـــد وفيصـــلها إذا الـــتمس القضـــاء

إذا هـــاب الكمـــاة المـــوت حتـــى كـــأن قلـــوب أكثـــرهم هـــواء

مضـــى قـــدما بـــذي رأي مصـــيب عليـــه حـــين تبصـــره البهـــاء[3]

فوالدها جمع بين الجود والكرم، والشدة والبأس، والفصاحة والبيان ورجاحة العقل، وحسن التصرف والتدبير، فهو ذو رأي مصيب فيصل في القضاء والمحاججة ودفع الخصوم.

ث- الشرف السيادة وعرافة النسب:

إن الشرف والسؤدد من أهم الصفات التي حرص العربي على الفخر بها، " لأنها من أسمى مقومات وجوده في مجتمعه، وهذا ما وعته شواعرنا فرحن يذكرن كل بهذه في مراثيهن، ويجمعنها إلى غيرها من المناقب والمكارم كي يرسمن صورة متكاملة للمرثي في أشعارهن"[4].

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 115)

(2) ماريني، شواعر الجاهلية (ص 251). ويموت، شاعرات العرب (ص 74).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص 120).

(4) يعقوب ومحفوظ، الرثاء لدى شواعر العرب في العصر الأموي (ص 112). النكس: المقصر عن غاية النجدة والكرم. السنيد: الدعيّ. الجرود: الممحل شديد القحط. الوصوم من الناس: الذي بنسبه عيب.

تقول صفية بنت عبد المطلب في رثاء والدها قبل وفاته بطلب منه:

أرقـــت لصـــوت نائحـــة بليـــل ... علـــى رجـــل بقارعـــة الصـــعيد

ففاضـــت عنـــد ذلكـــم دمـــوعي ... علـــى خـــدي كمنحـــدر الفريـــد

علـــى الفيـــاض شـــيبة ذي المعـــالي ... أبيـــك الخيـــر وارث كـــل جـــود

صـــدوق فـــي المـــواطن غيـــر نكـــس ... ولا شـــــخب المقـــام ولا ســـــنيد

طويـــل البـــاع أبـــيض شـــيظمي ... مطـــاع فـــي عشـــيرته حميـــد

رفيـــع البيـــت أبلـــج ذي فضـــول ... وغيـــث النـــاس فـــي الـــزمن الجـــرود

كـــريم الجـــد لـــيس بـــذي وصـــوم ... يـــروق علـــى المســـود والمســـود

عظـــيم الحلـــم مـــن نفـــر كـــرام ... خضـــــارمة ملاوثـــــة أســـــود

فلـــو خلـــد امـــرؤ لســـبيل مجـــد ... ولكـــن لا ســـبيل إلـــى الخلـــود

لكـــان مخلـــدا أخـــرى الليـــالي ... لفضـــل المجـــد والحســـب التليـــد [1]

لقد أحسنت الشاعرة في ذكر فضائل أبيها حيث جمعت بين الحسب وعراقة النسب، والشرف والسيادة، والكرم، والبذل، والعطاء، والشجاعة، والإقدام، والحلم ونثرتها في الأبيات بمهارة وإتقان مع جزالة في اللفظ وسلامة في المعنى، وبمثل هذا تذهب برة بنت عبد المطلب[2] وتقول:

أعينـــــي جـــــودا بـــــدمع درر ... علـــى ماجـــد الخـــيم والمعتصـــر

علـــى ماجـــد الجـــد واري الزنـــاد ... جميـــل المحيـــا عظـــيم الخطـــر

علـــى شـــيبة الحمـــد ذي المكرمـــات ... وذي المجـــد والعـــز والمفتخـــر

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 115 – ص 116). النكس: المقصر عن غاية النجدة والكرم. السنيد: الدعيّ. الجرود: الممحل شديد القحط. الوصوم من الناس: الذي بنسبه عيب. خضارمة: كثيرو العطاء. ملاوثة: مفردها ملاث وملوث وهو السيد الشريف. التليد: القديم.

(2) هي برة بنت عبد المطلب، شاعرة جاهلية، رثت والدها في حياته بطلب منه، ولم أجد لها ترجمة في كتب التراجم.

و ذي الحلـم والفضـل فـي النائبـات كثيـر المفـاخر جـم الفخـر

لـه فضـل مجـد علـى قومـه منيـر يلـوح كضـوء القمـر[1]

فقد جمع والدها المفاخر كلها فهو ماجد، سليل مجد وعظمة، حليم كريم،9+ عزيز شريف سيد قومه ومبعث فخرهم، ومن مثل أبيها ؟. وقد غدا زينا للعشيرة كلها، تشرف به كما يشرف بها، فقد كسب المكرمات كلها صغيرا، وما زالت مكانته تعلو، وشرفه يزداد، حتى غدا راعيا للعشيرة والمحامي عنها. تقول أميمة بنت عبد المطلب:

ألا هلـك الراعـي العشـيرة ذو الفقـد وسـاقي الحجـيج والمحـامي عـن

كسـبت وليـدا خيـر مـا يكسـب الفتـى فلـم تنفـك تـزداد يـا شـيبة الحمـد

أبـو الحـارث الفيـاض خلّـى مكانـه فـلا تبعـدن إذ كـل حـي إلـى فقـد

فقـد كـان زينـا للعشـيرة كلهـا وكـان حميـدا حيثمـا كـان مـن حمـد[2]

وتقول أم حكيم البيضاء إن والدها أورثهم مجدا، وسؤددا، وعزا، وهو خير ما يورث الرجال:

فلـئن هلكـت لتـورثن مـن خيـر مـا يـرث الرجـال

المـال والمجـد التلـي د فضـول صـون وابتـذال

العـز والـزاد الكثيـر وإنسـها كمهـا الرجـال [3]

و تثير أروى بنت الحارث[4] إلى شرف والدها وسرف قومه وعلو مكانته ومكانتهم:

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص115). الخيم: الطبيعة والغريزة. المعتصر: الجود عند المسألة.

(2) المرجع السابق (ص118).

(3) المرجع نفسه ص119.

(4) أروى بنت الحارث: وهي أروى بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ابنة عم الرسول (ﷺ)، وأمّها غزيه بنت قيس، وأروى صحابية مشهورة، وشاعرة فصيحة، لها رثاء في رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولها أيضا رثاء في أبيها الحارث، ينظر:ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (ج7/8)، وينظر:الحيالي، ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام (ص4).

مـــن آل عبـــد منـــاف إن مهلكـــه ولـــو رأيـــت رغـــوب الـــدهر يعصـــيني

مـــن اللـــذين متـــى مـــا تغـــش نـــاديهم تلقـــى الخضـــارمة الشـــم العـــرانين [1]

وأما سليمى بنت المهلهل فترى أن والدها حاز أعلى مراتب الشرف والسيادة حين تقول:

فاذهـب اليـك فقـد حويـت مـن العلـى يـــا ابـــن الأكـــارم أرجـــح الرجحـــان [2]

فهو كريم من بيت كريم وآباء كرام أي سليل شرف وبيت عز.

وترثي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والدها بقولها:

قـــد رزينـــا بـــه محضـــا خليقتـــه صـــافي الضـــرائب والأعـــراق والنســـب

فذكرت صفاء النسب والسلالة، وخلوها من الهجنة، وهذا تأكيد على عراقة النسب وأصالته.

ج – الحياء:

الحياء صفة مستحبة في الرجل، ولكن من غير ضعف ولا جبن وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أشد حياء من الفتاة في خدرها، وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري، قال: " كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه." [4]

وتقول ليلى الأخيلية في توبة:

وتوبـــة أحيـــا مـــن فتـــاة حييـــة و أجـــرأ مـــن ليـــث بخفـــان خـــادر [5]

والمتتبع لشعر المرأة يجد هذه الصفة نادرة الذكر، لأن الرجل في ظنها يوصف بالبأس والشدة، والشجاعة والإقدام، والجرأة، وأما الحياء فهو صفة أنثوية تتصف بها النساء دون الرجال.

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص121).

(2) المرجع السابق (ص 39).

(3) الحيالي، ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام (ص 169).

(4) البخاري (6102،ج230/9)، مسلم (2320).

(5) الأخيلية، الديوان (ص80).

ومن بين الشاعرات اللاتي مدحن الأب بصفة الحياء أروى بنت عبد المطلب، حيث تقول:

بكـــت عينـــي وحـــق لهـــا البكـــاء علـــى ســـمح ســـجيته الحيـــاء [1]

فالحياء صفة متأصلة في والدها، حتى غدت سجية من سجاياه عرف بها.

ح- الصدق في القول والفعل:

تجمع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بين صفتين لأبيها ،واحدة شاملة لكل جميل مستحب من الصفات، وهي (خير الخلق)، والثانية الصدق، فهو الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى. تقول:

فأنـــت والله خيـــر الخلـــق كلهـــم و أصـــدق النـــاس حيـــث الصـــدق

وتصف صفية بنت عبد المطلب والدها بالصدق في المواطن كلها فتقول:

صـــدوق فـــي المـــواطن غيـــر نكـــس ولا شـــــخب المقـــــام ولا ســـــنيد[3]

وفي موضع آخر تفخر بأن آباءها صادقون إذا عاهدوا، ولا يغدرون لأن الغدر منقصة وعار، وهذا لا يليق بقوم جمعوا المناقب الحسان ولهم السيادة والقيادة، والإمارة في قريش. تقول:

ألا مـــــن مبلـــــغ عنـــــي قريشـــــا ففيمـــــــا الأمرفينـــــــا والإمـــــــار

لنـــا الســـلف المقـــدم قـــد علمـــتم ولـــم توقـــد لنـــا بالغـــدر نـــار

وكـــــل مناقـــــب الخيـــــرات فينـــــا وبعـــض الأمـــر منقصـــة وعـــار[4]

وتصف خالدة بنت هاشم بن عبد مناف والدها بالصدق في كل حال، وخصوصا في الشدة والبأس، تقول:

صـــادق البـــأس فـــي المـــواطن شـــهم ماجـــد الجـــد غيـــر نكـــس ذمـــيم

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 120).

(2) الحيالي، ديوان أشعار النساء (ص 169)

(3) يموت، شاعرات العرب (ص 116).

(4) المرجع السابق (ص 115).

غـــــالبي مشـــــمر أحـــــوذي باســـق المجـــد مضـــرحي حلـــيم[1]

لقد أكثرت شواعر الجاهلية والإسلام من الحديث عن الأحساب والأنساب، والشجاعة والإقدام، والفروسية والبطولة، والكرم والجود، والمآثر الطيبة، والسيادة والقيادة، والحلم وحسن التدبير، إلى غير ذلك من الصفات التي كانت مقدسة في العصور القديمة، والتي كان العرب يحرصون عليها ويحبون أن يمتدحوا بها.

ثانيا- الصفات المادية:

لم تكثر الشاعرة العربية في العصرين الجاهلي والإسلامي من وصف الأب وصفا حسيا، وذلك لما للأب من مكانة ذات جلال وهيبة، مما جعلها تركز على الصفات المعنوية، إلا أننا نجد بعض الملامح التي ذكرتها بعض الشواعر، ذكرا موجزا، ولكنه يعطي صورة عن الملامح الجسدية التي تحبذها البنت في والدها. تقول أروى بنت عبد المطلب واصفة أبيها:

طويـــل البـــاع أبـــيض شـــيظمي أغـــر كـــأن غرتـــه ضـــياء

أقـــب الكشـــح أروع ذو فضـــول لـــه المجـــد المقـــدم والســـناء

أبـــي الضـــيم أبلـــج هبـــرزي قـــديم المجـــد لـــيس بـــه خفـــاء

مضـــى قـــدما بـــذي رأي مصـــيب عليـــه حـــين تبصـــره البهـــاء [2]

وصفت الشاعرة عدة أوصاف خلقية، حيث أن والدها أبيض اللون، وصفة البياض محببة، ويحرص عليها العرب كثيرا، لأنها دليل على صحة النسب، وشرف السلالة، كما أنهم كانوا يتشاءمون من اللون الأحمر لأنه مدعاة للشكك في نسب الولد.

تقول نتيلة بنت خباب[3] فخورة بلون ابنها:

---

(1) يموت، شاعرات العرب(ص 113).

(2) المرجع السابق (ص120).شيظمي: طويل الجسم. أغر: أبيض. الغرة: شعر الجبهة. أقب : دقيق الخصر. الكشح : من السرة إلى المتن.أبلج : طليق الوجه. وهو بياض ما بين الحاجبين. هبرزي : كل جميل وسيم عند العرب.

(3) نتيلة بنت خباب بن كليب بن مالك ابن عمرو بن زيد مناة بن عامر الضحيان، من بني النمر بن قاسط: أمّ العباس (جد الخلفاء العباسيين) بن عبد المطلب ابن هاشم. قيل: ضاع ابنها العباس وهو صغير، فنذرت إن وجدته أن تكسو " البيت الحرام " بالحرير والديباج، فوجدته، فكانت أول امرأة في العرب كست البيت تلك الكسوة. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج9/8).

أضـــــللت أبـــــيض لوذعيـــــا لـــم يكـــن مجلوبـــا ولا دعيـــا

و تقول:

أضـــــللت أبـــــيض كالخصـــــاف للفتيـــة الغـــر بنـــي منـــاف [1]

و تفخر أم حكيم بنت عبد المطلب من أم ابنها من فتية بيض البشر فتقول:

ظنـــــي بـــــه صـــــدق وبـــــر يـــــــــــأمر ويـــــــــــأتمر

مـــــن فتيـــــة بـــــيض صـــــبر يحمـــــون عـــــورات الـــــدبر [2]

إن اللون الأحمر كان مدعاة للتشاؤم، وسبيلا للتشكيك في النسب ،فهذا شاعر من بني عامر بن صعصعة يشكك في نسب ابنه، فيقول لزوجته:

لا تمشـــــطي رأســـــي ولا تفلينـــــي وحـــــاذري ذا الريـــــق فـــــي يمينـــــي

واقتربـــــي دونـــــك أخبرينـــــي مـــــا شـــــأنه أحمـــــر كـــــالهجين

خالف ألوان بني الجون

فردت عليه مفتخرة بآبائها قائلة:

إن لـــــه مـــــن قبلـــــي أجـــــدادا بـــــيض الوجـــــوه كرمـــــا أنجـــــادا

مـــــا ضـــــرهم إن حضـــــروا أمجـــــادا أو كـــــافحوا يـــــوم الـــــوغى الأنـــــدادا

ألا يكون لونهم سوادا[3]

لذلك نجد أروى تكرر صفة البياض في البيت مرتين حين قالت (أبيض _ أغر). ثم جعلت غرته تشع نورا وضياء، ثم تنتقل إلى وصف أخر، وهو أن الأب دقيق الخصر، جميل المحيا، طلق الوجه، أبلج ؛ والبلج بياض ما بين الحاجبين، ثم تختم بأنه وسيم تناسقت صفاته فأورثته جمالا فريدا، ونسبا أنيقا بعيدا عن الشك والريبة.

---

(1) البلاذري، أنساب الأشراف (ج52/2).

(2) البغدادي، المنمق في أخبار قريش (ص352).

(3) المرزباني، أشعار النساء (ص246).

وتجمع أميمة بنت عبد المطلب بين الجمال الخلقي والخلقي في بيت واحد، حيث أعطته صفة خلقية جامعة دون تفصيل لمواضع الجمال الجسدي، وكذلك أجملت الصفة الخلقية، دون تفصيل أيضا، وكأنها تقول أن والدها وصل إلى درجة الكمال في كل شيء، وتقول:

فقـــد كـــان زينـــا للعشـــيرة كلهـــا وكـان حميـدا حيثمـا كـان مـن حمـد [1]

وأما أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، فوالدها لجماله أصبح محط إعجاب النساء، تقول في جمع بين الشجاعة والإقدام، والجمال الجسدي، وكأنها تريد أن تخلق لوالدها صورة متكاملة:

وليثـــا حـــين تشـــتجر العـــوالي تـــروق لـــه عيـــون النـــاظرات [2]

وتكرر أروى بنت عبد المطلب، صفة البياض في اصرار على الجمع بين جمال الوجه والجسد، وشرف الأصل وعراقة النسب، وذلك لخلق النموذج المتكامل الذي ترجوه لوالدها، تقول:

مـــا زال أبـــيض مكرامـــا لأســـرته رحـب المحاسـن فـي خصـب وفـي لـين

وتصف برة بنت عبد المطلب ابن هاشم والدها بأنه جميل المحيا، فتقول:

علـــى ماجـــد الجـــد واري الزنـــاد جميـــل المحيـــا عظـــيم الخطـــر [4]

وتمزج صفية بنت عبد المطلب بين صفات والدها الخلقية والخلقية مزجا بديعا والهدف هو خلق نموذحا فريدا، تفرد بكل حسن من الصفات، ففاق أقرانه وتقدم على أبناء زمانه فأصبح أهلا للسيادة والقيادة. تقول:

طويـــل البـــاع أروع شـــيظمي مطـــاع فـــي عشـــيرته حميـــد

رفيـــع البيـــت أبلـــج ذي فضـــول وغيـــث النـــاس فـــي الـــزمن الجـــرود

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص118)

(2) المرجع السابق (ص 119).

(3) المرجع نفسه (ص120).

(4) المرجع نفسه (ص117).

كــريم الجــد لــيس بــذي وصــوم يــروق علــى المســوّد والمســود [1]

لقد وصفت والدها ببسطة الجسم، فهو رجل طويل الجسم، أبيض البشرة، يفوق جميع الناس، السادة والمسودين.

وأما خالدة بنت هاشم بن عبد مناف، فتقول إن والدها طويل الجسم معتدل القوام، وسيم جميل:

شــــمريّ نمــــاة للعــــز صــــقر شــامخ البيــت مــن ســراة الأديــم

شــــيظميّ مهــــذب ذي فضــــول أبطحــــيّ مثــــل القنــــاة وســــيم [2]

وبعد فيمكن القول إن المرأة العربية أكثرت من الصفات المعنوية للأب، ولكنها كانت مقلة في الوصف الحسي الخلقي، وذلك أن العرب كانت تحب أن تمدح مدحا نفسيا معنويا، وليس مدحا ماديا، لذلك نجد قلة من الشاعرات من وصفت الأب وصفا خلقيا، وقد ذكرت في هذا البحث بعض من النماذج الشعرية التي وقفت عليها.

بعد الحديث عن صورة الأب في شعر المرأة العربية في العصرين الجاهلي والإسلامي، يمكن القول إن البنت أحبت والدها حبا شديدا، ملك عليها جميع جوارحها، لذلك ليس عجبا أن تطلق لسانها في التغني بصفاته الخُلُقية والخلْقيَّة، وتتأنق في وصف هذه الصورة، لتخلق منه نموذجا فريدا متميزا عن أقرانه، غير أنها أكثرت من الصفات المعنوية، لأنها محط الفخر وموضع الاهتمام، وميدان التنافس بين العرب. وكانت مقلة في الوصف الخَلْقي الحسي، لأنها تناسب النساء أكثر من الرجال، والمجال هناك أوسع وأرحب، لكنها تعرضت للصفات التي توحي بعراقة الأصل وصحة النسب.

ثم إنني لم أجد في النصوص الشعرية للمرأة العربية في العصرين شعرا تسيئ فيه البنت لأبيها، أو تتبرم من سوء معاملته، بل كان جل الشواهد الشعرية تدل على حب عظيم للأب، ملك على البنت فؤادها وجوانحها، فأطلقت لسانها معبرة عما يدور في خلدها، ويعانق شغاف قلبها، مزهوة بأبيها مباهية به.

---

(1) يموت، شاعرات العرب، (ص 116).

(2) المرجع السابق (ص 113).

المبحث الثاني:

الابن

المطلب الأول: الأم:

أولاً: مكانة الأم:

الأم هي منبت فتيان العرب، ومعقد فخرهم، ومثار حميتهم، ومستقى أدبهم، وملاذهم إن حدبهم الدهر، ومفزعهم إن أشكل عليهم الأمر، ومقولهم إن فدح الخطب، وز المعين، تلك هي الأم العربية موطن ثقة الأب، وفخر الابن، وعز العشيرة. لقد نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم بفخره _ وهو أكرم العالمين خليقة، وأكملهم كمالا _ إلى أمهاته في الجاهلية فقال: " أنا ابن العواتك من سليم " [1].

وشبيه بذلك قول علي _ كرم الله وجهه _ للأشعث بن قيس وقد خطب إليه ابنته: غرك ابن أبي قحافة إذ أعطاك ابنته وليست من الفواطم من قريش، ولا العواتك من سليم [2]. وهناك قبائل عربية كثيرة تنسب إلى أماتها مثل: خندف، وجديلة، وبجيلة، ومزينة، وعاملة، وعفراء، وباهلة، وسلول، وبنو رقاش، وبنو طفاوة، وبنو العبدية، وبنو الطهية، وبني حطى.

الأم المنجبة: كما انتسب الملوك إلى أمهاتهم ، فالمناذرة نسبوا إلى أمهم ماء السماء، وهي ماوية بنت عوف بن جشم ملكة العراق، وأم ملوكها، وإليها ينتهي جلال الجمال، وجمال الخلال، وعنها ورث ملوك العراق سناء الشرف ومضاء الذكاء، وبها كانوا يعتزون وبإسمها يقسمون [3].

كما امتدح العرب الأم المنجبة، فعرفوا لها قدرها ورفعوا من شأنها وحفظوا لها حقها لأنها تلد وتربي، وتغرس طيبات الخلال وأحسن الخصال، فهي تنشىءأبناءها على علو الهمة، وبعد الغاية، وحسن الخلق والشجاعة والإقدام، والكرم والبذل والعطاء والحلم، فحق لها بعد ذلك أن يضرب بها المثل.

---

(1) ينظر: ابن وهب، الجامع في الحديث (ص43).

(2) ينظر :عفيفي، المرأة العربية (ج1\67). وينظر الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص89).

(3) ينظر: مهنا، المرأة في شعر الصعاليك، (ص148).

فقالت العرب:

"أنجبت من مارية " [1]"، وأنجب من فاطمة بنت الخرشب" [2] " وأنجب من أم البنين"[3]، و" أنجب من خبيئة " [4] و"أنجب من عاتكة "[5].

الأم الحرة: أغرم العرب بأن يفخروا بنسبهم، وأن يشيدوا بآبائهم ،وأولعوا أيضا بأن يباهوا بأمهاتهم ويزهوا بحريتهن وعراقة نسبهن [6]، يقول جعفر بن علبة الحارثي[7]: إن الحرب والكرب لا يكشفها إلا ابن حرة شجاع لأنه بريء من شوائب الهجنة فصار كرم أهله مهيجا لأنفته ومشجعا له على الاستبسال:

لا يكشف الغماء إلا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها[8]

ويفخر القتال الكلابي بأمه عمرة بنت حرقة من ربيعة:

لقد ولدتني حرة ربيعة من اللاء لم يحضرن في القيظ دندنا[9]

---

(1) الميداني، مجمع الأمثال (4292، ج2\411). والزمخشري المستقصى (1643، ج1\384).
(2) الميداني، مجمع الأمثال (4293، ج2\411). والزمخشري المستقصى (1643، ج1\383).
(3) الميداني، مجمع الأمثال (4295، ج2\412). والزمخشري المستقصى (1639، ج1\382).
(4) الميداني، مجمع الأمثال (4296، ج2\412). والزمخشري المستقصى (1641، ج1\383).
(5) الميداني، مجمع الأمثال (4296، ج2\412). والزمخشري المستقصى (1642، ج1\384).
(6) ينظر: الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص79).
(7) جعفر بن علبة الحارثي كان في أيام هشام بن عبد الملك واستعدت بنو عقيل عليه لدماء كانوا يطلبونه بها فأخذ جعفر وقتل صبراً، وجعفر يكنى أبا عارم وهو القائل لما هموا بقتله:

إذا ما أتيت الحارثيات فانعني... لهن وخبرهن أن لا تلاقيا
وقد قلوصي بينهم فإنها... ستضحك مسروراً وتبكي بواكيا.

ينظر: المرزباني، معجم الشعراء (ص380).
(8) ينظر: الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، (ص79 _ ص80). التادلي، الحماسة المغربية (ج1/667)
(9) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، دندن: ما اسود من نبات، والمراد أنها لا تحتطب كالإماء. القَتَّال الكِلابي(000 – نحو 70 هـ = 000 – نحو 690 م)، عبيد بن مجيب بن المضرحي، من بني كِلَاب بن رَبِيعَة: شاعر فتاك، بدوي، من الفرسان، يكنى أبا المسيّب أدرك أواخر الجاهلية، وعاش في الإسلام إلى أيام عبد الملك بن مروان. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج4/190).

ويقول:

أنـا ابـن أسـماء أعمـامي لهـا وأبـي إذا ترامـــى بنـــو الامـــوان بالعـــار

أمـــا الإمـــاء فـــلا يـــدعونني ولـــدا إذا تحـــدث عـــن نقضـــي وإمـــراري

لا أرضـع الـدهر إلا ثـدي واضـحة لواضـــح الخـــد يحمـــي حـــوزة الجـــار

مـــن آل ســـفيان أو رقـــاء يمنعهـــا تحـــت العجاجـــة ضـــرب غيـــر عـــوار[1]

ويقول الشنفرى مفتخرا بأمه:

أنـا ابـن خيـار الحجـر بيتـا ومنصبا وأمـــي ابنـــة الأحـــرار لـــو تعلمينهـــا[2]

و يفخر ربيعة بن عبد يا ليل بأمه قلابة الملقبة بالذيبة :

إنـــي لمـــن أنكرنـــي ابـــن الذيبـــة كريمـــــــة عفيفـــــــة منســـــــوبة[3]

الانتساب لها:

انتسبت بعض القبائل إلى أمهاتها حتى غدا اسم الأم علما عليها، وقد سبق ذكر اسم هذه القبائل ولا يقل نسب الأفراد إلى أمهاتهم كثرة عن نسب القبائل إلى أمهاتها، وقد ألف محمد بن حبيب كتابا في من نسب إلى أمه من الشعراء، وذكر فيه (39) شاعرا من بينهم(36) شاعرا جاهليا. ومن بين الكثر الذين نسبوا الى أمهاتهم، عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم وخفاف بن ندبة، وقيس بن منقذ، وربيعة بن عبد يا ليل، وسواد بن وهب وغيرهم الكثير.

(1) المبرد، الكامل في اللغة والأدب (ج49/1). القالي، الأمالي (ج225/2).

(2) ديوان الصعاليك (ص53).

(3) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص90). هو ربيعة بن عبد يا ليل بن سالم بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسى وهو ثقيف، وأمه تسمى الذئبة وهو شاعر فارس جاهلي. ينظر: البكري، سمط اللآلي، (ج792/1).

ويقول شبيب بن البرصاء الذي نسب إلى أمه:

أنـــا ابـــن برصـــاء بهـــا أجيـــب هـــل فـــي هجـــان اللـــون مـــا يعيـــب[1]

وانتسب الحارث بن الأعرج الغساني إلى أمه مارية ،يقول حسان بن ثابت:

لله در عصـــــــابة نـــــــادمتهم يومـــــا بجلـــــق فـــــي الزمـــــان الأول

أولاد جفنـــة حـــول قبـــر أبـــيهم قبـــر ابـــن ماريـــة الكـــريم المفضـــل[2]

وانتسب عمرو بن المنذر إلى أمه هند، فعرف بعمرو بن هند، يقول عمرو بن كلثوم:

بـــأي مشـــيئة عمـــرو بـــن هنـــد تطيـــــع بنـــــا الوشـــــاة وتزدرينـــــا

بـــأي مشـــيئة عمـــرو بـــن هنـــد نكـــــون لقـــــيلكم فينـــــا قطينـــــا[3]

وانتسب الأحنف ابن قيس لأمه فخرا بها فقال:

أنـــا ابـــن الزافريـــة أرضـــعتني بثـــــدي لا أجـــــد ولا وضـــــيم

أتمنـــى فلـــم تـــنقض عظـــامي ولا صـــوتي إذا اصـــطك الخصـــوم[4]

ثانيا: مظاهر حب الأبناء له:

كان العرب شديدي التعلق بأمهاتهم، حفظوا لهن صنيعهن، وأدركوا لهن حقوقهن، وبروهن على خير ما يبر الولد والديه، ولعلهم كانوا أكثر برا بالأمهات، وحدبا عليهن من برهم وحدبهم على الآباء، لأنهن أضعف، وأشد حاجة إلى الحب والعطف، وأكثر لصوقا بالطفل من الأب، ويظهر أن هذا شعور عام في الناس.

---

(1) الأندلسي، سمط اللآلي (ج631/1). وابن سلام، طبقات فحول الشعراء (ج727/2).

(2) ابن ثابت، حسان، الديوان (ص184).

(3) الزوزني، شرح المعلقات (ص213). قطينة : خدم.

(4) الجاحظ، البيان والتبيين (ج70/1). الخالدي، حماسة الخالديين (ص93).

لقد حرص الابن على حماية الأم من كل ظلم ومهانة، بجرأة وأنفة وذلك حتى تحيا شريفة عفيفة، عزيزة كريمة، فقد قتل عمرو بن كلثوم عمرو بن هند حين أراد الأخير أن يستذلها، وفي ذلك يقول مفتخرا في معلقته:

تهـــــددنا وأوعـــــدنا رويـــــدا متـــــى كنـــــا لأمـــــك مقتوينـــــا[1]

و يقول أفنون بن صريم التغلبي :

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخـــــدم أمـــــي أمـــــه بموفـــــق

فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلتا فأمســـــك مـــــن ندمانـــــه بـــــالمخنق

وجللــه عمــرو علــى الــرأس ضــربة بــذي شــطب صــافي الحديــدة رونــق[2]

وهم يفدون بالأم كثيرا، إشعارا بأنها أعز انسان عندهم وهذا إعزازا وإجلالا لها، وفخر بمقامها [3]، يقول عباس بن مرداس[4] في مدح حليس النصري بعدما ثأر له من قاتل أخيه:

فــدى لــك أمــي إذ ظفــرت بقتلــه وأقســم أبغــي عنــك أمــا ولا أبــا[5]

وقد يقرنون مع الأم عزيزا آخر في مقامها مثل الخالة، يقول حسان بن ثابت مفتخرا بانتصار الأوس على الخزرج:

---

(1) ابن كلثوم، الديوان (ص79) الزوزني، شرح المعلقات (ص214). المقتوين : خدمة الملوك.

(2) الجاحظ، الحيوان (ج69/3).

(3) ينظر: الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص124).

(4) عباس بْن مرداس بْن أَبِي عامر بن جارية [2] بْن عبد بْن عبس بن رفاعة بن الحارث ابن حبي بْن الحارث بْن بهثة بْن سليم بْن مَنْصُور السلمي، وقيل في نسبه غير ذلك. يكنى أبا الهيثم، وقيل: أَبُو الفضل، أسلم قبل فتح مكة بيسير، وكان العباس من المؤلفة قلوبهم، وممن حسن إسلامه منهم، وقدم عَلَى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثلاثمائة راكب من قومه، فأسلموا وأسلم قومه. ينطر ابن الأثير، أسد الغابة، (ج64/3).

(5) المرجع السابق (ص124).

فِـدًى لِبَنِـي النَّجَّـارِ أُمِّـي وَخَـالَتِي غَـــدَاةَ لَقُـــوهُمْ بِالْمُثَقَّفَـــةِ السُّـــمْرِ [1]

و يقول حذيفة بن أنس الهذلي [2]:

فـدى لبنـي لحيـان أمـي وخـالتي بمـا صـنعوا بـالجزع ركـب بنـي كعـب [3]

وهم أيضا يسمعون لأمهاتهم فيأخذون بآرائهن ويستجيبون لمشورتهن، فعندما هجا بشر بن أبي خازم أوس بن حارثة الطائي وذكر أمه سعدى، أغار أوس على نوقه ففر، ثم جاء أليه فخيره بين قطع لسانه، أو الحبس حتى الموت، أو قطع أطرافه، فقالت له أمه يا بني لا يمحو ما قال غيره، فقال لها: ماذا أصنع ؟ فقالت: تكسوه حلتك، وتحمله على راحلتك، وتعطيه مائة ناقة، فإنه لا يمحو هجاءه إلا مدحه [4]. ففعل، فقال بشر: لا مدحت أحدا حتى أموت غيرك، ومدحه بقصيدته التي يقول فيها:

إلـــى أوس بـــن حارثـــة بـــن لأم ليقضـــــي حـــــاجتي ولقـــــد قضـــــاها

فمـا وطـئ الحصـى مثـل ابـن سـعدى ولا لـــــبس النعـــــال ولا احتـــــذاها [5]

كما أنهم يستعطفون الأخوة الأشقاء بأن ينادوهم بابن الأم، لعظيم قدرها في نفوسهم، فهي الحبيبة العزيزة الغالية، يقول الشنفرى[6]:

---

(1) ابن الأثير، الكامل (ج589/1).

(2) حذيفة بن أنس الهذلي، أحد بني عمرو بن الحارث من بني هذيل عاش في الجاهلية وصدر الإسلام، ونظم في الفخر والهجاء.

(3) الحموي، معجم البلدان (ج480/2).

(4) ينظر: الحوفي المرأة في الشعر الجاهلي.(ص125)

(5) المبرد، الكامل في اللغة والأدب (ج1\ 187). ابن طيفور، بلاغات النساء (ص141).

(6) الشَّنْفَرَى، (000 – نحو 70 ق هـ = 000 – نحو 525 م)، هو عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان، شاعر جاهلي، يماني، من فحول الطبقة الثانية. كان من فتاك العرب وعدّائيهم. وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم. قتله بنو سلامان. وقيست قفزاته ليلة مقتله، فكانت الواحدة منها قريبا من عشرين خطوة. وفي الأمثال: " أعدى من الشنفري " وهو صاحب " لامية العرب " التي مطلعها: " أقيموا بني أمي صدور مطيكم... فإنّي إلى قوم سواكم لأميل "
شرحها الزمخشريّ في " أعجب العجب " المطبوع مع شرح آخر منسوب إلى المبرَّد، ويظن أنه لأحد تلاميذ ثعلب. ينظر: الأعلام (85/5).

أقيمـوا بنـي أمـي صـدور مطـيكم فـإني إلـى قـوم سـواكم لأميـل [1]

و تقول أم حاتم الطائي[2] في لومها لأخوتها على كرمها:

ومـاذا تـرون اليـوم إلا طبيعـة فكيـف بتركـي يـا ابـن أم الطبـائع [3]

ثالثا: مظاهر حب الأم لأبنائها:

إذا كان الأولاد قد مجدوا أمهاتهم، وباهو بعراقة نسبهن، وإذا كان العرب قد عظموا المنجبات وضربوا بهن مثلا عاليا يحتذى في مجتمع يقدر الأم، ويجل المرأة، فإن في تراثهم وآثارهم الأدبية ما يكشف عن حب الأم لبنيها فقد أحسنت تربيتهم، وإعدادهم، مدركة الواجبات نحوهم [4]، ويتجلى هذا الحب في عدة أمور منها:

1- التربية الحسنة:

تتجلى تربية الأم لأبنائها في مظهرين:

1-المظهر الأول التربية الجسمية:

أ- فالمرأة تحرص على أن يولد الولد معافى سليما صحيحا ومن أجل هذا كانت لا تحمل إلا في طهر، وذلك لاعتقادهم أن الحمل في أعقاب الحيض، أو قبيل الحيض ينتج ولدا سقيما [5].

---

(1) ابن الشجري، مختارات شعراء العرب (ج1\18).

(2) هي غنية بنت عفيف، لم ترد لها ترجمة سوى أنها أم حاتم الطائي أشهر كرماء العرب، وهي من الكرم والجود. كانت فياضة اليد فلا تبقي شيئاً، فبدت ثروتها على السائلين والضيوف، فحجر إخوتها عليها مالها، حتى إذا وجدت ألم الفقر أعطوها طائفةً من إبلها، فجاءتها امرأة تسألها، فقالت لها: دونك هذه الإبل فخذيها، فوالله لقد عضني الجوع مالا أضيع معه سائلاً. ينظر: يموت، شاعرات العرب (ص91). وابن منظور، مختصر تاريخ دمشق (ج142/6).

(3) الطائي، الديوان (التمهيد) (ص28).

(4) ينظر: الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص112).

(5) المرجع السابق (ص112).

يقول أبو كبير الهذلي[1] في وصف ابن زوجته تأبط شرا إن أمه حملت به وهي طاهر ليس بها بقية من حيض:

ولقد سريت على الظلام بمنغشم جلد من الفتيان غير مثقل

ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء معيل [2]

وكان العرب يظنون أن المرأة إذا حملت وهي غضبى مكرهة وغير مستعدة لفراش كان الولد لا يطاق، يقول الشاعر:

تنسّمتها غضبى فجاء مسهّدا وأنفع أولاد الرجال المسهّد [3]

ويقول أبو كبير إن زوجته حملت وهي غير مستعدة للفراش، لأنها فزعة، فنشأ محمودا مرضيا لم يدع أحد عليه بالهلاك:

ممن حملن به وهن عواقد حبك النطاق فشب غير مهبل

وتقول أم تأبط شرا: حملت به في ليلة ظلماء، وإن نطاقي لمشدود. وتقول: لقد حملت به في ليلة مظلمة وتحت رأسي سرج، وعلى أبيه درع.

ب- ثم إنها تفتخر أنها تضع جنينها وضعا سليما، صحيحا لا عسر فيه والولادة السليمة عند العرب أن يخرج الرأس قبل الرجلين، وكانت المرأة تحرص على وقت الحمل الأفضل حتى

---

(1) أبو كبير الهذلي الشاعر ذكر عن أبي اليقظان أنه أسلم، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أحل لي الزنا، فقال: " أتحب أن يؤتى إليك مثل ذلك؟ " قال.

لا. قال: " فارض لأخيك ما ترضى لنفسك "، قال: فادع الله أن يذهب ذلك عني، قال: وقد قال حسان يذكر ذلك:

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

سالوا نبيهم ما ليس معطيهم حتى الممات وكانوا عرة العرب. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة (ج257/6).

(2) ابن قتيبة، الشعر والشعراء (ج2\660).

(3) الأصفهاني، شرح ديوان الحماسة (ص65). البغدادي، الخزانة (ج8 \ 201).

لا يولد المولود يتنا، أي تخرج رجلاه قبل رأسه. تقول أميمة أم تأبط شرا: " والله ما ولدته يتنا، ولا أبته مأقة "[1]

يقول البعيث[2] هاجيا:

لقـد حملتـه أمـه وهـي ضـيفة فجـاءت بيـتن للضـيافة أرشـما [3]

ت- فإذا ما ولدته أرضعته لبنا صافيا لا غيل فيه، فلا ترضعه وهي حبلى، لأن ذلك يضر به وهذا في اعتقاد العرب، لذلك افتخرت أم تأبط شرا حين قالت:" ولا سقيته غيلا ". وفي ذلك يقول أبو كبير:

ومبـرأ مـن كـل غبّـر حيضـة وفسـاد مرضـعة وداء مغْيـل[4]

ث- والأم تتوخى راحة رضيعها فتلاعبه، وتضاحكه، ولا تنيمه إلا على مسرة. يقول المبرد معلقا على قول أميمة: " لم أمبته مغيظا، وذلك أن الخرقاء تبيت ولدها جائعا مغموما لحاجته إلى الرضاع، ثم تحركه في مهده حتى يغلبه الدوار فينومه، والكيسة تشبعه وتغنيه في مهده، فيسري ذلك الفرح في بدنه من الشبع كما يسري ذلك الغم والجوع في بدن الآخر"[5]. ثم إنها لا تمنعه الرضاع إذا اشتد الحر، لتطفئ ظمأه ،ولا تسقيه الرثيئة من اللبن.تقول فاطمة بنت الخرشب:"و لا منعته قليلا ولا أنمته ثئدا، ولا سقيته هدبدا."[6])

---

(1) الجاحظ، الحيوان (ج1\189).

(2) هو خداش بن بشر، من بنى مجاشع، من ولد خالد بن بيبة. وأمّه أصبهانية يقال لها مردة أو وردة. وإنما لقّب بالبعيث بقوله:

تبعّث منّى ما تبعّث بعد ما... أمرّت قواي واستمرّ عزيمي

أراد أنّه قال الشعر بعد ما أسنّ وكبر. ويكنى أبا مالك . وكان البعيث أخطب بنى تميم إذا أخذ القناة. وله عقب بالبادية. وكان يهاجى جريرا. ينظر، ابن قتيبة، الشعراء (488/1).

(3) الجاحظ، الحيوان (ج344/4). اللقى : الذي لا يعرف ابن من. ضيفه : كناية عن الزنى. اليتن : من تخرج رجلاه قبل رأسه. الأرشم: الذي يتشمم الطعام.

(4) ابن قتيبة، الشعر والشعراء (ج660/2). البغدادي، خزانة الأدب (ج8 /194).

(5) المبرد، الكامل في اللغة والأدب (ج11/1).

(6) الميداني، مجمع الأمثال (ج349/2).

2- **المظهر الثاني التربية الخلقية:**

اعتنت الأم بتربية أبنائها منذ الصغر، وكانت الأم تتعهد وليدها منذ ولادته فترقصه وتغني له، وإن كان لا يفهم غناءها، ومن أمثلة ذلك ما غنت به ضباعة بنت عامر بن قرط[1] لابنها المغيرة بن سلمة وهي ترقصه، فازدهت بآبائه، وأشادت بسيادتهم وكرمهم وعزهم أملا في أن يكون ابنها مثلهم:

نمـــا بـــه للـــذرى هشـــام قـــرم وآبـــاء لـــه كـــرام

جحـــاجح خضـــارم عظـــام مـــن آل مخـــزوم هـــم الأعـــلام

الهامة العليا والسنام. (1)

وتتمنى أم الفضل بنت الحارث الهلالية لطفلها عبدالله بن عباس أن يسود العرب جميعا حسبا وكرما:

ثكلـــت نفســـي وثكلـــت بكـــري إن لـــم يســـد فهـــرا وغيـــر فهـــر

بالحســـب العـــدّ وبـــذل الـــوفر حتـــى يـــوارى فـــي ضـــريح القبـــر[2]

إنها ترى مباهج الحياة كلها في طفلها، حتى إنها من سعادتها وعظيم فرحتها بابنها لا تدانيها سعادة، تقول أعرابية:

يـــا حبـــذا ريـــح الولـــد ريـــح الخزامـــى فـــي بلـــد

أهكـــذا كـــل ولـــد أم لـــم يلـــد قبلـــي أحـــد ؟[3]

---

(1) ضُباعَة بنت عَامر بن قرط بن سلمة الخير، من بني قشير،(000 – نحو 10 هـ = 000 –نحو 631 م): شاعرة صحابية. كانت زوجة هشام بن المغيرة، في الجاهلية، ولها قصيدة في رثائه. وأسلمت بمكة، في أوائل ظهور الدعوة. وأراد النبي صلى الله عليه وسلم إن يتزوج بها، وهي أكبر منه سنا بنحو عشرة أعوام، فقيل له: إنها كثرت غضون وجهها وسقطت أسنانها، فسكت عنها. وكانت في صباها من الشهيرات في الجمال. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج213/3).

(2) المرجع السابق (ج2\117).

(3) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف (ص261). الثعالبي، اللطائف والظرائف (ص175).

"ويقينا أنه لا حب يسامي حب الأم لابنها، فقد تخون الحبيبة، ويصد الأب، ويجفو الأخ، وتبغض الزوجة، ويتقلب الصديق، لكن الأم فوق هؤلاء جميعا، لا ينضب معين حبها ولا يترنق، ويكاد عفوها ليسبق ذنب ابنها، ولا تيأس من أن يعود إليها ابنها العاق فيندم على عقوقه، ويطلب منها المغفرة."[1]

ومن حب الأم لولدها أنها تظل حريصة على ماله، وتحاول أن تثنيه عن الإسراف في إنفاقه، وقد تلومه على ذلك، والأبناء لا يجدون حرجا في هذا اللوم، بل قد يتقبلونه من الأم برحابة صدر، ويحاورنها حوارا هادئا يفيض محبة واحتراما، بل قد لا يجدون حرجا في التصريح بذلك يقول حطائط بن يعفر[1] وقد لامته أمه –رهم بنت العباب– على جوده وإسرافه في إنفاق ماله:

تقـول ابنـة العبـاب رهـم حربتنـا ... حطـائط لـم تتـرك لنفسـك مقعـدا

إذا مـا جمعنـا صـرمة بعـد هجمـة ... تكـون علينـا كـابن أمـك أسـودا

فقلـت– ولـم أعـي الجـواب– تـأملي ... أكـان هـزالا حتـف زيـد وأربـدا

أرينـي جـوادا مـات هـزلا لعلنـي ... أرى مـا تـرين أو بخـيلا مخلـدا

ذرينـي أكـن للمـال ربـا ولا يكـن ... لـي المـال ربـا تحمـدي غبّضـه غـدا

ذرينـي فـلا أعيـا بمـا حـل سـاحتي ... أسـود فـأكفي أو أطيـع مسـوّدا

ذرينـي يكـن مـالي لعرضـي وقايـة ... يقـي المـال عرضـي قبـل أن يتبـددا[2]

إن عاطفة الأمومة لا يعادلها عاطفة، وحب الأم لأبنها لا يماثله حب، إنه نهر متدفق من المشاعر والأحاسيس، والعاطفة القوية الصادقة، ومزيج من الحب والشفقة والحنان، والرفق واللين، المغلف بالصدق والإخلاص والإيثار ونكران الذات.

---

(1) حطائط أَخُو الْأسود شَاعِر جاهلي مقل وَهَذَا الشّعْر يَقُوله لأمه رهم بنت الْعباب وَقد لامته على جوده وعاتبته. ينظر: التبريزي، شرح الحماسة (ج342/2).

(2) التبريزي، الحماسة (ج2\343).

ولا يستطيع فكر الإنسان وخياله مهما كانا واسعين أن يصلا إلى عمق العاطفة الجياشة، والشعور الفياض الذي يكنه الآباء والأمهات لأبنائهم [1]. ويكاد يجمع الشعراء على أن الحزن لفقد الولد لا يساويه حزن[2]. يقول عبد الرحمن العتبي[3]:

مـا عـالج الحـزن والحـرارة فـي ال أحشـــاء مـــن لـــم يمـــت لـــه ولـــد[4]

ولا يمكن أن يصل التصور الذهني إلى مدى الجراح العميقة التي لا تندمل عند فقدان الأم لأحد أبنائها، والأحزان الموجعة التي تتلبد بها سماؤها، والدموع الحارة الملتهبة التي تتدفق من حنايا قلبها، فتجري من عيونها لهبا محرقا، وأسى محضا يضج ويعج بالذكريات الحلوة والمرة، التي تملأ أجواء قلبها رعبا وقلقا وتوترا[5].

والأم الشاعرة تعبر بشعرها عما يحل بها من ألم الفراق، ووحشة الحياة، وغربة النفس، تقول أعرابية:

أقمـــت أبكيـــه علـــى قبـــره مـــن لـــي بعـــدك يـــا عـــامر

تركتنـــي فـــي الـــدار لـــي وحشـــة قـــد ذل مـــن لـــيس لـــه ناصـــر[6]

وسئلت أعرابية فقدت ابنها، ما أحسن عزاءك ! فقالت إن فقدي إياه أمنني فقد سواه، وإن مصيبتي به هونت علي المصائب بعده، ثم قالت:

كنـــت الســـواد لمقلتـــي فعمـــى عليـــك النـــاظر

---

(1) ينظر: التميمي، الأمومة والبنوة في الشعر العراقي الحديث (ص176).

(2) ينظر: موسى، رثاء الأبناء في الشعر العربي إلى نهاية القرن الخامس الهجري، (ص19).

(3) أبو عبد الرحمن العتبي محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، بصري علامة راوية للأخبار والآداب وكان حسن الصورة جميل الأخلاق وبلغ سناً عالية وكان حسن الخضاب ويلبس الطيالس الزرق ولقب الشقراق للون خضابه وشدة حمرة وجهه وتلون طيالسته، توفى سنة 228هـ. ينظر المرزباني، معجم الشعراء (ج49/3).

(4) المبرد، الكامل (ج21\4). ابن قتيبة، عيون الأخبار (ج69\3).

(5) ينظر التميمي، الأمومة والبنوة في الشعر العراقي (ص176).

(6) ابن عبد ربه، العقد الفريد (ج216\3).

مـــن شـــاء بعـــدك فليمـــت فعليـــــك كنـــــت أحـــــاذر

ليـــــت المنـــــازل والـــــديا ر حفـــــــــائر ومقـــــــــابر

إنـــــي وغيـــــري لا محـــــا لـــــة حيـــث صـــرت لصـــائر[1]

إنها تتمنى أنها لم تحبل ولم تلد، وذلك لشديد ما أورثها فقده من ألم، ولما له من أثر بالغ عليها، حتى أنها لا تقوى على العيش بعده. تقول أعرابية من بني عبد ود، كان خالد بن الوليد قد قتل ولدها:

يـا قرحـة القلـب والأحشـاء والكبـد يـا ليـت أمـك لـم تحبـل ولـم تلـد

لمـا رأيتـك قـد أدرجـت فـي كفـن مطيبـــا للمنايـــا آخـــر الأبـــد

أيقنـــت بعـــدك أنـــي غيـــر باقيـــة وكيـــف يبقـــى ذراع زال عـــن عضـــد[2]

وقد يبلغ بها الأمر أن تستعذب الهواء الذي يأتي من الأرض الذي دفن فيها، فهي محملة بالمسك والعنبر، والخزامى، وتهيج هذه الريح حنينها وشوقها، فتفيض عيناها بالدموع، ويعلو صوتها بالعويل. تقول أم خالد النميرية [3]:

إذا مـا أتتنـا الـريح مـن نحـو أرضـه أتتنـــا بريـــاه فطـــاب هبويـــا

أتتنـا بمسـك خـالط المسـك عنبـر وريـــح خزامـــى باكرتهـــا جنويـــا

أحـــن لـــذكراه إذا مـــا ذكرتـــه وتنهـــل عبـــرات تفـــيض جنوبهـــا

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد. من غير البيت الأخير. والنويري، نهاية الأرب (ج5\166).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص127).

(3) أم خالد النميرية، شاعرة اسلامية، كانت من نساء العرب المشهورات بالعقل والذكاء والتدبير في قبيلتها بني نمير وهي مشهورة بأم خالد وشهرتها غلبت اسمها، ولذلك لم تأت الرواة عليه وهذه الأبيات في ولدها خالد وكان توفي في بعض الغزوات ودفن في الغربة. ينظر: العاملي، الدر المنثور (ص57). ينظر: عبد الرحمن المسطاوي، أعلام النساء (ص35).

حنـــين أســـير نـــازح شـــد قيـــده وإعـــوال نفـــس غـــاب عنهـــا حبيبهـــا [1]

ومهما يكن فإن حب الأم لأبنائها أمر لا يشكك فيه أحد، ولا يختلف عليه اثنان، والشواهد عليه كثيرة، لا لإثباته والتدليل عليه، وإنما لبيان وظاهره. ولا يتسع المقام هنا لعرض المزيد من الشواهد وهي كثيرة، لذلك أكتفي بما تم عرضه منها.

المطلب الثاني: الابن في شعر النساء

أ- الابن الصغير

إن الباحث في الأدب العربي القديم يجد عدة مقطوعات شعرية كان العرب يغنون أولادهم بها،" وتكشف هذه المقطوعات الفضائل التي كان العربي يحب أن يتحلى بها، والمفاخر التي كان يرنو إلى أن يقوم بها هو وأبناؤه، لذلك نعدها من الوثائق من الوثائق المهمة، التي تمثل آمال المجتمع العربي في عصوره المختلفة."[2] .

والمجتمع العربي مجتمع ذكوري، يفضل الذكر على الأنثى، لذلك إذا ما ولد مولود ذكر " أتت القبائل فهنأته بذلك، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعن في الأعراس، وتتباشر الرجال والولدان، لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليدا لمآثرهم، واشادة لذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج "[3] والاحتفال بالأبناء الذكور يكون في مناسبات عديدة فقد " ألف العرب أن يحتفلوا بأبنائهم في مناسبات شتى، فرحين مهللين، راقصين مغنين، احتفلوا بمولد الابن خاصة وبانقضاء الاسبوع الأول على ولادته، وبإزالة الشعر الذي ولد به أو ما سموه العقيقة، وبفطامه وختانه، وبمناسبات أخرى لها أهميتها في حياته، وتختلف باختلاف المجتمع الذي عاش فيه."[4] لقد عبرت المرأة في ترقيصها لابنها عما يدور في خلدها، وما تتمناه فيه من خلال بعد كبره، مفتخرة بحسبه ونسبه، وبصفاته الخلقية والخلقية، في حرص على أن تظهره بأسمى صورة، مفردا مبرزا على أقرانه.

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص182).

(2) نصار، الشعر الشعبي العربي (ص55).

(3) السيوطي، المزهر في علوم اللغة (ج2 \ 473).

أولا: الصفات الخلقية:

1- عراقة الأصل وشرف النسب:

تحرص الأم في ترقيصها لأبنها على الصفات الخلقية المعنوية التي تحب أن يتحلى بها طفلها، فهند بنت عتبة تحرص على تعداد الصفات الحسنة التي يحرص كل عربي على وجودها في ولده، فتقول:

إن بنـــــي معـــــرق كـــــريم محبـــــب فـــــي أهلـــــه حلـــــيم

لـــــيس بفحـــــاش ولا لئـــــيم ولا بطخـــــــــرور ولا ســـــــــئوم

صـــخر بنـــي فهـــر بـــه زعـــيم لا يخلـــــف الظـــــن ولا يخـــــيم (1)

الأم هنا تعدد الصفات الخلقية، ولم تتعرض للصفات الحسية وذلك لأهمية الصفات الخلقية في المجتمع العربي، وخصوصا حين الحديث عن الذكر، فابنها كريم الأصل، شريف النسب محبوب بين أهله لطيب سجاياه، لا يرتكب الفواحش، صبور على الشدائد غير لئيم، شجاع جلد لا يجبن ولا يخلف ظن الآخرين به.

والملاحظ أن الأم تصف طفلها بصفات بعضها لا يكون إلا للرجال البالغين وكأن هذه الصفات متأصلة فيه، وكأنها ملتصقة به، كأمر حتمي لا مفر منه، وهذا ثقة قلما توجد.

وتقول في ابنها عتبة:

إن بنـــي مـــن رجـــال الحمـــس كـــــريم أصـــــل وكـــــريم الـــــنفس

لـــيس بوجـــاب الفـــؤاد نكـــس عتبـــــة بـــــدر وأبـــــوه شـــــمس (2)

تفخر الشاعرة بأن ابنها قرشي النسب، كريم الأصل، شريف النسب، ليس جبانا ولا دنيا.

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص128). الطخرور: غير الجلد من الرجال. لا يخيم: لا يجبن.

(2) البغدادي، المنمق في إخبار قريش (ص348). الحمس: قريش وكنانة وجديل. وجاب: جبان. نكس: دنيء لا خير فيه.

وابن ضباعة بنت عامر القشيرية شريف النسب، نما به عراقة الآباء فهو شبيه آبائه في كرمهم وسيادتهم وشرفهم وزعامتهم لقبيلتهم وقومهم.

تقول وهي ترقص ابنها المغيرة:

نمـــى بـــه إلـــى الـــذرى هشـــام قـــــرم وآبـــــاء لـــــه كـــــرام

جحـــــاجح خضـــــارم عظـــــام مـــــن آل مخـــــزوم هـــــو النظـــــام

و الهامة العلياء والسنام [1]

وتبدوا أم الفضل بنت الحارث الهلالية متأكدة من أن ابنها سيسود قومه وغيرهم، لحسبه وكرمه، وطيب أصله، تقول:

ثكلـــت نفســـي وثكلـــت بكـــري إن لـــم يســـد فهـــرا وغيـــر فهـــر

بالحســـب الـــواقي وبـــذل الـــوفر حتـــى يـــوارى فـــي ضـــريح القبـــر [2]

إن حب ابنها وكرمه وشرفه سيعلو به إلى سيادة قومه وغيرهم في صغره وكبره. لذلك ترجو منفوسة بنت زيد وهي الخيل تفخر بولدها وتتمنى أن يكون ابنها شبيها بخاله وأبيه، في شرف النسب، والأصالة والعراقة وبعد الهمة، تقول:

أشـــبه أخـــي أو أشـــبهن أباكـــا أمـــــا أبـــــي فلـــــن تنـــــال ذاكـــــا

تقصر عن مناله يداكا [3]

وتدعو حليمة السعدية_ وهي ترقص النبي صلى الله عليه وسلم _ بالسيادة والشجاعة وطول العمر، والعيش مبرأ من كل ما يسوؤه، ولا يجعل لعدوه سلطانا عليه، فتقول:

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص121). القرم: الفحل الكريم. الجحاجح: السادة. خضارم: كثيروا العطاء.

(2) المرجع السابق (ص121).

(3) المرجع نفسه (ص55).

يـــا رب إذ أعطيتـــه فأبقـــه وأعلـــه إلـــى العـــلا ورقـــه

وادحض أباطيل العدا بحقه [1]

وكذلك ترجو الشيماء للنبي صلى الله عليه وسلم أن يعيش مسودا، يافعا وأمردا، قاهرا لأعدائه وحساده، يحيا عزيزا شريفا، تقول:

يـــا ربنـــا أبـــق لنـــا محمـــدا حتـــــى أراه يافعـــــا أمـــــردا

ثـــم أراه ســـيدا مســـودا وأكبـــت أعاديـــة معـــا والحســـدا

وأعطه عزا يدوم أبدا[2]

2- الفصاحة والبيان:

الفصاحة والبيان من الصفات المعنوية التي تحرص المرأة العربية على وجودها في ابنها نظرا لأهميتها في الحياة، ولما لها من أثر في نفوس الناس، حيث أنها مقوم مهم من مقومات السيادة والقيادة في المجتمع، فهذه أم الفرزدق تبشر بأنها ستلد داهية من دواهي العرب، فنجدها ترقصه بعد مولده وتقول:

قصصـت رؤيـاي علـى ذاك الرجـل فقـال لـي قـولا وليتـه لـم يقـل

لتلـدن عضـلة مـن العضـل ذلـك منطـق جـزل إذا مـا قـال فصـل

مثل الحسام العضب ما مس قصل يعـدل ذا الميـل ولمـا يعتـدل

يعـدل ذا الميـل ولمـا يعتـدل ينهـل سـما مـن يعـادي ويعـل [3]

إنها تقول أن ابنها ذو منطق جزل، يحسن القول، ويجيد الحوار، ويفحم الأعداء، فهو حاد في قوله كحد السيف، يكون عادلا في وقت الميل، ومع ذلك فهو سم زعاف لأعدائه، وهذه

---

(1) أبو سعد، أغاني ترقيص الأطفال عند العرب (ص66).

(2) المرجع السابق (66).

(3) عيسى، الغناء للأطفال عند العرب (ص69).

من صفات الشراسة والقوة والبأس فقد جمع الطفل _ في نظر الأم _ الفصاحة والبيان، والبأس والشدة، والعدل والإحسان، والبعد عن الظلم والعدوان.

وتمزج أسماء بنت أبي بكر الصديق[1] – رضي الله عنهما – بين الشجاعة والإقدام والجرأة والبأس، والفصاحة والبيان وحسن المنطق، وقوة الحجة، تقول:

أبـيض كالسـيف الحسـام الإبريـق بـــين الحـــواري وبـــين الصـــديق

ظنـــي بـــه ورب ظـــن تحقيـــق والله أهـــل الفضـــل وأهـــل التوفيـــق

إن يحكـم الخطبـة يعـي المسـليق ويفـــرج الكربـــة فـــي ســـاع الضـــيق

إذا نبـــت بالمقـــل الحمـــاليق والخيـــل تعـــدو زيمـــا برازيـــق[2]

3- الشجاعة والإقدام:

لا يكون الرجل سيدا في قومه إلا إذا كان فارسا مقداما، شجاعا، لا يخشى لقاء الأعداء، يحمي الديار، ويصون الحرمات، لذلك حرصت الأم على ذكر هذه الصفات في ابنها، بل إنها جعلتها متأصلة فيه تسري في جسده، كما يسري الدم في العروق، تقول أسماء بنت أبي بكر:

---

(1) ذاتُ النِّطَاقَيْن- (000 – 73 هـ = 000 – 692 م)، أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قُحَافَة عثمان بن عامر، من قريش: صحابية، من الفضليات. آخر المهاجرين والمهاجرات وفاة. وهي أخت عائشة لأبيها، وأم عبد الله بن الزبير. تزوجها الزبير بن العوام فولدت له عدة أبناء بينهم عبد الله. ثم طلقها الزبير فعاشت بمكة مع ابنها عبد الله، إلى أن قتل. فعميت بعد مقتله وتوفيت بمكة. وهي وابنها وأبوها وجدها صحابيون. شهدت اليرموك مع ابنها عبد الله وزوجها. وكانت فصيحة حاضرة القلب واللب، تقول الشعر. وخبرها مع الحجاج بعد مقتل ابنها عبد الله، مشهور. عاشت مئة سنة وهي محتفظة بعقلها. وسميت (ذات النطاقين) لأنها صنعت للنّبيّ صلّى عليه وسلّم طعاما حين هاجر إلى المدينة، فلم تجد ما تشده به، فشقت نطاقها وشدت به الطعام. لها (56) حديثا. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج305/1).

(2) ابن ظفر السقلي، أنباء نجباء الأبناء (ص85). الإبريق ،صافي الحديدة. المسليق الفصيح. برازيق : جماعات متفرقة.

يفـــــرج الكـــــرب فـــــي ســـــاع الضـــــيق

إذا نبـــــــــت بالمقـــــــــل الحمـــــــــاليق

والخيـــــل تعـــــدو زيمـــــا برازيـــــق [1]

وتجمع صفية بنت عبد المطلب جميل الصفات في ابنها الزبير بن العوام، وتنفي عنه قبيح الصفات، فتقول:

وأبيـك مـا زبـر بـنكس دنـي أحمـق لكنـــــه صـــــقر كـــــريم معـــــرق

حـــامي الحقيقـــة ماجـــد ذو مصـــدق يضـــرب الكـــبش ســـواء المفـــرق [2]

إن الزبير في نظر أمه صقر كريم، عريق النسب شجاع عالي الهمة، يكافح وينافح، ببسالة، ويضرب السادة بسيفه، وليس بالأحمق ولا الأخرق ولا الدني، الذي لا خير فيه. وتبدو ماوية بنت كعب بن القين[3] واثقة من شجاعة ابنها أسامة بن لؤي فتقول:

إن ظنـــي ببنـــي خيـــر ظـــن أن يشـــتري الحمـــد ويغلـــي فـــي الـــثمن

ويهـزم الجـيش إذا الجـيش ارجحـن ويـــروي الهيمـــان مـــن محـــض اللـــبن

ويمـلأ الشـيزى مـن الـواري الكـدن أن نبـــــه القـــــوم إذا مـــــا قيـــــل

كان هو المدعو لاهن وهن[4]

وتقول أم الفرزدق:

مثـل الحسـام العضـب مـا مـس قصـل يعـــدل ذا الميـــل ولمـــا يعتـــدل

ينهل سما من يعادي ويعل [5]

---

(1) ابن ظفر السقلي، أنباء نجباء الأبناء (ص85).

(2) البغدادي، المنمق في أخبار قريش (ص347). نكس : دني. الكبش : السيد.

(3) ماويَّةُ بنت كعب بن القَين بن جَسْر، مِن قُضاعة. ينظر ابن دريد، الاشتقاق (ص40).

(4) المرجع السابق (ص 349). ارجحن : ثقل. الهيمان : العطشان. الشيزى : أواني مصنوعة من خشب الجوز. الواري : الشحم. الكدن كنمر : الشحم واللحم الكثير.

(5) عيسى، الغناء للأطفال عند العرب (ص69).

أحبت المرأة هذه الصفات في ابنها، ولذلك نجدها تكررها ممزوجة مع بعضها البعض، فعراقة النسب، والكرم والبذل والعطاء، مع الشجاعة والإقدام والبأس والشدة، والفصاحة والبيان هن اللائي يوصلن الفتى إلى السيادة والريادة والقيادة في المجتمع العربي، الذي طالما افتخر بسيادة أبنائه صغارا، إعلاء لمنزلتهم وقهرا لعدوهم.

يقول المهلهل مفتخرا بأن أطفالهم سادة شجعان منذ نعومة أظفارهم:

يـا حـار لا تجهـل علـى أشـياخنا إنـــا ذوو الســـورات والأحـــلام

منـــا إذا بلـــغ الصـــبي فطامـــه ســـاس الأمـــور وحـــارب الأقـــوام [1]

ويبالغ عنترة في فخره، حتى إنه ليصل بأطفالهم مكانة عالية حين يقول:

ملأنـــا ســـائر الأقطـــار خوفـــا فأضـــحى العـــالمون لنـــا عبيـــدا

وجاوزنـــا الثريـــا فـــي علاهـــا ولـــم نتـــرك لقاصـــدنا وفـــودا

إذا بلـــغ الفطـــام لنـــا صـــبي تخـــر لـــه أعادينـــا ســـجودا [2]

فأبناء عبس وأطفالها غدو سادة حتى أن القبائل الأخرى تدين لهم بالولاء، ولا تخرج عن أمرهم، بل تلقي لهم عصا الطاعة، ذليلة مغلوبة على أمرها، وهذا فخر ما بعده فخر، وقهر للعدو ليس بعده قهر.

4- الكرم والحلم:

أكثرت الأم من وصف ابنها بالكرم، لأنها من أجل الصفات التي يحرص العربي عليها، ويزهو بها على غيره، فالكرم صفة أصيلة متجذرة في العربي نظرا لظروف عيشه في صحراء ممتدة قاحلة قليلة الطعام مما جعل الكثير من العرب يفخر بإطعام الجائع، وغوث الملهوف، ورعاية الأيتام والأرامل.

---

(1) الأصمعي، الأصمعيات (ص156).

(2) عنترة، الديوان (ص28).

والمرأة تحرص أن يكون ابنها كريما سخيا معطاء، لأن الشح والبخل منقصة في المرء ، وهي لا تريد ابنا ناقصا، تقول صفية بنت عبد المطلب في ابنها الزبير بن العوام واصفة اياه بالكرم وعراقة الأصل:

وأبيـــك مـــا زبـــر بـــنكس أحمـــق لكنـــــه صـــــقر كـــــريم معـــــرق [1]

وتجمع هند بين الكرم والحلم وعراقة النسب في ابنها معاوية فتقول:

إن بنـــــــي معـــــــرق كـــــــريم محبـــــب فـــــي أهلـــــه حلـــــيم [2]

اما فاطمة بنت نعجة الخزاعية [3]، فتفتخر بأن ابنها كريم في اليسر والعسر، فالكرم يكون مطلبا حين تمحل الأرض ويقل الرزق، تقول:

إن بنـــــــي ســـــــيد العشـــــــيرة عـــــف صـــــليب صـــــن الســـــريرة

جـــــزل النـــــوال كفـــــه مطيـــــرة يعطـــــي علـــــى الميســـــورة والعســـــيرة [4]

لقد جمعت الشاعرة بين عدة صفات حسنة في ولدها، وهي السيادة والقيادة، والعفة، ونقاء النفس، وعدم الرياء، والبذل والعطاء بسخاء حتى أن عطاءه كالمطر الذي يعم الناس جميعا ،وذلك في الشدة والرخاء والعسر واليسر . وتمدح ميسون بنت بحدل[5] ابنها يزيد بن معاوية بالكرم، وأنه إذا ما سئل أعطى، فهو حليم كريم كما تقول:

---

(1) البغدادي، المنمق في أخبار قريش (ص347).

(2) المرجع السابق (ص348).

(3) شاعرة إسلامية، لم يرد في ترجمتها سوى خبر إسلامها وأنها من الصحابيات، وكانت من أكمل قومها أدباً، وأجرئهم لساناً. ينظر يموت، شاعرات العرب (ص164).

(4) البغدادي، المنمق في أخبار قريش (ص348).

(5) مَيْسُون بنت بَحْدَل بن أنيف، من بني حارثة بن جناب الكلبي، (000 – نحو 80 هـ = 000 – نحو 700 م)، أمّ يزيد بن معاوية. شاعرة وكانت بدوية، ثقلت عليها الغربة عن قومها لما تزوجت بمعاوية في الشام، فسمعها تقول شعرا، فطلقها وأعادها إلى أهلها. وكانت حاملا بيزيد (في رواية) أو أخذته معها رضيعا، فنشأ في البرية فصيحا. ونقل البغدادي أن معاوية لما طلقها قال لها: كنت فبنت، فأجابته: ما سررنا إذ كنا ولا أسفنا إذ بنّا!. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج339/7).

إن يزيـــد خيـــر شـــبان العـــرب أحلمهـــم عنـــد الرضـــى وعنـــد الغضـــب

يبـــدر بالبـــذل وإن ســـيل وهـــب تغذيـــــة نفســـــي ثـــــم أمـــــي وأب

وأسرتي كلهم من العطب [1]

إن ابنها حليم في كل أحواله، سواء كان راضيا أو غضبانا، فهو قادر على ضبط نفسه، يبادر إلى البذل والعطاء دون أن يسأل، وإن سئل أعطى برضى نفس.

إن ظن الأم بابنها غالبا ما يكون حسنا، وهي تتمنى أن يكون الابن في مستقبله، شجاعا، كريما حليما، يسعى في طلب المحامد، مهما كان الثمن، يملأ الجفان باللحم والشحم، تقول ماوية بنت كعب بن القين في ابنها أسامة بن لؤي:

إن ظنـــي ببنـــي خيـــر ظـــن أن يشـــتري الحمـــد ويغلـــي فـــي الـــثمن

ويهـزم الجـيش إذا الجـيش ارجحـن ويـــروي الهيمـــان مـــن محـــض اللـــبن

ويمـلأ الشـيزى مـن الـواري الكـدن إن نبـــــه القـــــوم إذا مـــــا قيـــــل

كان هو المدعو لا هن وهن [2]

يبدوا مما سبق أن الشاعرة الأم حرصت على وسم الابن بالكرم والحلم والشجاعة، وصحة النسب، وعراقة الأصل، وكلها صفات من أهم الصفات المعنوية الخلقية التي حرص عليها العرب عبر التاريخ القديم والحديث.

5- الدعاء للابن:

حرص العرب منذ القدم على صحة أبنائهم، وسلامتهم من كل عيب خلقي وخلقي لذلك تخيروا أمهاتهم " فكانوا يختارون البعداء والأجانب لأنهم يرون هذا الأمر أنجب للولد وأبهى للخلقة يقابل ذلك اجتناب نكاح الاهل والأقارب، لأنه يضر بخلقة الولد ؛ لأنهم راغبون في إنجاب الأولاد الأصحاء الأقوياء "[3].

---

(1) البغدادي، المنمق من أخبار قريش (ص349).

(2) المرجع السابق (ص349).

(3) المبييضين، الأسرة في الشعر الجاهلي (ص43).

وقد عبر الشعراء عن هذا الأمر في كثير من شعرهم، يقول النابغة [1]:

فتـــى لـــم تلـــده بنـــت أم قريبـــة فيضـــوي وقـــد يضـــوي ســـليل الأقـــارب [2]

ويقول جرير مفتخرا [3]:

ســـمت بـــي مـــن شـــيبان أم نزيعـــة كـــــذلك ضـــــرب المنجبـــــات النزائـــــع [4]

ويقول آخر:

تجنبـــت بنـــت العـــم وهـــي قريبـــة مخافـــــة أن يضـــــوي علـــــيّ ســـــليلي [5]

---

(1) النَّابغَة الذُّبْيَاني، (000 – نحو 18 ق هـ = 000 – نحو 604 م)، زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانيّ الغطفانيّ المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. من اهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. وكان أبو عمرو ابن العلاء يفضله على سائر الشعراء. وهو أحد الأشراف في الجاهلية. وكان حظيا عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمنا. ثم رضي عنه النعمان، فعاد إليه. شعره كثير، جمع بعضه في (ديوان – ط) صغير. وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. وعاش عمرا طويلا. ومما كتب في سيرته (النابغة الذبيانيّ) لجميل سلطان، ومثله لسليم الجندي، ولعمر الدسوقي، ولحنّا نمر، وكلها مطبوعة. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج3/54– ص55).

(2) النابغة، الديوان (ص27). يضوى : يضعف.

(3) واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة ابن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار أبو حزرة الشاعر بالحاء المهملة البصري قدم دمشق غير مرة، وامتدح يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان، وأمره في ذلك مشهور، وامتدح الوليد وسليمان ابني عبد الملك، وقدم على عمر بن عبد العزيز، وعلى يزيد بن عبد الملك.

قال عثمان البتي: رأيت جريراً وما تضم شفتاه من التسبيح فقلت: ما ينفعك هذا وأنت تقذف المحصنة! فقال: سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر ولله الحمد، إن الحسنات يذهبن السيئات، وعد من الله حق. ينظر: ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (ج6/40).

(4) جرير، الديوان (ص283). النزيعة : المتزوجة في غير عشيرتها.

(5) الخالدي، حماسة الخالديين (ص60).

ويقول أخر:

تنجبتهـــا للنســـل وهـــي غريبـــة فجـــاءت بـــه كالبـــدر خرقـــا معممـــا

فلـو شـاتم الفتيـان فـي الحـي ظالمـا لمـــا وجـــدوا غيـــر التكـــذّب مشـــتما [1]

انه يفخر بأن أم ولده غريبة ليست من أقاربه، لذلك جاءت بالولد جميلا كالبدر، ومع ذلك يشبه أعمامه، وليس فيه عيب يعاب به، ويؤخذ عليه. والعرب تحب أن ينشأ أبناؤها أصحاء أقوياء، ويتمنون أن لا يخلفون ظنهم، فيسموا بأخلاقهم للدرجات العلا والمكانة المرموقة، لذا نجد كثيرا من النساء يلجأن إلى الدعاء لأبنائهن، فحليمة السعدية ترقص الرسول عليه السلام وتدعوا له بطول العمر، والبقاء، والسيادة، والشجاعة، فتقول:

يـــا رب إذ أعطيتـــه فأبقـــه وأعلـــه إلـــى العـــلا ورقـــه

وادحض أباطيل العدا بحقه [2]

تدعوا حليمة له بالبقاء، وأن يعليه الله سبحانه وتعالى، ويدفع عنه أباطيل الأعداء واذاهم. وتدعوا أم حبيب بنت العاص بن أمية لابنها جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل، فتقول:

احفـــظ جبيـــرا رب فـــي الســـرية لا تقعـــدني مقعـــدا شـــقية

وباركن يا رب في بنية [3]

إنها تخشى أن تشقى بفقد ابنها، لذلك تدعو له بالبقاء، وتسأل الله أن يحفظه ويبارك فيه. ثم نجدها تدعوا بأن يحفظه الله من سيوف الفرس، ومن الأمراض التي قد تصيبه فتقول:

احفـظ جبيـرا مـن سـيوف فـارس وجنبنـــه عـــارض الوســـواس

واحفظـه مـن كـل زحيـر حـادس زيـــنن رب بـــه المجـــالس [4]

---

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار (ج2\79).

(2) المهدي، صيد الأفكار في الأدب (ج2\ 375). أبو سعد، أغاني ترقيص الأطفال عند العرب (ص66).

(3) البغدادي، المنمق في أخبار قريش. (ص351)

(4) المرجع السابق (ص351). زحير: انطلاق البطن بشدة. الحادس : الصارع.

وتدعو أم البنين الوحيدية [1]لابنها العباس بن علي بن أبي طالب، بأن يحفظه الله من حسد الحاسدين فتقول:

أعيـــــــــذه بالواحـــــــــد مـــــن عـــــين كـــــل حاســـــد

قـــــــــائم والقاعـــــــــد مســـــــــــلمهم والجاحـــــــــد

صـــــــــادرهم والـــــــــوارد مولـــــــــــودهم والوالـــــــــد [2]

وتدعو صفية بنت عبدالمطلب أن يمتعها الله بابن ابنها عبدالله بن الزبير فتقول:

إن ابنـــي الأصـــغر حـــب حنكـــل أخـــــاف أن يعصـــــيني ويبخـــــل

يـــــارب أمتعنـــــي ببكـــــري الأول الماجـــــد الفيـــــاض والمؤمـــــل [3]

لقد أبدعت الأم الشاعرة في رسم صورة الابن المعنوية من خلال خلق نموذج فريد يتصف بكل جميل من الصفات، التي ترفع قدره وتعلي شأنه بين أهله وقبيلته وبين أقرانه، وتطرح عنه كل قبيح من مرذول الصفات التي قد تحط من قدره، وتقلل من شأنه، وتعيبه في مجتمعه.

ثانيا: الصفات الخلقية

اهتمت المرأة الشاعرة بصفات ابنها الخلْقية كما اهتمت بذكر صفاته الخلُقية ،" ومما لا شك فيه أن للشكل الخارجي تأثيره في الحالة النفسية للفرد وغيره ممن يحيطون به، لذلك عمد العرب إلى إظهار صفات أطفالهم الخلقية " [4].

تصف نتيلة بنت خباب ابنها بصفات عديدة، فهو أبيض اللون، والعرب تحب هذا اللون في أطفالهم. تقول:

---

(1) لم أقف لها على ترجمة.

(2) البغدادي، المنمق في أخبار قريش (351).

(3) المرجع السابق (ص341). الحنكل كجعفر: الجافي الغليظ مع القصر.

(4) سمارة، صورة الطفل في الشعر الجاهلي، (ص 46).

أضـــــللت أبـــــيض لوذعيـــــا لـــــم يكـــــن مجلوبـــــا ولا دعيـــــا

وتقول أيضا:

أضـــــللت أبـــــيض كالخصـــــاف للفتيـــــة الغـــــر بنـــــي منـــــاف [1]

إن بياض ابنها دليل على عراقة نسبه ونقائه، فهو سليل الأشراف، كريم الآباء ليس دعيا، ولا مجلوبا، أي ليس عبدا ولا لقيطا. وتقول أم حكيم بنت عبد المطلب أن ابنها من فتية بيض فتقول:

ظنـــــي بـــــه صـــــدق وبـــــر يـــــــــــــــأمر ويـــــــــــــــأتمر

مـــــن فتيـــــة بـــــيض صـــــبر يحمـــــــــون عـــــــورات الـــــــدبر [2]

وتفخر أسماء بنت أبي بكر الصديق –رضي الله عنهما– بابنها عبدالله بن الزبير:

أبـــيض كالســـيف الحســـام الإبريـــق بـــــين الحـــــواري وبـــــين الصـــــديق[3]

ومرد هذا الفخر باللون الأبيض كون العرب تتشاءم من اللون الأحمر، وتشكك في نسب الطفل، فهذا رجل من بني عامر بن صعصعة يشكك في نسب ابنه إليه حين رآه أحمر أزب الحاجبين، فينتضي سيفه ويقول:

لا تمشـــــطي رأســـــي ولا تفلينـــــي وحـــــاذري ذا الريـــــق فـــــي يمينـــــي

واقتربـــــي دونـــــك أخبرينـــــي مـــــا شـــــأنه أحمـــــر كـــــالهجين

خالف ألوان بني الجون

---

(1) البلاذري، أنساب الأشراف (ص1\89).

(2) البغدادي، المنمق في أخبار قريش (ص352).

(3) ابن ظفر الصقلي، أنباء نجباء الأبناء (ص85).

فأجابته:

إن لـــه مـــن قبلـــي أجـــدادا بـــيض الوجـــوه كرامـــا أنجـــادا

مـــا ضـــرهم إن حضـــروا أمجـــادا أو كـــافحوا يـــوم الـــوغى الأنـــداد

ألا يكون لونهم سوادا [1]

والأم تسعد بالولد أكثر من البنت، وهي تعلم أن الرجل كذلك، فبغض البنات جعل أبو حمزة الضبي يهجر خيمة زوجته وذلك لأنها ولدت بنتا، فمر يوما بجانبها فإذا هي ترقصها وتقول:

مـــالا بـــي حمـــزة لا يأتينـــا يظـــل فـــي البيـــت الـــذي يلينـــا

غضـــبان ألا نلـــد البنينـــا تـــالله مـــا ذلـــك فـــي أيـــدينا

وإنمـــا نأخـــذ مـــا أعطينـــا ونحـــن كـــالأرض لزارعينـــا

ننبت ما زرعوه فينا [2]

فولج البيت وقبل رأسها ورأس ابنتها واعتذر لها عما بدر منه.

لذلك نجدها تفضل الولد حتى ولو كانت قابلا، تقول:

أيـــا ســـحاب طرقـــي بخيـــر وطرقـــي بخصـــية وأيـــر

ولا ترينا طرف البظير [3]

والأم تفضل الولد على البنت حتى ولو كان أحمقا، تقول أعرابية:

ولا أبـــالي أن أكـــون محمقـــة إذا رأيـــت خصـــية معلقـــة [4]

---

(1) القالي، الأمالي (ج1\35). والمرزباني، أشعار النساء (ص82).

(2) الجاحظ، البيان والتبيين (ج1 \165).

(3) المرجع السابق (ج1\164).

(4) المرجع نفسه ج1\164.

إنها لا تبالي أن يكون ابنها أحمقا، ما دامت تنظر إليه فترى علامة ذكورته فيسرها ذلك. وإذا لم ترزق بالأولاد تمنت أن يكون لها ولد، كهذه الأعرابية التي تزوجت ولم تنجب، فأخذت ترقص أطفال الحي، وتتمنى أن ترزق ولدا شجاعا مقداما كالأسد فتقول:

يـــا حســـرتا علـــى ولـــد أشـــبه شـــيء بالأســـد

إذا الرجـــال فـــي كبـــد تغـــالبوا علـــى نكـــد

كـــان لـــه حـــظ الأســـد [1]

والطفل حديث الولادة يوضع في اللفائف، وذلك للحفاظ على أطرافه وجسمه مما يسوؤه، والأم تتولاه بالرعاية والعناية بكل حب وحنان، وهذه الصورة ترسمها لنا فاطمة بنت أسد[2] أم عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه التي تحمل ابنها بين يديها بكل رفق وعطف وحنان، وقد وضعته في الفائف متمنية أن يسود قومه، كريما حليما نبيلا، يطعم في الليالي الباردة، تقول:

إن عقـــيلا كاســـمه عقيـــل وبيبـــي الملفـــف المحمـــول

أنـــت تكـــون الســـيد النبيـــل إذا تهـــب شـــمال بليـــل

يعطـــي رجـــال الحـــي أو ينيـــل[3]

والعرب تكره العيوب الخلقية في الأطفال كاللعثمة، وافتخروا بالطفل السليم من هذه العيوب، فهذه سلمى بنت عمرو[4] تفخر بابنها وتقول:

---

(1) ابن العديم، الداري في ذكر الذراري (ص17).

(2) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية أم علي بن أبي طالب، وأم إخوته طالب وعقيل وجعفر. قيل: إنها توفيت قبل الهجرة. وليس بشيء، والصحيح أنها هاجرت إلى المدينة، وتوفيت بها. قال الشعبي: أم علي فاطمة بنت أسد، أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وتوفيت بها. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة (ج212/7).

(3) البغدادي، خزانة الأدب (ج9 \226).

(4) سلمى بنت عمرو بن خنيس بن لوذان بن عبد ود أخت المنذر، وهي من بني ساعدة، كانت زوجة أحيحة بن الجلاح، وتزوجت بعده هاشم بن عبد المطلب. أسد الغابة (ج149/7)

إن بنـــي لـــيس فيـــه لعثمـــة ولـــم يلـــده مـــدع ولا أمـــة

يعـرف فيـه الخيـر مـن توسّـمه أروع ضـــحّاك بعيـــد هممـــة

إن أخـــر الله عـــن بنـــيّ الحمـــة يـــزحم مـــن زاحمـــه فيزحمـــه

أقــول قــولا لا كقــول الأثمــة[1]

مما سبق يتبين أن المرأة العربية أكثرت من وصف ابنها وصفا معنويا ؛ لما لهذه الصفات من أهمية بالغة في المجتمع العربي، ولكنها كانت مقلة في وصفة وصفا ماديا، واقتصر الوصف على الصفات التي لها علاقة بصحة النسب، وعراقة الأصل، أو ما يتعلق بالذكورة ؛ لأهمية الذكر في مجتمع يفضل الذكر على الأنثى ،وربما نجد بعض الملامح الأخرى.

ولكن الوصف المادي يظل قليلا جدا إذا ما قيس بالصفات المعنوية التي تأنقت فيها المرأة وتألقت، وأجادت فيها حين وصفت ابنها بها.

2- الابن الكبير:

أولا: الصفات المعنوية (الخلقية)

أ- الشجاعة والكرم:

الشجاعة والكرم صفتان متلازمتان في معظم النصوص الشعرية، "إذ كان السخاء أخا الشجاعة، وكانا في أكثر الأمور موجودين، في بعداء الهمم وأهل الإقدام والصولة."[2])

فالشجاعة قوة في الحرب والكرم قوة في السلم، وهذه القوة متأتية من أن الكرم قائم على قمع شره النفس، والتغلب على شحّها، وإيثار الآخرين عليها[3].

---

(1) البغدادي، المنمق في أخبار قريش (ص346). اللعثمة : التردد في الكلام. الحمة : الموت.

(2) ابن جعفر، نقد الشعر (ص 93).

(3) ينظر الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي (ص 321).

لذلك أكثرت الأم الشاعرة من ذكر هاتين الصفتين في شعرها، ووصفت ابنها بهما، تقول عمرة الخثعمية[1]:

هما أخوا في الحرب من لا أخا له ... إذ خاف يوما نبوة فدعاهما

هما يلبسان المجد أحسن لبسة ... شحيحان ما استطاعا عليه كلاهما

شهابان منا أوقدا ثم أخمدا ... وكان سنى للمدلجين سناهما

إذا نزلا الأرض المخوف بها الردى ... يخفض من جأشيهما منصلا هما

إذا استغنيا حب الجميع إليهما ... ولم ينأ من نفع الصديق عناهما

إذا افتقرا لم يجثما خشية الردى ... ولم يخش رزءا منهما مولياهما [2]

إنهما فارسان في الحرب، إذا عم البلاء لم يجبنا، بل يسارعان نصرة للمستغيث، وهما كريمان، لا تنطفىء نارهما في الليل، ليهتدي بها الساري والمدلج، وإذا مسهما الفقر لكثرة عطائهما، لم يجبنا عن الغزو ولم يقعدا خوفا من الهلاك، بل لا يحملا ن وليهما عبء فقرهما، فيبادران وينزلان الأرض التي يخشى الناس نزولها محتمين بسيفيهما.

وتقول ليلى بنت الأحوص[3] (أم بسطام بن قيس):

---

(1) عمرة الخثعمية، هي من نساء بني خثعم الشاعرات الأديبات المتحمسات وشعرها مقبول ولها رثاء في أخوين لها قتلا في بعض الغزوات.
لقد زعموا أني جزعت عليهما... وهل جزع أن قلت وا باباهما
هما أخوا في الحرب من لا أخا له... إذا خاف يوما نبوة فدعاهما
هما يلبسان المجد أحسن لبسة... شحيحان ما استطاعا عليه كلاهما. ينظر: العاملي، الدر المنثور (ص353).

(2) ماريني، شواعر الجاهلية (ص 283). النبوة: المحنة والبلية. يلبس المجد: يتمتع به. المدلج: الذي يسير في الليل.

(3) ليلى بنت الأحوص بن عمرو بن ثعلبة الكلبي: أمّ بسطام بن قيس الشيبانيّ. تكرر ذكرها في بعض أخبار بسطام. أسره عتيبة بن الحارث اليربوعي، يوم " صحراء فلج " من أيام الجاهلية، ففدته ليلى بثلاثمائة بعير. وكانت صاحبة رأي، قال لها بسطام يوما: إني أخدمتك (أي جعلت في خدمتك) أمة من كل حيّ، ولست منتهياً حتى اخدمك أمه من بني " ضبة " فقالت له: لا تفعل، فان بني ضبة حيّ لا يسلم ولا يغنم منهم من غزاهم. ولم يطعها، فغزاهم، فقتلوه. ينظر الزركلي، الأعلام (ج248/5).

فللـــه عينـــا مـــن رأى مثلـــه فتـــى إذا الخيـــل يـــوم الـــروع هـــب نزالهـــا

عزيـــز المكـــر لا يهـــد جناحـــه وليـــث إذا الفتيـــان زلـــت نعالهـــا

وحمـــال أثقـــال وعائـــد محجـــر يحـــل إليـــه كـــل ذاك رحالهـــا[1]

إن ابنهما فارس من فرسان تميم، لا يشق له غبار، ليس كمثله أحد، فهو الفارس الشجاع في حومات الوغى، والمقدام في وقت الخوف على أعدائه كالليث.

ثم تجمع جمعا بديعا بين الشجاعة والكرم، الذي تمثل في خوض حومات الوغى، وفك العاني، وإغاثة الأرامل والأيتام، وهذه مكانة عظيمة من الكرم. تقول:

وحمـــال أثقـــال وعائـــد محجـــر تحـــل إليـــه كـــل ذاك رحالهـــا

ســيبكيك عـــان لـــم يجـــد مـــن يفكـــه ويبكيـــك فرســـان الـــوغى ورجالهـــا

و تبكيـــك أســـرى طالمـــا قـــد فككـــتهم وأرملـــة ضـــاعت وضـــاع عيالهـــا

مفـــرج حومـــات الخطـــوب ومـــدرك ال حـــروب إذا صـــالت وعـــز صـــيالها[2]

وبمثل هذه الصفات تحدثت تماضر بنت الشريد السلمية، فوصفت ولدها بالشجاعة والبأس والسيادة والكرم، فهو فتى عبس الذي يذود عن حماها، تقول:

كـــأن العـــين خالطهـــا قـــذاها بحـــزن واقـــع أفنـــى كراهـــا

علـــى ولـــد وزيـــن البـــأس طـــرا إذا مـــا النـــار لـــم تـــر مـــن صـــلاها

لـــئن حزنـــت بنـــو عـــبس عليـــه فقـــد فقـــدت بـــه عـــبس فتاهـــا

---

(1) ماردیني، شواعر الجاهلية، (ص 298). يموت، شاعرات العرب، (ص93).

(2) ماردیني، شواعر الجاهلية (ص 298). يموت، شاعرات العرب (ص93). المحجر: المضطر. صال على قومه صولا وصيالا: سطا. والمصاولة والصيال: المواثبة. وصال عليه: وثب.

مجـــن الضـــيف إن هبـــت شـــمال مزعزعـــــــة يجاوبهـــــــا صـــــــداها

أســـــيدكم وحـــــاميكم تـــــركتم علـــــى الغبـــــراء منهـــــدما رحاهـــــا

تـرى الشـم الجحـاجح مـن بغـيض تبـــــدد جمعهـــــا فـــــي مصـــــطلاها

فيتركهـــا إذا اضـــطربت بطعـــن و ينهبهـــــا إذا اشـــــتجرت قناهـــــا

حذيفـــة لا ســـقيت مـــن الغـــوادي ولا روتـــــــك هاطلـــــــة نـــــــداها

كمـــا أفجعتنـــي بفتـــى كـــريم إذا وزنـــت بنـــو عـــبس وفاهـــا[1]

إن فقد الابن أحزن القبيلة بأكملها، لا لشيء إلا لما حواه من خصال حميدة، فهو فتاها وفارسها، وحامي الديار، ومفرق جماعات الأعداء ،ومطعم الطعام في الشتاء حين يعم القحط، ويقل الطعام، ويعز الجود.

وتصف أم الصريح الكندية أولادها بالشجاعة والجرأة، والصبر على الأذى، والثبات، ورفضهم الفرار من وجه عدوهم، وتفضيلهم للموت على الهوان. تقول:

هـوت امهـم مـاذا بهـم يـوم ضـرعوا بجيشـــان مـــن أســـباب مجـــد تضـــر مـــا

أبـوا أن يفـروا والقنـا فـي نحـورهم ولـــم يبتغـــوا مـــن رهبـــة المـــوت ســـلما

ولـــو أنهـــم فـــروا لكـــانوا أعـــزة ولكـــن رأوا صـــبرا علـــى المـــوت أكرمـــا[2]

تدعوا الأم على نفسها، بقولها هوت أمهم، وهو كقول العرب ثكلتك أمك، فأبناؤها لم يطلبوا نجاة من الموت بارتقاء سلم في السماء وهو مثل، أي لم يفروا ولو أنهم فروا بعد أن كثرتهم الخيل، وخذلهم الأصحاب، لكانوا أعزة، لم يلمهم الأصدقاء ولم يصبهم العدو لوضوح أمرهم ؛ لأنهم عرفوا بالشجاعة من قبل، فهي تصفهم بالمجد والشجاعة وأنهم ثبتوا في الحرب

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص44).

(2) البصري، الحماسة البصرية (ج1 / 236). ويموت، شاعرات العرب (ص 97 – ص 98).

مع إمكانهم الفرار، فأنفوا منه واختاروا الموت عليه [1].وتتساءل أم قيس الضبية، من بقي للحرب بعد ابنها ومن فارس الخيل المضمرة بعده، إنها تريد أن تقر حقيقة رسخت في ذهنها ووعاها قلبها، واستمكنت منها، وهي أن ابنها شجاع ليس كمثله أحد، فارس يجيد ركوب الخيل، حتى أن القوم لا يخشون الغياب عن الحمى، مادام هو خليفتهم فيها، لعلمهم أنه يكفيهم أمر الذود عن الحرمات، دونما خوف ولا ضعف ولا خور، فلا يضعف إذا ما ضعف الناس، بل تجده حادا، صلب القناة، قوي الشكيمة، صعب المراس. تقول:

من للخصوم إذا جد الضجاج بهم بعد ابن سعد ومن للضمّر القود

ومشهد قد كفيت الغائبين به في مجمع من نواصي القوم مشهود

إذا قناة امرئ أزرى بها خور هزّ ابن سعد قناة صلبة العود[2]

وتتسائل أم معدان الشيبانية[3] عن الذي سيغيث قومها في الشتاء حين يقل الزرع، ويجف الضرع، ويصعب العيش، ويشتد بالناس القحط، وهي هنا تريد أن تثبت صفة مهمة متأصلة فيه ألا وهي الكرم، وأي الكرم في الشدة والضيق، وقلة الزاد، وحاجة العباد، وهذا هو الكرم الحقيقي،حين يكون المرؤ غوثا لقومه في وقت شدتهم فيفرج عنهم كربتهم بالبذل والعطاء من الغالي والنفيس من ماله، برضى نفس. تقول:

معدان من للحي إذا هبت شآمية فجورا

عسراء من قبل الشمال تكاد تنتزع الكسورا

وتبادر القوم القداح وأغلت السنة الجزورا [4]

---

(1) ينظر الفارسي، شرح الحماسة، (ج2 / 425).

(2) يموت، شاعرات العرب، (ص87). وابن طيفور، بلاغات النساء (ص 177).

(3) لم أعثر لها على ترجمة.

(4) المرزباني، أشعار النساء (ص 127).

وتفاخر أعرابية بأبنائها، حيث أنهم شجعان لا مثيل لشجاعتهم، فهم يقتحمون الأهوال التي يعجز غيرهم عن اقتحامها، وذلك لعظيم همتهم، وكبير مطلبهم، وعلو مكانتهم، وهم من يعطي فيجزل في العطاء، العطاء الذي يعجز عنه غيرهم، فالشاعرة هنا جمعت فيهم الشجاعة والكرم معا حيث تقول:

دعوا من المجد أحيانا إلى أجل حتى إذا أكملت أطمارهم وردوا

كانت لهم همم فرقن بينهم إذا القعاديد عن أمثالهم قعدوا

بذل الجميل وتفريج الجليل وإعطاء الجزيل إذا لم يعطه أحد [1]

إن ابن سعد فارس شجاع، يجتنبه الفرسان، بل يجتنبون جواده، وهذا مبالغة من الأم، فسيفه سيظل وحيدا صدئا لعدم وجود فارس يعمله في جماجم الأبطال، وجواده لن يجد من يقوده بعده، فلا أحد يجيد ركوبه. تقول:

يا سيف ضبة لا يعضك بعده أبدا فتى بجماجم الأقران

جاء الفوارس جانبين جواده وأقام فارسه فتى الفتيان [2]

وتشيد كبشة بنت رافع بن معاوية[3] بابنها سعد بن معاذ، فتذكر شجاعته، وبأسه، ونصرته للدين، وفتكه بأعدائه وتشيد بمحامده وفضائله، تقول:

ويل أم سعد سعدا صرامة وجدا

وسؤددا ومجدا وفارسا معدا

سد به مسدا يقد هاما قدا[4]

---

(1) الأصبهاني، الزهرة (ص162).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص187).

(3) كبشة بنت رافع بن عبيد بن الأبجر وهو خدرة بن عوف بن الخزرج الأنصارية الخدرية، هي أم سعد بن معاذ الأشهلي، عاشت بعد ابنها وندبته لما مات. ينظر أسد الغابة (ج241/7).

(4) الحيالي، ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام، (ص 189). والتونجي، شاعرات في عصر النبوة، (ص 163).

لقد صدقت الأم في وصف ابنها، وأيد هذا القول ما قله (صلى الله عليه وسلم) حين أراد عمر أن يمنعها من البكاء "دعها يا عمر، كل باكية مكثرة إلا أم سعد، ما قالت من خير فلن تكذب " [1]وقال:"كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ "[2].

ويتجلى المدح في قول لبابة بنت الحارث، حيث تعدد صفات ابنها القائد العظيم خالد بن الوليد –رضي الله عنه–، فتتساءل أسئلة تقريرية فابنها، أشجع الشجعان، فهو أشجع من أسد بين أشباله بل يفوق مليونا من القوم، وهو أجود من سيل متدفق بين جبلين، وجاء مدحها هذا في رثاءها له بعد وفاته في بيته وعلى فراشه مما يدل على أن العرب مدحت من مات على فراشه، كما مدحت من مات في ساحات الوغى وإن جاء هذا المدح من ضمن قصيدة الرثاء، فالرثاء "باب واسع لا ينغلق على البكاء والتفجع بل ينفتح على الفخر والحماسة "[3]. تقول لبابة بنت الحارث:

أنـت خيـر مـن ألـف ألـف مـن القـو م إذا مـــا كبـــت وجـــوه الرجـــال

أجـــواد فأنـــت أجـــود مـــن ســـي ل أتـــى يســـتقل بـــين الجبـــال[4]

وتذكر زينب بنت العوام[5] كرم ولدها عبدالله بن حكيم:

أعينـــي جـــودا بالـــدموع فأفرغـــا علـــى رجـــل طلـــق اليـــدين كـــريم[6]

وتفخر أعرابية بأن ابنها لم يمت رعديدا جبانا، ولم يمت حتف أنفه. وإنما مات تحت ظلال السيوف، وهو يلبس الحديد،

---

(1) ابن ماجه، السنن، حديث رقم (1587). وأحمد، المسند (ج2 / 444).

(2) ابن هشام، السيرة النبوية (ج2 / 252).

(3) البياتي، دراسات في الأدب الجاهلي (ج 1 / 157).

(4) الحيالي، ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام (ص 281). والتونجي، شاعرات في عصر النبوة، (ص166).

(5) زينب بنت العوام أخت الزبير، وهي أم عبد الله بن حكيم بن حرام أسلمت، وبقيت إلى أن قتل ابنها يوم الجمل. أسد الغابة (ج134/7)

(6) الحيالي، ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام (ص 66). والتونجي، شاعرات في عصر النبوة، (ص81)

ويصول بين الجنود صولة الأسود، فتقول:

ختلتـــه المنـــون بعـــد اختيـــال بـــين صـــفين مـــن قنـــا ونصـــال

فـــي رداء مـــن الصـــفيح جديـــد وقمـــيص مـــن الحديـــد مـــذال

كنـــت أخبـــاك لاعتـــداء يـــد الـــدهر ولـــم تخطـــر المنـــون ببـــالي[1]

إن الأم تحاول أن تعزي نفسها وتطفئ حرقة قلبها، بعد فراق ابنها بأنه مات شجاعا مقداما، لذلك حرصت دائما على هذه الصفة، بل إنها تدفعه دفعا نحو المواقف المشرفة التي ترفع من قدره، وتعلي مكانته، تقول أم البراء بنت صفوان مخاطبة ابنها:

يـــا عمـــرو دونـــك صـــارما ذا رونـــق عضـــب المهـــزة لـــيس بـــالخوار

أســـرج جـــوادك مســـرعا ومشـــمرا للحـــرب غيـــر معـــرض لفـــرار

أجـــب الإمـــام ودب تحـــت لوائـــه وأفـــر العـــدو بصـــارم بتـــار

يـــا ليتنـــي أصـــبحت لـــيس بعـــورة فـــأذب عنـــه عســـاكر الفجـــار[2]

إنها تدعوه لنيل شرف الذود عن الخليفة علي بن أبي طالب والقتال في عسكره ببسالة.

وتحث بكارة الهلالية[3] –وهي من أنصار علي بن أبي طالب كرم الله وجهه– ابنها على نصرة الإمام، وبعد أن كانت قد ادخرت السيف وخبأته في بيتها ليوم عظيم، وها قد كبر الابن، فأجدر به أن يحمل السيف وينال الشرف:

يـــا زيـــد دونـــك فاســـتثر مـــن دارنـــا ســـيفا حســـاما فـــي التـــراب دفينـــا

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص182).

(2) المرجع السابق (ص184).

(3) بكارة الهلالية، كانت من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة، والإقدام، والفصاحة، والشعر، والنثر والخطابة حضرت مع علي بن أبي طالب حرب صفين ولها هناك مقالات حماسية جعلت كل من سمعها يقدم على الهلاك بدون مبالاة بالعواقب. ينظر العاملي، الدر المنثور (ص99).

قـــد كنـــت أذخـــره لكـــل عظيمـــة فـــاليوم أبـــرزه الزمـــان مصـــونا[1]

وتدعو ضباعة بنت عامر القشيرية لابنها الذي تزهو به، لجمعه بين الكرم وبسط ذات اليد، والجرأة والشجاعة والباس حتى غدا كأسد في غابة، لا يقوى على مواجهته أحد، فتتسامى بالطرب، إلى أعلى مراتبه حين تطلب منه حماية عورات المسلمين في الحرب. فتقول:

يـــــا رب الكعبـــــة المحرمـــــة انصـــــر علـــــى عـــــدو ســـــلمة

لـــه يـــدان فـــي الأمـــور المبهمـــة كـــف بهـــا يعطـــي وكـــف منعمـــة

أجـــرا مـــن ضـــرغامة فـــي أجمـــة يحمـــي غـــداة الـــروع عنـــد الملحمـــة

بسيفه عورة سرب المسلمة[2]

لعل الشجاعة والكرم صفتان نالتا اهتماما كبيرا من شواعر العرب في العصرين الجاهلي والإسلامي، وذلك لحرص العرب على التحلي بهما، وحبه أن يمدح بها، ولكون العرب في حاجة دائمة للرجل الشجاع المقدام في ساحات الوغى، وحين يشتد البأس، ويعم القحط، ويقل الطعام.

ب- الفصاحة:

لا تقل صفة الفصاحة والبيان، وطلاقة اللسان أهمية عن الشجاعة والكرم لتأثيرها في الناس، من أجل ذلك حرصت الأم على مدح ابنها بهما تقول أم قيس الضبية[3]:

مـن للخصـوم إذا جـد الضـجاج بهـم بعـــد ابـــن ســـعد ومـــن للضـــمّر القـــود

ومشـــهد قـــد كفيـــت الغـــائبين بـــه فـــي مجمـــع مـــن نـــواحي القـــوم مشـــهود

فرجتـــه بلســـان غيـــر ملتـــبس عنـــد الحفـــاظ وقلـــب غيـــر مـــزؤود

---

(1) سموت، شاعرات العرب (ص185).

(2) المرجع السابق (ص122).

(3) لم أقف لها على ترجمة.

إذا قنـــاة امـــرئ أزرى بهـــا خـــور هـــز ابـــن ســـعد قنـــاة صـــلبة العـــود[1]

فابنها، طلق اللسان، سريع البديهة، حاضر القلب، لا يعييه جواب مما جعله يكفي قومه عبء محاججة الخصوم، حين يشتد الخصام، ويعي الناس الكلام، فالشاعرة تذكر الشجاعة والفصاحة، والقوة والكرم، ولكنها تضمن الأبيات صفات ذهنية ؛ وهي الشدة وحسن التدبير، والنطق المحكم الذي يعجز الخصوم. وتجمع السلكة؛ أم السليك[2] كل الصفات الحسنة التي تفخر بها المرأة العربية في كلمة واحدة، حين تقول:

أي شـــــــــيء حســـــــــن للفتـــــــى لـــــــم يـــــــك لـــــــك [3]

فالشجاعة والكرم والفصاحة والبيان، والبر والحلم وغيرها كلها مجموعة في هذا البيت الشامل لكل الصفات المعنوية والحسية، ومثل ذلك ما وصفت به أم عمرو بن عدي بن زيد العبادي أنها حين جمعت الصفات المعنوية والحسية، أو الخلقية والخلقية في كلمة واحدة جامعة فتقول:

ويـح عمـرو بـن عـدي مـن رجـل حـــان يومـــا بعـــد مـــا قيـــل كمـــل

كـــان لا يعقـــل حتـــى مـــا إذا جـــاء يـــوم يأكـــل النـــاس عقـــل[4]

فكلمة (كمل) كلمة جامعة، لكل صفة حسنة محببة في الإنسان.

ت- البـــر:

بر الوالدين خلق عظيم، تخلق به العربي في كل العصور، وما شذ عن ذلك إلا القليل، لسوء خلق، أو انعدام تربية، أو بعد عن الدين. لذلك قد نجد من الشاعرات من تفاخر ببر ابنها

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 87).

(2) السُلَكة أمّ السُلَيك: هي شاعرة جاهلية وهي أمةٌ سوداء، وإليها ينسب أبنها السليك أحد بني مقاعس من الشعراء، أو أحد اللصوص الفتّاك، وزوجها عمرو بن يثربي ،ويقال لهُ عمير السعدي التميمي من الشعراء الصعاليك. ينظر: الأصفهاني، الأغاني (247/8)، وينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء (365/1).

(3) المرجع السابق (ص 63).

(4) عبد الرحمن، ديوان شعر الأيام (ص106).

لها، وأن بره ما بعده بر حتى غدا كل بر دونه، تقول امرأة تدعى أم عامر بنبرة ملؤها الإيمان والتسليم بقضاء الله وقدره، وروح هذبها الإسلام:

هـو الصـبر والتسـليم لله والرضـا إذا نزلـت بـي خطـة لا أشـاؤها

إذا نحـن أبنـا سـالمين بـأنفس كـرام رجـت أمـرا فخـاب رجاؤهـا

فأنفسـنا خيـر الغنيمـة إنهـا تئـوب ويبقـى ماؤهـا وحياؤهـا

ولا بـر إلا دون مـا بـر عـامر ولكـن نفسـا لا يـدوم بقاؤهـا

فـإن أحتسـب أؤجـر وإن أبكـه أكـن كباكيـة لـم يحـي ميتـا بكاؤهـا[1]

ث- العقوق:

لعل العقوق من أسوأ الأخلاق عند العرب، ولذلك حذر القرآن منه، قال تعالى:"إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ".

تقول أم ثواب الهزانية [2]:

ربيتـه وهـو مثـل الفـرخ أعظمـه أم الطعـام تـرى فـي ريشـه زغبـا

حتـى إذا آض كالفحـال شـذ بـه أبّـاره ونفـى عـن متنـه الكربـا

أنشـأ يمـزق أثـوابي ويضـربني أبعـد شـيبي عنـدي يبتغـي الأدبـا

إنـي لأبصـر فـي ترجيـل لمتـه وخـط لحيتـه فـي وجهـه عجبـا[3]

---

(1) التونجي، شاعرات عصر النبوة (ص222). ابن عبد ربه، العقد الفريد (ج3\216).

(2) ليس لها ترجمة إلا مناسبة الأبيات .

(3) يموت، شاعرات العرب (104). الأصفهاني، شرح ديوان الحماسة، (ص537). والمبرد، الكامل، (ج1\192). الفرخ: صغير الطير. الزغب: ما يبدو من ريش. أم الطعام: المعدة. آض :صار. الأبار: الملقح للنخل. الكرب: أصول الأعذاق. المتن: الظهر. ترجيل: تسريح. اللمة: شعر الرأس يلم بالمنكب.

قدمت الشاعرة شكواها من عقوق ابنها، بذكر تربيتها ورعايتها لولدها حين كان صغيرا، فهو في صغره وضعفه، وتساقط قوته، وتخلخل بنيته، ورخاوة مفاصلة ، كفرخ القطا الذي لم يستبدل زغبه شكيرا، ولا بانحلال عقده تماسكا فأقبلت تربيه وأعظم شيئ فيه بطنه، وأرقيه في مدارج النشأ والترشيح وهو لا يميز ما ينفعه مما يضره، في صيانة كاملة، وشفقة بارعة، وحفظ متصل، واشفاق مطرد، ولم أزل أتفقده، حتى استكمل شبابه، وبرع نباته، وامتد قوامه، فصار كفحل النخل وقد قتل منه شذبه، وألقى عن ظهره كربه، ليكمل طوله، ويتم غراسه، لكنه بعد أن بلغ هذا المبلغ ابتدأ يضربني ويمزق ثيابي، مرشدا ومؤدبا، وتتساءل متعجبة أبعد الشيب يطلب تأديبي ؟! ثم إن هذا الابن العاق الذي يضرب أمه العجوز – وهو أشد العقوق ونكران الجميل ،وقطع الرحم – يفعل ما فعل مدفوعا من زوجته التي تحرضه في السر، وتظهر غير ذلك في العلن. وتقول:

إنـــي لأبصـــر فـــي ترجيـــل لمتـــه وخـــــط لحيتـــــه فـــــي خـــــده عجبـــــا

قالـــت لـــه عرســـه يومـــا لتســـمعني مهـــــلا فـــــإن لنـــــا فـــــي أمنـــــا أربـــــا

ولـــــو رأتنـــــي فـــــي نـــــار مســـــعرّة ثـــم اســـتطاعت لـــزادت فوقهـــا حطبـــا [1]

إنها تتعجب تحول ابنها من حالته الأولى صغيرا ضعيفا، إلى ذلك الرجل القوي الذي يرجل لمته، ويطيع زوجته، التي تنافق أمه سمعة ورياء وتقول: كف عن إيذاء أمنا، فإننا بحاجة إليها. لكن الأم أخبر بمكنون سريرتها، وما ينطوي عليه قلبها، وأن تود لو أن الابن يزيد في تعذيب أمه، فهي لو وجدتها في نار محرقة لزادت النار احتراقا.[2]

إذا كانت زوجة الابن العاق سابق الذكر كانت حانقة على أمه كارهة لها، من دون ما ذنب ولا جريرة فإنما الأم في موضع اخر تتصرف تصرفا مغايرا، فلا ترضى لابنها العاق الذي أغضبها ولم يسمع كلامها، وتزوج امرأة لم تكن راضية عنها، لم ترضى له أن يطلقها، رغم ما تتصف به الزوجة من خبث وسوء طبع، وتطلب منه أن يصبر عليها ويسامحها، ويفعل معها فعل الأحرار، لعل صروف الدهر تهلكها وتكفيها شرها، فكم من كريم قد ابتلي بامرأة سيئة

---

(1) المبرد، الكامل (ج 1\ 192). ويموت، شاعرات العرب، (ص104). عرسه: زوجته. الأرب: الحاجة. مصعرة: موقدة.

(2) ينظر الأصفهاني، شرح ديوان الحماسة (ص537).

الأخلاق وصبر عليها حتى هلكت، فأبدله الله امرأة حسنة عفيفة، دقيقة الخصر مصقولة الظهر وثغر كثير النظافة، مجلو الأسنان، صغير طيب الرائحة. تقول:

لعمري لقد أخلفت ظني وسوءتني فحزت بعصياني الندامة فاصبر

ولاتك مطلاقا ملولا وسامح ال قرينة وأفعل فعل حرّ مشهّر

فقد حزت بالورهاء أخبث خبثة فدع عنك ما قد قلت يا سعد واحذر

تربص بها الأيام عل صروفها سترمي بها في جاحم مستعر

فكم من كريم قد مناه الإله بمذمومة الأخلاق واسعة الحر

فطاولها حتى أتتها منية فصارت سفاة جثوة بين أقبر

فأعقب لمّا كان بالصبر معصما فتاة تمشّى بين إتب ومأزر

مهفهفة الكشحين محطوطة المطا كمها الفتى في كل مبدى ومحضر

لها كفل كالدعص لبّده الندى وثغر نقي كالأقاحي المنور[1]

إن الأم ترى أن عصيان ابنها لها أورثه الندامة لكنها رغم عدم رضاها عن فعله، وعن زوجته، لا ترضى لابنها أن يكون مطلاقا وتحثه على الصبر، عسى الله أن يأخذها ويهلكها، ويبدله خيرا منها، إلا أنه لا يسمع لقولها ويرد عليها هاجيا لها ومتمنيا هلاكها فيقول:

يا ليت ما أمنا شالت نعامتها أيما إلى جنة أيما إلى نار

---

(1) التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ج2 \ 409 \411). ويموت، شاعرات العرب (ص102، ص103). المطلاق: كثير الطلاق. الورهاء: الحمقاء. التربص: الإنتظار. صروف الأيام: نوائبها ومصائبها. الجاحم: النار الشديدة. مناه: ابتلاه. الحر: فرج المرأة. السفاه: الكومة من التراب. الجثوة: الحجارة المجموعة. محطوطة المطا: ناعمة الظهر. كمها الفتى: كما يحب. الضعص: ما استدار من الرمل. الأقحوان: زهر أبيض.

تلــتهم الوســق مشــدودا أشــظنه كأنمـــا وجههـــا قـــد طلـــي بالقـــار

ليسـت بشـبعي ولـو أوردتهـا هجـرا ولا بريـــا ولـــو قاظـــت بـــذي قـــار[1]

تقول:

خرقــاء بــالخير لا تهــدي لوجهتــه وهــي صــناع الأذى فــي الأهــل والجــار[2]

إن هذا الابن لم يعق أمه فعلا فقط، بل وقولا أيضا، فهجاها هجاء مقذعا وتمنى موتها غير مكترث بمصيرها إلى جنة أو إلى نار، فهي تلتهم الوسق (ستون صاعا) ولا تشبع حتى ولو نزلت بهجر التي يكثر بها التمر، ولا ترو ولو قاظت بذي قار ثم يسمها بسواد الوجه كأن وجهها طلي بالقار، وهو الزفت. ثم إنها تحاول وعظه فلا يتعظ تقول:

حــذاري بنـــي البغـــي لا تقربنـــه حـــذاري فـــإن البغـــي وخـــم مراتعـــه

وعرضــك لا تبــذل بعرضــك إننـــي وجــدت مضــيع العــرض تلحــى طبائعــه

وكـم قـد رأينـا الـدهر غـادر باغيـا بمنزلـــة ضـــاقت عليـــه مطالعـــه[3]

فلم يزل به شره، حتى وثب على ابن عم له، فأوقعه ابن عمه على الأرض فدق عنقه فمات. فقالت كالشامتة:

مــازال ذو البغــي شــديد هبصــه يطمـــر مـــن يقهـــره ويهصـــه

ظلمـــا وبغيـــا والـــبلاء تنشصـــه حتـــى أتـــاه قرنـــه فيقصـــه

فعاد عنه خاله وعرصه[4]

---

(1) التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ج 2\411).

(2) السيوطي، شرح شواهد المغني (ج1\186).

(3) المرزباني، أشعار النساء (ص 91).

(4) المرجع السابق (ص91). والسيوطي، شرح شواهد المغني (ج1\187). الهبص: العجلة. يهصه: يطأه ويشدخه. القص:قطع الهدب والشعر وأطراف الأذنين.

ج- الغـــدر:

الأم لا ترضى أن يعق ابنها ولي نعمته، ويجحد فضل من أحسن إليه، فإذا ما فعل، سارعت للومه والدعاء عليه، حتى لو كان صاحب الفضل من أعدائها فإنه لا ينبغي له أن يخونه ويكفر نعمته. فأم ناشرة التغلبية أنكرت على ابنها ناشرة قتل همام بن مرة البكري، الذي تبناه ورباه، وذلك عندما نشبت حرب بكر وتغلب، حيث مال إلى قومه التغلبيين، تقول:

ألا ضـــيع الأيتـــام طعنـــة ناشـــرة أناشـــــر لا زالـــــت يمينـــــك واتـــــرة

قتلـت رئـيس النـاس بعـد رئيسـهم كليـــب ولـــم تشـــكر وانـــي لشـــاكرة [1]

إنها تدعو على ولدها ببتر يده التي طاوعته وقتلت ولي نعمته، فلم يحفظ الجميل ،بل كان غادرا ، ماكرا، قاطعا للرحم عاقا لولي النعمة، ولم يراعي إلا ولا ذمة في ولي النعمة، وسيد القوم بعد كليب، ولذلك نجدها تسارع بالفخر بابنها، معلنة أنه لا يغدر بأحد حتى وإن غدر به، تقول أم معدان الشيبانية:

معـــدان مـــن للحـــي إذا هبـــت شـــآمية فجـــورا

عســـراء مـــن قبـــل الشـــمال تكـــاد تنتـــزع الكســـورا

وتبـــادر القـــوم القـــداح وأغلـــت الســـنة الجـــزورا

غـــدرت بـــه بهـــراء ولـــم يكـــن ابنـــي غـــدورا[2]

وتفخـر عمـرة الخثعميـة بوفـاء ابنيهـا وعونهمـا لقومهمـا، دونمـا عجـز أو ضـعف أو خشية من غدر، أو خذلان، فتقول:

همـا أخـوا فـي الحـرب مـن لا أخـا لـه إذا خـــاف يومـــا نبـــوة فـــدعاهما

إذا نـزلا الأرض المخوفـة بهـا الـردى يخفـــض مـــن جأشـــيهما منصـــلاهما

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص39).

(2) المرزباني، أشعار النساء (ص127).

إذا اســـتغنيا حـــب الجميـــع إليهمـــا ولـــم ينـــأ مـــن نفـــع الصـــديق غناهمـــا

إذا افتقـــرا لـــم يجثمـــا خشـــية الـــردى ولـــم يخـــش رزءا منهمـــا مولياهمـــا[1]

ثانيا: الصفات الحسية (الخلقية):

الأم مقلة في وصف ابنها الكبير وصفا خلقيا، وذلك لأنها كغيرها، تهتم بالصفات المعنوية التي تناسب المرحلة العمرية، فالابن غدا رجلا قويا، شجاعا كريما، حليما ذا همة عالية.... أما الصفات الخلقية فتناسب مرحلة الطفولة أكثر، لكننا نجد بعض الذكر للصفات الخلقية بشكل موجز وقليل ومن ذلك قول أم بسطام ابن قيس:

لبيك ابـن ذي الجـدين بكـر بـن وائـل فقـــد بـــان منهـــا زينهـــا وجمالهـــا

إذا مـــا غـــدا فـــيهم غـــدوا وكـــأنهم نجـــوم ســـماء بيـــنهن هلالهـــا[2]

تقول إن بكر بن وائل فقدت الجمال والحسن بفقد ابنها الذي يشبه القمر بين النجوم، إنها تصف ابنها وصفا مجملا، فالقمر يضرب به المثل في الجمال العام دون تفصيل.

وتفخر الخرنق بأبنائها وقومها، مظهرة صفة الفحولة والرجولة والقوة من خلال صفة خلقية، حيث كثافة الشعر في الجسم عامة، وفي الذراعين خاصة. تقول:

النـــــازلون بكـــــل معتـــــرك والطيبـــــــــون معاقـــــــــد الأزر

الضـــــاربون بحومـــــة نزلـــــت والطعـــــانون بـــــأذرع شـــــعر[3]

فالذراعان غطاهما الشعر رجولة وفحولة وقوة في البنيان الجسدي.

---

(1) المرزباني، أشعار النساء (ص127). والأصفهاني، شرح ديوان الحماسة (ص759).

(2) ماريني، شواعر الجاهلية (ص298).

(3) الخرنق، الديوان (ص43- ص44).

وتصف زوجة عبدالله بن عباس ابنيها بالدرتين اللتين تشقق عنهما الصدف فتقول:

يـا مـن أحـس بنيـي اللـذين همـا كالـــدرتين تشـــظى عنهمـــا الصـــدف[1]

وتذكر امرأة أعرابية أن ابنها لجماله وحسن جلاله كان لهوا للعيون وقرة لها، يعجب الناظرين لجماله وحسنه تقول:

لـــئن كنـــت لهـــوا للعيـــون وقـــرة لقـــد صـــرت ســـقما للقلـــوب الصـــحائح [2]

لا يكون المرء لهوا للعيون، إلا إذا كان وسيما جميلا، يسر الناظرين إليه، يعجبهم بحسنه وجماله، ويسلب الألباب بظرفه وحسن فعاله.

لم تكثر المرأة في وصف الابن الكبير وصفا خلقيا حسيا، وأكثرت من الصفات الخلقية المعنوية، وربما لأن الصفات الحسية لا تناسب الشباب وما فيه من الرجولة والفحولة، لذلك أهملتها حين تحدثت عنه كبيرا، وأكثرت منها حين كان صغيرا، لأن الصفات الحسية تناسب الأطفال الصغار، ولا تناسب الكبار.

(1) يموت، شاعرات العرب (ص178).

(2) ابن عبدربه، العقد الفريد (ج213/3).

المبحث الثالث:

الأخ

المطلب الأول: مكانة الأخت عند أخيها:

أحب الأخ أخته وأعزها، وأحبت الأخت أخاها واعتزت به، ومن مظاهر حب الأخ لأخته مقاسمته إياها في ماله، جاء في حديث الخنساء لعائشة _ رضى الله عنها _ أذ قالت إن والدي زوجني رجلا مبذرا، فأذهب ماله، فأتيت إلى صخر فقسم ماله شطرين، فأعطاني خيرهما، ثم ضيع زوجي ماله مرة أخرى، فقسم أخي ماله شطرين، فأعطاني خيرهما. فلما كانت المرة الثالثة قالت امراته: أما ترضى أن تعطيها النصف حتى تعطيها الخيار ؟ فقال:

والله لا أمنحهـــــــا شـــــــرارها وهـــي حصـــان قـــد كفتنـــي عارهـــا

وإن هلكـــــت خرَّقـــــت خمارهـــــا واتخـــذت مـــــن شـــعر صـــدارها

فآليت ألا يفارق الصدار صدري ما بقيت. [1]

ومن مظاهر حب الأخ لأخته الاستماع لمشورتها، والإذعان لرأيها في أمور شتى ومن ذلك أن سفانة ابنة حاتم الطائي _ بعد ان أطلقها النبيصلى الله عليه وسلم من السبي وكساها _ لحقت بأخيها عدي، وكان قد فر الى الشام هاربا، فرغبته في الإسلام ،وأن يلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا، وجاء في كلامها:" فأن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكا فلن تذل في عز اليمن وأنت أنت " فقال لها: " والله إن هذا للرأي، وقدم على رسول الله وأسلم. [2]

وكان الأخ يحمي أخته حتى من زوجها القوام عليها، ومن ذلك أن كليب وائل قتل لبيد بن عنبسه زوج أخته، وكان قد لطمها لطمه شديدة، سجرت منها عيناها، وتنقض من قدر اخيها، وفي الحادثة تقول:

مـــا كنـــت أحســـب والحـــوادث جمـــة أنّـــا عبيـــد الحـــي مـــن غســـان

---

(1) ينظر الجاحظ، المحاسن والاضداد (ص 171).

(2) ينظر النووي، نهاية الادب في فنون الادب (ج 79/18).

حتـــى علتنـــي مـــن لبيـــد لطمـــه ســـجرت لهـــا مـــن حرهـــا العينـــان

إن تـــرض تغلـــب وائـــل بفعـــالهم تكـــن الأذلـــة عنـــد كـــل رهـــان

لـــولا الوجيهـــة قطّعتنـــي بكـــرة جربـــاء مشـــعلة مـــن القطـــران [1]

وكان من أثر ذلك حرب زبون بين اليمنيين ومضر ومن حالفهما. [2]

ومن حبه لها، وتقديره وإعزازه، أن يجير من أجارت، فقد أجارت امرأة من بني قيس بن ثعلبة، السليك بن السلكة حين استجار بها من بكر بن وائل، وحين أراد القوم أخذه عنوة، وغلبوها، ونزعوا خمارها، صرخت في إخواتها وكانوا عشرة، فمنعوا القوم وأجاروا السليك، فضرب بها المثل، فقالت العرب أوفى من فكيهة، وفي ذلك يقول السليك مادحا[3]:

لعمـــر أبيـــك والأنبـــاء تنمـــي لـــنعم الجـــار أخـــت بنـــي عـــوارا

مـــن الخفـــرات لـــم تفضـــح أباهـــا ولـــم ترفـــع لإخوتهـــا شـــنارا

ومـــا عجـــزت فكيهـــة يـــوم قامـــت بنصـــل الســـيف واســـتلبوا الخمـــارا [4]

والأخ يغار على أخته_ كما يغار على زوجته ،ومن ذلك أن القتال _ عبدالله المضرحي كان يتحدث إلى ابنة عمه، فرآهما أخوها زياد، فنهى القتّال، وحلف لئن رآه ثانية ليقتلنّه وبعد أيام رآه يحدثها، فأراد ضربة بالسيف ففر القتال هاربا، فتبعه زياد، فلما دنا منه زياد ناشده القتال بالله وبالرحم، فلم يلتفت اليه، فعطف القتال على زياد فقتله [5] وقال:

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص31).

(2) ينظر الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص316).

(3) السُّلَيْك بن السُّلَكَة.(000 – نحو 17 ق هـ = 000 – نحو 605 م). السليك بن عمير بن يثربي بن سنان السعدي التميمي، والسلكة أمه: فاتك، عدّاء، شاعر، أسود، من شياطين الجاهلية. يلقب بالرئبال. كان أدلّ الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها. له وقائع وأخبار كثيرة. وكان لا يغير على مضر. وإنما يغير على اليمن، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة. قتله أسد ابن مدرك الخثعميّ. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج115/3).

(4) فرحات، ديوان الصعاليك (ص187– ص 188).

(5) ينظر الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص317)

نشـــدت زيـــادا والمقامـــة بيننـــا وذكرتـــه أرحـــام ســـعد وهيـــثم

فلمـــا رأيـــت أنـــه غيـــر منتـــه أملـــت لـــه كفـــي بلـــدن مقـــوم

ولمـــا رأيـــت اننـــي قـــد قتلتـــه نـــدمت عليـــه أي ســـاعة منـــدم [1]

وهو يغار عليها من أن يتغزل بها أحد لأن في غزله تشهيرا بها، وجرحا لشرف أهلها، علم الأصبع بن محصن أن ابن الدمينة يحب أخته جنوب، فآلى يمينا لئن عرض لها، أو زارها ليقتلنّه، ولئن عرّض بها في شعره، أو ذكرها ليأسرنّه ثم لا يطلقه حتى يجز ناصيته في نادي قومه، فبلغ ذلك مالكا فقال:

فمـا الحلـق بعـد الأسـر شـر بقيـة مـن الصـد والهجـران وهـي قريـب

أحـــب هبـــوط الـــواديين وإننـــي لمشـــتهر بـــالواديين غريـــب

أحقـــا عبـــاد الله أن لســـت خارجـــا ولا والجـــا إلا علـــى رقيـــب

وهـــل ريبـــة فـــي أن تحـــن نجيبـــة إلـــى إلفهـــا أو أن يحـــن نجيـــب [2]

لهذا كان الغزل بالأخت يتخذ أحيانا وسيلة للكيد والإغاظة والتجريح، كما تغزل قيس بن الخطيم[3] بعمرة بنت رواحة في تمهيده للفخر بانتصار الأوس على الخزرج في يوم بعاث:

أتعـــرف رســـما كـــاطّراد المـــذاهب لعمـــرة وحشـــا غيـــر موقـــف راكـــب

تـــراءت لنـــا كالشـــمس تحـــت غمامـــة بـــدا حاجـــب منهـــا وضـــنت بحاجـــب [4]

---

(1) العبيدي، التذكرة السعدية في الاشعار العربية (ص5)

(2) الزجاجي، الأمالي (ص154)

(3) قيس بن الخطيم واسمه ثابت بن عيدي بن عمرو بن سواد بن ظفر وهو كعب بن الخزرج بن عمرو وهو النبيت بن مالك بن الأوس بن حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن ابن الأزد. وقيس يكنى أبا يزيد وكان مقرون الحاجبين أدعج العينين أحم الشفتين براق الثنايا حسن الصورة. شاعر مجيد فحل. ينظر المرزباني، معجم الشعراء، (ص321).

(4) ابن الخطيم، الديوان (ص15).

فرد عليه عبدالله بن رواحة عدوانا بعدوان، وتغزل في ليلى بنت خطيم أخت قيس:

اشـاقتك ليلـى فـي الخلـيط المجانـب نعم فرشاش الدمع فـي الصدر غـالبي[1]

ومن حب الأخ لأخته حمايتها وافتداؤها بكل غال ونفيس، فالعصر الجاهلي كان عصر حروب ونزاعات، فإذا ما وقعت الأخت في الأسر، افتداها أخوها بأعز ماله، فقد أسر عمرو بن الحارث العكلي، حسينة بنت جابر العجلي؛ أخت أبجر بن جابر في يوم العذاب في الجاهلية، ففاداها أخوها أبجر بمائة من الإبل وخمسة أفراس، فسار معها عمرو بن الحارث حتى جوزها أرض تميم، وقال مصورا موقف أخيها أبجر، وحرصه على فداء أخته:

وكانـت صـفوتي مـن سـبى عجـل حسـينة مـن كواعـب كالظبـاء

وهبناهـا لأبجـر إذ أتانـا وفينـا غيرهـا مـنهم نسـاء

فكـان ثوابـه منهـا جيـادا وسـوق هنيـدة فيهـا رعـاء [2]

ومن حبه لها أنه حريص على أن تحيا حياة سعيدة بعد زواجها، حياة كريمة، تصان فيها كرامتها، مع رجل يحقق لها العزة والمتعة، يقول امرؤ القيس في وصيته لأخته هند:

أيـا هنـد لا تنكحـي بوهـة عليـه عقيقتـه، أحسـبا

مرسـعة بـين أرسـاغة بـه عسـم يبتغـي أرنبـا

ليجعـل فـي كفهـا كعبهـا حـذار المنيـة أن يعطبـا

ولسـت بخذرافـة فـي قعـود ولسـت بطيّاخـة، أحـدبا

ولسـت بـذي رثيـة، إمّـر إذا قيـد مسـتكرها أصـحبا

وقالـت بنفسـي شـباب لـه ولمتـه، قبـل أن يشـجبا

---

(1) ابن الخطيم، الديوان (ص36).

(2) المرزباني، اشعار النساء (ص133).

وإذ هـــي ســـوداء مثـــل الفحـــيم تغشّـــي المطانـــب والمنكبـــا [1]

والأخت كذلك تحب أخوها، وتعتز به، وكثيرا ما كانت تؤثره على زوجها، "لأن روابط العاطفة في الجماعات الأولى كانت بين الأب وابنته، والأخ وأخته، أقوى منها بين الزوج وزوجته. [2]

ولم لا وهو ملجؤها في وقت العسر والضيق فقد كان صخر ابن الشريد حلالا لمشكلات أخته الخنساء المالية كما أسلفنا تقول مصورة ذلك:

وكنـــت إذا مـــا خفـــت أرداف عســـرة أظـــل لهـــا مـــن خيفـــة أتقنـــع

دعـــوت لهـــا صـــخر النـــدى فوجدتـــه لهـــا يســـرا يجلـــى بـــه العســـر أجمـــع [3]

لذلك ليس غريبا أن نجد الأخت تطلق لسانها متغنية بمناقب أخيها صانعة منه نموذجا فريدا قل مثيله، فهو في الحرب الفارس الشجاع المقدام، الصبور على مجالدة الأعداء، وهو في الجدب والقحط جواد كريم، يعطي بسخاء، راضي النفس، يشمل كرمه الضيف الغريب، والطفل الصغير، والمرأة الأرملة، وسائر الفقراء، وهو في المجالس الحكيم الحليم ،الفصيح، يحاجج عن قومه، ويدفع خصومة.

فإذا ما فقدته بالموت، شقت جيبها، وخمشت وجهها، ولطمت خدها، وحلقت شعرها، وضربت بالنعال صدرها، وبكته بحرقة وألم، ورثته متفجعة متوجعة.

---

(1) امرؤ القيس، الديوان (ص80). بوهة : بومة، العسم : اليبس في مفصل الرسغ، الخذرافة : الخفيف الكثير الكلام، الطياخة : الذي طالما يقع في بلية وسوء، الاحدب : الاحمق، يشجب : يموت، المطانب : جمع مطنب وهو العائق

(2) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص319).

(3) الخنساء، الديوان (ص77 – ص 78).

المطلب الثاني: صورة الأخ في شعر النساء

أولا: الصورة المعنوية:

أ- السيادة:

أكثرت شواعر العرب في العصرين الجاهلي والإسلامي، من نعت إخوانهن بالسيادة والريادة والقيادة، حيث إن السيد يمثل بطلا عظيما من أبطال القبيلة، وبه يقتدى بقية الأبطال، وقد وقف العرب كثيرا عند صفاته التي يجب أن يتصف بها، واشترطوا أن يكون جامعا بجوانب البطولة المختلفة كأن يتحمل أذى قومه، ولذلك قيل للسيد (محتمل أذى قومه) وأن يكون شريفا في أفعاله، حليما يغض نظره عن أعمال الحمقى والجهلة، وأن يتجاهل السفلة السفهاء، فلا يغضب ولا يثور، وأن يكظم غيظه، وأن يحترم الناس مهما كانت منازلهم، وأن يؤلف بينهم، ويكتسب محبتهم، وأن يكون ملاذهم، وأن يجعل بيته بيتا للجميع، ومضيافا لكل من يغدو إليه من كبير أو حقير أو صغير، وأن يفتح قلبه للجميع وعليه أن يكون في مقدمة القوم في الحروب والغزو، وأن يكون شجاعا لا يهاب الموت حتى يكسب النصر لقومه ولنفسه. [1]ولا يشترط أن تتوفر في السيد كل الصفات السابقة، فقد تتوفر له بعضها، وقد لا تتوفر له أخرى، وشروط السيادة تختلف من قبيلة الى أخرى، يقول الجاحظ " كانت العرب تسود على أشياء، أما مضر فتسود ذا رأيها، وأما ربيعة فمن أطعم الطعام، وأما اليمن فعلى النسب، وكان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال: السخاء، والنجدة، والصبر، والحلم، والتواضع ،والبيان، وصار في الإسلام سبقا وقيل لنفيس بن عاصم بم سدت قومك ؟ قال: ببذل الندى، وكف الأذى، ونصرة المولى، وتعجيل القرى، وقد يسود الرجل بالعقل والعفة، والأدب والعلم، قال بعضهم: السؤدد اصطناع العشيرة، واحتمال الجريرة " [2]تقول ناجية بنت ضمضم في رثاء أخيها هرم:

يـــا لهـــف نفســـي لهفـــه المفجـــوع أن لا أرى هرمـــــا علـــــى مـــــودوع

مـــن أجـــل ســـيدنا ومصـــرع جنبـــه علـــق الفـــؤاد بحنظـــل مجـــروع [3]

---

(1) ينظر دراوشة، القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي (ص90).

(2) الالوسي، بلوغ الأرب (ج187/2).

(3) يموت، شاعرات العرب، (ص47).مودوع : اسم جواده.

فأخوها سيد قومه الذي فجعت بموته حتى أنها لا تطيق أن ترى أحدا على فرسه غيره.
وصخر بن الشريد سيد قومه، فهو شريف النسب، عالي المجد، تقول الخنساء:

مـــورث المجـــد ميمـــون نقيبتـــه ضـــخم الدســـيعة فـــي العـــزاء مغـــوار

فـــرع لفـــرع كـــريم غيـــر مؤتشـــب جلـــد المريـــرة عنـــد الجمـــع فخـــار [1]

وهو سيد يخضع له الناس، ويقومون له إجلالا وتعظيما وتقديرا:

ملـــك ماجـــد يقـــوم لـــه النـــا س جميعـــا قيـــامهم للهـــلال [2]

ولا يستطيع أحد أن يصل الى منزلة رفيعة إلا وكانت منزلته أعلى، تقول:

علـــى ماجـــد ضـــخم الدســـيعة بـــارع لـــه ســـورة فـــي قومـــه لا تحـــول

فمـــا بلغـــت كـــف امـــرئ متنـــاول بهـــا المجـــد الا حيثمـــا يلـــت أطـــول [3]

وما نال صخر المكانة العالية بين قومه إلا لأنه حاز من كل مكرمة أعلاها تقول:

وإن صـــــخرا لوالينـــــا وســـــيدنا وإن صـــــخرا إذا نشـــــتو لنحـــــار

وإن صـــــخرا لمقـــــدام إذا ركبـــــوا وإن صـــــخرا إذا جـــــاعوا لعقـــــار

وإن صـــــخرا لتـــــاتم الهـــــداة بـــــه كأنـــــه علـــــم فـــــي رأســـــه نـــــار

جلـــد جميـــل المحيـــا كامـــل ورع وللحـــروب غـــداة الـــروع مســـعار

حمـــال الويـــة هبـــاط أوديـــة شـــهاد أنديـــة للجـــيش جـــرار

---

(1) الخنساء، الديوان (ص47)،فرع الفرع: أي رأس لرأس، المؤتشب : المخلوط النسب، المريرة: ابرام الرأي.
(2) المصدر السابق (ص88).
(3) المصدر نفسه (ص91).

نحّـــار راغيـــة ملجـــاء طاغيـــة فكـــاك عافيـــة للعظـــم جبـــار [1]

تقول:

قـد كـان فـيكم أبـو عمـرو يسـودكم نعـــم المعمـــم للـــداعين نصـــار

إن اجتماع كل الخصال السابقة لأخيها، أهلته لسيادة قومه صغيرا، تقول:

رفيـــع العمـــاد طويـــل النجـــا د ســـــاد عشـــيرته أمـــردا

إذا بســـط القـــوم عنـــد الفضـــال أكفهـــم تبتغـــي المحمـــدا

وكـــان ابتـــدارهم للعلـــى أشـــار فمـــد إليهـــا يـــدا

فنـــال التـــي فـــوق أيـــديهم مـــن المجـــد ثـــم انتمـــى مصـــعدا [2]

وتذكر الخرنق بنت بدر أن أخاها طرقة ساد قومه شابا فتقول:

عـددنا لـه خمسـا وعشـرين حجـة فلمـا توفاهـا اسـتوى سـيدا ضـخما [3]

وتقول الخنساء وهي تحث عينيها على البكاء لفقد الفتى السيد الجريء المقدام:

ألا تبكيـــان الجـــريء الجميـــع ألا تبكيـــان الفتـــى الســـيدا [4]

وتبكي رائطة بنت شيظم [5]أخويها السيدين اللذين يحميان الديار، ويدفعان الأعداء بشجاعة وبأس فتقول:

---

(1) الخنساء، الديوان (49)،

(2) المصدر السابق (ص31).

(3) الخرنق بنت بدر، الديوان (ص15).

(4) الخنساء، الديوان (ص31).

(5) لم أعثر لها على ترجمة.

لهفـي علـى الأخـوين كالأسـدين مسـعود وحـاتم

السـيدين المـانعين الذائـدين عـن المحـارم

الفـاتقين الـراتعين السـابقين إلـى المكـارم [1]

إنهما شجاعان يدافعان عن المحارم بجرأة الأسود ،سباقان إلى المكارم والمحامد وهذه صفات سادة الناس ،والسيد في الجاهلية كان مطاعا، إذا قال استمع الناس لقوله وإذا حكم رضي بحكمه، وإذا أمر قوبل أمره بالسمع والطاعة، تقول الخنساء:

ورأيـه حكـم وفـي قولـه مـواعظ يـذهبن داء العليـل[2]

وبعد فهذه بعد الشواهد التي رسمت صورة الأخ السيد في المجتمع الغربي القديم، حيث كان للخنساء الحظ الأوفر منها، فالسيادة لا تكون إلا مع خصلتين مهمتين هما الشجاعة والكرم، وهما خصلتان سأفصل القول فيها إن شاء الله.

2 – الشجاعة

حياة العرب قبل الإسلام كانت حياة مضطربة، حياة مليئة بالعصبية والقبلية والبقاء فيها للأقوى، فالصراع على الماء والكلأ كان محتدما، لذا مجّد العرب الشجاعة والبطولة والإقدام، فنجد شعر النساء مليئا بذكر الشجاعة، والفروسية ،والبطولة، والذود عن الرحمات والحمى. "والعرب في الجاهلية لم يكونوا يبكون الميت بكاء مرا، ويؤبنونه تأبينا شجيا ؛ من أجل رابطة الدم التي تربطهم به وحسب، وإنما ما يضاعف حرقتهم عليه، أنهم يرون أنفسهم قد فقدوا بفقده نموذج القيم ،التي كانوا يؤمنون بها، وبها يهتدون في حياتهم، فهو عندهم نموذج الشجاعة، وحماية الجار ". [3]

(1) ابن منقذ، المنازل والديار (ص448).

(2) الخنساء، الديوان (ص96).

(3) ابن صالح، هند بن صالح ابراهيم، الشعر الجاهلي عنترة، الخنساء، النابغة (ص61).

تقول أم عمرو وأخت ربيعة بن مكدم[1] في رثاء أخيها ربيعة الذي كان من فرسان العرب المعدودين:

فتـــى هـــو خيـــر مـــن أخـــيكن مالـــك إذا احمـــر أطـــراف الرمـــاح مـــن الـــدم

وشـــب حـــروب بيـــنكم وتقصـــفت عـــوال بأيـــدي شـــجعة غيـــر لـــوم [2]

وتصف جنوب[3] أخت عمرو ذي الكلب أخاها بالاسد الذي يهلك النفوس ويحمي عرينة شجاعا باسلا ليس بالجبان ولا الطائش تقول:

فأقســـم يـــا عمـــرو لـــو نبهـــاك اذن نبهـــا منـــك داء عضـــالا

أذن نبهـــا غيـــر رعديـــدة ولا طـــائش رعـــش حـــين صـــالا

إذن نبهـــا ليـــث عريـــة مفيـــدا مفيتـــا نفوســـا ومـــالا

إذن نبهـــا واســـعا ذرعـــة جميـــع الســـلاح جليـــدا بســـالا

هزيـــرا فروســـا لأقرانـــه أبيـــا إذا صـــاول القـــرن صـــالا [4]

وهو فارس لا يقو أحد على لقائه والثبات أمامه فأعداؤه يفرون من أمامه تاركين حرماتهم سلبا له:

---

(1) أم عمرو بنت مكدَّم: وهي أم عمرو بن مكدّم بن عامر بن حرثان بن جذيمة بن علقمة بن جذل الطعان بن فراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، كان أخوها ربيعة بن مكدَّم أحد فرسان مضر المعدودين قتله نبيشة بن حبيب السلمي فرثته أخته أم عمرو. ينظر: ماريني، شواعر الجاهلية (ص33).

(2) ماريني، شواعر الجاهلية (ص222) الشجعة : الشجعان، واحدهم شجاع.

(3) جنوب الهذلية: هي جنوب بنت العجلان بن عامر بن برد بن منبه إحدى بني كاهل بن هذيل وهي شاعرة جاهلية هذلية رثت أخاها عمراً ذا الكلب. ينظر: البغدادي، خزانة الأدب،(415/10)، وينظر: البصري، الحماسة البصرية (255/1).

(4) المرجع السابق (ص233). العضال :الشديد، الرعديد: الجبان ،الطيش: خفة العقل، الرعش : الجبان، العرية : ماوى الاسد، المفيت: مهلك النفوس والمال، واسع الذرع : واسع الخلق، الذرع: الطاقة، الباسل والبسيل: الشجاع.

وقـــد علمـــت فهـــم عنـــد اللقـــاء بـــــأنهم لـــــك كـــــانوا نفـــــالا

كـــــأنهم لـــــم يحســـــوا بـــــه فيخلـــوا النســـاء لـــه والحجـــالا [1]

وتتجلى البطولة والشجاعة التي أرهبت العدو ،ففروا من وجه أخيها الذي أرهب الفرسان، واستباح حماهم ،وحمى الديار، وسد الثغور، ولكن الشاعرة بعد هذا كله تعتذر كونها لم تمدحه بما هو أهله ولم تبلغ قدره فتقول:

وخيـــل ســـرت لـــك فرســـانها فولـــوا ولـــم يســـتقلوا قبـــالا

وحـــي أبحـــت وحـــي صـــبحت غـــداة الهيـــاج منايـــا عجـــالا

وكـــل قبيـــل وإن لـــم تكـــن أردتهـــم منـــك بـــاتوا وجـــالا

وخـــوف وردت وثغـــر ســـددت وعلـــج شـــددت عليـــه الحبـــالا

ومـــال حويـــت وخيـــل حميـــت وضـــيف قريـــت يخـــاف الوكـــالا

وأبـــــراد عصـــــب وخطيـــــة بنيـــت لقومـــك منهـــا الظـــلالا

فمـــا بلغـــت مـــدحتي لا مـــريء يـــزم الكمـــاة ويعطـــي النـــوالا

وينـــزل فـــي غمـــرات الحـــروب اذا كـــره المحجمـــون النـــزالا [2]

وتزهو الشاعرة بشجاعة أخيها، وتتعالى بنسبه، مفاخرة على قبيلة هذيل، فهو خيرهم نسبا، وأشدهم بأسا، يجيد الطعان، وقتل الأقران، ويستبيح الحرمات ويسبي الفتيات، والكواعب الحسناوات تقول:

---

(1) ماردیني، شواعر الجاهلية (ص234) النفل: الغنيمة، الحجال : جمع حجله وهي بيت يزين بالثياب والاسرة والسور.

(2) المرجع السابق (ص253 – ص 236) القبيل :الجماعة من الناس، الوجال : جمع وجل وهو الخائف، العلج : الرجل الشديد الغليظ، الوكال : العجز والضعف، العصب : ضرب من برود اليمن، الخطية : سيوف عمانية.

أبلـــغ هـــذيلا وأبلـــغ مـــن يبلغهـــا عنـــي رســـولا وبعـــض القـــول تكـــذيب

بـــأن ذا الكلـــب عمـــرا خيـــرهم نســـبا بـــبطن شـــريان يعـــوي عنـــده الـــذيب

الطـــاعن الطعنـــه الـــنجلاء يتبعهـــا مثعنجـــر مـــن دمـــاء الجـــوف أثعـــوب

والتـــارك القـــرن مصـــفرا أناملـــه كأنـــه مـــن نقيـــع الـــورس مخضـــوب

تمشـــي النســـور إليـــه وهـــي لاهيـــة مشـــي العـــذارى علـــيهن الجلابيـــب

المخـــرج الكاعـــب الحســـناء مذعنـــة فـــي الســـبي يـــنفح مـــن أردانهـــا الطيـــب

فلـم يـروا مثـل عمـرو مـا خطـت قـدم ولـن يـروا مثلـه مـا حنـت النيـب [1]

وتلجـأ الفارعـة بنـت شـداد[2] إلـى صـيغ المبالغـة ؛ لبيـان شـجاعة أخيهـا وكرمـه، وفصـاحته، وشـدة بأسـه، وجماعـه لكـل خصـال الخيـر، حتـى غـدا محمـودا عنـد أهلـه وجيرانه، تقول:

شـــــهاد أنديـــــة رفـــــاع أبنيـــــة شـــــداد ألويـــــة فتـــــاح أســـــداد

كـــــار راغيـــــة قتـــــال طاغيـــــة حـــــلال رابيـــــة فكـــــاك اقيـــــاد

قـــــوال محكمـــــه نقـــــاض مبرمـــــة فـــــراج مبهمـــــه حبـــــاس اوراد

حـــــلال ممرعـــــة حمـــــال مضـــــلعه قـــــراع مفظعـــــه طـــــلاع انجـــــاد [3]

---

(1) ماردیني، شواعر الجاهلية (ص237– ص238) شريان : وادي، المثعنجر: السائل من الماء والدمع، انثعب الماء: سال، القرن: الكف والنظير، الورس: نبت اصفر يصبغ به، الجلاليب: مفردها جلباب وهو القميص الكاعب: الانثى كعب ثدياها مذعنة: مطيعة، اردانها: اكمامها، النيب: مفردها ناب وهي الناقة المسنة.

(2) الفارعة بنت شداد: شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية ونقلت بعض المصادر أنَّ أسمها عمرة بنت (داد)، وأوردت المصادر للفارعة رثاءها في أخيها مسعود بن شداد، ينظر: ماردیني، شواعر الجاهلية (ص104).

(3) ماردیني، شواعر الجاهلية (ص290) الراغية:الناقة، المحكمة : الخطبة او القصيدة، المبرمة الامور : المحكمة، الاوراد : جمع وردوهم الجماعة الواردون الى الماء، الممرعة : الارض المعشبة، المضلعة : المثقلة الاضلاع.

وعنه تقول:

قـد يطعـن الطعنـة الـنجلاء يتبعهـا مضـــرج بعـــدها تغلـــي بإزبـــاد

ويتـــرك القـــرن مصـــفرا أناملـــه كـــأن أثوابـــه مجـــت بفرصـــاد [1]

وبمثل هذا مدحت ميه بنت ضرار الضبية[2] أخاها، قبيصة بن ضرار، فهو الفارس الشجاع ؛ الذي يخوض الأهوال، ويطاعن الرجال، ويجندل الأبطال، تقول:

مـا بـات مـن ليلـة مـذ شـد مئـزرة قبيصـــة بـــن ضـــرار وهـــو موتـــور

الطـاعن الطعنـة الـنجلاء عـن عـرض كأنهـــا قـــبس بالليـــل مســـعور

التـــارك القـــرن مصـــفرا أناملـــه تحـت العجاجـة يسـفي فوقـه المـور [3]

وتصف الخنساء أخاها معاوية بالشجاعة، والقوة والبأس ،والقدرة على قتل الأبطال، حيث تتكدس الخيول، ويجتمع الفرسان، فلا يقوى أحد على الثبات في وجهه، فيولون مدبرين وهو يضربهم من خلفهم، تقول:

وخيـــل تكـــدس بالـــدارعين نازلـــت بالســـيف أبطالهـــا

تطاعنهـــا فـــإذا أدبـــرت بللـــت مـــن الـــدم أكفالهـــا [4]

---

(1) ماريني، شواعر الجاهلية، (ص289) القرن :الكفء والنظير، الفرصاد : الجمرة.

(2) مَيَّة بنت ضرار بن عمرو الضبّي كان أبوها ضرار من أشراف ضبّة وساداتها وفرسانها تولى مدّةً رئاسة الكعبة في الجاهلية فلمّا قتل صارت بعدهُ لقبيصة ابنه، فلما قتل قبيصة رثته أختهُ ميَّة بنت ضرار. ينظر: شيخو، رياض الأدب في مراثي شواعر العرب (ج150/1).

(3) المرجع السابق (ص301) العوراء : الكلمة القبيحة، المور : الغبار تثيرة الرياح.

(4) الخنساء، الديوان (ص101).

وتصف الفارعة القشيرية[1] أخاها قدامه بالفارس الشجاع بعيد الغارات، يؤلم عدوه طعانه:

أضـــاعوا فتـــى غيـــر جثامـــة طويـــل النجـــاد بعيـــد المغـــار

يـــئن الفـــوارس عـــن رمحـــه بطعـــن كـــأفواه كهـــب المطـــار

وفـــرت كـــلاب علـــى وجههـــا خـــلا جعفـــر قبـــل وجـــه النهـــار [2]

وتقول ريطة بنت العباس السلمي إن أخاها فارس قومه، يقودهم في السلم والحرب، بيده اشعالها، وبيده اطفاؤها، يعصم قومه في كل شدة:

وكـــان إذا مـــا أورد الخيـــل بيشـــة إلـــى هضـــب أشـــراج أنـــاخ فألجمـــا

فأرســـلها رهـــوا رعـــالا كأنهـــا جـــراد زهتـــه ريـــح نجـــد فأتهمـــا

وكـــان ثمـــال الحـــي فـــي كـــل أزمـــة وعصـــمتهم والفـــارس المتغشـــما

ويـــنهض للعليـــا إذا الحـــرب شـــمرت فيطفئهـــا قهـــرا وإن شـــاء أضـــرما [3]

وتشبه مية بنت ضرار أخاها وهو في مرقبته أعلى الجبل بالصقر، فهو فارس في الحرب مقدام لا يجبن إذا ما فر الجبان تقول:

وكأنـــه صـــقر بـــأعلى مربـــأ مـــن كـــل مرتبـــأ تـــراه شخيصـــا

يسر الشتاء وفارس ذو قدمة

---

(1) الفارعة بنت معاوية القشيرية: هي شاعرة جاهلية يعود نسبها إلى قشير بن كعب بن عامر، لها شعر تُعَيِّر به بني كلاب؛ وذلك عندما سبي يوم النسار، فسأل بنو كلاب أن يتجافى لهم عن شطر السبي، ويسلموا الشطر. ينظر: المرزباني، أشعار النساء:(ص 65)، وينظر: ماريديني، شواعر الجاهلية (ص 105).

(2) عبدالرحمن ،ديوان شعر الايام (ص426).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص96).

وتقول فيه أيضا:

كـــــــــــريم ثنـــــــــــاه وآلاؤه وكـــــافي العشـــــيرة مـــــا غالهـــــا

تـــــراه علـــــى الخيـــــل ذا قدمـــــة إذا ســـــــربل الـــــــدم أكفالهـــــــا

وخلـــــت وعـــــولا أشـــــارى بهـــــا وقـــــد أزهـــــف الطعـــــن ابطالهـــــا

ولـــــم يمنـــــع الحـــــي رث القـــــوى ولـــــم تخـــــف حســـــناء خلخالهـــــا [1]

إنه فارس قومه، يكفي العشيرة ويمنعها، ويقدمها على فرسه ،مقبلا على عدوه ،وقد ملأ الدم أكفال الخيل، وعزت المتعة وأخرج الخوف النساء من أخبيتهن، فطلبن ملجأ لصون أعراضهن.

وتصف رائطة بنت شيظم[2] براعة أخويها وقتلهم لعدوهم في ميدان الحرب يضربون رؤوس الأبطال بالسيوف، ويطعنون القلوب بالرماح تقول:

الضـــاربين جمـــاجم الأبطـــال بـــالبيض الصـــوارم

والطـــاعنين بكـــل مارنـــة وقاصـــمة وقاصـــم

حـدق الفـوارس بالأسـنة والقلـوب لـدى الغلاصـم [3]

وتصف ريطة أخت تأبط شرا شجاعة اخيها وفروسيته في الميدان وقتله لأقرانه وحمايته لظهور أخوانه فتقول:

يجـــدل القـــرن ويـــروي النـــدمان ذو مـــأقط يحمـــي وراء الإخـــوان [4]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص85). ومارديني، شواعر الجاهلية (ص 302– ص303). غاله : اهلكه، السربال : القميص، الاشر : البطر، أزهقه : قتله.

(2) لم أقف لها على ترجمة.

(3) ابن منقذ، المنازل والديار (ص449).

(4) مارديني، شواعر الجاهلية (ص255). جد له : صرعه على الجداله وهي الأرض، المأقط : مكان الحرب أرادت أنه فارس الحرب.

وتصف أسماء بنت ربيعة[1] أخاها كليبا بالأسد الهصور الذي تفر الخيل والفرسان من وجهه، فلا يقدرون على لقائه هيبه منه:

بطـــل ضـــرغامه حـــين بـــدا تحتـــه الأشـــقر مثـــل التتفـــل

مـــن تفـــر الخيـــل فـــي الـــرّوع لـــه بطـــل مثـــل هزبـــر مشـــبل [2]

وتذكر الخنساء شجاعة أخيها بقولها:

صـــلب النحيـــزة وهـــاب إذا منعـــوا وفـــي الحـــروب جـــريء الصـــدر مهصـــار

يـــا صـــخر وراد مـــاء قـــد تنـــاذره أهـــل المـــوارد مـــا فـــي ورده عـــار

حمـــال ألويـــة هبـــاط أوديـــة شـــهاد أنديـــة للجـــيش جـــرار[3]

وتقول:

وخيـــل لبســـت لأبطالهـــا شـــليلا ودمـــرت قومـــا دمـــارا

تصـــيد بـــالرمح ريعانهـــا وتهتصـــر الكـــبش منهـــا اهتصـــارا

فألجمتهـــا القـــوم تحـــت الـــوغى وأرســـلت مهـــرك فيهـــا فغـــارا [4]

---

(1) أسماء أخت كليب التغلبية: هي أسماء بنت ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم التغلبية، شاعرة جاهلية من تغلب شاركت مع قومها في حروبها، لها شعر في رثاء أخيها كليب، وقد ذكرت بعض المصادر أن هذا الشعر منسوب إليها. ينظر: شيخو، رياض الأدب في مراثي شواعر العرب (ج3/1)، وينظر: كحالة، أعلام النساء (ج61/1).

(2) ميدان، شعر تغلب في الجاهلية (ص212).

(3) الخنساء، الديوان (ص45– ص46). النحيزة :الطبيعة. المهصار: الذي يدق الأعناق. وراد الماء : أي الموت.تناذره : أنذر بعضهم بعضا.

(4) المرجع السابق (ص50 – ص51). الشليل : هي الدرع ليست بسابقة، ريعانها : أولها وافضلها، تهتصر :تعطف وتكسر

إن أخاها يفتك بالقوم فتكا، ويتصيد الأبطال تصيدا، ويعتصر الدم منهم كما يعصر الماء من الثوب.

وتشبه أخاها بالأسد الذي يكشر عن أنيابه فتقول:

حـــامي الحقيـــق عنـــد الـــوغى أســـدا ببيشـــة كاشـــر الأنيـــاب

أســـدا تنـــاذره الرفـــاق ضـــبارما شـــثن البـــراثن لاحـــق الأقـــراب (1)

وهو أشجع من أسد في عرينة وبين أشباله يدافع عنهم:

أشـــجاع فانـــت أشـــجع مـــن ليـــث عـــرين ذي لبـــدة وشـــبال (2)

وتصر الشاعرة على تصوير أخيها بالشجاع، الذي يحمي الحرمات ويسرع في إغاثة المستغيث وإجابة المستصرخ، فالذي يحمل هذه الصفات "يحتل في قلوب هؤلاء المكروبين مكانة سامية، لأنه كان لا يتوانى عن تلبية استغاثاتهم الملهوفة في ميادين الوغى فيدافع عنهم وينقذهم ويحميهم من كل أذى ليبرهن بذلك على شجاعة انسانية نبيلة " (3)

وترى الخنساء أن أخاها حامي العشيرة، ومأوى للجياع والأيتام ويستقبل الضيوف ويفك العناة تقول:

يـا صـخر مـن لطـراد الخيـل إذا وزعـت وللمطايـــا إذا يشـــدون بـــالكور

ولليتـــامى وللأضـــياف إن طرقـــوا أبياتنـــا لفعـــال منـــك مخبـــور

ومـن لكربـة عـان فـي الوثـاق ومـن يعطـي الجزيـل علـى عسـر وميسـور

---

(1) الخنساء، الديوان (ص16). بيشة : مأسدة في بلاد العرب، تناذره : خوف بعضهم بعضا، الضبارم : صفة للأسد.

(2) المرجع السابق (ص 364).

(3) المرجع نفسه (ص346). الخطيب : الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام (ص84)

ومـــن لطعنـــة حلـــس أو لهاتفـــه يـــوم الصـــياح بفرســـان مغـــاوير [1]

الشاعرة تريد أن تقول إن هذه المناقب ماتت بموت أخيها ،ودفنت بدفنه، وكأنه كان منفردا بها دونا عن أقرانه وتقول في موضع آخر. واصفة شجاعته في لقاء أقرانه، وشدة بأسه في ضربة وطعانه ،حليم مع الحليم، وجهول مع الجهول، تقول:

ظفـــر بـــالأمور جلـــد نجيـــب وإذا مـــا ســـما لحـــرب أباحـــا

وبحلـــم إذا الجهـــول اعتـــراه يـــردع الجهـــل بعـــدما قـــد أشـــاحا

فـــارس يضـــرب الكتيبـــة بالســـيف إذا أردف العويـــــل الصـــــياحا

يقبـــل الطعـــن للنحـــور بشـــزر حـــين يســـمو حتـــى يلـــين الجراحـــا

فـــارس الحـــرب والمعمـــم فيهـــا مـــدره الحـــرب حـــين يلقـــى نطاحـــا [2]

يتبين مما سبق حرص شواعر العرب على وصف الأخ بالشجاعة، والاقدام، والجرأة، والبأس، والمهارة في فنون القتال، والاستماتة في نصرة الضعيف، وإغاثة الملهوف، وحماية الديار وصون الحرمات، لما لهذه الأمور من أهمية في المجتمع العربي القديم.

الكرم:

اكرم صفة خلقية تحلك العربي بها، وحرص عليها وافتخر بها في مكان ومدح بها من قبل غيره، ويعرف الكرم بانه " انتصار على شجع النفس: وبذل للمعروف في كل وجه، وكل وقت، لا يعجب ضعاف النفوس، لخشيتهم الفقر ". [3]

والعرب تتباهى باكرام الضيف، واعطاءه كامل حقوقه دون تقصير فـ:" ماذا يعني الثراء عند المرء اذا حضر الموت ؟ لا شي لكن الكرم يفيده، لانه يخلد ذكره ". [4]

---

(1) الخنساء، الديوان (ص58).

(2) المصدر السابق (ص29).

(3) الجهني، الصورة الفنية في المفضليات (ص404).

(4) رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد (ص291).

لذلك حرص العرب على الكرم؛ لأنه يخلد ذكرهم بعد موتهم، يقول حاتم الطائي:

وعاذلـــه قامـــت علـــي تلـــومني كـــأني إذا أعطيـــت مـــالي أخيمهـــا

أعـــاذل إن الجـــود لـــيس بمهلكـــي ولا يخلـــد الـــنفس الشـــحيحة لومهـــا

وتـــذكر أخـــلاق الفتـــى وعظامـــه مغيبـــة فـــي اللحـــد بـــال رميمهـــا (1)

ويقول:

مهـــلا نـــوار أقلـــي اللـــوم والعـــذلا ولا تقـــولي لشـــيء فـــات مـــا فعـــلا

ولا تقـــولي لمـــال كنـــت مهلكـــه مهـــلا وإن كنـــت معطـــي الجـــن والخـــبلا

إن البخيـــل إذا مـــا مـــات يتبعـــه ســـوء الثنـــاء ويحـــوي الـــوارث الإبـــلا

فاصـــدق حـــديثك إن المـــرء يتبعـــه مـــا كـــان يبنـــي إذا مـــا نعشـــه حمـــلا (2)

ويرى زهير ان الكرم والجود يورث الناس الحمد حتى بعد موتهم، يقول:

ألـــم تـــر أن النـــاس تخلـــد بعـــدهم أحـــاديثهم والمـــرء لـــيس بخالـــد (3)

من هنا أكثرت شواعر العرب من ذكر صفة الكرم عند حديثهن عن اخوانهن، وربطن بينها وبين الشجاعة ربطا بديعا، حتى لا تكاد تخلو صورة من صور الشجاعة ،إلا وكان الكرم حاضرا معها، تقول الخنساء:

لـــه كـــف يشـــد بهـــا وكـــف تحلـــب مـــا يجـــف ثـــرى نـــداها (4)

---

(1) الطائي، الديوان (ص137– 138) والمبرد، الفاضل (ص40).

(2) الطائي، الديوان (ص56). وابن قتيبة، الشعر والشعراء (ج 1 / 238).

(3) ابن أبي سلمى، الديوان (ص236)

(4) الخنساء، الديوان (ص115).

وتقول أيضا:

صـــلب النحيـــزة وهّـــاب إذا منعـــوا وفي الحروب جريء الصدر مهصار [1]

وتبكي الخنساء أخاها الذي كان حصنا للأرامل والأيتام وللجار الغريب وهم أولى الناس بالكرم والرعاية والرفق ،تقول:

فـــابكي أخـــاك لأيتـــام وأرملـــة وابكـــي أخـــاك إذا جـــاورت أجنابـــا

هـو الفتـى الكامـل الحـامي حقيقتـه مـأوى الضـريك إذا مـا جـاء منتابـا

يهـدي الرعيـل إذا ضـاق السـبيل بهـم نهـد التليـل لصـعب الأمـر ركابـا

المجـــد حلتـــه والجـــود علتـــه والصـــدق جوزتـــه إن قرنـــه هابـــا

ســـم العـــداة وفكـــاك العنـــاة إذا لاقـى الـوغى لـم يكـن للمـوت هيابـا [2]

وتقول إنه أصبح فأوى للأيتام، ومقصد للأضياف والغرباء، يتدفق كرمه كالنهر الجاري يجزل العطاء للفقراء:

ضـــخم الدســـيعة بالنـــدى متـــدفقا مـــأوى اليتـــيم وغايـــة المنتـــاب [3]

وتمدح العوراء بنت سبيع[4] أخاها عبدالله بالكرم، فهو يعصي البخيل الشحيح، ولا يسمع للعاذل، كأنه حصان ليس له رسن، يذهب حيث شاء، ولا يطيع أحدا تقول:

طيـــــان طـــــاوي الكشـــــح لا يرخـــــــــي لمظلمـــــــــه إزارة

يعصـــــــــي البخيـــــــل إذا أرا د المجـــــد مخلوعـــــا عـــــذاره[5]

---

(1) الخنساء، الديوان (ص45).

(2) المرجع السابق (ص13–ص14) اجناب :الغرباء، الضريك:الضرير، الرعيل: القطيع، المتاب : القاصد.

(3) المرجع نفسه (ص16).

(4) العوراء بنت سبيع الذبيانية، شاعرة إسلامية.

(5) ماردیني ،شواعر الجاهلية، (ص285)، طيان : ضامر، طاوي الكشح : مضمر ليس بضخم الجنبين، المظلمة :المرأة التي اظلم عليها الليل، تريد انه كان عفيفا، العذار للفرس : اللجام، أي لا يطيع العاذل.

أما سعدى بنت الشمردل الجهنية [1]، فأخوها يطعم الركبان الجياع، والمنقطعين بالصحراء، الذين نفذ زادهم، وهو مقصد الجياع، يؤمون بيته، ويشدون في السير إليه تقول:

فلتبـــك أســـعد فتيـــه بسباســـب أقـــووا وأصـــبح زادهـــم يتمـــزّع

يـــا مطعـــم الركـــب الجيـــاع إذا هـــم حثـــوا المطـــي إلـــى العـــلا وتســـرعوا

نعـــم الفتـــى يـــأوي الجيـــاع لبيتـــه يومـــا إذا حثـــوا المطـــي وأوضـــعوا

وتجاهـــدوا ســـيرا فـــبعض مطـــيّهم حســـرى مخلفـــة وبعـــض ضـــلّع

إن تأتـــه بعـــد الهـــدوّ لحاجـــة تـــدعو يجبـــك لهـــا نجيـــب أروع

متحلّـــب الكفـــين أميـــث بـــارع أنـــف طـــوال الســـاعدين ســـميدع

ســـمح إذا مـــا الشّـــول جـــارد رســـلها واســـتروح المـــرق النســـاء الجـــوع [2]

ومن الكرم، الاطعام في الليلة شديدة البرد، حيث ينقطع اللبن، وتهزل الإبل، ويأخذ الجهد والعسر من الناس مأخذا، وهذا ما مدحت به جنوب أخت عمرو ذي الكلب بقولها:

وليلـــة يصـــطلي بـــالغرث جازرهـــا يخـــتص بـــالنقرى المثـــرين داعيهـــا

لا ينـــبح الكلـــب فيهـــا غيـــر واحـــدة مـــن العشـــاء ولا تســـري أفاعيهـــا

أطعمـــت فيهـــا علـــى جـــوع ومســـغبة شـــحم العشـــار إذا مـــا قـــام باغيهـــا [3]

---

(1) سعدى بنت الشمردل: هي شاعرة جاهلية وقد ورد في بعض المصادر أن اسمها (سلمى)، قال عبد الملك بن قريب (ت216هـ) إن اسمها (سعدى بنت الشمردل الجهنية ترثي أخاها، قتله بهز من بني سليمبن منصور) الأصمعي، الأصمعيات، (ص101). وقال الخطيب التبريزي: (هي سعدى بنت الشمردل، ترثي أخاها أسعد بن الشمردل)، التبريزي، تهذيب إصلاح المنطق (ص736).

(2) المرجع السابق (ص269).السبسب: المفازة، واقووا : نفذ زادهم ،التمزع : التقسم ،اوضعت البعير ممتلئة على سرعة السير ،تجاهدوا سيرا :اشتدوا فيه ،حسرى: معيبة ،مخلفة/متروكة لتموت، متحلب الكفين :تسيل كفاه بالعطاء، الأميث: اللين السهل، السميدع: الكريم، الشول: انقطاع اللبن ،الرسل :اللبن، حارد: انقطع، تروح : تشمم.

(3) ماردیني، شواعر الجاهلية (ص239). الغرث :سرقين الكرش، النقري:الدعوة الخاصة، باغيها : من يبغي القرى.

وتصف الفارعة بنت شداد أخاها بالكرم، فهو من كرمه لا يضن بالزاد ولا يجفو الضيف، إذا ما جفا الناس وضنوا بالزاد، لقله فيه، أو لشح فيهم تقول:

مــن لا يصــار لــه لحــم الجــزور ولا يجفــو الضــيوف إذا مــا ضــن بــالزاد

ولا يحـــل إذا مـــا حـــل منتبـــذا خـوف الرزيّـة بـين الحضـر والبـاد (1)

وهو ينحر الإبل بكثرة، ويفك العاني:

نحّـــار راغيـــة قتـــال باغيـــة حـــلال رابيـــة فكـــاك أقيـــاد (2)

وهو محبوب عند جيرانه لأنه يطعم في الشتاء، ويجمع كل خصال الخير في شخصه:

هــو الفتــى يحمــد الجيــران مشــهده عنــد الشــتاء وقــد همــوا بإخمــاد

جمّــاع كــل خصــال الخيــر قــد علمــوا زيــن القــرى ونكــال الظــالم العــادي (3)

وهو من يشتري الخمر للضيوف ولذوي الحاجة مبالغة في إكرامهم:

الســابئ الــزق للأضــياف إن نزلــوا إلــى ذراه وغيــث المحــوج الغــادي (4)

وتمدح جنوب أخاها بالكرم في اوقات البرد الشديد، وانقطاع المطر، وقلة الزاد، وانقطاع اللبن من الضرع، فتقول:

وقــد علــم الضــيف والمرملــون إذا اغبــرّ أفــق وهبّــت شــمالا

وخلــت عــن أولادهــا المرضــعات ولــم تــر عــين لمــزن بــلالا

---

(1) ماردیني، شواعر الجاهلية (ص288). الجزور : الناقة، المنتبذ : المتنحي المنفرد.

(2) المرجع السابق (ص290)

(3) المرجع نفسه (ص 291) النكال :تقول نكل بفلان، اذا صنع به صنيعا يحذر منه غير اذا رآه.

(4) المرجع نفسه (ص290) السابيء: المبتاع للخمر، المحوج الغادي : السائل

بانـــك كنـــت الربيـــع المغيـــث لـــم يعتفيـــك وكنـــت الثمـــالا [1]

وتمدح الخنساء أخاها بالكرم في مواضع كثيرة، فهو الذي يطعم الجوعى والفقراء والأرامل، حتى يزيل عنهم الكرب تقول:

يـا فـارس الخيـل إذا شـدت رحائلهـا ومطعـم الجـوّع الهلكـى إذا سـغبوا

كـم مـن ضـرائك هـلاّك وأرملـة حلّـوا لـديك فزالـت عـن الكـرب [2]

وهو نعم الفتى يكرم الضيوف، والمكروب، والطارقين ليلا، ويفك الأسير:

نعـم الفتـى كـان للأضـياف إذا نزلـوا وسـائل حـلّ بعـد النـوم محـروب

كـم مـن منـاد والليـل مكتنـع نفسـت عنـه حبـال المـوت مكـروب

ومـن أسـير بـلا شـكر جـزاك بـه بسـاعديه كلـوم غيـر تجليـب

فككتـه، ومقـال قلتـه حسـن بعـد المقالـة لـم يـؤبن بتكـذيب [3]

وتقول مصورة عطفه على الأسرى والأرامل وعابري السبيل والفقراء:

مـن لضـيف يحـل بـالحي عـان بعـد صـخر إذا دعـاه صـياحا

وعليـه أرامـل الحـي والسـفر ومعتـرّهم بـه قـد ألاحـا

وعطايـا يهزهـا بسـماح وطمـاح لمـن أراد طماحـا [4]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص101). الرملون : الذين نفذ زادهم، الثمال : الغيات الذي يقوم بامر غيره،

(2) الخنساء، الديوان (ص17). الهلكى : الفقراء، السغب : الجوع، الضرائك :مفردها الضريك وهو اشد الناس فقرا، الارملة : التي فقدت زوجها

(3) المرجع السابق (ص18). المحروب : الذي اخذ ماله، المكتنع : الداني والحاضر، المكروب : صفة المنادي، الكلوم : الجراح، التجليب : من اجلب اذ يبس، ارادت ان جراحه لا تزال تسيل دما.

(4) الخنساء، الديوان (ص28–ص29) المعتر : المعترض للمعروف من غير ان يسأل، ألاح: اذا بدا وظهر، الطماح : من طمح اليه البصر، اذا ارتفع ونظر اليه نظرا شديدا

إن فقد الأخ رزء لها، وللضيوف، الذين يؤمون بيته، وللأرامل وذوي الحاجات؛ الذين لم يبق لهم بعده مغيث.

ولم لا وهو الذي يطعم الأضياف والجوعى بكرم وسخاء، وطيب نفس، في أوقات الشدة والضيق، والبرد الشديد الذي يجعل الإبل تهزل، وتتقوس ظهورها، ويجف درعها، ويرتفع لبنها، وتبحث عن مأوى يقيها البرد تقول:

فمـــن للضـــيف إن هبـــت شـــمال مزعزعـــــة تناوحهـــــا صـــــباها

وألجـــأ بردهـــا الأشـــوال حـــدبا الـــى الحجـــرات باديـــة كلاهـــا

هنالـــك إن نزلـــت بـــآل صـــخر قـرى الاضـياف شـحما مـن ذراهـا [1]

والكرم عند العرب لا يكون للضيف وطارق الليل والارملة وذي الحاجة المعون فقط، ولكن الكرم يشمل الأيتام الذين مات عنهم آباؤهم، إما في ساحات الوغى، أو تخرّمهم الدهر، لذلك " عد العربي إكرامه (أي اليتيم) ورعايته مكرمة عظيمة، وفضيلة من الفضائل، لذلك احتفى أصحاب المراثي بمن اشتهر بفعل ذلك وبكوا عليه اشد البكاء ". [2]

ومن هنا نجد كثير من النساء الشواعر، مدحن الأخ بإكرامه للأيتام والأرامل، حتى غدا بمنزله الأب، في عطفه، وحنانه ،وشفقته ،ورعايته، تقول ليلى بنت سلمة[3] إن أخاها غدا مأوى للأيتام الفقراء الممحلين الذين جاؤوه شعثا غبرا:

فـنعم منـاخ الركـب كـان إذا انبـرت شـــمال وأمســـت لا يعرجهـــا ســـتر

ومـأوى اليتـامى الممحلـين إذا انتهـوا إلـى بابـه شـعثا وقـد قحـط القطـر [4]

---

(1) الخنساء، الديوان (ص116) الاشوال : جمع شائل وهي الناقة التي أتى على وضعها او حملها سبعة اشهر، الحجرات :جمع حجرة وهي حظيرة الابل، بادية لحلاها : ارادت ظاهرة من الهزال.

(2) العواجي، القيم الانسانية في شعر الرثاء الجاهلي (ص51).

(3) شاعرة جاهلية، لم أ قف لها على ترجمة.

(4) يموت، شاعرات العرب (ص68).

وتنعت ميسون الباهلية أخاها بأبي اليتامى، مبالغة في بيان رعايته، وحرصه على تقديم العون لهم، تقول:

وأبـــو اليتـــامى ينبتـــون فنـــاءه نبـــت الفـــراخ بمكلـــيء معشـــاب [1]

منه تدب فيهم الحياة عنده، بعد أن قتلهم الجوع والعطش، كالأرض تنبت من جديد إذا ما نزل عليها الغيث.

وتقول الخنساء واصفة معاوية بأبي اليتامى:

ومنـــزل الضـــيف إن هبـــت مجلجلـــة ترمـــي بصـــم ســـريع الخســـف رسّـــاف

أبـــي اليتـــامى إذا مـــا شـــتوه نزلـــت وفـــي المزاحـــف ثبـــت غيـــر وجّـــاف [2]

إنه ينزل الأضياف بيته، فيكرمهم في وقت الشدة، حيث الرياح العاتية المدوية، ويحنو على الأيتام حنو الأب على ابنه، رغم قسوة الشتاء وبرودته والأيتام هم أبناء الأرامل من النساء، ولذلك إذا ما ذكرت الأرملة فبدهياً تشمل اللفظة الأم والأبناء الذين تعولهم.

تقول الخنساء إن الأرامل يعتصمن به في أوقات الشدة والجدب وقلة الرزق، وقد أجهدن الثكل والأنين:

نعـــم أخـــو الشـــتوة حلّـــت بـــه أرامـــل الحـــي غـــداه البليـــل

يأتينـــــه مستعصـــــمات بـــــه يعلـــن فـــي الـــدار بـــدعوى الأليـــل

ونعـــم جـــار القـــوم فـــي أزمـــة إذا التجـــا النـــاس بجـــار ذليـــل [3]

---

(1) البتريزي، شرح ديوان الحماسة (ص458)، الفراخ: دود يكون في العشب، الكاليء : موضع الكلأ وهو العشب، المعشاب : كثير العشب

(2) الخنساء، الديوان (ص83). المجلجلة : ذات الصوت الشديد، والمصيبة. الصم : الصلب، الخسف : الجوع والظلم، والرساف : المشي مشي المقيد، المزاحف : السير للحرب، الثبت : الشجاع، غير وجاف : أي غير مضطرب.

(3) الخنساء، الديوان (ص95) الأليل :الثكل والانين.

ولا شك أن الكرم والجود، والبذل، وفك العاني والأسير، من الصفات الحميدة عند العرب، حرصوا عليها، وأفنوا مالهم من أجلها، ولطالما خشي العرب أن تؤتى من قبلها، أي أنه كان يحرص على أن يخلد ذكره بعد موته بالكرم، وأن ينال ثناء الناس، فيطيب ذكره ويخلد ألى أن يشاء الله، وكان يخشى أن يوصف بالبخل، فيسوء ذكره في حياته، وبعد مماته، يقول نفاع _ موضحا هذه الفكرة _: "يسري مفعول الكرم بعد الموت، فشهرة الجود أو عار البخل يعيشان طويلا، لذا يحاول الشعراء أن يمنعوا تشنيع الناس لهم بعد الموت، وأن يضمنوا ثناءا جميلا ".[1]

تقول الخنساء:

تـــرى المجـــد يهـــوي إلـــى بيتـــه يـــرى أفضـــل الكســـب أن يحمـــدا [2]

فالشاعرة تجعل طيب الذكر قبل الموت، وبعده ،أهم سبب عند أخيها، يدفعه إلى الكرم لذلك تراه يفوق الغيث كرما وعطاءً وبذلا، تقول:

ومـا الغيـث فـي جعد الثرى دمـث الربـا تبعّـــق فيـــه الوابـــل المتهلّـــل

بأفضـــل ســـيبا مـــن يـــديك ونعمـــة تعـم بهـا بـل سـيب كفيـك أجـزل [3]

وهو يطعم في السنة الشديدة المجدبة، فلا يبخل بلحوم الإبل التي أغلى القحط والجدب ثمنها، بل يجود بها للسائلين والضيوف وذوي الحاجة تقول:

معقـــل النـــاس إذا مـــا عصـــفت جريبـــاء الـــريح فيهـــا بـــالخطر

يطعـــم القـــوم مـــن الشـــحم إذا أغلـــت الشـــتوة أثمـــان الجـــزر [4]

---

(1) نفاع، الجود والبخل في الشعر الجاهلي (ص48).

(2) الخنساء، الديوان (ص31).

(3) المرجع السابق (ص91). جعد الثرى : الذي تقبض من كثرة نداه، دمث: سهل ولين، الربى :جمع ربوة وهي ما ارتفع من الارض، تبعق : اندفع السيل العطاء والجود.

(4) المرجع نفسه (ص410). الجريباء الشمال، والحظر : ما يحظر به من اغصان الشجر.

وتقول:

يشـــبع القـــوم مـــن الشـــحم إذا ألـــوت الـــريح بأغصـــان الشـــجر [1]

ومن الكرم أن يستقبل الضيف بالترحيب، والبشاشة وطلاقة الوجه، تقول الخنساء:

إذا مـــا الضـــيف حـــل الـــى ذراه تلقـــاه بوجـــه غيـــر بســـر

وفـــرج بالنـــدى الأبـــواب عنـــه ولا يكـــتن دونهـــم بســـتر [2]

فأخوها لا يستتر من ضيوفه، بل يخرج اليهم مبتسما، مرحبا.

ومثله قولها:

كـأن لـم يقـل أهـلا لطالـب حاجـة وكـان بلـيج الوجـه منشـرح الصـدر [3]

ومن علامات الكرم عند العرب، أن توقد النار ليلا ليهتدي الناس إلى بيت صاحبها، تقول الخنساء:

فـــاذا أضـــاء وجـــاش مرجلـــه فلـــنعم ربّ النـــار والقـــدر [4]

وبعد يمكن القول إن شعر المرأة العربية القديمة يزخر بوصف الأخ بالكرم وهذا يظهر أهمية وقيمة هذه الفضيلة في المجتمع العربي القديم، وهذا ما حرص عليه الأخ، ليطيب ذكره في حياته وبعد مماته.

الصبر والجلد:

الحياة العربية في الجزيرة واطرافها حياة صعبة، قاسية، صحراء ممتدة وجبال عالية، واودية، وارض ذات مجارة يصعب السير فيها، مع قلة للماء والطعام كل هذا جعل الحياة

---

(1) الخنساء، الديوان (ص56).

(2) المصدر السابق (ص44). الدرى: كل ما يستر من حاجز، غير بسر: غير كالح، يكتن :يستتر

(3) المصدر نفسه (ص48). بليج الوجه : طليقه.

(4) المصدر نفسه (ص52).

صعبة، قاسية ،تحتاج الى الصبر والجلد، وركوب الاهوال، ومجابهة الاخطار، لذلك نجد بعض شواعر الجاهلية والاسلام حرص على وصف الاخ بالصبر والجلد تقول الخنساء:

كراهيـــة والصـــبر منـــك ســـجيّة اذا مـا رحـى الحـرب العـوان استدرت [1]

وهو بصبره وجلده يحصل على كل ما يطلبه:

ظفـــر بـــالأمور جلـــد نجيـــب واذا مـا سـما القتـال لحـرب اباحـا [2]

وتقول ايضا:

جلـــد مخيـــل وهـــوب بـــارع يســـر وفـــي الحـــروب اذا لاقيـــت مســـعار [3]

وتقول

جلـــد جميـــل المحيـــا كامـــل ورع وللحـــروب غـــداة الـــروع مســـعار [4]

وتقول:

فـــرع لفـــرع كـــريم غيـــر مؤتشـــب جلـد المريـرة عنـد الجمـع فخـار [5]

الحلم:

الحليم هو الرجل الذي يسيطر على انفعالاته في وقت الغضب فلا يطلق لغضبه العنان ان يقوده الى السفاهة والطيش، والنزق، لذلك عد الحلم من دلالات القع الراجح، ومن الشاعرات اللاتي وصفن اخوانهم بالحلم، والخنساء فهي تصف صخرا اخاها بالحلم لانه استحق ذلك

---

(1) الخنساء، الديوان (ص21)

(2) المصدر السابق (ص29).

(3) المصدر نفسه (ص54).

(4) المصدر نفسه (ص46).

(5) المصدر نفسه (ص47)، فرع لفرع : أي رأس لرأس، المؤتشب: المخلوط النسب، المريرة: ابرام الرأي.

لامور منها "انه كان موصوفا بالحلم، ومشهودا بالجود، ومعروفا بالتقدم في الشجاعة، ومحظوظا في العشيرة ". [1]

تقول:

متـــى كـــان ذا حلـــم أصـــيل وتـــؤده إذا ما الحبى من طائف الجهل حلت [2]

إنه حليم لا يجهل كمل يجهل غيره، وأفعاله منضبطة وغير طائشة لأنه يدفع بحلمه الطيش والظلم والجهل، تقول:

وبحلـــــم اذا الجهـــــول اعتـــــراه يـــردع الجهـــل بعـــدما قـــد اشـــاحا [3]

وتمدحه بالحلم واصلاح الذات البين في قولها:

ومـــن لجلـــيس مفحـــش لجليســـه عليـــه بجهـــل جاهـــدا يتســـرع

ولـــو كنـــت حيـــا كـــان إطفـــاء جهلـــه بحلمـــك فـــي رفـــق وحلمـــك أســـرع [4]

وتصف اخويها بالحلم، مهما لا يتظالمان ولا يجهل احدهما على الاخر فتقول:

مـــــن حـــــس لـــــي الاخـــــوي ن كالغضـــــين أو مـــــن رآهمـــــا

أخـــــوين كالصـــــقرين لـــــم يـــــر نـــــاظر شـــــرواهما

قـــــــــرمين لا يتظالمـــــــــا ن ولا يـــــــــرام حماهمـــــــــا [5]

---

(1) المبرد، الكامل (ج4/ص44).

(2) الخنساء، الديوان (ص23) التؤدة : التمهل والتأني في الشيء.

(3) المرجع السابق، (ص29).

(4) المرجع نفسه (ص 77). المفحش : الذي يرتكب الموبقات، يتسرع : يبادر ويعجل.

(5) المرجع نفسه (ص117) راهما : رآهما بالتسهيل، شرواهما : مثلهما.

وتصف جنوب اخت عمرو ذي الكلب اخاها بالحلم بقولها:

فأقســـم يـــا عمـــرو لـــو نبهـــاك اذن نبهـــــا منـــــك داء عضـــــالا

اذن نبهـــــا واســـــعا ذرعـــــه جميـــع الســـلاح جليـــدا بســـالا [1]

وتصف سعدي بنت الشمردل الجهنية، اخاها بالسماحة والليونة والسهولة في المعاملة وهذا لحلمه، فتقول:

متحلـــب الكفـــين أميـــث بـــارع انـــف طـــوال الســـاعدين ســـميدع

ســمح اذا مــا الشــول حــارد رســلها واســتروح المــرق النســاء الجــوع [2]

العفة:

العفة هي الترفع عن كل ما يسيء إلى الإنسان، ويخدش الحياء، ويصم المرء، وينقص المروءة، وهي شرط من شروط السيادة، وتبدو العفة في جوانب متعددة: العفة عند الفواحش، والعفة عن التلصص وتتبع عورات الناس، والعفة عن الشره في الطعام والشراب، والعربي يحرص على العفة ويفتخر بها، ويحب أن يمتدح بها، يقول عنترة:

وأغـض طرفـي مـا بـدت لـي جـارتي حتـــى يـــواري جـــارتي مأواهـــا

إنـــي امـــرؤ ســـمح الخليقـــة مـــا جـــد لا أتبـــع الـــنفس اللجـــوج هواهـــا [3]

ويقول مسكين الدارمي [4]:

---

(1) ماردیني، شواعر الجاهلية (ص233). يقال : رجل واسع الذرع ،: أي الخلق. الذرع : الطاقة، الباسل : الشجاع.

(2) المرجع السابق (ص269). الاميث: اللين السهل، السميدع : الكريم.

(3) عنترة، الديوان (ص93).

(4) مِسكِين الدارِمي، (000 – 89 هـ = 000 – 708 م)، هو ربيعة بن عامر بن أنيف (بالتصغير) بن شريح الدارميّ التميمي: شاعر عراقيّ شجاع، من أشراف تميم. لقب مسكينا لأبيات قال فيها: (أنا مسكين لمن أنكرني) ومن متداول شعره: (أخاك أخاك، إن من لا أخا له... كساع إلى الهيجا بغير سلاح)، له أخبار مع معاوية. وكان متصلا بزياد بن أبيه. وجمع خليل العطية وعبد الله الجبوري، ببغداد ما وجدا من شعره في (ديوان مطبوع). ينظر: الزركلي، الأعلام، (ج16/3).

ومـــا ضـــر جـــارا لـــي أجـــاوره ألا يكـــــون لبابـــــه ســـــتر

أعمـــى إذا مـــا جـــارتي بـــرزت حتـــى يـــواري جـــارتي الحـــذر [1]

فعنتره يفتخر بالعفة، وبالسيطرة على شهوات النفس ورغباتها، لسماحة في الخلق وعفة في النفس، فلا يطلق لبصره العنان في تتبع عورات جيرانه.

ويقول عروة ابن الورد:

وإن جـــارتي الـــوت ريـــاح ببيتهـــا تغافلـت حتـى يسـتر البيـت جانبـه [2]

وامتدح بعض الشعراء اخوانهم، الذين يجتنبون الفواحش في مواضع عدة، وهذا يظهر اهمية هذه الصفة في المجتمع العربي.

يقول الأعشى في وصف اخيه المنتشر:

لا يصـــعب الأمـــر الا ريـــث يركبـــه وكـــل أمـــر ســـوى الفحشـــاء يـــأتمر [3]

وينفي كعب بن سعد الفتوى الفاحشة عن اخيه فيقول:

أخـــي مـــا أخـــي لا فـــاحش عنـــد بيتـــه ولا ورع عنـــــد اللقـــــاء هيـــــوب [4]

ويصف الأعشى أخاه المنتشر بأنه عفيف النظرات إلى جاراته فيقول:

لا يهتـــك الســـتر عـــن أنثـــى يطالعهـــا ولا يشـــد إلـــى جاراتـــه النظـــرا [5]

وهو عفيف في المأكل والمشرب فتكفيه قطعه من اللحم، وقليل من الشراب يقول:

---

(1) الخالدي، حماسة الخالدين (ص35).

(2) عروة، الديوان (ص16). الوت رياح ببيتها : أي ذهبت به والقته

(3) الاصمعي، الأصمعيات (ص91).

(4) المصدر السابق (ص95).

(5) اليزيدي، الأمالي (ص16)، والبغدادي، خزانة الادب (ج1 /ص 197).

تكفيـــه حـــزة فلـــذ ان الـــم بهـــا مـن الشـواء ويـروي شـربه الغمـر [1]

ويقول الشنفري:

وان مـدت الايـدي الـى الـزاد لـم اكـن بـأعجلهم اذا اجشـع القـوم اعجـل [2]

مما سبق ذكره يتبين لنا اهمية العفة عند العرب، وحرصهم عليها، وهذا يجعلها تبلغ مكانة الشجاعة من حيث الاهمية، لما لها من صلة وثيقة بمكارم الاخلاق.

ومن صور عفة الاخ عن الفواحش في شعر النساء، قول الخنساء في اخيها صخر بانه عاش طاهر الثوب، وهذه صورة شعرية، تريد الشاعرة من ورائها ان تقول ان اخاها صخرا، كام سليم الطبع، مستقيم الخلق، حسن السريرة ن بعيدا عن الريبة، وكل ما يصم الانسان من فعال تقول:

فلـئن هلكـت لقـد غنيـت سـميذعا محـص الضـريبة طيـب الاثـواب [3]

وتصف ليلى بنت سلمى، أخاها بالعفة والبعد عن أذى الجار، فلا ينظر إلى حرماته، ولا يتعدى عليها، بل يأمن الجيران أذاه تقول:

لعمـري مـا كـان ابـن سـلمة عـاجزا ولا فاحشـا يخشـى أذاه المجـاور [4]

وتقول الخنساء إن أخاها لا يغشى ساحة جاره في غيابة، ولا يتتبع جاراته بنظره، وذلك لشرفه وعفته تقول:

لـم تـره جارتـه يمشـي بسـاحتها لريبـة حـين يخلـي بيتـه الجـار [5]

---

(1) العسكري، جمهرة الامثال (ج1/ص122).
(2) ابن الشجري، مختارت شعراء العرب (ج1/ص19).
(3) الخنساء، الديوان (ص16).
(4) يموت، شاعرات العرب (ص68).
(5) الخنساء، الديوان (ص47).

كما تصف عفته في الشراب متجنبا الفحشاء فتقول:

وإن تلقــه فــي الشــرب لا تلــق فاحشــا ولا ناكثــا عقــد الســرائر والصــبر [1]

وتصف مية بنت ضرار الصبية أخاها بالعفة، عند حضور الطعام سواء أكان قليلا أم خبيثا فتقول:

يطــوي إذا مــا الشــح ابهــم قفلــه بطنــا مــن الــزاد الخبيــث خميصــا [2]

وتقول أيضا مية أنه لا يبيت على ريبة ولا يتكلم بالألفاظ الفاحشة والبذيئة ولا يسمح بها في مجلسه:

مــا بــات مــن ليلــة مــذ شــد مئــزره قبيصــة بــن ضــرار وهــو موتــور

ولا علــى ريبــة يومــا يــزن بهــا ولا فقيــرا ومــا الفقــر تعييــر

لا تعــرف الكلمــة العــوراء مجلســه ولا يــذوق طعامــا وهــو مســتور [3]

الوفاء والصدق:

حياة العرب في الجاهلية كانت حياة قبلية، تسودها العصبية، والخصومات والحروب المستمرة ومع ذلك فان العرب حرصوا على الوفاء، ونبذ الخيانة والضرر ،"كانت الكلمة ينطقها العربي عهدا يجب عليه أن يفي بها، وإلا عرض شرفه للتجريح، لذلك رثى الشعراء قتلاهم وموتاهم بذكر وفائهم كصفة كريمة كانوا يتحلون بها ". [4]

تصف الخنساء أخاها بالسيد الأمين الصادق بقولها:

بالســيد الحلــو الأمــين الــذي يعصــمنا فــي الســنة العاديــة [5]

---

(1) الخنساء، الديوان (ص49).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص84).

(3) المرجع السابق (ص 84).

(4) الشوري، شعر الرثاء في العصر الجاهلي، دراسة فنية (ص106).

(5) الخنساء، الديوان (ص121). العادية : الجائرة، الظالمة.

وتصفه أيضا بالصدق وعدم الكذب فتقول:

وفـــارس هيجـــا يعلـــم النـــاس أنـــه إذا مـــا دعـــا بـــالجزع غيـــر مكـــذب [1]

وتصفه بالوفاء والسماحة وعدم الغدر فتقول:

ســـــمح خلائقـــــه جـــــزل مواهبـــــه وافـــي الـــذمام إذا مـــا معشـــر غـــدروا [2]

الفصاحة والبيان:

أدرك العرب أهمية الفصاحة والبيان، فطبيعة عيشهم جعلت المناظرات في المجالس لمحاججة الخصوم أمرا بالغ الأهمية، لأنها مطلب لفض الخصومات بين المتنازعين، كذلك كثرة الحروب تطلبت وجود خطباء يخطبون الناس فيستنهضون هممهم وعزائمهم وحياتهم الاجتماعية، تطلبت منهم وجود خطباء يتكلمون في قضايا الزواج والطلاق وغير ذلك.

كل هذا جعل الفصاحة مطلبا مهما "ولا يكون العربي في نظرهم كاملا ما لم يبلغ من لسانه الغاية، وكان من يبلغ بلغته نثرا أو نظما، منزلة منزله رفيعة من الخطابة أو الشعر تبلغ به لغته منزلة أرفع بين قومه وأبناء عشيرته "[3]

لذلك نجد الشعراء وصفوا ممدوحيهم بالفصاحة والبلاغة والبيان في مواضع عديدة، مثل قول الخنساء في اخيها صخر:

وخطيـــت اشـــم اذا ســـعروا الحـــر ب وصـفوا صـف الخصـيم الرماحـا [4]

وتصفه بالبيان في موضع آخر فتقول:

حديـــد الســـنان ذليـــق الســـان يجـــازي المقـــارض امثالهـــا [5]

---

(1) الخنساء، الديوان (ص215).

(2) المرجع السابق (ص58).

(3) المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة (ص23).

(4) الخنساء، الديوان (ص243)، الخطيب : متكلم القوم وافصحهم، الاشم : السيد الكريم.

(5) المرجع السابق (ص100) ذليق اللسان : طليقه، يكافئ : يجازي.

وهو بفصاحته لا يهاب المحافل، ولا يعجز عن اتيان الحلول في الأمور الغامضة التي تعجز غيره تقول:

خطـــاب مفصـــلة فـــراج مظلمـــة أن هـاب مفظعـة سـنى لهـا جاجـا [1]

وهو اذا ما تكلم فكلامه فصل بين واضح بليغ مؤثر يفرق بجلاء بين الحق والباطل، تقول:

حلـــو حلاوتـــه، فصـــل مقالتـــه فـــاش جمالتـــه للعظـــم جبـــار [2]

التقاعس عن الثأر:

قد يتأخر العربي في الاخذ بالثأر والاسباب كثيرة، ولكن المرأة تظل متعجلة للأخذ بثأر اخيها الذي قتل غدرا، حتى تطفئ النار المتأججة في صدرها، لذلك نجدها حادة سليطة اللسان، على اخيها ان لم يسارع بالثأر لأخيه تقول كبشة اخت عمرو بن معد يكرب[3] فخاطبه قومها ومعرضة بهم وباخيها عمرو:

وأرســـل عبـــدالله إذ حـــان يومـــه إلـــى قومـــه لا تعقلـــوا لهـــم دمـــى

ولا تأخـــذوا مـــنهم إفـــالا ولا أبكـــرا وأتـــرك فـــي بيـــت بصـــعده مظلـــم

ودع عنـــك عمـــرا إن عمـــرا مســـالم وهـل بطـن عمـرو غيـر شـبر لمطعـم

فـــاعن أنـــتم لـــم تثـــأروا واتـــديتم فمشـــوا بـــآذان النعـــام المصـــلم

ولا تـــــردوا إلا فضـــــول نســـــائكم إذا ارتملـــت أعقـــابهن مـــن الـــدم

---

(1) الخنساء، الديوان (ص14).

(2) المرجع السابق (ص46).

(3) كبشة أخت عمرو: وهي كبشة أخت عمرو بن معد يكرب الزبيدي لم تذكر المصادر نسبتها صريحةً وإنما جاءت في أكثر المصادر مقرونة بنسب أخيها وذلك لأنه كان أخاها لأمها، ولم تحفل المصادر بحديث واضح عن حياتها إلا من خلال مقتل أخيها عبد الله والشعر الذي رثته به. ينظر: الأصفهاني، الأغاني(ج221/15)، وينظر: ديوان الحماسة، لأبي تمام (ج71/1).

جـــدعتم بعبـــدالله آنـــاف قومـــه بنـي مـازن ان سـب سـاقي المحـزم [1]

أن تصفهم بالنعام مجدوع الآذان، الذين لا يستطيعون ورود الماء إلا بعد النساء اللاتي تطهرن من الحيض، وهي صورة مقززة ومهينة لأخيها وقومه.

ولامت هند بنت حذيفة قومها بكلمات لاذعة مؤلمة موجعه، فوصفتهم بالإماء العواهر، لتقاعسهم عن الأخذ بثار أخيها حصن فقالت:

فـان أنـتم لـم تصـبحوا القـوم غـارة يحـــدث عنهـــا وارد بعـــد صـــادر

وترمـــوا عقـــيلا بـــالتي لـــيس بعـــدها بقـــاء فكونـــوا كالإمـــاء العـــواهر [2]

من المؤكد أن رابطة الدم قوية، والأخوة من أوثق الروابط كانت وما زالت وفقد الاخ يؤلم ويجع، ولا تهدأ النفس إلا بالثأر، لذلك تظل المرأة حريصة على الأخذ بالثأر، محرضة عليه ما لم تشف غليلها من قاتل أخيها، تقول الخنساء:

لا نـــوم حتـــى تعـــود الخيـــل عابســـة ينبـــذن طرحـــا بمهـــرات وأمهـــار

او تحفـــروا حفـــرة والمـــوت مكتنـــع عنـــد البيـــوت حصـــينا وابـــن ســـيار

فتغســـلوا عـــنكم عـــارا تجللكـــم غسـل العـوارك حيضـا بعـد أطهـار [3]

وتحض أسماء بنت ربيعة قومها على الثأر لأخيها كليب قائلة:

يـــا بنـــي تغلـــب لا تتـــأخروا واطلبـــوا ثـــأر مليـــك الجحفـــل

إننـــــي قاتلـــــة مقتولـــــة فعســـى الأيـــام أن تعقـــب لـــي [4]

وبعد هذا ليس غريبا أن تمدح الخنساء قيس الجشمي الذي قتل هاشم بن حرملة الذي قتل أخاها معاوية حيث تقول:

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص97).

(2) المرجع السابق (ص46).

(3) الخنساء، الديوان (ص 55).

(4) ميدان، شعر تغلب في الجاهلية (ص 212– ص213).

فـــدى للفـــارس الجشـــمي نفســـي أفديـــــه بمـــــالي مـــــن حمـــــيم

وأفديـــــه بكـــــل بنـــــي ســـــليم بظـــــاعنهم وبـــــالأنس المقـــــيم

خصصـــت بهـــا أخـــا الأحـــرار قيســـا فتـــى فـــي بيـــت مكرمـــة كـــريم [1]

وبعد يمكن القول إن الأخت كانت حريصة على الثأر لأخيها، وكان دورها واضحا في التحريض على ذلك وخصوصا" ان استنهاض الرجولة للثأر امر تجيده الانوثة اكثر مما تجيده الذكورة، وذلك نظرا لقابلية الرجل للاستفزاز على يد المرأة التي يجد فيها _المقابل له _ احياء او ايقاظا لقدراته، كمان ان قدرة النساء العجيبة على البكاء والتفجع أمر لا يجيده الرجال من جهة، ويخلق جوا تحريضيا انتقاميا عبر استجابة الرجال للموقف الفجائي القادر على تطوير الشعور من جهة اخرى، ولعل حلقات الندب على الميت وهي ما تقوم به النساء في بعض اريافنا حتى اليوم هي من موروثات تلك الحقبة، واستمرار لذلك التقليد الذي كان يستهدف غرز الرغبة في الثأر للصريع داخل نفوس الأحياء ". [2]

الصفات الحسية للأخ:

لم تكثر المرأة من الصفات الحسية للأخ، كما اكثرت في الصفات المعنوية، ولكنها كانت بين الحين والاخر تذكر صفة من صفاته الحسية لتميزه عن اقرانه فالخنساء مثلا تصف اخاها بجمال المحيا، والوضاءة والنور، وتفضله على سائر رجال القبيلة، فصورته تضيء الليل، وتكشف الظلمة تقول:

مثـــل الســـنا تضـــيء الليـــل صـــورته جلـــد المريـــرة حـــر وابـــن أحـــرار [3]

إنها تريد القول إن بياض أخيها، وإشراقة وجهه، نابعان من عرافة الأصل وشرف النسب، والخلو من الهجنة، وهذا ما كانت العرب تحرص عليه، وتكثر من المدح بها وتقول:

---

(1) الخنساء، الديوان (ص 106).

(2) فتح الباب، فن الرثاء في الشعر العربي القديم (ص318).

(3) الخنساء، الديوان (ص 54). الجلد : القوي، المريرة : عزة النفس والانفة والكبرياء.

جهـم المحيـا تضـيء الليـل صـورته ابـاؤه مـن طـوال السـمك احـرار [1]

وكذلك تصف اخاها بصفة جامعه لكن حسن جميل، حيث تقول:

جلـد جميـل المحيـا كامـل ورع وللحـروب غـداة الـروع مسـعار [2]

فالجمال والكمال صفتان جامعتان لكل حسن جميل مستحب.

وفي صورة اخرى تكرر الشاعرة صرة الوضاءة والاشراف والنور حتى ان اخاها غدا مميزا معروفا للناس بجماله ورجاحة عقله، وحسن تدبيره فكأنه جبل على رأسه نار تقول:

أغـر أبلـج تـأتم الهـداة بـه كأنـه علـم فـي رأسـه نـار [3]

"ويمثل جمال الوجه ووضاءته ركنا أساسيا من أركان الرثاء والمدح، تفنن الشعراء في رسمه ورفعه الى اعلى الدرجات فضلا عن ان مظاهر الجمال من الصفات البارزة في الغزل [4]"

من هنا لا نستغرب وصف الأخ بالحلاوة والجمال الذي يميزه عن غيره، تقول الخنساء:

حلـو حلاوتـة فصـل مقالتـه قـاش جمالتـه للعظـم جبـار [5]

وتقول الخنساء:

مثـل الرديني لـم تنفـد شـبيبته كأنـه تحـت طـي البـرد إسـوار [6]

---

(1) الخنساء، الديوان (ص47).

(2) المرجع السابق (ص46).

(3) المرجع نفسه ص386. علم في رأسه نار :مثل يضرب به في ذيوع الشهرة والعلم هو الجبل.

(4) ابن صالح، هند، وبن صالح ابراهيم، الشعر الجاهلي (ص70).

(5) الخنساء، الديوان (ص 387).

(6) المرجع السابق (ص 47).

"وهذه المحاسن قلما تجتمع الا لفتى الفتيان، زين الرجال، من سمياه الحسن، ومن محياه الجمال، الاهيف، الطويل القامة كالأسوار تحت طي البرد، وفيه كفاية عن نضارة شبابه، وعدم ترهل جسمه ". [1] فتقول:

قـــد كنـــت بـــدرا يستضـــاء بـــه فقـد ثـوى يـوم مـت المجـد والجـود [2]

وتشبه صفية الباهلية[3] اخاها بالقمر فتقول:

كنـــا كـــأنجم ليـــل بيننـــا قمـــر يجلـو الـدجى فهـوى مـن بيتنـا القمـر [4]

ولكننا نجد صورة مغايرة لما سبق ترسمها لنا زينب بنت الطثرية لأخيها، فهو مع نضارته واشراق وجهه حين يلقى الناس، اما اذا تولى فهو اشعث الرأس تقول:

كـــــريم اذا لاقيتـــــه متبســـــما وامـا تـولى لشـعث الـرأس جافلـه [5]

ويعلق بعض الباحثين على هذه الصورة بقوله "ونكاد نلمس توتر الشاعرة وتخبط الانفعالات الكثيفة داخل جوانح نفسها... فنجدها تنشئ بلغة التصوير مجسما للمرثي تجمع في قسماته ملامح كريم منبسط الوجه تكلل نضارته ابتسامة سخية، ثم تضفي على الصورة بقعا سوداء مغبرة نلمح فيها كتلا من سعر جافل، بحيث لا ينتهي ذهن القارئ او السامع من تخيل الجانب المشرق من تلك الهيئة حتى تعجل الشاعرة بما يطفئ نضارة تلك الهيئة من المخيلة، ويسكن الاحساس بالكأبة والعمة في النفس ". [6]

ولا أذهب إلى ما ذهبت له الباحثة فالشاعرة رسمت صورتين منفصلتين عن بعضهما، فالأولى: الابتسامة وطلاقة الوجه والإشراق إذا أقبل على من يحب في وقت السلم والرضى.

---

(1) السلمي، الصورة الفنية في شعر الخنساء (ص57).

(2) الخنساء، الديوان (ص 38).

(3) صفية الباهلية: لم تورد المصادر أي شيء عنها سوى أنها شاعرة جاهلية قالت شعراً في رثاء أخيها. ينظر: للتبريزي، شرح ديوان الحماسة (ج393/1).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص98).

(5) المرجع السابق (ص196).

(6) بنون، فن الرثاء عند المرأة في الشعر الأموي (ص107).

والثانية: صورته في الحالة الأخرى، وهي حين الغضب والحرب والقتال، فواحدة وقت الرضى والمسالمة وموطن الكرم والسخاء، والأخرى في وقت الغضب والحرب. وتجمع جنوب بين صورتين، فأخوها شمس في النهار، وقمر في الليل، فتقول:

فكنـــت النهـــار بـــه شمســـه وكنـت دجـى الليـل فيـه الهـلالا [1]

وتقول الخنساء إن أخاها يشبه الشمس في إشراقه وبياض وجهه:

أبـــيض أبلـــج وجهـــه كالشـــمس فـــي خيـــر البشـــر [2]

وهو جميل ويعرفه الناس كما يعرفون البدر، أي أنه مشهور شهرة القمر تقول:

جـــم فواضـــله تنـــدى أناملـــه كالبـدر يجلـو ولا يخفـى علـى السـاري[3]

وأخيرا يمكن القول إن شواعر العرب في العصرين الجاهلي والإسلامي أحببن إخوانهن حبا شديدا، وبكينهم بكاء حارا، وأجدن في وصفهم في وقت السلم والحرب، وأكثرن من الوصف المعنوي، وكن مقلات في الوصف المادي، ففي الوصف المعنوي أكثرن من وصفهم بالشجاعة والفروسية والإقدام، والحسب والنسب وعراقة الأصل، والكرم والحلم ،والفصاحة والبيان، وكلها صفات حرص عليها العربي، وأحب أن يمدح بها، كي يطيب ذكره في حياته وبعد موته.

رابعا: أقارب آخرون

1- ابن الأخ:

ترسم لنا أميمة بنت أمية بنت عبد شمس بن عبد مناف صورة قيمة لابن أخيها أبي سفيان بن أمية ومن قتل من قومها يوم عكاظ، وهو الرابع من حرف الفجار، فالشاعرة تجزع عليهم جزعا شديدا حتى لكأن الظواهر الكونية اعتراها خلل لفقدهم، فحزنها كبير، ومصابها جلل، تقول:

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص101).

(2) الخنساء، الديوان (ص 57).

(3) المصدر السابق (ص64).

ابـــــي ليلـــــى ان يـــــذهب ونـــــيط الطـــــرف بالكوكـــــب

ونجـــم دونـــه الاهـــول بيـــن الـــــــــدلو والعقـــــــــرب

وهـــــذا الصـــــبح لا يـــــأتي ولا دنـــــــــو ولا يقـــــــــرب

بفقـــــــد عشـــــيرة منـــــا كـــــرام الخـــــيم والمنصـــــب [1]

لقد تطاول ليلها وامتد حتى ظنت أنه لا يذهب، وتعلق الطرف بالنجوم بسبب الأرق وكل ذلك لفقد أقارب كرام سادة من قومها.

إن ما حل بهم ما كان ليخطئهم، حيث لا مهرب من القضاء، تقول:

أحـــــال علـــــيهم دهـــــر حديـــــد النـــــاب والمخلـــــب

فحـــــل بهـــــم وقـــــد أمنـــــوا ولـــــم يقصـــــر ولـــــم يشـــــطب

ومـــــا عنـــــه إذا مـــــا حـــــل مـــــن منجـــــى ولا مهـــــرب

ألا يـــــا عـــــين فـــــابكيهم بـــــدمع منـــــك مســـــتغرب [2]

وتبرر الشاعرة سبب بكائها وجزعها وهلعها على ابن أخيها، ومن قتل من قومها، بأنهم أهلها وعشيرتها، الذين تعتز بهم وتشرف بالانتماء إليهم وهم حضنها الذي تلجأ إليه إذا ما دهمها أمر من الأمور، وهم فرسانها الذين يحمونها ويشدون على أعدائها حين تريد ذلك ، تقول:

فـــــإن أبـــــك فهـــــم عـــــزي وهـــــم ركنـــــي وهـــــم منكـــــب

وهـــــم أصـــــلي وهـــــم فرعـــــي وهـــــم نســـــبي إذا انســـــب

وهـــــم مجـــــدي وهـــــم شـــــرفي وهـــــم حصـــــني إذا أرهـــــب

---

(1) يموت، الشاعرات العرب (ص111).

(2) المرجع السابق (ص111).

وهـــم رمحـــي وهـــم ترســـي وهـــم ســـيفي اذا اغضـــب [1]

فالشاعرة رسمت صورة مشرقة لهم، فقد وصفتهم بالشرف وعراقة النسب، والمجد التليد وتصفهم بالصدق والفصاحة والبلاغة والبيان فتقول:

فكـــم مـــن قائـــل مـــنهم اذا مـــا قـــال لـــم يكـــذب

وكـــم مـــن نـــاطق فـــيهم خطيـــب مصـــقع معـــرب [2]

وهم فرسان شجعان، معلومو المكانة والمنزلة عظماء سادة كرام، لا تنطفئ لهم نار، ولا يضام لهم جار، نجباء منجبين تقول:

وكـــم مـــن فـــارس فـــيهم كمـــي معلـــم محـــرب

وكـــم مـــن مـــدره فـــيهم أديـــب حـــوّل قلّـــب

وكـــم مـــن جحفـــل فـــيهم عظـــيم النـــار والموكـــب

وكـــم مـــن خضـــرم فـــيهم نجيـــب ماجـــد منجـــب [3]

2- الجد:

رثت هند بنت معبد الأسدية[4] جدها، الذي كان ينادم النعمان فسكر وأمر بقتله مع عمرو بن مسعود، فقالت:

ألا بكـــر النـــاعي بخيـــر بنـــي أســـد بعمـــرو بـــن مســـعود وبالســـيد الصـــمد [5]

---

(1) يموت، الشاعرات العرب (ص111-ص112).

(2) المرجع السابق (ص112).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص112) كمي : شجاع، محرب : الشجاع في الحرب وغيرها، المدره : السيد الذ يدفع عنهم، اريب : لبيب متيقظ، خضرم : الكثير من كل شيء، نجيب : كريم.

(4) هند بنت معبد: شاعرة جاهلية من بني أسد كان جدها من ندماء النعمان وذات يوم سكر النعمان فأمر بقتل جدها ومعه عمرو بن مسعود لها رثاء في قومها. ينظر: شيخو، رياض الأدب في مراثي شواعر العرب (ج91/1).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص28)، الصمد : الذي ينتهي اليه السؤدد.

إن جدها سيد قومها، وهو خير قبيلة أسد كلها، ولا يسود الرجل، ولا يكون خير قومه، إلا إذا كان شريفا عفيفا، كريما، حليما، شجاعا، فارسا، مقداما، فصيحا بين اللسان، وكأن الشاعرة جمعت كل الصفات السابقة في كلمتين (خير _ وسيد).

ثم تشكو بعده عنها بعد قربه منها، حيث إنها لم تفكر يوما في هذا البعد ولم تخشاه تقول:

أثـــاروا بصـــحراء الثويـــة قبـــره وما كنت أخشى أن تنادي بـه البلد [1]

وتتمنى لو أنها كانت تستطيع دفع الموت عنه، ولكنها لا تستطيع فعل شيء، فقد غدوا بعيدا عنها تحت صخر وتراب، ولم يبق لها إلا البكاء فهو سلاح من لا سلاح له، وحيلة من لا حيلة له تقول:

أأمـيم هيهـات الصـبا ذهـب الصـبا واطـار عنـي الحلـم جهـل غرابـي

أيـن الألـى بـالأمس كـانوا جيـرة أمســوا دفــين جنــادل وتــراب

مـاتوا ولـو أنـي قـدرت بحيلـة لأحـدث صـرف المـوت عـن أحبـابي

مـا حيلتـي إلا البكـاء علـيهم إن البكـاء سـلاح كـل مصـاب [2]

إذا صورت الشاعرة جدها، في صورة السيد المدره، وهو الذي ينتهي اليه السؤدد،وتتمنى لو أنها قدرت على إنقاذه وافتدائه ولكن لا حيلة لها الا البكاء، فهو سلاح الضعفاء عند المصيبة.

3- ابن العم:

المجتمع العربي قبلي عصبي، والمرأة جزء أصيل من هذا المجتمع وصلة القرابة صلة قوية تربط أبناء الأسرة برباط العصبية التي تغذيها القيم السائدة في المجتمع الجاهلي التي لا يتسع المقام لذكرها، ولكن مكانة ابن العم مكانة خاصة عند ابنة عمه، لذلك لا غرابة ان تبكيه بحرقة وألم، وأن تتغنى بمناقبة؛ مزهوة بتلك المناقب، ومفاخرة غيرها، وحين نطالع الشعر العربي القديم، نجد بعض الشواعر العربيات من رسمن صورة من أجمل الصور التي يمكن أن ترسمها امرأة لابن عمها، فهذه هند بنت معبد تصور ابن عمها خالد بن حبيب في أزهى الصور

(1) الجاحظ، البيان والتبيين (ج1/ص161).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص28).

وأابهاها، معددة مناقبه المعنوية التي يفخر بها كل عربي ويحرص عليها، فابن عمها، كريم يملأ الجفان بالطعام للضيوف وذوي القربى، ويملأ الزق شرابا، وهو فارس شجاع مهاب الجانب، يقصر عن فعالة اقرانه، يقهر أعدائه، ويسبي نساءهم سمح لين حليم، ودود تطيب محادثته، ومجالسته، في وقت اللين واليسر، حتى غدا أحلى من التمر، ولكنه في وقت الجد يكون أحر من الجمر على أعدائه، أبي أنف عصى على أعدائه في وقت الإباء، من أجل ما سبق تستغرب من ملل البواكي بكاءه، وهو على ما كان عليه تقول:

أمســـى بواكيـــك مللـــن البكـــا وشـــر عهـــد النـــاس عهـــد النســـا

فـــابن حبيـــب فابكيـــا خالـــدا لجفنـــــة مـــــلأى وزق روى

وابـــن حبيـــب فابكيـــا خالـــدا لطعنـــة يقصـــر عنهـــا الأســـا

إن تبكيـــا لا تبكيـــا هنيـــا ومـــا بمـــا مســـكما مـــن حفـــا

إذ يخـــرج الكاعـــب مـــن خـــدرها يومـــك لا تـــذكر فيـــه الحيـــا

أحلـــى مـــن التمـــر وأحـــر مـــن الجمـــ ر وآبـــى عنـــد جـــد الإبـــا [1]

وهذه أعرابية ترسم صورة جميلة لابن عمها، فجعلته جبل المعالي الذي يزخر بالجود والكرم، والعطاء والسخاء، حتى انه لم يدع للاخرين شيئا فيوم دفن الجود كله معه، فموته موت السماحة والندى وكل جميل من مكارم الأخلاق حتى إن الدنيا غدت خاشعة بعد موته، وحق لها ذلك، بعد أن كانت نضيرة به، تقول:

عجبـت لطـود جهـم للمعـالي وزاخـر مـن الجـود أنـى صـير اللحـد مضـجعا

فلـــم يلتحـــد جهـــم وحيـــدا وإنمـــا حـــوى لحـــده طـــود المكـــارم أجمعـــا

ولـــم يحترمـــه الـــدهر فـــردا وإنمـــا أصـــاب بـــه بحـــر النـــدى والســـدى معـــا

وقـــد كانـــت الـــدنيا بحـــبهم نضـــيرة فـــأحر بهـــا مـــن بعـــده أن تخشـــعا [2]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص28).

(2) البغدادي، التذكرة الحمدونية (ج4/ص198).

الفصل الثاني

الآخر الزوج والمحبوب في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي.

المبحث الأول:
الآخر الزوج في شعر النساء

أولا: مكانة الزوجة:

علت مكانة الزوجة عند زوجها ،ونالت حظوة كبيرة ،فقد عرف لها قدرها، وأعلى من شانها، وأشركها في أمور حياته، وخصها بحبه وعطفه وحنانه، وشملها برعايته وذكرها في شعره متغزلا فيها، مجاهرا بحبها، يقول زهير بن أبي سلمى:

أمـــن ام أوفـــى دمنـــة لـــم تكـــم بحومانـــــة الـــــدراج فـــــالمتلثم [1]

ويقول امرؤ القيس متغزلا بزوجته أم جندب:

خليلـــي مـــرا بـــي علـــى أم جنـــدب لنقضـــــي حاجـــات قلـــب معـــذب

فإنكمـــــا إن تنظرانـــــي ســـــاعة مـــن الـــدهر تنفعنـــي لـــدى أم جنـــدب

ألـــم تريـــاني كلمـــا جئـــت طارقـــا وجـــدت بهـــا طيبـــا وإن لـــم تطيـــب

عقيلـــــة أتـــــراب لهـــــا لا ذميمـــــة ولا ذات خلـــق إن تأملـــت جانـــب[2]

فالشاعران السابقان نادوا زوجاتهم باللقب دون الاسم تكريما لهن وهذا كان شائع عند العرب مناداة الزوجة باللقب، تكريما لها ورفعا لقدرها وتحببا في وصلها وقربها، ورضى بعشرتها، يقول عروة بن الورد مخاطبا زوجته:

ذكـــــرت منـــــازلا مـــــن أم وهـــــب محـــل الحـــي أســـفل ذي النقيـــر

وأحـــــدث معهـــــد مـــــن أم وهـــــب معرســـنا فويـــق بنـــي النظيـــر[3]

---

(1) الزوزني، شرح المعلقات (ص133).

(2) امرؤ القيس، الديوان (ص 29– ص30).

(3) عروة، الديوان (ص63).

ويقول أيضا:

ســـلي الطـــارق المعتـــر يـــا أم مالـــك إذا مـــا أتـــاني قـــدري ومجـــزري

ويقول:

ذرينـــي ونفســـي أم حســـان إننـــي بهـا قبـل أن لا أملـك البيـع مشـتر[1]

وربما ناداها بألقاب أخرى تحبها وتعتز بها إكراما وإعزازا لها، ويقول عروة ملقبا زوجته بأبيها العظيم:

أقلـــي علـــي اللـــوم يابنـــة منـــذر ونامي وإن لم تشتهي النوم فاسهري[2]

ويقول حاتم الطائي لزوجته وقد أتته بالطعام:

أيـــا ابنـــة عبـــدالله وابنـــة مالـــك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد

إذا مـــا صـــنعت الـــزاد فالتمســـي لـــه أكـــيلا فـــإني لســـت آكلـــه وحـــدي[3]

وربما ناداها الزوج باسمها مجردا، إشعارا بالألفة وقرب النفس إلى النفس، وهذا هو الغالب، وربما ناداها اسمها مصغرا تدليلا وإيناسا، وربما كنى عنها بميزة من مميزاتها، وخاصة من خواص عملها، قال الشاعر:

ألـــم تعلمـــي يـــا ربـــة الخـــدر أننـــي أبـــــي إذا رام العـــــدو تهضـــــمي [4]

وقال أزهر ابن هلال التميمي ذاكرا اسم زوجته صراحة:

أعاتـــك مـــا وليـــت حتـــى تبـــددت رجـــالي وحتـــى لـــم أجـــد متقـــدما [5]

---

(1) عروة، الديوان (ص67).

(2) المرجع السابق، ص67.

(3) الطائي، حاتم (ص143).

(4) ينظر الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص201).

(5) المرجع السابق (ص202).

و قد يصغر اسمها تحببا كقول تابط شرا[1]:

تقـــــول ســـــليمى لجاراتهـــــا أرى ثابتـــا قـــد غـــدا مـــرملا [2]

ويقول عروة:

وقـــد علمـــت ســـليمى أن رأيـــي ورأي البخـــل مختلـــف شـــتيت [3]

و كان العربي كان يفخر بحسن عشرته مع زوجته فقد " كان من سراوة الخلق وسمات الرجولة أن يحسن الرجل عشرة زوجته، لذلك خايل بعضهم بانه لا يسيء عشرتها "[4]

يقول ذو الأصبع العدواني إنه يلبي نداء جارته وكنتها ولا يفجع زوجته بشر:

ثـــم ســـلا جـــارتي وكنتهـــا هـــل كنـــت فـــيمن أراب أو فزعـــا

أودعتـــاني فلـــم أجـــب ولقـــد تـــأمن فـــي حليلـــة الفجعـــة[5]

واذا كان العربي يحب الفخر بنفسه، وأن تذكر مفاخره ومحامده، فإنه يحرص أحيانا على أن يوجه الخطاب للزوجة، علما منه أنها تعشق مثل هذه الصفات والمفاخر، يقول عروة:

وقـــد علمـــت ســـليمى أن رأيـــي ورأي البخـــل مختلـــف شـــتيت

وأنـــي لا يرينـــي البخـــل رأي ســـواء عطشـــت وأن رويـــت

---

(1) تأبَّط شَرًا، (000 – نحو 80 ق هـ = 000 – نحو 540 م)، ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير، الفهميّ، من مضر: شاعر عدّاء، من فتاك العرب في الجاهلية. كان من أهل تهامة. شعره فحل، استفتح الضبي مفضلياته بقصيدة له، مطلعها: (يا عيد مالك من شوق وإيراق) ويقال إنه كان ينظر إلى الظبي في الفلاة فيجري خلفه فلا يفوته. قتل في بلاد هذيل وألقي في غار يقال له (رخمان) فوجدت جثته فيه بعد مقتله. وللجلودي كتاب (أخبار تأبط شرا) وللسيدين سلمان داود القره غولي وجبار جاسم، كتاب (شعر تأبط شرا – مطبوع) في النجف. ينظر الزركلي، الأعلام (ج97/2).

(2) البصري، الحماسة البصرية (ج24/1).

(3) عروة، الديوان (ص 50).

(4) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 205).

(5) الأصفهاني، الأغاني (ج97/3).

وأنـــي حـــين تشـــتجر العـــوالي حـــوالي اللـــب ذو رأي زميـــت[1]

ويقول أوس بن حجر[2]:

ألـــم تعلمـــي أم الجـــلاس بأننـــا كـــرام لـــدى وقـــع الســـيوف الصـــوارم ؟

وأنـــا لنعطـــي الحـــق منـــا وأننـــا لنأخـــذه مـــن كـــل أبلـــج ظـــالم[3]

ويقول عروة:

ســـلي الطـــارق المعتـــر يـــا أم مالـــك إذا مـــا أتـــاني بـــين قـــدري ومجـــزري

أيفـــر وجهـــي انـــه أول القـــرى وأبـــذل معروفـــي لـــه دون منكـــر[4]

ونجده يسارع بالاعتذار لها إذا ما فر من المعركة، لأنه يحرص على أن يظل فارسا بطلا مقداما في ذهنها، وألا تهتز هذه الصورة لعلمه المسبق بما تمثله هذه الصفات عندها، والتي طالما ذكرتها وتغنت بها وحرصت على وجودها في زوجها. يقول أوس بن حجر معتذرا لزوجته عن فراره من بني عبس:

أجاعلـــــة أم الحصـــــين خزايـــــة علـــى فـــراري أن لقيـــت بنـــي عـــبس

لقيـــت أبـــا شـــأس وشأســـا ومالكـــا وبكـــرا فجاشـــت مـــن لقـــائهم نفســـي

ولـــيس يعـــاب المـــرء مـــن جـــبن يومـــه إذا عرفـــت منـــه الشـــجاعة بـــالأمس[5]

---

(1) عروة، الديوان (ص 50).

(2) أوس بن حُجْر، (98 – نحو 2 ق هـ = 530 – نحو 620 م)، أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شريح: شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها، في نسبه اختلاف بعد أبيه حجر. وهو زوج أمّ زهير بن أبي سلمى. كان كثير الأسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند، في الحيرة. عمّر طويلا، ولم يدرك الإسلام، في شعره حكمة ورقة، وكانت تميم تقدمه على سائر شعراء العرب. وكان غزلا مغرما بالنساء، قال الأصمعي: أوس أشعر من زهير، إلا أن النابغة طأطأ منه. وهو صاحب الأبيات المشهورة التي أولها: (أيتها النفس أجملي جزعا) له (ديوان شعر مطبوع). ينظر الزركلي، الأعلام (ج31/2)

(3) ابن حجر، أوس ،الديوان (ص28).

(4) عروة، الديوان (ص78).

(5) ابن عبدربه، العقد الفريد (ج130/1).

ويعتذر زهير بن هلال لزوجته بأنه لم يفر إلا بعد أن تفرق عنه رجاله وهزموا، ولم يجد من الحصافة والكياسة أن يتقدم وحده ولم يفر إلا بعد أن أثخن الجراح في أعدائه:

أعاتــك مــا وليــت حتــى تبــددت رجــالي وحتــى لــم أجــد متقــدما

وحتــى رأيــت الــورد يــدمى لبانــه وقــد هــزّه الأبطــال فانتعــل الــدما

أعاتــك أفنــاني الســلاح ومــن يطــل مقارعــة الأبطــال يرجــع مكلمــا[1]

والعربي لا يحب أن تكون للزوجة سلطة عليه، فإنه كان يحرص على حسن معاملتها، فإنه لا يرضى أن يكون خنوعا وإمعة لا رأي له، فرجولته وفتوته تأبى ذلك، يقول الشنفري:

إذا مــا جئــت مــا أنهــاك عنــه ولــم أنكــر عليــك فطلقينــي

فأنــت البعــل يومئــذ فقــومي بســوطك لا أبالــك فاضــربيني[2]

ويقول عروة أنه لا يطيع زوجته إذا أمرته بعقوق:

إذا أمرتنــي بــالعقوق حليلتــي فلــم أعصــها إنــي إذا لمضــيع [3]

لذلك نجد العربي يحرص على أن يتزوج المرأة العفيفة الشريفة، التي نشأت منشأ حسنا، فهي التي ستصبح مسئولة عن بيتها وزوجها وأبنائها، فصلاحها صلاح لأبنائها، وهذا ما يشير إليه عبيد بن أيوب العنبري[4] حيث يقول:

وأول خبــث المــاء خبــث ترابــه وأول خبــث النجــل خبــث الحلائــل [5]

---

(1) البغدادي، التذكرة الحمدونية (ج2/448).

(2) فرحات، ديوان الصعاليك (ص54).

(3) عروة، الديوان (ص84).

(4) عبيد بن أيوب العنبري، من بني العنبر، يكنى أبا المطراب أو أبا المطراد: من شعراء العصر الأموي. كان لصا حاذقا. أباح السلطان دمه، وبرئ منه قومه، فهرب في مجاهل الأرض، واستصحب الوحوش، وأنس بها، وذكرها في أشعاره. وكان يزعم أنه يرافق الغول والسعلاة وبيايت الذئاب والأفاعي وكتب الدكتور نوري حمودي القيسي " عبيد بن أيوب العنبري، حياته وما بقي من شعره " في مجلة المورد لعراقية: العدد 2 من المجلد 3 (ص 121 – 136). ينظر: الأعلام (ج4/188).

(5) الجاحظ، الحيوان (ج2 /ص138).

فالرجل يحب المرأة الكريمة العفيفة الحيية، البعيدة عن الريبة، لذلك نتجه يتغنى بهذه الصفات التي يحبها ويعشقها في زوجته، يقول الشنفري:

لقد أعجبتني لا سقوطاً قناعها إذا ما مشت ولا بذات تلفت

تبيت بعيد النوم تهدي غبوقها لجارتها إذا ما الهدية قلت

تحل بمناجة من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالمذمة حلت

كأن لها في الأرض نسيأ تقصه على أمها وإن تكلمك تبلت[1]

ويقول في أمانتها وحفظها لأسرار زوجها، وعدم ذكر زوجها أمام الناس إلا بما يحب، وعفتها ولزوم بيتها وعدم مغادرته:

أميمة لا يخزي نثاها حليلها إذا ذكر النسوان عفت وجلت

إذا هو أمسى آب قرة عينه فآب السعيد لم يسل أين ظلت

قال الأصمعي:"هذه الأبيات أحسن ما قيل في حق النساء وعفتهن "[2]

وإذا كان الشعر العربي يزخر بالشعر الذي الذي أبدع أصحابه في وصف المحبوبة وصفا حسيا ومعنويا، حتى أنهم لم يتركوا شيئا يخصها إلا وصفوه، فإن الشاعر العربي أيضا لا يجد حرجا في وصف الزوجة وصفا حسيا وخصوصا في اوقات المعارك، يقول عمرو بن كلثوم:

على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا

إذا ما رحن يمشين الهوينا كما اضطربت متون الشاربينا

يقتن جيادنا ويقان لستم بعولتنا إذا لم تمنعونا [3]

---

(1) الضبي، المفضليات (ص159). الغبوق :ما يشرب بالعشي، المنجاة :مفعلة من النجوة وهي الارتفاع. النسي :الشيء المفقود. تقصه: تتبعه. أمها : قصدها

(2) المرجع السابق (ص 159).

(3) ابن النحاس، شرح القصائد المشهورات (ج2 / 122- 126).

و يقول الأعشى يصف النساء في معركة ذي قار:

لمـــا أتونـــا كـــأن الليـــل يقـــدمهم مطيـق الأرض يغشـاها بهـم سـدف

و ظعننـــا خلفنـــا كحـــلا مـــدامعها أكبادهـــا وجـــف ممـــا تـــرى تجـــف

حواســـر عـــن خـــدود عاينـــت عبـــرا و لاحهـــا وعلاهـــا غبـــرة كســـف

من كل مرجانة في البحر أخرجها غواصـها ووقاهـا طينهـا الصـدف[1]

والزوج الذي يحب زوجته يعلم تماما أن زوجته تبادله الحب والتقدير وتحرص على حياته، وماله وقد تكثر من لومه بعاطفة صادقة، وقلب نابض بالمحبة، لذلك نجده يتقبل هذا ويستمع له بسعة صدر وطول بال، ويحاورها حوارا هادئا رزينا.

يقول حاتم الطائي مصورا لومها له على بذل ماله

وعاذلـــــة هبـــت بليـــل تلـــومني وقـــد غـــاب عيـــوق الثريـــا وعـــردا

تلـــوم علـــى إعطـــائي المـــال خلـــة إذا ضـــن بالمـــال البخيـــل وصـــردا

تقـــول ألا أمســـك عليـــك فـــإنني أرى المـــال عنـــد الممســـكين معبـــدا

ذريـنـــي وحـــالي إن مالـــك وافـــر وكـل امـرئ جـار علـى مـا تعـودا[2]

إنه يحاورها حوارا هادئا، بسعة صدر، وطول بال ومحاولا إقناعها على أن تكف عن لومه بحده فيقول:

أعـــاذل لا آلـــوك إلا خليقتـــي فـــلا تجعلـــي فـــوقي لســـانك مبـــردا

---

(1) الأعشى، الديوان (ص 347). الصدفة : الظلمة.الظعينة: الزوجة.المدامع: جمع مدمع وهي العين. تجف: تخفق. كسف: جمع كاسف وهو المهموم.

(2) الطائي، الديوان (ص 74) عيوق الثريا : هو النجم الذي يتلو الثريا ولا يتقدمها، عرد : مال للمغيب ،المال المعبد : المال المعبود.

ذريني يكن مالي لعرضي جنة يقي المال عرضي قبل أن يتبددا

أريني جوادا مات هزلا لعلني أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

وإلا فكفي بعض لومك واجعلي إلى رأى من تلحين رايك مسندا [1]

كذلك نجده يحاورها حوارا هادئا رزينا، ينم عن شخصيته متزنة، تعرف للمرأة قدرها، مع وعي لما تكنه زوجته من حرص على نفسه وماله وعياله.[2]

والزوجة تحب أن يظل زوجها مستقيما يحافظ على علاقه السليمة بها دون إسفاف ، أوعكوف على الهوى والخمر، والانغماس في الملذات، والملهيات لما فيه من اعوجاج للخلق، وبعد عن الفضيلة، يقول الأعشى:

ذريني لك الويلات آتي الغوانيا متى كنت زراعا أسوق السوانيا

ولكن الرجل قد يتضجر من تماديها في اللوم، فإذا ما وجد أنها تعدت حدودها التي رسمتها لها الأعراف السائدة، فإنه يكون عنيفا معها، قاسيا عليها، يغلظ القول لها، يقول عنترة لامرأة من بجيلة تذكر خيله وتلومه على جواد كان يؤثره، ويسقيه ألبان إبله:

لا تذكري مهري وما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجرب

إن الغبوق له وأنت مسوءة فتأوهي ما شئت ثم تحوبي [3]

بما الزوجة المحبة لزوجها والحريصة على حياته تحاول أن تثنيه عن الغزو والخروج للقتال، وقد تلجأ للبكاء من أجل إثارة الشفقة لديه فيطيعها إلى ما تريد لإنها لا تطيق العيش بدونه، ولا تقدر على على فراقه، يقول عروة:

تقول: ألا أقصر من الغزو وأشتكي لها القول ' طرف أصور العين دامع

---

(1) الطائي، الديوان (ص 74). جنة : وقاية، تلحين : تلومين.

(2) ينظر: ديوان حاتم الطائي (ص 78، 83، 104)

(3) عنترة، الديوان (ص 108). الغبوق : شراب العشي، التحوب : التوجع

ســأغنيك عــن رجــع المــلام بمزمــع مــن الأمــر لا يعشــو عليــه المطــاوع[1]

ومع ذلك فالمرأة العربية تفضل الرجل الغني على الرجل الفقير، فهي تستحثه على السعي في طلب الرزق، فالمال فيه مهابة، والفقر شر لا يمكن احتماله. يقول عروة:

قالــت تحاضــر إذا رأت مــالي خــوي وجــف الأقــارب فــالفؤاد قــريح

مــالي رأيتــك فــي النــدي منكســأ وصــبا كأنــك فــي النــدي نطــيح

خــاطر بنفســك كــي تصــيب عنيمــة إن القعــود مــع العيــال قبــيح

المــال فيــه مهابــة وتجلــه والفقــر فيــه مذلــة وفضــوح [2]

إن العربي يدرك هذه الحقيقة وهي أن الزوجة تحب المال، وتستهويها الثروة، فالفقير لا خير فيه عندها، فهو يقابل بكل احتقار وازدراء عندها وعند صغارها، أم الغني مهما كان وزنه فإنه ينعم بالاحترام والتقدير وتقبل خطاياه، وتغفر زلاته، يقول عروة:

دعينــي للغنــى أســعى فــاءني رأيــت النــاس شــرهم الفقيــر

وأبعــدهم وأهــونهم علــيهم وإن امســى لــه حــب وخيــر

ويقصــيه النــدي وتزدريــه حليلتــه وينهــره الصــغير

ويلفــي ذو الغنــى ولــه جــلال يكــاد فــؤاد صــاحبه يطيــر

قليــل ذبــه والــذنب جــم ولكــن الغنــي رب غفــور[3]

---

(1) عروة ،الديوان (ص82). مزمع : من أزمع الأمر قرره، وأثبت عليه وأصر، وأظهر فيه حزما، يعشو عليه : يقصده.المطاوع: الموافق.

(2) عروة ،الديوان (ص 54). خوى : فرغ، الوصب المريض. النطيح : الذي نطحه الثور بقرنه، ونطحه فلان: دفعه عنه وأزاله.

(3) عروة، الديوان (ص79).

وحب الزوجة للمال يجعلها حريصة عليه، تخشى من تبذيره وضياعها، لذا نجدها تطلب من زوجها الاقتصاد في الإنفاق، وقد يصل بها الأمر الى البخل أحيانا ،كما يصور ذلك تأبط شرا حين يقول:

تقـول أهلكت مالا لو قنعـت بـــه مـن ثـوب صـدق ومـن بـز وأعـلاق

عــاذلتي إن بعــض اللــوم معنفــة وهــل متــاع إن أبقيتــه بــاق[1]

" لعل حب المرأة الزوجة للمال، نابع من خوفها المستمر من المجهول الذي ينتظرها ويلف مستقبلها، حيث أن الفقر وضياع المال مدعاة للخروج المستمر، والتعرض للخطر الدائم الذي يؤول بالمرء إلى الموت أو الوقوع في الأسر وهذا ما تخشاه المرأة دائما."[2]

والعربي يدرك حقيقة مرة وهي أن الزوجة تحب الشباب لما فيه من فتوة وقوة، ونضارة وجمال، وانطلاق نحو الحياة ،لذا يعاني من الاعراض عنه إذا ما وخطه الشيب، لذلك ظل الشيب نذير شؤم، حيث أنه إيذان بنهاية مرحلة اللهو والتصابي والشباب. فهذا قيس بن الحدادية[3] يدرك هذه الحقيقة كما أدركها غيره فيقول:

هــل الأدم كــالآرام والزهــر كالــدمى معــــاودتي أيـــامهن الصـــوالح

زمــان ســلاحي بيــنهن شــبيبتي لهــا ســائف فــي ســيبهن ورائــح

فأقســمن لا يســقينني قطــر مزنــة لشـيبي ولـو سـالت بهـن الأبـاطح[4]

لذلك نجد العربي يحاول أن يسلك طريقا أخر إلى قلب زوجته ألا وهو طريق الفروسية والبطولة وخوض الأحداث الجسام، فيقول أن ما بي من شيب ليس من طول العمر، ولكن من كثرة المعارك التي خضتها وجابهت أهوالها، واكتويت بحر نارها [5]، يقول عروة:

---

(1) الضبي، المفضليات (ص30).

(2) مهنا، المرأة في شعر الصعاليك (ص115).

(3) قيس بن الحدادية الخزاعي والحدادية أمه وهي من بني حداد من كنانة وقوم يجعلونها من حداد محارب، وهو شاعر قديم كثير الشعر له مع عامر بن الظرب العدواني حديث. ينظر المرزباني، معجم الشعراء (ص325).

(4) الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار (ص 321).

(5) ينظر مهنا، المرأة في شعر الصعاليك، (ص 115).

ومـا شـاب رأسـي مـن سـنين تتابعـت طـوال ولكـن شـيبته الوقـائع [1]

ولكن قيس ابن الحدادية يبرر شيبه بسبب آخر غير الحرب وقتال الأعداء، فشيبه بسبب حب محبوبته التي أحبها وهام بها حتى أنه ليتمنى الموت ولا يسمح برحيلها. يقول:

و إن الــذي أملــت مــن أم مالــك أشــاب قــذالي واســتهام فؤاديــا

فليــت المنايــا صــبحتني غديــة بــذبح ولــم أســمع لبــين مناديــا[2]

إن الشيب مبعث قلق للعربي، يقول مالك بن صريح:

جزعـت ولـم تجـزع مـن الشـيب مجزعـا وقـد فـات ربعـي الشـباب فودعـا

ولاح بيــاض فــي ســواد كأنــه صـوار بجـو كـأن جـدبا فأمرعـا[3]

من أجل ذلك نجد العربي الذي أدرك هذه الحقيقة ،يعزف هو الآخر عن طلب ود من لا يرغب في وده، والسعي وراء من أدار له ظهره، بل يدرك حقيقة تتكشف له يوما بعد يوم ؛ أن التصابي واللهو مع الناس قد أضحى لا يتناسب مع سنه وعمره ؛ لذلك نجده يشغل نفسه بوصف ناقته ويبدع في وصفها، ويتحدث عن خوض الصحراء، وذكر حله وارتحاله في مجاهلها، وتحمل مشقات السفر فيها، وربما يهدف من هذا، التأكيد على أنه ما زال قويا قادرا على تحمل أعباء الحياة.

وبعد فإن المرأة وجدت عند زوجها المنزلة والمكانة التي حفظت لها قدرها وصانت وجهها، وأعلت شأنها، حاطها برعايته، وحماها بقوته وأحسن صحبتها، فعاشت في كنفه عزيزة ،كريمة، شريفة، إن قالت سمع لقولها، وإن أشارت استمع لمشورتها، في ود ومحبة وألفة، وسعة صدر، ورحابة نفس، وعلو همة، وحسن خلق.

---

(1) عروة، الديوان، (ص82).

(2) الأصفهاني، الأغاني، (ج 151/14). القذال : جماع مؤخر الرأس. استهام فؤاده : أذهبه

(3) الأصمعي، الأصمعيات (ص 62). الصوار: القطيع من البقر. الجو :ما انخفض من الأرض.

ثانيا: الصفات المعنوية:

لقد أدركت المرأة العربية الجاهلية المكانة الكبيرة والمهمة للزوج الذي ربطت حياتها بحياته، ومستقبلها بمستقبله، وتبثه ودها وحبها، وله تسلم أمرها، فلا غرو فهو الذي يحوطها برعايته، فعنها يدافع، ومن أجلها يكافح وينافح، لذلك فإنها تصوره بالجبل المانع الحصين الذي تلوذ به فتحيا حَصاناً بعيدةً عن كل ما يسوؤها، تقول فاطمة بنت الأحجم[1]:

يـــا عيـــن بكّـــي عنـــد كـــل صبـــاح ... جـــــودي بأربـــــعةٍ عـــلى الجـــراح

قـد كنـــت لـــي جبـــلاً ألـــوذ بـــــه ... فتـركتنـــي أضحـــي بأجـــردَ ضـــاح

قـــد كنـــتُ ذاتَ حَميَّـــةٍ مـــا عشـــت لـــي ... أمشـــي البَـــرازَ وكنـــت أنـــت جنـــاحي

فاليـــــوم أخضـــعُ للذليـــل وأتقـــــي ... مـــنـــــه وأدفـــعُ ظالـــمـــي بـــالـــرَّاحِ

وإذا دعـــــت قمـــــرية شجـــناً لـــها ... يومـــاً علـــى فـــنَنٍ دعـــوت صـــباحي

وأغـــضُّ مـــــن بصـــري وأعلـــم أنـــه ... قـــد بـــان حـــدُّ فـــوارسي ورمـــاحي[2]

نلحظ مما سبق أن الزوجة كانت تحيا حياة هانئة وادعة في كنف رجل أبي حمي تحتمي بسلطانه، وتعتز بقوته وعنفوانه، فلا يجرؤ أحد على الاقتراب منها، أو المساس بها، إلا أن فقده غيّر الأمن خوفاً، والعز ذلاً، وأضحت بعده تدفع عن نفسها براحة يدها، فأصبحت كسيرة الجناح، مهيضة الجانب.

---

(1) فاطمة بنت الأحجم الخزاعية: هي ابنة الاحجم بن دندنة، ويقال الاخجم أيضا. وهو أحد سادات العرب في الجاهلية، وأمّها خالدة بنت هاشم بن عبد المطلب، وقد تمثّلت السيدة فاطمة بنت محمد (ﷺ) بشعرها حين انتقل الرسول (ﷺ) الى الرفيق الأعلى. ينظر: كحالة، أعلام النساء (ج26/4).

(2) عبدالرحمن، عفيف، ديوان شعر الأيام (ص 449). المرزوقي، حماسة أبي تمام (ج2 /959). ويموت، شاعرات العرب (ص164). بكّي: أكثري البكاء. الأربعة: أرادت بها قبائل الرأس والدمع يخرج من الشؤن. الضاحي: البارز للشمس، الأجرد: الأملس. البراز: المكان الفضاء من الأرض. أدفع ظالمي بالراح: أدافعه باللين ما أجد السبيل إليه. دعوت صباحي: قلت واصباحاه. أغض من بصري: غض البصر من فعل الذليل.

إن هذا الشعور الطاغي على المرأة العربية يجعل جليلة بنت مرّة ترى أن فقد الزوج يعني انهدام البيت، حيث تقول:

يـــا قتـــيلاً قـــوض الدهـــــرُ بـــه سقـــف بيتـــي جميعـــاً مـــن عـــلِ

هـــدّم البيـــت الـــذي استحدثتـــه وســـعى فـــي هـــدم بيتـــي الأول

مســـــني فقـــد كليـــب بلـظـــىً مـــن ورائـــي ولظـــىً مســـتقبلي[1]

لقد آل بيت الزوجية إلى الخراب والدمار بعد مقتل زوجها، فهي تعبر عن مصيبتها في فقد زوجها بعاطفة صادقة ملتهبة لا تكلف فيها ولا تصنع، فالأمر جلل، والمصيبة عظيمة.

إن الزوج هو ذلك البطل الهمام الذي يحمي الحرمات، ويدفع المنكرات، ويذود عن حمى القبيلة في الشدائد والملمات، إذا ما اشتد أوار الحرب واكتوى الناس بلظاها، وهو الذي يكرم الضيف، ويغيث الملهوف، فإذا ما فُقِد، فقدت كل هذه الخصال، واستحال الأمن خوفاً، وجهداً وبلاءً، وازدادت الحياة ضنكاً، مما يورث الزوجة حرقة وألماً لا ينقضيان، ودمعاً لا يرقأ، وسهداً طويلاً. تقول سمية زوجة شداد العبسي:

جفـــاني الكـــرى وأنـــا فـــي الغَسَـــقْ وســـاعـــدني الدَّمْـــعُ لمـــا اندفـق

لفـقـــد همـــام مضـــى وانقـضـــى وقـــد زاد مـنـــي عـليـــه القلـــق

فمـن بعـد شـــداد يحـمـــي الحريـــم إذا الحـــرب قامـــت وســـال العـرق؟

ومـــن يـــردع الخيـــل يـــوم الـوغى ومـن يطعـن الخصـم وسـط الحـدق؟

ومـــن يـكـــرم الضيـــف فـــي أرضـه ومـــن للمنـــادي إذا مـا زَعـــق؟

لقـد صـــرت مـــن بعـــده فـــي ضـنـىً وقـلبـــي لأجـــل الفـراق احتـــرق[2]

---

(1) يموت، شاعرات العرب في الجاهلية (ص 37 – 38).

(2) ديوان شعر الأيام (ص 351 – 352). ويموت،، شاعرات العرب (ص 95). الحدق: جمع حدقة وهي السواد المستدير وسط العين. زعق: صاح.

فشداد فارس شجاع يحمي الحرمات، ويخف لنصرة الملهوف والمستجير، ويكرم الأضياف، وهي صفات طالما أحبتها المرأة في زوجها، لذا فهي تعبر عن حزنها لمقتل زوجها وما انتابها من سهاد وضنى؛ فأمضت ليلها تذرف الدموع الغِزار، التي كانت معينها في محنتها، لقد زاد قلقها؛ لأنها فقدت الرجل الشجاع، الذي يحمي الحريم، ويدفع عنها السبي، عند اشتداد أوار المعارك فيرد خيل الأعداء ويطعنهم الطعنة النجلاء[1].

ونجد الرباب زوجة الحسين بن علي – رضي الله عنه –، تلح في شعرها على ذات الصفة التي تتغلغل في أعماق المرأة معبرة عن حاجتها الدائمة لمن يحميها ويدفع عنها حيث تقول:

قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به وكنت تصحبنا بالرُّحمِ والدينِ

والله لا أبتغي صهراً بصهركُمُ حتى أُغيَّبَ بين الرَّمل والطين[2]

فالمرأة أكثرت من وصف الزوج بالجبل، وهذا تضخيم في الوصف يظهر الحالة النفسية، وهذا الشعور الطاغي عليها، الذي يعد مزيجاً من الخوف والقلق، والألم والحسرة، والضعف وقلة الحيلة، والتي كان الزوج حصناً لها منها، الأمر الذي يعد هذا الوصف منطقياً ومقبولاً. لذلك نجد أن الخرنق بنت بدر ترى أن الحزن يتوقف عند فقد زوجها بشر حيث تقول:

ألا أقسمتُ آسى بعد بشرٍ على حيٍ يموتُ ولا صديق[3]

وما ذاك إلا لما يتصف به زوجها بشر، من صفات الشجاعة والإقدام والحمية، والكرم، تقول:

ألا ذهب الحلَّال في القفراتِ ومن يملأ الجفان في الحَجَرات

ومن يرجع الرمح الأصم كُعُوبُه عليه دِمَاءُ القوم كالشقرات[4]

---

(1) ينظر: عبد قاسم، مراثي النساء في شعر عصري ما قبل الإسلام، وصدر الإسلام دراسة موازنة (ص68– 69).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص172).

(3) الخرنق، الديوان، رواية أبي عمرو بن العلاء (ص 39).

(4) الخرنق، الديوان، رواية أبي عمرو بن العلاء (ص 48 – 49). الحجرات: السنوات المجدبة، يطعم فيها الأضياف. الشقرات: مفردها الشقرة، وهي شقائق النعمان.

وتقول مفتخرة بزوجها:

لَقَـــــد عَلِمَـــت جَديلَـــةُ أنَّ بِشـــراً غَـــداةَ غـداةَ مُـرَبَّحٍ مُـرُّ التقاضـي

غـــداةَ أتـــاهُمُ بِالخَيـــلِ شُعثـــاً يَـــدُقُّ نُســـورَها حَـــدُّ القِضـــاض

عَلَيـهـــا كُـــلُّ أَصيَـــدَ تَغلِبِـــيّ كَـــــريمِ مُرَكَّـــبِ الحَـــدَّين مـــاضِ

بِأَيـديـــــهِم صَـــــوارِمُ مُرهَفـــــاتٌ جَلاهـــا القَـــينُ خالِصَـــةُ البَيـــاضِ

وَكُـــلُّ مُثَقَّـــفٍ بِالكَـــفَّ لَـــــدنٍ وَســـــابِغَةٍ مِـــنَ الحَلَـــقِ المُغـــاض

فَغـــادَرَ مَعقِـــلاً وَأَخـــاهُ حِصـــناً عَفيـرَ الوَجـه لَـيسَ بِـذي اِنتِهـاضِ[1]

"فبشر بن عمرو سيد بني مرثد، وكان رجلاً ذا كبرٍ ونخوة"[2].

فالشاعرة تعدد صفات زوجها التي أحبتها فيه، والتي تحرص على ذكرها في شعرها، لما لها من أهمية في حياتها، فهو جواد كريم، يحمي الحرمات ويذود عنها، ويجالس علية القوم من الملوك والأمراء، تقول:

فكـــمْ بقـــلابَ مـن أوصالِ خـرقٍ أخـــــي ثـقـــةٍ وجُمْجُمـــــةٍ فـلِيـــقِ

نـــدامـــى للـمـــلوكِ إذا لـقـــوهـــمْ حُبُـــوا وســـــقوا بِكأسِهـــمُ الرحيـــق

هـــمُ جـــدعوا الأنـــوفَ وأوعبـــوها فـمـــا ينســـاغُ لـــي مـــن بعـدُ ريقـي

و بيـــضٍ قـد قعـــدنَ وكـــلُّ كـــحلٍ بـأعينهـــــنَّ أصبـــــحَ لا يـلـيـــــق

---

(1) المرجع السابق (ص 50 – 51). نسورها: بواطن حوافرها، القضاض: االحصى الصغار. الأصيد: المتكبِّر أو المغرور، أي الذي يرفع رأسه تيهاً وكبراً، ومن هنا قالوا: (الملوك الصيد). الصارم: السيف الثقيل. جلاها القين: صقلها وسنها الحداد. المثقف: الرمح المهذب المسوّى، اللدن: الطري، المهتز، السهل السيطرة عليه. سابغة: واسعة. المغاضة: هي الثياب الفضفاضة. ليس بذي انتهاض: أرادت الخرنق أنه أصبح جثة هامدة لا حراك لها.

(2) المرجع السابق (ص 33).

أضـــاع بضـــوعَهن مُصـــابُ بشـــــرٍ و طعنـــــةُ فاتـــكٍ، فمتـــى تفيقـــي ؟![1]

أما ليلى العفيفة، فإنها تفخر بزوجها البراق وتمدحه بقولها:

بـــــراق سيـــــدنا وفـــــارس خيلنـــــا وهـــو المطـــاعن فـــي مضـــيق الجحفـــل

وعمـــاد هـــذا الحـــي فـــي مكروهـــة ومـــؤمـــل يـــرجـــوه كـــل مؤمـــل[2]

فالبراق ابن عم الشاعرة وزوجها، فارس العشيرة، وسيدها، الذي لم يُخيب ظنها فيه حين استنجدت به وهي عند الفرس أسيرة، حيث احتال لها وخلصها، وعاد بها إلى أهلها، معززة مكرمة، وفيه قالت وهي في الأسر:

ليـــت للبـــرّاق عينـــاً فتـــرى مـــا ألاقـــي مـــن بـــلاء وعنـــا[3]

وقد يصل الحد بالمرأة أن تجعل الجماد يشاركها إحساسها الطاغي عليها، وحسرتها المتمكنة منها، فيفتخر القبر بمن حل فيه، ويتيه على باقي القبور، غبطة بساكنيه، لما يحوي الجب من الصفات الطيبات، البطولة والسماحة والكرم وبعد المنال.

تقول امرأة:

هـــل خبّـــر القبـــر ســـائليه أم قـــرّ عينـــاً بزائريـــه

أم هـــل تـــراه أحـــاط علمـــاً بالجســـد المســـتكين فيـــه

لـــو يعلـــم القبـــر مـــن يـــواري تـــاه عـــلى كـــل مـــا يليـــه[4]

ثم كغيرها تعدد صفات البطولة والشجاعة والإقدام، وحماية الأعراض فتقول:

أنـــعى بريـــداً إلـــى حـــروب تحسَّـــرُ عـــن منظـــر كريـــه

---

(1) الخرنق، الديوان، رواية أبي عمرو بن العلاء (ص 41 – 42). الخرق: الجواد التي يتخرق بالمعروف.
(2) يموت، شاعرات العرب (ص 34).
(3) المرجع السابق (ص 32).
(4) يموت، شاعرات العرب (ص 181).

يـــا جـبـــــلاً كـــــان ذا امتنـــــاعٍ وطـــــود عـــــزٍّ لمـــــن يليـــــه[1]

وترى نعم زوجة شماس بن عثمان في فقده فقداً للكرم والشجاعة والإقدام، والفروسية، فهو الرجل الجواد الكريم، القائد الشجاع، الذي لا يقعد عن سرية، ولا يقبل الدنية، وهو الكافي لأهله مؤونتهم وسبل عيشهم، تقول:

يـا عـين جـودي بفـيض غيـر إبسـاس عـــلى كـريـم مــن الفتيــان لبّـــاس

صـعـــب البديـهـــةِ ميمـــون نقيبتـــه حـــمّـــال ألـــويـــــة ركّـاب أفـــراسِ

أقـــول لمـــا أتـى النـاعي لـه جـــزعاً أودى الجـــوادُ وأودى المطعـــمُ الكاســـي

وقلـــت لمـا خَلَـــتْ منـــه مجالســـه لا يـبـعـــد اللـه عنّـا قـرب شمّـاسِ[2]

وانظر إلى هذه المبالغات التي لجأت لها، وهي تمعن في الوصف، وتتأنق في إلحاق الصفات، التي طالما أحبتها فيه.

وتعترف سلمى بنت حريث النضرية بأن زوجها يمثل الحصن المنيع الذي يحميها من اللأواء والغير، وصروف الدهر، حيث تقول:

أصـبحت نهبـاً لريـب الـدهر صـابرة للـــذل أكثـــر تحنـــاناً إلـــى زُفـــر

إلـى امـرئ ماجـد الآبـــاء كـان لـــنا حصـنـــــاً مـــن الـــلأواء والغِـــيَر

كـــان العمـــاد لنـــا فـي كـــل حـــادثة تـــأتـــي بهـــا نائبـات الـدهر والقـدر[3]

فزوجها هو الملاذ لها من كل حوادث الدهر، فتحيا في كنفه عزيزة كريمة، فإذا ما فقدته، كانت عرضة للذل والهوان.

---

(1) المرجع السابق (ص 181).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 126). الإبساس: إبساس الرجل بالناقة لتدر. ينظر: البندنيجي أبو بشر (ت 284 هـ)، التفقيه في اللغة (ص 472). النقيبة: النفس. وميمون النقيبة: أي مظفر.

(3) ابن طيفور، بلاغات النساء (ص 181). اللأواء: الشَّدة والبلية. الغير: الملمات.

وهذا جعل المرأة العربية تحرص على أن يتصف زوجها بالشجاعة والإقدام وإغاثة الملهوف في وقت يقل المغيث، ونجدها ترد هذا كثيراً في شعرها، تقول امرأة من طيء:

ألـهفـي عليـك ابـن الأشـد لهمـةٍ أفـــزَّ الكمـــاة طعـــنها وضـــرابُها

مـتى يـدعـه الـداعـي إليـه فإنـه سميـــعٌ إذا الآذان صـــمٌ جـــوابها

هـو الأبـيض الوضـاح لـو رُميَـت بـه ضـــواحٍ مـــن الريّـــان زال هضـــابُها[1]

فزوجها فارس شجاع لا يخشى لقاء الفرسان، ولا يقعد عن نصرة المستغيث.

إن الزوج يغدو في نظر الزوجة مزيجاً من الصفات التي أحبتها حتى إنها تبكي – حين تبكيه – على فقدها، تقول امرأة:

أبكيـــك لا للنعيـــم والأنـــس بـــل للمعـــالي والـــرمح والفـــرس

أبكـــي علـــى فـــارس فجعـــت بـــه أرمـــلني قبـــل ليـــلة العـــرس

يـــا فارســـاً بالعـــراء مطـــرحاً خانتـــه قـــواده مـــع الحـــرس

مـــن لليتـامـــى إذا هـــم سغبـــوا وكـــل عـــان وكـــل محتبـــس! [2]

وهذه زهراء الكلابية تتحدث عن فقدها للأمن والأمان الذي كانت تحياهما في كنف زوجها، فتقول متحسرة:

وكنـــت أنـــام الليـــل مـن ثقتـــي بـه وأعلـــمُ أنْ لا ضـــيْمَ وهـــو صـــحيحُ

فأصبحـــتُ ســـالمتُ العـدوَّ ولـم أجـــدْ مـــن الســـلم بـــداً والفـؤاد جـريحُ[3]

إن ابنة النعمان بن بشير لم تنس زوجها مالك بن عمرو الغساني، حين أن فقْده أفقدها النطق عاماً، وعندما أرادوا أن يزوجوها بأحد أبناء الملوك أنشأت تقول:

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 92). الكماة: مفردها كمي، وهو الفارس الشجاع.

(2) المبرد، الكامل (ج4 /80).

(3) البصري، الحماسة البصرية، (ج228/1).

يـقـول رجـال زَوِّجـوها لـعلـها تفيـق وتـرضـى بعـده بخـليـلِ

فأضمرت فـي الـنفس التـي لـيس بعدها رجـاءٌ لهـا والصـدق أفضـل قيـلِ

أبـعـد ابـن عمـروٍ سيـد القوم مالك أزف إلـى زوجٍ بـعضـبٍ كليـلِ[1]

إنها ترفض الزواج بغير زوجها، الذي أحبته، حباً ملك عليها نفسها، تصغي لكل حديث يدور حول زوجها، مبتهجة لكل ما يقال عنه من رفاقه، تقول:

وخبرنـي أصحـابُه أن مالكـاً خفيـفٌ علـى العـلّات غيـرُ ثقيـلِ

وخبرنـي أصحـابُه أن مالكـاً ضـروبٌ بماضـي الشـفرتين صـقيلِ

وخبرنـي أصحـابُه أن مالكـاً جـوادٌ بمـا فـي الرَّحـل غيـر بخيـلِ

وخبرنـي أصحـابُه أن مالكـاً ثـوى، وتَنَـادى صحبُـهُ برحيـل

فمـا كـان يشـريني خليلـي بخـلَّة ومـا كنـت أشـري مالـكاً بخليـلِ[2]

وتصف عاتكة بنت زيد [3]صفات زوجها عبد الله بن أبي بكر (رضي الله عنهما) مبرزة صفات الشجاعة والإقدام والحمية والصبر، وعدم الخوف من الموت فتقول:

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص177). الوشاء، الظرف والظرفاء، (ص 112 – ص113).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 177).

(3) عاتكة بنت زيد:هي السيدة عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية العدوية، أخت سعيد بن زيد، أمها أم كريز بنت عبد الله بن عمار بن مالك الحضرمي، كانت من المهاجرات تزوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق (ﷺ) ثم بعد استشهاده تزوجها عمر بن الخطاب، ثم تزوجها الزبير بن العوام وبعد استشهاده تزوجها الحسين بن عليّ (ﷺ) لها مراثٍ فيهم جميعاً. ينظر: الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، (ت453هـ):(ج66/1)، وينظر: القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (431/4-432).

فللـــــه عينـــاً مـــن رأى مثلَـــهُ فتـــىً أكـــــرَّ وأحمـــى فـي الهيـاج وأصبرا

إذا شـــرعت فيـــه الأسِـــنَّةُ خاضـــها إلـى المـوت حتـى يتْرُكَ المـوت أحْمَـرا[1]

إنها تصف شجاعة زوجها وبلائه في الحرب "وهي في وصفها لشجاعته لا تعمد إلى التأميل الطويل في تعظيم شجاعته، وإظهاره بصورة هو مغاير لها، بل كان وصفها له حقيقة من غير تأمل لأنها زوجته وأقرب الناس إليه؛ لذلك فهي أقدر الناس على اكتشاف حقيقة شجاعته"[2].

وها هي تطلب من عينيها أن تجود بالدموع على عادة النساء الشواعر في عصر ما قبل الإسلام، وكن يعللن طلبهن هذا بأن الزوج كان شجاعاً، وحامياً للحريم والزوار، وسريع الأخذ بالثأر من القتلة، إلا أن بكاء عاتكة كان لأسباب أغلبها إسلامية أخلاقية؛ فزوجها كان عصمة للناس من الانحراف في كسب المال؛ لأنه قام بحقوقهم وأجْزَل لهم العطاء فكفاهم عما في أيدي الناس، فكان عادلاً وناصحاً وخير معين للمسلمين على مصائب الدهر ونوائبه[3]، تقول:

عيـــنُ جـــودي بعبـــرةٍ ونحيـــــب لا تمـــــلي علـــى الأميـــــن النجيـــب

فجعتنـي المنـونُ بالفـارس المعـــــ ـــــــــلم يـــــوم الهيـــــاج والتثويـب

عصـمة النـاس والمعـين علـى الدهـــ ـــــر وغيـــثُ المحـروم والمحـروب[4]

وتقول:

أبـكـــي أميـــــر المؤمنيـــن ودونـه للزائـــــرين صَفائِـــحٌ وصعيـــــد[5]

---

(1) البصري، الحماسة البصرية (ج1، ص202).

(2) الجبيلي، الشهادة والشهيد (ص 84).

(3) عبد، قاسم، مراثي النساء (ص167).

(4) البصري، الحماسة البصرية (ج203/1).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص169).

وتقول:

وفـجـعـنـــي فـيـــروز لا درَّ درّه بأبيـــض تـــالٍ للكـتـــاب منيـــب

رؤوف علـى الأدنـى غلـيظ علـى العدا أخـــي ثقـــة فـي النائبـــات نجيـــب

مـــتى ما يَقُلْ لا يكـذب القـولَ فعْلـه سريـــع إلـى الخيـرات غيـر قطـوبِ[1]

لقد جمعت الشاعرة بين المعاني التقليدية، والألفاظ الإسلامية الجديدة، وهذا طبيعي لشاعرة عاشت العصرين وتأثرت بالبيئتين، فهي تذكر الدمع والبكاء، ثم تذكر كرم الزوج بألفاظ إسلامية (كأمير المؤمنين) وهذه لفظة جديد جاءت مع الإسلام، إنها ترى في موته فجيعة للناس جميعاً؛ فقد كان غياثهم في السلم والحرب، ومعيناً لهم على النائبات، ومخلصهم من الشرور والبغي، " إنها تحاول أن تحدد ملامح شخصيته (رضي الله عنها) بوصفه إماماً عادلاً، وخليفة صادقاً، فقد كان سباقاً إلى الخير والإيمان، وقافاً عند حدود الله"[2].

وتعدُ الشاعرة مناقب زوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه، فهو في نظرها فارس شجاع، ليس طائشاً ولا جباناً، ولا يقعد عن غزوة ولا يتأخر عن مكرمة، فهو سباق إلى الإنفاق في سبيل الله، كريم جواد، حتى عُدّ قدوة فيه، تقول:

غـدر ابـن جرمـوزٍ بفـارس بهمـةٍ يـــوم اللقـــاء وكـــان غيـــر معـــرِّد

يـا عمـــرو لـو نبِّهتـــه لوجدْتـــهُ لا طائشـــاً رَعِـشَ الفـــؤاد ولا اليـدِ

كـم غمـــرةٍ قـد خاضـها لـم يثنـــهِ عنهـا طـرادك يـا ابـن فقـع القَـرْدَدِ

شُـــلَّت يمينُـــكَ، إن قتلـــت لمســـلماً حَلَّـــت عليـــك عُقُوبَـــةً المُتَعمِّـــدِ

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص168).

(2) عبد، قاسم، مراثي النساء في شعر عصري ما قبل الإسلام وصدر الإسلام (ص 168).

إن الزبيـــــر لـــذو بـــلاءٍ صـــــادقٍ سمـــــحٌ سجيتُـــــه كريـــمُ المشـهدِ[1]

إن شعر عاتكة بنت زيد يحمل الكثير من المعاني الإسلامية، التي تنبع من روح ملأها الإيمان، وغلبتها عاطفة الحب والوفاء لأزواجها، مما جعل شعرها ينساب رقراقاً، متدفقاً على لسانها، في سهولة ويسر دون تكلف.

أما هند بنت أثاثة[2] فهي خير من يثبت لنا صفات الكرم والجود والحب والوفاء، لأنها أقرب الناس إليه وهي راعية في بيته تعد الطعام لضيوفه الغرباء في أصعب الظروف والأوقات، فالناس قد أصابها القحط والجدب، وهم يعانون قسوة ليالي الشتاء الباردة، فكانوا بأمسِّ الحاجة إلى الراحة، والدفء، والطعام فوجدوا ذلك في بيت عبيدة إذ اهتدوا بناره التي أوقدا بالحطب الجزل حتى تبقى مشتعلة إذ يتبعه نحوه طارق الليل البعيد، ولم ينسَ الأرامل والأيتام فقد شملهم بعطائه فهو يرعاهم ويقضي حوائجهم[3]، تقول:

قـد ضـمّنَ الصفـــراءُ مجـــداً وسـؤدُدَاً وحِلْـــــماً أصيـــــلاً وافـــرَ اللـــبِّ والعَقْـــلِ

عبيـــــدة فابكيـــه لأضـــياف غُرْبَـــــةٍ وأرمـــــلة تهـــــوي لأشـــــعثَ كالجـــــذلِ

وبكِّيـــــه للأقـــوام فـــي كـــلّ شتـــــوةٍ إذا احمـــرّ آفـــاق السَّـــماءِ مـــن المحْـــلِ

وبكّيـــه للأيتـــــام والريـــــح زفـــــزف وتشبيـــــبُ قِـــدرٍ طالمـــا أزْبـــدت تغلـــي

فـإن تصـبح النيـرات قـد مـات ضـوؤها فقـــد كـــان يـــذكيهنّ بالحطـــب الجـــزل

---

(1) البصري، الحماسة البصرية (ج1، ص 72)، ويموت، شاعرات العرب (ص169). فارس بهمة: شجاع. غير معرِّد: غير جبان. فقع: نوع رديء من الكمأة. القردد: أرض مرتفعة إلى جانب وهدة.

(2) هند بنت أثاثة: هي هند بنت أثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشية كانت في الجاهلية شاعرة ذات شهرة ثم أسلمت وبايعت النبي (ﷺ) بعد معركة بدر تزوجت أبا جندب بعد معركة خيبر فولدت لهُ ابنتهُ (ريطة) لها شعر في رثاء النبي (ﷺ) وبكائه توفيت نحو سنة 10 هجرية. ينظر: ابن هشام، السيرة: (ج284/2)، وينظر: أعلام النساء (286/5). وينظر: شاعرات في عصر النبوة (ص 189).

(3) ينظر الجبيلي، الشهادة والشهيد في الشعر العربي (ص84).

لطـــارق ليـــلٍ أو لملتمـــسِ القـــرى ومسْـتَنْجٍ أضـــحى لديـــه علـــى رســـلِ[1]

فزوج الشاعرة كريم جواد، يكرم الضيوف والمحتاجين، في أشد وأحلك الظروف، "فالذي يقدم كرمه في مثل هذه الظروف القاسية ولكل هؤلاء الناس وهم في تلك الحالة البائسة جواد إلى درجة الإيثار"[2].

إن هذه الصفات المعنوية من شجاعة وإقدام، وكرم وحسن خلق، وحب ووفاء، وغوث الملهوف، ونصرة الضعيف، وحماية الحرمات وصونها، كل هذه الصفات أحبتها المرأة العربية في الرجل وامتدحتها وعددتها، وتغنت إما مزهوة بها، أو متحسرة على فقدها، إنها صفات كانت موجودة في الجاهلية، وعززها الإسلام، لذا وجدنا كلاً من شاعرات الجاهلية وشاعرات الإسلام تحرص على ذكرها بكثرة في الشعر.

وقد تظل المرأة وفية لزوجها، حتى بعد مماته، تحفظ عهده، وتصون وده، وتعيش على ذكراه، وذلك إذا كان لها محباً، وعلى ودها محافظاً، فهذه لطيفة الحدانية[3] تتزوج ابن عمها، وتولع به ولعاً شديداً، إلا أنه يمرض ويموت، فاستولى عليها الحزن، فرؤيت على قبره بكامل زينتها وهي تبكي، فقالوا لها: يا هذه نراك حزينة وما عليك زي الحزن، فقالت:

فـــإن تســـألاني فـــيم حزنـــي فـــإنني رهينـــةُ هـــذا القبـــر يـــا فتيـــاني

وإن تســـألاني عـــن هـــوايَ فإنـــه مقـــيم بحوضـــي أيّهـــا الـــرجلان

وإنـــي لأســـتحييه والتُـــربُ بيننـــا كمـــا كنـــتُ أســـتحييه حـــين يرانـــي

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية (ج2/ 41 –42). الصفراء: موضع بين مكة والمدينة. الأشعث: المتغير. الجذل: أصل الشجرة وغيرها، تصفه بالثبات والقوة. المحل: القحط. الزفزف من الرياح: الشديدة السريعة المرور. التشبيب: إيقاد النار تحت القدر ونحوها. أزبدت: رمت بالزبد وهو الرغوة. الجزل: الغليظ. المستنبح: الذي ينبح في الليل لتنبح الكلاب فيستدل على القوم.

(2) الخطيب، بشرى محمد، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام (ص 65).

(3) ليس في ترجمتها سوى خبرها مع ابن عمها. فقد تزوجها فولعت به ولعاً شديداً، ثم مرض ومات، فاستولى عليها الحزن، ورؤيت على قبره وكأنها تمثال، وعليها من الحلي والحلل شيء كثير وهي تبكي. ينظر: يموت، شاعرات العرب (ص161).والعاملي، الدر المنثور (ص465).

أهابـك إجـلالاً وإن كنـت فـي الثـرى وأكـرهُ حقـاً أن يسـؤْكَ مكـاني[1]

ثم اندفعت في البكاء، وجعلت تقول:

يـا صاحب القبر يـا من كان ينعم بي عيشـاً ويكثـر فـي الـدنيا مواسـاتي

قـد زرت قبـرك فـي حَلْـيٍ وفـي حُلـلٍ كـأنني لسـت مـن أهـل المصـيبات

لمـا علمتُـك تهـوى أن تراني فـي حَلْـي وتهـواهُ مـن ترجيـع أصـوات

أردتُ آتيـك فيمـا كنـت أعرفُـه أن قـد تُسَـرُّ بـه مـن بعـض هيئـاتي

فمـن رآنـي رأى عَبْـريَ مُولَّهـةً عجيبـة الـزِّي تبكـي بـين أمـوات[2]

وهذه الذلفاء بنت الأبيض[3] تعتذر إلى قبر نجدة زوجها، مبينة له أنها لم تهجره قالية، ولكنها بكت دماً بعد أن انقطع الدمع، وما كان هذا ليحدث لولا أن الزوج أحسن صحبة زوجته، فظلت وفية له بعد مماته، تقول:

يـا قبـر نجـدة لـم أهجـرك مقليـة ولا سـلوتك عـن صـبر ولا جَلَـد

لكـن بكيتـك حتـى لـم أجـد مـدداً مـن الـدموع ولا عونـاً علـى الكمـد

وأيأسـتني جفـوني مـن مـدامعها فقلـت للعـين جـودي مـن دم الكبـدِ

فلـم أزل بـدمي أبكيـك جاهـدة حتـى بقيـت بـلا روح ولا جسـدِ[4]

وتقول:

سـئمت حيـاتي يـوم فارقـت نجـدة ورحـت ومـاء العـين ينهـلّ هاملـه

ولـم أر مثـل المـوت للـنفس راحـة يعاجلهـا مـن بعـده أو تعاجلـه[5]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص150).

(2) المرجع السابق (ص 160).

(3) لم أقف على ترجمة لها.

(4) البغدادي، التذكرة الحمدونية (ج4 /253 –254).

(5) البغدادي، التذكرة الحمدونية (ج254/4).

وانظر إلى أم عقبة ووفائها لزوجها الذي كان مفتوناً بها يحسن صحبتها، ولا تحسن الصحبة إلا باجتماع أحسن الصفات في الزوج والزوجة، فهذا زوجها غسان بن جهضم يسألها ماذا ستفعل بعده فتجيبه شعراً:

قد سمعنا الذي تقول وما قد ... خفته يا خليل من أم عقبة

أنا من أحفظ النساء وأرعاها لما ... قد أوليت من حُسن صعبة

سوف أبكيك ما حييت بشجوٍ ... ومَراثٍ أقولها وبندبة[1]

فلما مات خطبت من كل جانب فقالت:

سأحفظ غسّاناً على بعد داره ... وأرعاه حتى نلتقي يوم نحشرُ

وإني لفي شُغلٍ عن الناس كُلِّهم ... فكُفُّوا فما مثلي ممن مات يغدرُ

سأبكي عليه ما حييت بعبرةٍ ... تجول على الخدين مني فتهمرُ[2]

فالمرأة الشريفة إن رأت في زوجها من الخلال ما تحب، ومن المعاملة ما يروق لها ويطيب، فإنها تقابل هذا بأحسن منه، وداً صادقاً وصافياً لا تشوبه شائبة، ونصحاً خالصاً لا رياء فيه ولا مواربة، وهو آخر شيء قبل النوم وهو أول شيء بعد اليقظة، وكأنه قد ملك عليها نفسها وملأ عليها حياتها، فلا يلهيها عنه شيء، تقول امرأة:

فصار لك مني النصح ما دمت حيةً ... وودٌّ كماء المزون غيرُ مشوب

وآخر شيءٍ أنت لي عند مرقدي ... وأول شيء أنت عند هبوبي[3]

وهذه امرأة تيمية تعجب رجلاً فيراودها عن نفسها فتقول له: أما لك زاجر من الحياء؟ فيقول لها: لن يرانا إلا الكواكب، فتقول: وأين مكوكبها؟ فقال لها: ألك بعل؟ قالت: قد كان، ولكن دعي إلى ما خلق له، ثم قالت:

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 180).

(2) المرجع السابق (ص 180).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص 203).

إنـي وإن عرضت أشياء تضحكني ... لموجَــعُ القلــب مطــويٌ علــى الحــزن

إذا دجــا الليــل أحيــا لــي تــذكره ... وزادنــي الصــبح أشــجاناً علــى شــجن

وكيــف ترقــد عــينٌ صــار مؤْنسُــها ... بــين التــراب وبــين القبــر والكفــنِ

أبلــى الثــرى وتــراب الأرض جدَّتــه ... كــأن صــورته الحســناء لــم تكــنِ

أبكــي عليــه حنينــاً حــين أذكــره ... حنــين والهــة حنــت إلــى وطــنِ

أبكي على من حنت ظهري مُصيبتُه ... وطيَّــر النــوم عــن عينــي وأرقنــي

والله لا أنس حبي الدهر ما سجعت ... حمامــةٌ أو بكــى طيــر علــى فــننِ[1]

لقد عاشت هذه المرأة بعد زوجها موجعة القلب، دامعة العينين غلبها السهد والأرق، والبعد والفراق، وعظم المصيبة، فالذي تحبه وتعشقه قد غدا تحت الثرى، أذهب حسنه تراب الأرض وثراها وليس لها إلا أن تُسْلِمَ نفسها لحزن لا ينقطع، ومع لا يرقأ، وحين عَرضت عليها الزواج، أطرقت ملياً ثم قالت:

كنــا كغصــنين فــي أصــل غــذاؤهما ... مــاءُ الجــداول فــي روضــات جنــات

فاجتــث خيرَهمــا مــن جنــب صــاحبه ... دهــرٌ بكــر بفرحــات وترحــاتِ

وكــان عاهــدني إن خــانني زمنــي ... أن لا يضــاجع أنثــى بعــد مثــواتي

وكنــت عاهدتــه أيضــاً فعاجلــه ... ريــب المنــون قريبــاً مــذ سُــنَّيات

فاصــرف عنانــك عمــن لــيس يروعهــا ... عــن الوفــاء خــلابٌ فــي التحيــاتِ[2]

(1) 1000. ووت، شاعرات العرب (ص 208).

(2) 1000. ووت، شاعرات العرب (ص 208).

وحُقّ لها أن تبقى على العهد وفية، للذي أحسن صحبتها، وصان حرمتها، فكان لها وفياً في حياتها، وحريصاً على ودَّها بعد مماتها، يحن إليها، ويعطف عليها، وهذا الذي يجعل المرأة والهة حرّى على فراقه، تبكيه بحرقة وألم، بعد أن تملكها الحزن، وجافى عينها النوم.

والمرأة العربية قد تقع فريسة لطغيان زوجها وتجبره، وسوته عليه، فهذه عمرة بنت الحباب التغلبية[1]، تصور زوجها في صورة الطاغية المتجبّر، حين أقدم على لطمها على وجهها لطمة شديدة، احمرّت منها عيناها ولم يشفع لها إلا أمها، تقول:

مـــا كنـــت أعلـــم والحـــوادث جمّـــة ... أنـــا عبيـــد الحـــيّ مـــن غســـانِ

حتـــى علتنـــي مـــن لبيـــدٍ لطمـــةٌ ... سُـــجرت لهـــا مـــن حرّهـــا العينـــان

إن تـــرض تغلـــب وائـــلٍ بفعـــالهم ... تكـــنِ الأذلَّـــة عنـــد كـــل رهـــان

لـــولا الوجيهـــة قطعتنـــي بكـــرة ... جربـــاءُ مشـــعلةٌ مـــن القطـــرانِ[2]

لقد رسمت الشاعرة صورة لزوجها أظهرته فيها – وإن كان ملكاً– زوجاً قالياً لزوجته، زاهداً فيها، عنيفاً في معاملتها على غير عادات السادات من العرب غير مكترث بأهلها وعشيرتها.

وهذه امرأة تتحدث عن سوء معاملة زوجها لها، وتلذذه بعذابها رغم استعطافها له، وصبرها على أذاه، فتتمنى لو أنها ملك للأعراب بدلاً منه، فتقول:

---

(1) عَمرة بنت الحباب التغلبية، أخت كليب، إحدى شواعر العرب في الجاهلية من قبيلة تغلب أمها: الوجيهة بنت عمران بن عامر ملك الأزد تزوجها لبيد بن عنبسة الغساني والي ربيعة من قبل ملك اليمن قتله كليب في لطمة لطمها لعمرة. معجم الشعراء، الكتروني (ص1785).

(2) ميدان، شعر تغلب في الجاهلية (ص 222 – ص223). جمَّة: كثيرة. غسان: قبيلة باليمن، وتريد ملوك كندة اليمنيين. لبيد: هو لبيد بن عنبسة الغساني، والي ربيعة من قبل ملوك اليمن، تزوج عمرة أخت كليب، ثم طغى عليهم وثقلت وطأته، فقتله كليب في لطمة لطمها لعمرة التغلبية، سُجرت: خالط بياضها حُمرة، حرِّها: لهيبها. رهان: المسابقة على الخيل ومثله. الوجيهة: أم عمرة التغلبية، وهي ابنة عمران بن عامر ملك الأزد، والتي من أجلها رفض لبيد أن يفعل بعمرة ما يفعله الملوك في خصومهم، فكانوا إذا غضبوا على أحد ربطوه بقيد في ناقة فتية بعد أن يشعلوا بها القطران فتهرع بغية إطفاء النار، فتتمزَّق أشلاؤه.

يـــا مـــن يلـــذذ نفســـه بعـــذابي ... ويـــــرى مقـــــاربتي أشـــــد عـــــذابِ

مهمـــا يلاقـــي الصـــابرون فـــإنهم ... يؤتـــــون أجـــــرهم بغيـــــر حســـــابِ

لـو كنـت مـن أهـل الوفـاء وفيـت لـي ... إن الوفـــاء حلـــى أُولـــي الأســـبابِ

مازلـت فـي اسـتعطاف قلبـك بـالهوى ... كـــالمرتجي مطـــراً بغيـــر ســـحابِ

يـا رحمتـي لـي فـي يـديك ورحمتـي ... لـــي منـــك يـــا شـــيناً مـــن الأصـــحاب

يـا ليتنـي مـن قبـل ملكـك عصـمتي ... أمســـيتُ ملكـــاً فـــي يـــد الأعـــراب

هـــل لـــي إليـــك إســـاءة جازيتهـــا ... إلّا لباســـــــــي حلَّـــــــة الآداب[1]

لقد رسمت الشاعرتان صورة بليغة للزوج، أظهرت الأولى الزوج في صورة الرجل العنيف، غليظ القلب، الذي لا يأبه بضعفها، وقلة حيلتها، ولا بنعومتها، ورقتها، فيضربها بقوة وعنف نابعتين عن قسوة في القلب، وبغض للزوجة، وقلىً للعلاقة الزوجية ؛ مما جعلها تشعر أنه لم يعد يبق عليها حتى غدت عنده عدواً لولا أمها لأقدم على قتلها قتلاً وحشياً، لا تقتله الملوك إلا لأعدائها وخصومها وهو قتل شنيع.

وأما الثانية ترى زوجها يتلذذ ويستمتع بعذابها، فهي صورة سادية للزوج قلما نجدها في الأدب العربي، فالزوج لا يردعه ضعف الزوجة، ولا يرعوي، باستعطافها وقلة حيلتها، فهي – كما تقول الشاعرة – كالمرتجي مطراً بغير سحاب، إنها تبين وحشية الزوج وسوء طبعه، حين تخبرنا أن هذه المعاملة لم تكن بسبب، حيث أن الزوجة مؤدبة وفية صابرة، وكلها صفات تثاب عليها المرأة ولا تعاقب.

أما إذا أحست بانشغال الرجل عنها، وضعف شوقه لها، وزهده في وصالها، إما لبعد في المكان، أو لجفوة في القلب، أو لغفلة عن الواجب ،أو انشغال بالدنيا، فإنها سرعان ما تحاول إعادته إلى جادة الطريق مستعملة خبث المرأة ودهاءها، فهذه هند زوجة رجل اسمه عثمان، كان زوجها في بعث أذربيجان، فرجع الجند ولم يرجع هو، لأنه استفاد من جهاده ذاك

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 203).

ما اشترى به فرساً وجارية، وسمى الفرس ورداً، والجارية حبابة، وألهاه الحب عن العودة، فكتب إلى امرأته يخبرها عن أمره فكتبت إليه:

لعمري لئن شطَّت بعثمان داره وأصبح غنياً بالحبابة والوردِ

ألا فأقره مني السلام وقل له عَنينا بفتيانٍ غطارفةٍ مردِ

إذا شاء منهم ناشئٌ مد كفّه إلى كفلٍ ريّان أو كعثبٍ نهدِ

بحمد أمير المؤمنين أقرَّهم شباباً وأغزاكم خوالف في الجند

فما كنتم تقضون حاجة أهلكم قريباً فيقضوها على النأي والبعدِ

فأرسل إلينا بالسراح فإنه منانا ولا ندعو لك الله بالرُّشدِ

إذا رجع الجند الذي أنت منهم فزادك ربُّ الناسِ بعداً على بعدِ[1]

فباع الجارية وذهب مسرعاً فوجدها معتكفة على السجود والصلاة، فقال: يا هند أفعلت ما قلت؟! قالت: الله أجل في عيني وأعظم من أن أركب مأثماً، ولكن كيف وجدت طعم الغيرة؟! فإنك غظتني فغظتك.

إن المرأة تجد في زوجها الحصن المنيع الذي يحوطها بالأمن والأمان، ويصونها ويحفظها من غوائل الدهر، فلا يرضى أن يمسها مكروه وهو حي، فإن رأت فيه غير ذلك عاتبته عتاباً شديداً، فهذه امرأة تعاتب زوجها وتلومه على إخلافه وعدة، وتعريضها لشماتة الناس، يرمونها بكلام يدمي الجسد ويكلم الفؤاد، تقول:

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمتَّ بي من كان فيك يلومُ

وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم عُرضاً أرمى وأنت سليمُ

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 155). شطت: بعدت، الورد: اسم جواد، حبابة: اسم جارية. الغطارفة: مفردها غطريف وهو السيد الشريف، وقيل الغني الجميل. كفل: ردف العجز، ريان: حسن الخلق، الكعثب: الرَّكَب الضخم الممتلئ.

فلـو كـان قـول يكلـم الجسـم قـد بـدا بجســمي مــن قــول الوشــاة كلــومُ[1]

وما حاجة المرأة لرجل لا تأخذه الغيرة على زوجته، فيرضى أن يتركها عرضة لكلام الوشاة، فيرمونها بكل قبيح من الألفاظ، والعبارات، وهي قليلة الحيلة مهيفة الجانب، جريحة الفؤاد، دامعة العين.

إن المجتمع العربي مجتمع ذكوري، يحب الأولاد الذكور ويفضلهم على الإناث، فالعربي ربما دفعه طيشه وحمقه إلى وأد البنت صغيرة واستبقاء الولد، وهذا ما حرَّمهُ الدين الجديد، وسفه أحلام من فعل هذا، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58 (يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ [النحل: 59]، وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ [الزخرف: 17]

هذا حال بعض العرب التي صورها القرآن وأظهر فيها كرههم للبنات واستياءهم من خبر ولادتهن، لذلك وجدنا القرآن يقضي على هذه العادة السيئة، ويستنقذ البنات من براثن الوأد، فيقول جل جلاله: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ** ۚ﴾ [الإسراء: 31]، وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ *بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ**﴾ [التكوير: 8 – 9]، إن القرآن يسفه أحلام هؤلاء الرجال ويحط من قدرهم، حيث إنه يوجه الخطاب في سورة التكوير للموؤودة وليس للوائد.

ومع هذا التحريم الصريح لوأد البنات نجد السنة المطهرة جاءت محببة ومرغبة في البنات وتربيتهن، قال (صلى الله عليه وسلم): (أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمَّها وأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها كان له أجران)[2]، وقال (صلى الله عليه وسلم): (من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له ستراً من النار)[3]، فسمى ولادة البنت ابتلاءً،

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 192).

(2) البخاري، الصحيح، باب النكاح (ج6 /120).

(3) عبد الباقي، محمد فؤاد، اللؤلؤ والمرجان في ما اتفق عليه الشيخان – البخاري ومسلم – حديث رقم (1688).

لأن العرب تكره البنات، فجاء الشرع يرغبهم في إبقائهن، ويزجرهم عن وأدهن وحببهم فيهن، ووعد من أحسن لهن، وجاهد نفسه في الصبر عليهن بالثواب العظيم.

ولكن الدارس لحياة العرب، يجد من العرب من يحب البنات ويحوطهن بالرعاية والحماية، ويحرص على أن يحييهن حياة كريمة.

لقد كان لمعن بن أوس[1] ثماني بنات، ويقول: ما أحب أن يكون لي بهن رجال، وفيهن قال:

رأيـــت رجـــالاً يكرهـــون بنـــاتهم وفـــيهن لا نكـــذب نســـاءٌ صـــوالحُ

وفـــيهن والأيـــام يعثـــرن بـــالفتى عوائـــــد لا يمللنـــــه ونـــــوائح[2]

ويقول أبو خالد القناني:

لقـــد زاد الحيـــاة إلـــي حبـــاً بنـــاتي إنهـــن مـــن الضـــعافِ

أحـــاذر أن يـــرين الفقـــر بعـــدي وأن يشـــربن رنقـــاً يعـــد صـــافي

وأن يعـــرين إن كُســـي الجـــواري فتنبـــو العـــين عـــن كـــرم عجـــاف

أبانـــا مـــن لنـــا إن غبـــت عنـــا وجـــد الحـــي بعـــدك فـــي اخـــتلاف[3]

وبعد ذلك فإننا نجد من الرجال من يحمل المرأة ما لا تطيق من الأمر، حيث يحملها المسئولية عن إنجاب البنات، وكأنها هي من يقرر جنس المولود، ذكراً كان أم أنثى، فيعرض

---

(1) معن بن أَوْس، (000 – 64 هـ = 000 – 683 م)، معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني: شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام،له مدائح في جماعة من الصحابة. رحل إلى الشام والبصرة. وكف بصره في أواخر أيامه،وكان يتردد إلى عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب فيبالغان في إكرامه.
له أخبار مع عمر بن الخطاب. وكان معاوية يفضله ويقول: (أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى، وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب ومعن بن أوس) وهو صاحب لامية العجم التي أولها:
(لعمرك ما أدري، وإني لأوجل... على أينا تعدو المنية أول)، مات في المدينة. له (ديوان شعر مطبوع).
ولكمال مصطفى: (معن بن أوس، مطبوع). الزركلي، الأعلام (ج7/273).

(2) عفيفي، المرأة العربية (ج3/ 18 – 19).

(3) عفيفي، المرأة العربية (ج3/ 19).

عنها، ويهجرها، فهذه امرأة أبي حمزة الضبي، تلوم زوجها على هجرها، وتحاول أن ترده عن ضلاله بقولها وهي ترقص بنتها:

مـــا لأبـــي حمـــزة لا يأتينـــا يظـــل فـــي البيـــت الـــذي يلينـــا

غضـــبان أن لا نلـــد البنينـــا تـــالله مـــا ذلـــك فـــي أيـــدينا

وإنمـــا نأخـــذ مـــا أعطينـــا ونحـــن كـــالأرض لزارعينـــا

ننبت ما قد زرعوه فينا[1]

فرق لها زوجها وصالحها...

المرأة العربية تغنت ببطولات زوجها، وشجاعته، وإقدامه وفروسيته، وحمايته لها، وذوده عنها، الزوج الذي لا يرضى الذل والمهانة، ولا يقبل على النفس الضيم، يكرم الضيف، ويقاتل بالسيف، دون رهبة أو خوف، وهي المرأة التي تبغض الرجل الجبان الرعديد، فتفضل الموت على الحياة معه، فهذه أم قرفة [2]زوجة حذيفة بن بدر الفزاري، والتي كانت عزيزة الجانب يضرب بعزها المثل، وتصب جام غضبها على زوجها الذي قبل الدية في ابنها، فأخذت تعيره بالجبن والضعف، وتصفه بالنساء حيناً وحيناً آخر تدعو عليه وعلى نفسها بالموت، فالموت أحب إليها من العيش معه بعد أن رضي بالأنعام والنوق دية لولدها، تقول:

حذيفـــة لا ســـلمت مـــن الأعـــادي ولا وقيـــــت شـــــر النائبـــــات

أيقتـــلُ قرفـــةً قـــيسٌ فترضـــى بأنعـــــامٍ ونـــــوق ســـــارحات

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 193).

(2) أُمُّ قِرْفَة، (000 – 6 هـ = 000 – 627 م)، فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية، أم قرفة: شاعرة من بني فزارة، من سكان وادي القرى (شمالي المدينة) كان لها اثنا عشر ولدا من زوجها مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري. وكان يعلق في بيتها خمسون سيفا لخمسين رجلا، كلهم من محارمها. وضرب بها المثل في الجاهلية، فقيل: " اعز من أم قرفة! " و" أمنع من أم قرفة " ولما ظهر الإسلام سبّت رسول الله صلّى الله عليه وسلم وأكثرت، وجهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها، وقالت: اغزوا المدينة واقتلوا محمدا. ووجه إليهم النبي صلى الله عليه وسلّم سرية مع زيد بن حارثة فظفر بهم وأسر أم قرفة، فتولى قتلها قيس بن المحسّر اليعمري. ينظر، الزركلي، الأعلام (ج5/130–131).

أمـــا تخشـــى إذا قـــال الأعـــادي حذيفـــة قبلـــه قلـــبُ البنـــات

فخـــذ ثـــأراً بـــأطراف العـــوالي وبـــالبيض الحـــداد المرهفـــات[1]

إنها تقسو على زوجها، فتبدأ بالدعاء عليه بالموت، ثم تحاول أن تثير فيه الحمية للأخذ بثأر ابنها، ورفض الدية، حتى لا يقول الأعداء أن حذيفة رجل جبان قلبه قلب امرأة، وهذا من أقسى ما يخاطب به الرجل، فهي قسوة حادة، وكلمات جارحة مؤلمة، تكلم القلب وتدميه، وتحط من كبرياء الرجل.

إنها تخيره بين الأخذ بالثأر، وبين تركها تبكي ولدها ليلاً ونهاراً، علها تلقى حتفها، فتستريح عن عشرة زوج جبان، الحياة معه أسوأ حياة، تقول:

فخـــذ ثـــأراً بـــأطراف العـــوالي وبـــالبيض الحـــداد المرهفـــات

وإلا خلنـــي أبكـــي نهـــاري وليلـــي بالـــدّموع الجاريـــات

لعـــل منيتـــي تـــأتي ســـريعاً وترمينـــي ســـهام الحادثـــاتِ

فـــذاك أحـــبّ مـــن بعـــل جبـــانٍ تكـــون حياتـــه أردا حيـــاةِ[2]

بدت الشاعرة محبطة من زوجها الذي ترى أنه جاز عن كل الصفات، فلا تجد له وصفاً يليق به، ولا عملاً يرده إلى جادة الطريق التي تراها، فيعجزها الأمر، وتظلم الدنيا في وجهها فلا ترى في الكون إلا ظلمة وسواداً، وبكاءً وعويلاً، فتتساءل وهي تبكي طيور الأراك والحمائم وينحن مثلها، وهل يجدن مثل الذي تجد، تقول:

فيـــا أســـفي علـــى المقتـــول ظلمـــاً وقـــد أمســـى قتـــيلاً فـــي الفـــلاة

تُـــرى طيـــر الأراك ينـــوح مثلـــي علـــى أعلـــى الغصـــون المـــائلات

وهـــل تجـــد الحمـــائم مثـــل وجـــدي إذا رُميـــت بســـهم مـــن شـــتات

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 43).

(2) المرجع السابق (ص 93).

فيـــا يـــومَ الرهـــان فجعـــت فيـــه بشـــخص جـــاز عـــن حـــدِّ الصـــفات

ولا زال الصـــــباح عليـــــك لـــــيلاً ووجـــــه البـــــدر مســـــودّ الجهـــــات[1]

وهذه أخرى تقسو على زوجها الذي انشغل عنها، بمجلس طعام عند الحجاج، فترى أنه لا يحب إلا نفسه، شحيح ضنين على أهله، بطين من كثرة أكله، حتى غدا أهل البيت لا يجدون الطعام الذي يقتاتون به، فتشبهه بكلب السوء الذي ضيع أهله فهزلوا وهو سمين.

تقول فيه وقد أرسل لها كتاباً يخبرها أنه يحضر طعاماً عند الحجاج:

أتهـدي لـي القرطـاس والخبـز حـاجتي وأنـــت علـــى بـــاب الأميـــر بطـــينُ

إذا غبـت لـم تـذكر صـديقاً ولـم تُقـم فأنـــت علـــى مـــا فـــي يـــديك خَنـــينُ

فأنـــت ككلـــب الســـوء ضـــيّع أهلـــه فَيُهـــزِلُ أهـــل البيـــتِ وهـــو سَـــمينُ[2]

إن زوج السوء يجعل المرأة تتمنى الموت على العيش مع زوج يبغضها وتبغضه، فهي ترى فيه رجلاً، قالياً لها، غير مبق عليها، كاذباً في ودّها، لئيم الطبع، قليل الحياء، حتى غدا مزيجاً من الفواحش.

تقول:

مـــن عـــذيري مـــن بعـــلِ ســـوءٍ يرانـــي وأراه بـــــــــأعين البغضـــــــــاءِ

تتهـــادى منـــا الضـــمائرُ وحيـــاً بقلـــى يســـتكن فـــي الأحشـــاءِ

غـــاض مكنـــون مـــا عليـــه احتوينـــا فـــي قلـــوب إلـــى الفـــراق ظِمـــاء

نتنـــاثى حـــديث أثـــر وعـــينٍ بـــائن أنســـه عـــن الأهـــواء

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 43).

(2) المرجع السابق (ص 204)، الجاحظ، الحيوان (ج153/1)، الزمخشري، المستقصى من أمثال العرب (ج121/2).

فكلانـــا علـــى أســـى الـــبغض مبـــدٍ كـــاذب الـــودِّ مـــن لســـان ريـــاءِ

رجـــل لا تخيَّـــرَ اللـــؤْمُ لؤمـــاً كـــان أو رائـــداً ولـــيَّ اللـــواءِ

مـــلء عـــين مـــن الفـــواحش كاســـي الوجـــه مـــن ســـوءةٍ ســـليب حيـــاءِ

يـــا لقـــومي داءٌ عيـــاءٌ فـــأنّى لـــي اقتـــدار بحمـــل داءٍ عيـــاءِ

ليـــت لـــي حيـــة ببعلـــي صـــمَّاء وأَحِبِـــبْ بالحيـــة الصـــمَّاء

إن بـــدت كـــان دونهـــا لـــي حجـــابٌ مـــن حفيـــف الغـــراق أو مـــن رقـــاءِ

أيـــن أيـــن الحمـــام أيـــن لقـــد أحـــرزه منـــه اليـــوم واقـــي القضـــاءِ[1]

إنها تصرخ متمنية الموت، للخلاص من العيش مع هذا الزوج الذي لا ترى فيه شيئاً تحبه وتأنس إليه، وتتسلّى به.

وتستاء امرأة أعرابية من زوجها الذي غدر بها وخانها، وباح بسرها، وهذه الصفات ليست من صفات الرجال الأسوياء الأتقياء، الأنقياء، وإنما هي من صفات شرار الناس، تقول:

غدرت بنـا بعد التصافي وخنتنـا وشر مصافي خلةٍ من يخونها

وبحـت بسـر كنـت أنـت أمينـه ولا يحفـظ الأسـرار إلا أمينهـا[2]

وهذه امرأة أخرى تتمنى لو أنها ماتت بسم ثعبان ذي نيوب شديد السم قبل أن تتزوجه، أي أنها تفضل الموت على صحبته ورفقته وتمليكه أمرها، ثم يبلغ الأمر أشدّه حين تتمنى ألا يجمع الله بينها وبينه في الآخرة، فإن كان هو من أهل الجنة، تفضل أن يدخلها النار، وهذا يدل على عظيم بغض وكره ما كان ليكون لولا خلال الزوج السيئة. تقول:

إنـي نـدمت علـى مـا كـان مـن عجبـي وأقصـــر الـــدهر عنـــي أيّ إقصـــار

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 205)، وابن طيفور، بلاغات النساء (ص 109 – ص 110).
(2) المرجع السابق (ص 206).

فليتنـــي يـــوم قـــالوا أنـــت زوجتـــه أصـــابني ذو نيـــوب ســـمه ضـــاري

يـا رب إن كنـت فـي الجنـات مدخلـه فاجعـل أميمـة رب النـاس فيـا النـارِ[1]

وقد يصل الأمر بالمرأة أن تفكر في قتل زوجها والتخلص منه، لشدَّة بغضها له، وهوانها عليه، وما يمنعها من ذلك إلا مخافة الله في الآخرة وتغريم الأب في الدنيا، وأن يلحقها العار على فعلها، وما هذا إلا لما ترى فيه من سوء في الطبع، وقلة في الحيلة، وزهد في الوصال، وضعف في الهمة.

تقول أم الأسود الكلابية[2]:

ســأنذر بعـدي كـل بيضـاء حـرّة منعمـــة خـــود كـــريمٌ نجارهـــا

قصـير قبـال النعـل يضـحي وهمـه قريـب ويمسـي حيـث يعشـيه نارهـا

إذا قـال قـد أشـبعتني بـات راضـياً لـه شـملة بيضـاءُ ضـاق خمارهـا

يـرى الطيـب عـاراً أن يمـس ثيابـه أو المسـك يومـاً أن عـلاه صـوارها

ولكنـه مـن رطـب أخثـاء صـنانه إذا أمرعـت بـالكف منـه ديارهـا

وطيـر بـذيال يـرى الليـل متنـه لناقتـه حتـى يحـين اذكارهـا

بعيد المدى يقضي الكرى فوق رحله إذا القـوم بالمومـاة حـار شـرارها

لعمـر أبـي مـا خـار لـي أن يبيعنـي بـأبعرة إذا قحمتـه عشـارها

فـوالله لـولا النـار أو أن يـرى أبـي لـه قـوداً أو أن ينـالني عارهـا

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 190).

(2) أم الأسود الكلابية، شاعرة إسلامية، من بني كلب لها شعر في هجاء زوجها، وشعرها فيه قسوة وتصلب في المعاني. ينظر: معجم الشعراء (ص893).

لقــد نازعــت كفــي المهنــد ضــربة وكـــان عليـــه خبلهـــا وشـــنارها[1]

وتذهب هذا المذهب أم الصريح بنت أوس الكندية[2] حين ترى وجود زوجها في البيت يحيل البيت حفرة من نار ودخان، إنه الشعور بالبغض والكره، الذي تمكن منها حتى أنها تتمنى أن بينها وبينه بعد المشرقين فلا تراه ولا يراها، فالأمر تخطى المعاملة إلى مجرد الرؤية، لأن رؤية الزوج تثير فيها كوامن البغض والكره، فتصبح الحياة مستحيلة معه، والفراق الذي ترجوه يصبح مستحيلاً، وتلجأ إلى الأمنيات وأنى لها ذلك، إنها ترضى أن تفتدي نفسها منه بمائة من الإبل، تقول:

كــأن الــدار يــوم تكــون فيهــا علينـــا حفـــرة مُلِئـــتْ دخانـــاً

فليتــك فــي ســفين بنــي عبــاد طريـــــداً لا نـــــراك ولا ترانـــــا

وليتـــك غائـــب بالهنـــد عنّـــا وليـــت لنـــا صـــديقاً فاقتنانـــا

ولـــو أن النـــذور تكـــف منـــه لقـــد أهـــديتها مائـــة هجانـــا[3]

لقد أبدت الشاعرة ألماً نفسياً، ملك عليها نفسها وجوارحها، أورثها بغضاً وكرهاً لرجل جعل الحياة معه لا تطاق، والعيش برفقته مستحيلاً، وما كان ذاك إلا لسوء خلال في الرجل الذي كانت تتمناه، حضناً دافئاً، ونبعاً يفيض حناناً ومودّة، وحصناً يحيل الخوف أمناً وطمأنينة، فلم تجد من ذلك شيئاً، فتمنت الفراق بحرقة وألم.

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 191)، ابن طيفور، بلاغات النساء (ص 200 – ص 201). الخود: الشابة الحسنة الخلق، نجارها: أصلها. قبال النعل: الشِّسع الذي يربط به من الأمام. الأخثاء: مخلفات البقر، الصنان: خبث الريح. المومأة: جمعها موامي، وهي الفلاة التي لا ماء فيها ولا أنيس. الخبل: الحنون، الشنار: العيب والعار.

(2) أم الصريح الكندية، وفي شاعرات العرب (أمّ الصريع الكندية): وهي شاعرة جاهلية من شواعر حضرموت، قتل أبناؤها في إحدى الوقعات فرثتهم. ينظر: شيخو، رياض الأدب في مراثي شواعر العرب: (ج112/1). وينظر: يموت، شاعرات العرب، (ص 147)، وينظر:ماردیني، شواعر الجاهلية (ص 31).

(3) ابن طيفور، بلاغات النساء، (ص 118). ويموت، شاعرات العرب (ص 99).

إن هذا البغض والكره قد يجعلها شديدة عنيفة في قولها، تقول حميدة بنت النعمان بن بشير في زوجها روح بن زنباع:

أثنـــي عليـك بـــأن باعــك ضــيقٌ وبـــأن أصـــلك فـــي جـــذامٍ ملصـــقُ[1]

وقالت:

فثناؤنـــا شـــر الثنـــاء علـــيكم أســـوأ وأنـــتن مـــن ســـلاح الثعلـــب[2]

وقالت بنبرة استعلاء وفخر بأصلها، ومعيرة زوجها بأصله، في قسوة وغلظة غير معهودتين عن المرأة العربية، فتسم زوجها بالبغل كناية عن الدونية وانعدام النسب والأصل:

ومـــا أنـــا إلا مهـــرةٌ عربيـــةٌ ســـليلة أفـــراس تحلَّلهـــا بغـــلُ

فـإن نتجـت مهـراً كريمـاً فبـالحرا وإن يـكُ إقـرافٌ فمـا أنجـب الفحـلُ[3]

ومن المبالغة في هجاء الزوج أن يوصف بالمومس الزانية، وهذا يوحي بأن هذا الزوج، قد فقد كل صفات الشجاعة والإقدام والفروسية والنخوة والكرم والرجولة، وهي الصفات التي تعشقها المرأة وتقدسها في الرجل، تقول حميدة بنت النعمان مخاطبة زوجها:

تكحـــل عينيـــك عنـــد العشـــي كأنـــــك مومســـــــة زانيـــــة

وآيـــة ذلـــك بعـــد الخلـــوق تُغَلِّـــفُ رأســـك بالغاليـــة[4]

ومما يغضب المرأة المعاملة السيئة من قبل الزوج، فالقسوة والشراسة في معاملة الزوجية ليست من أخلاق كرام الناس، وإنما يفعل ذلك شرارهم؛ لذلك نجدها سرعان ما تعيره بالجبن والضعف والخور والهيبة، تقول حميدة بنت النعمان في زوجها الفيض بن محمد بن الحكم:

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 174).

(2) المرجع السابق (ص 174).

(3) المرجع نفسه (ص 174 – ص 175).

(4) المرجع نفسه (ص 175).

ولـيس فـيضٌ بفيـاض العطـاء لنـا لكـنَّ فيضـاً لنـا بـالقيء فيـاضُ

ليـث الليـوث علينـا باسـلٌ شـرس وفـي الحروب هيوب الصدر جياضُ[1]

وقد يقدم الزوج على هجاء زوجته فتسارع هي بالرد عليه بكل حدّة وهذا ما كان ليحدث لو لم تكن العلاقة سيئة، والزوجة متبرمة من علاقتها بزوجها، غير راضية عن عيشها معه، فنجدها تطلق لسانها في وصف مقابحه وسوء طباعه، فهذا أبو وجزة السعديّ يتزوج زينب بنت عرفطة بن مكرم المزنية[2] فيقول لها ذات يوم وقد ولدت له ابناً أسماه عُبَيْد:

أُعطـي عُبَيـداً وعبيـدٌ مقنـع مـن عِـرمسٍ فحَزمُهـا جَلَنْفَـعُ

ذاتِ عسـاسٍ مـا تكـاد تشـبعُ تجتلـع الصـحنَ ومـا إن تبضـعُ

تمـرُّ فـي الـدار ولا تـورَّعُ كأنهـا فـيهم شـجاعٌ أقـرعُ[3]

فأجابته زوجته قائلة:

أعطـي عبيداً من شُييخ ذي عجز لا حسـن الوجـه ولا سـمح يسـرْ

يشرب عَسّ المذق في اليوم الحصر كأنمـا يقـذف فـي ذات السُّـعر

تقاذف السيل من الشعب المضرّ[4]

ثانيا: الصفات المادية:

والمرأة العربية تحب الشاب من الأزواج، وقد تتبرم بشيب الرجل وكبر سنه، وهذا ما أشار له شعراء كثيرون من العصر الجاهلي، وشعراء الإسلام، و"اتفق هؤلاء على أن الشباب

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 175 – 176).

(2) لم أعثر على ترجمة لها.

(3) الأصفهاني، الأغاني (ج12 ص246). العرس: الناقة الصلبة الشديدة، المَحزَم: ما وضع عليه الحزام، يعني البطن، جلنفع: واسعة البطن. عساس: جمع عُس (بالضم)، وهو القدح الضخم. اجتلد الإناء: شرب كل ما فيه. الصحن: العس العظيم. بضع من الماء وبه روي وامتلأ. تتورّع: تتحرّج. الشجاع: ضرب من الحيات دقيق. شجاع أقرع: قد تمعّط جلد رأسه لكثرة سمه وطول عمره.

(4) الأصفهاني، الأغاني (ج274/12). العجز (بالتحريك): عظم البطن. المذق: اللبن المخلوط. الحصر: البارد. السُّعُر: حرّ النار. الشعب: ميل الماء في بطن الأرض. المضرّ: القريب الداني.

والمال – وما يستتبعان من مجد ومحامد ومتعة طبعاً – هما وسيلة اجتذاب المرأة، ونيل إعجابها"[1].

لقد تحدث الشعراء عن بغض المرأة للهرم والشيب، فهذا عبيد بن الأبرص[2] يشكو من إعراض زوجته عنه، فهي تغلظ له القول، وتمط حاجبيها لأنها تراه قد كبر:

ألا عتبـت علـيّ اليـوم عرسـي وقـد هبَّـت بليـلٍ تشـتكيني

فقالـت لـي: كبـرتَ فقلـت هنَّـا لقـد أخلفـت حينـاَ بعـد حـين

ترينـي آيـة الإعـراض منهـا وفظّـت فـي المقالـة بعـد لـين

ومطَّـت حاجبيهـا أن رأتنـي كبـرتُ وأنْ قـد ابيضَّـت قرونـي

فقلـت لهـا رويـدك بعـض عتبـي فـإني لا أرى أن تزدهينـي

وعيشـي بالـذي يفنيـك حتـى إذا مـا شـئت أن تنـأي فبينـي[3]

ويتحدث المثقب العبدي عن سخرية زوجته منه وجفائها وهجرها له؛ وذلك لأنها رأت شيبه، والأبيات تروي أيضاً بن يزيد:

---

(1) الحوفي، أحمد، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 232).

(2) عَبِيد بن الأَبْرَص، (000 – نحو 25 ق هـ = 000 – نحو 600 م) عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي، من مضر، أبو زياد: شاعر، من دهاة الجاهلية وحكمائها. وهو أحد أصحاب " المجمهرات " المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات. عاصر امرأ القيس، وله معه مناظرات ومناقضات. وعمّر طويلا حتى قتله النعمان بن المنذر وقد وفد عليه في يوم بؤسه. له " ديوان شعر مطبوع ".ينظر: الزركلي، الأعلام،(ج188/4).

(3) ابن الشجري، مختارات شعراء العرب، (ج2 /41)، ابن المبارك، منتهى الطلب، (ج2 /163). عرسه: امرأته. هبت: أي هبت من نومها تهب هبَّاً وهبوباً. هنّا: تنحي وابتعدي. أخلفت: أي استبدلت، يقال للبعير إذا بذل ثم مرّ عليه حول مخلف عام، ويقصد أنّه أفنى دهر حتى كبر. فظت: كانت سيئة الخلق، وفي منتهى الطلب: قَطّة، وأراد: أنها أغلظت في الكلام. الإعراض: الصدود. مطّت حاجبيها: مدتهما عجباً من كبره، وقيل عَبست حين رأت شبيه وتغيرت عما عهدها عليه من المودة. عتبى: عتابي، تزدهيني: تستخفني، أي ارفقي في عتبي. تنأي: تبعدي، بيني: فارقي.

تهـــــزأت عرســـــي واســـــتنكرت شـــــيبي ففيهـــــا جنـــــفٌ وازورارُ

لا تكثـــــري هـــــزْءاً ولا تعجبـــــي فلـــيس بالشَـــيب علـــى المـــرء عـــارُ

عمـــــرك هـــــل تـــــدرين أن الفتـــــى شـــــبابه ثـــــوب عليـــــه معـــــارُ[1]

ويقول علقمة بن عبدة:

فـــــإن تســـــألوني بالنســـــاء فـــــإنني علـــــيم بـــــأدْواء النســـــاء طبيـــــبُ

إذا شـــاب رأس المـــرء أو قـــل مالـــه فلـــيس لـــه مـــن وُدِّهـــن نصـــيبُ

يُـــرِدْن ثـــراء المـــال حيـــث علمنـــه وشـــرخ الشـــباب عنـــدهن عجيـــب[2]

فالزوج الشاب أثير مستحب، لأنه أدنى إلى الزوجة سناً، وأشبه بها خلقاً وميلاً، ولأنه في ريعانه وعنفوانه؛ لذلك رفضت الخنساء أن تتزوج دريد بن الصمة لما خطبها، لأنها تبينت أنه هرم، ولم يثنها أبوها عن رفضها، وحاول أخوها معاوية – وكان صديقاً لدريد – أن يرغمها فما استطاع، وفي ذلك تقول:

أتُكْرِهُنـــي – هُبِلـــتَ – علـــى دُرَيْـــدٍ وقـــــد أصْـــــفَحْتُ ســـــيد آل بـــــدرِ

معـــــاذ الله يَرْضَـــــعُني حَبَرْكـــــي قصـــير الشِّـــبر مـــن جشـــم بـــن بكـــرِ

يـــــرى شـــــرفاً ومكرمـــــة أتاهـــــا إذا أغـــــذى الصـــــديق جـــــريم تمـــــر[3]

إن هذا الرفض لرجل مثل دريد بن الصمة، كان لسبب واحد هو التقدم في السن، وما ذاك إلا لحب الخنساء للشباب في الرجل وبغضها للشيخوخة فيه.

وهذا الرفض أغاظ دريدا فهجاها وتمنى ألا تتزوج زواجاً سعيداً، يقول:

---

(1) البصري، الحماسة البصرية (ج21/1).

(2) المفضل الضبي، المفضليات (ص 392)، ابن قتيبة، الشعر والشعراء (ج213/1).

(3) الخنساء، الديوان (ص 120). أصفحت: رددت. حبركي: طويل الظهر قصير الرجلين. قصير الشبر: متقارب الخطى.

وقـــاكِ اللهُ يـــا ابنـــةَ آل عمـــروٍ مـــن الفتيـــان أمثـــالي ونفســـي

ولا تلـــدي ولا ينكحْـــك مثلـــي إذا مـــا ليلـــة طَرَقـــت بـــنحسِ

وتـــزعم أننـــي شـــيخ كبيـــرٌ وهـــل نَبَّأْتُهـــا أَنّـــي ابـــنُ أمـــسِ

تريـــدُ أُفَـــيْحِجَ القَـــدمين شـــثناً يبـــادرُ بالجَدايِـــدِ كـــلَّ كِـــرسِ[1]

ولما خطب الحارث بن سليل الأسدي إلى علقمة بن خصفة الطائي – وكان الحارث شيخاً – قال علقمة لأم الجارية: أريدي ابنتك على نفسها، فقالت لها: أي بنية أي الرجال أحب إليك؟ الكهل الجحجاح، الواصل المناح، أم الفتى الوضاح؟ قالت: لا بل الفتى يا أماه:

إن الفتـــاة تحـــب الفتـــى كحـــب الرِّعـــاء أنيـــقَ الكـــلا[2]

ولكن أمها لم تزل بها حتى غلبتها على أمرها، فتزوجته، ثم إنها رأت يوماً شباباً من بني أسد، فتنفست صعداء، ثم بكت، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: مالي وللشيوخ الناهضين كالفروخ، فقال لها: أما وأبيك لرب غارة شهدتُها، وسبية أردفتها، وخمرة شربتها، فالحقي بأهلك، فلا حاجة لي فيك، وقال:

تهـــزأت بـــي أن رأتنـــي لابســـاً كِبَـــراً وغايـــة النـــاس بـــين المـــوت والكبَـــرِ

عنـــي إليـــك فـــإني لا يـــوافقني عُـــورُ الكـــلام ولا شـــرب علـــى الكـــدر[3]

إن رفض الخنساء وغيرها من نساء العرب للزواج بالشيوخ المتقدمين في السن، إنما هو لبغض استحكم منهن، وحب تمكن من قلوبهن لكل شاب في ريعان شبابه، وهذه فطرة إنسانية جبلت عليها المرأة، ويجب ألا تلام عليها، ولا تجبر على مخالفتها، وانظر إلى الخنساء وهي تتغني بهذه الصفات التي تحبها المرأة في زوجها، وفي كل رجل محبب لديها:

---

(1) منتهى الطلب (ح3: 334 – 335). أُفَيْحج: تصغير أفحج، وهو متباعد القدمين. الشثن: الغليظ الأصابع. الجدايد: جمع جديدة وهي الحظيرة. الكِرس: ما تكرس؛ أي صار بعضه فوق بعض.

(2) الخنساء، الديوان (ص 47).

(3) العسكري، جمهرة الأمثال (ج263/1).والقيرواني، الممتع في صنعة الشعر (ص136).

جلـــدٌ جميـــل المحيّـــا كامـــل ورعٌ وللحـــروب غـــداة الـــروح مســـعارُ

مثـــل الردينـــيّ لـــم تنفـــذ شـــبيبته كأنـــه تحـــت طـــي البـــرد أُسْـــوَارُ

عبـــلُ الـــذراعين قـــد تخشـــى بديهتـــه لـــه ســـلاحان: أنيـــاب وأظفـــار[1]

"وسئلت ابنة الخس أي الرجال أحب إليك؟ فقالت: السهل النجيب، السمح الحسيب، الندب الأريب، السيد المهيب، وأفضل منه، الأهيف الهفهاف، الأنف العيّاف، المفيد المتلاف، الذي يخيف ولا يخاف"[2].

هذه هي رغبة المرأة في شريك حياتها، لذلك لن يكون مستغرباً أن نجد في شعر النساء تأففاً وضجراً من الزواج بالكبير، وخصوصاً من أولئك اللائي أرغمن على الزواج، لصفة قرابة، أو لإغراء مال، أو لأي سبب آخر، فسرعان ما نجدها تجاهر بحبها للشاب الفتى، وتفضله على الشيخ الكبير، فهذه زوجة أبو العاج الكلبي، تقول صراحة أنها تكره العيش مع الشيخ الكبير الذي لا فائدة منه:

شـــــنئت الشـــــيوخ وأبغضـــــتهم وذلـــــك مـــــن بعـــــض أفعاليـــــة

تـــــرى زوجـــــة الشـــــيخ مغبـــــرّة وتمســـــــي لصـــــحبته قاليـــــة

فـــــلا بـــــارك الله فـــــي عَـــــرْدِه ولا فـــــي عظـــــام اســـــته الباليـــــة[3]

إن زوجة الرجل الكبير تحيا غير ملتفتة لنفسها، فزوجها لا حاجة له فيها، مما يجعلها تظل مغبرّة كما تقول، لكن هذا يجعلها تزهد في صحبته، وتسعى لمفارقته.

إنها تعشق الشاب الطرير طيب النشر والذكر كما تقول ابنة ذي الإصبع العدواني[4]:

---

(1) الخنساء، الديوان (ص46– ص47) أسوار: قليل لحم الخصر، كأنه سوار من ذهب، وقيل هو فارس الفرس. عبل: غليظ، البديهة: ما يفاجأ به.

(2) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 171).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص 95)، وابن طيفور، بلاغات النساء (ص 99).

(4) أمامة بنت ذي الأصبع العدواني: هي شاعرة جاهلية وأبوها ذو الأصبع العدواني شاعر جاهلي معروف سمي بذي الأصبع بسبب أنّ حيّة نهشت إصبعه فشلّت، وكانت أمامة أصغر أولاده، ينظر: ماردیني، شواعر الجاهلية: (ص26).

ألا ليت زوجي من أُناسٍ ذوي غنىً حديث الشباب طيبُ النشر والذكر

لصوقٌ بأكباد النساء كأنه خليفة جانٍ لا ينام على وترِ[1]

وهذه أخرى تتمنى ما تمنته الأولى، فتقول:

ألا هل تراها مرّةً وحليلها أشمّ كنصل السيف عين المهندِ

عليماً بأدواء النساء ورهطه إذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي [2]

وتتحسرّ الجيداء بنت زاهر الزبيدية [3]على مثل هذه الصفات في زوجها حين تقول:

بدر تمٍّ هوى إلى الأرض لمّا رشقته السهام من كفِّ عبدِ

كان مثل القضيب قداً ولكن قدّه صرفُ دهره أيّ قدِّ[4]

إن زوجها مثل البدر جمالاً، وكالقضيب اعتدالاً، وهذا لا يكون إلا للشباب القوي الفتيِّ الطرير، والذي لو رميت به الجبال لأزالها، كما تقول امرأة من طيء:

هو الأبيض الوضاح لو رميت به ضواح من الريَّان زال هضابُها[5]

وحرصت عاتكة بنت زيد على ذكر صفة محببة إلى نفسها، وهي الشباب، وما يصاحبه من قوة وصحة ونشاط حيث تقول:

فلله عيناً من رأى مثله فتىً أكرَّ وأحمى في الهياج وأصبرا

إذا أشرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الرّمح أحمرا[6]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 61).

(2) المرجع السابق (ص 62). أشم: الشم ارتفاع الأنف، كناية عن الرفعة والسؤدد والشرف.

(3) لم تترجم كتب التراجم لها، غير أنها شاعرة جاهلية، قتل زوجها خالد بن محارب الزبيدي على يد عنترة في أرض نجد، فقامت ترثيه، وتبين أنه إنما قتل ظلماً وعدواناً.

(4) يموت، شاعرات العرب (ص 49).

(5) المرجع السابق (ص 92).

(6) المرجع نفسه (ص 168).

وبعد هذا فإنه من دواعي العجب عندها أن تُزفّ إلى شيخ كبير لا تحبه ولا ترغب فيه، وإنما هي مجبرة على هذا بسبب التقاليد السائدة في المجتمع، تقول امرأة زوجوها بابن عمها الشيخ الكبير:

أيـــا عجبـــاً للخـــود يجـــري وشـــاحها تـــزف إلـــى شـــيخ مـــن القـــوم تنبـــال

دعاهـــــا إليـــــه أنـــــه ذو قرابـــــةٍ فويـل الغـواني مـن بنـي العـم والخـال [1]

ومن الأشياء التي كانت سبباً في نفور الزوجة من زوجها، ومدعاة للفراق بينهما، رائحة الزوج النتنة، سواء رائحة الجسد، أو رائحة الفم؛ لذا نجد كثيراً من شواعر العرب تأففن من هذه الرائحة، وأظهرن كبير اشمئزاز منها، تقول حميدة بنت النعمان بن بشير:

نكحـــــت المـــــديني إذ جـــــاءني فيالـــــك مـــــن نكحـــــة غاويـــــة

كهـــــول دمشـــــق وشـــــبانها أحـــــب إلينـــــا مـــــن الجاليـــــة

صـــــنانٌ لهـــــم كصـــــنان التيـــــو س أعيـــا علـــى المســـك والغاليـــة[2]

إن رائحة جسد زوجها كرائحة التيوس، وهي رائحة نتنة لا يذهبها طيب رائحة المسك لشدتها، وتذم زوجة قتادة بن مغرب اليشكري رائحة فمه، وتصفها وصفاً شنيعاً، حتى أن رائحة جيفة الخنزير تبدو كالمسك إذا ما قورنت بها، فهي رائحة من شدتها أثرت في أذنيها، مما جعلها تفضل الموت على أن تبقى معه في هذه المعاناة، تقول:

حلفـــت ولـــم أكـــذب وإلا فكـــل مـــا ملَكْـــتُ لبيـــت الله أهديـــه حافيـــةْ

لـــو أن المنايـــا أعرضـــت لاقتحمتهـــا مخافـــــة فيـــــه إن فيـــــه لداهيـــــة

فمـا جيفـة الخنزيـر عنـد ابـن مغـرب قَتَـــادةَ إلا ريـــح مســـك وغاليـــة

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 204).

(2) المرجع السابق (ص 177)، ابن طيفور، بلاغات النساء، (ص 98). الجالية: هم أهل الحجاز يجلسون عنها نحو الشمال.

فكيــف اصــطباري يــا قتــادة بعــدما شممت الذي من فيك أثأى صماخية[1]

إنها تقسم على أن بخر فم زوجها أنتن من رائحة جيفة الخنزير، بل إن جيفة الخنزير تبدو مسكاً حين تقارن بها، لذا فهي تختار الموت على أن تعيش مع زوجها خوفاً من بخر فمه لأنه جملة من الدواهي، فهي لا تستطيع الصبر على معاشرته بعدما شمت من بخر فمه ما أثرت رائحته على أذنها، فكيف حال الأنف؟![2]

أخيراً يمكن القول أن الزوجة عشقت صفات في الزوج، وأبغضت صفات، أحبت الرجل القوي الشجاع، الفارس الشهم، الكريم الحليم، ذا النخوة، الذي يحمي الحرمات، ويذود عن الحمى، لا يقعد عن غارة، ولا يتأخر عن مكرمة، وأحبت الرجل المحب العاشق لها، الذي يشفه الهوى، ويقتله الفراق والبعد، ويضنيه الجوى، وتكره الرجل القالي الذي لا يكترث بها، ولا يأنس لحديثها، وأبغضت الجبن والضعف والخور في الرجل، وكل صفة تبعد صاحبها عن الشرف والسؤدد، والرفعة، مثل الغدر والخيانة، والبخل والشح، وغيرها، كما أنها أحبت الشباب والفتوة والقوة في الزوج، وتبرّمت من الشيخ الكبير، وأحبت الزوج الجميل النظيف، وأبغضت فيه عدم اهتمامه بنفسه وشخصيته، وكل ذلك إنما ينم عن شخصية ذات إحساس مرهف، ونفس شفافة، تواقة للحياة، والجمال، وهمة قاربت همم الرجال في طموحها لكل رفيع شريف عالٍ من الأمور.

(1) التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ج2 / 220).

(2) ينظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ج2 /220).

المبحث الثاني:
الآخر المحبوب

لعل تجربة الحب عند المرأة العربية من التجارب الإنسانية الجديرة بالوقوف عند دراستها، وخصوصاً عند المرأة الشاعرة، " وما من شك في أن المرأة كالرجل تحب، وتتشوق وتتذكر وتتمنى، وإذا كانت شاعرة فإن المتوقع أن تتغنى بحبها في شعر تزجيه العاطفة، كما يتغنى الرجل"[1]، ولعل الناظر في شعر النساء الوجداني لا يجد كثير شعر، فهو شعر قليل نادر، " كأنه خُلَسُ الدهر أو فلتات اللسان"[2]. وهذا ليس غريباً لأن النساء مطبوعات على الاستحياء من الجهر بحبهن، مجبولات على كتمان الهوى المعتلج بقلوبهن، بينما يحب الرجل فلا يطيق أن يحتبس حبه، فيعبر عن مشاعره بقصيد يقرضه، أو لحن ينشده، ويطير به خياله كل مطير، فيملأ الدنيا غزلاً، وقد يُفْتَنُّ فيتغزل غزلاً روحياً يصور محبوبته ملكاً، أو يتغزل غزلاً حسياً يصور جمالها ويكشف عن بدعها.

"أما المرأة فتحب ولكنها تسرُّ عاطفتها، وتجن مشاعرها، وتحبس حبها في صدرها، على أنها ليست أقل من الرجل حباً"[3].

إن حب المرأة حب صامت مكتوم، فهي المحبوبة، وهي المرغوب فيها، وفي يدها مقاليد الحب لا بيد الرجل، "وقليلاً ما يغلبها الحب فتبوح، لأن الرجل أغراها بوعوده، وسحرها بنشيده، وفك عقدة لسانها ببلاغته، أو لأنها ضاقت بما تجد، فنبست بكلمة أو تخففت من ثقل الحب بأبيات من الشعر، ولكن هذا نادر نزر".[4]

"والمرأة تحب أربعين سنة وتقوى على كتمان ذلك، وتبغض يوماً واحداً فيظهر ذلك بوجهها ولسانها، والرجل يبغض أربعين سنة فيقوى على كتمان ذلك، وإن أحب يوماً واحداً شهدت جوارحه"[5].

---

(1) الحوفي،، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 654).
(2) ينظر: المرجع السابق (ص 654).
(3) المرجع نفسه (ص 654).
(4) المرجع نفسه (ص 655).
(5) الجاحظ، المحاسن والأضداد (ص 179).

هناك سببان يجعلان المرأة تكتم حبها ولا تبوح به، – **أولهما:** مخافة العار واستطالة الألسنة، سئلت ميَّة بعد موت قابوس، ما كان يضرّك لو أمتعته بوجهك قبل موته؟ فقالت: منعني من ذلك خوف العار، وشماتة الجار، ولقد كان بقلبي منه أكثر مما كان بقلبه، غير أني وجدت ستره أبقى لما في الصدور من المودة وأحمد للعاقبة، ونفس الجواب كان عند عفراء صاحبة عروة، حين قيل لها، أما عندك له حيلة تخفف ما به؟ قالت: والله لأنا أسرَّ بذلك وأشوف إليه منه، ولكن لا سبيل إلى احتمال العار[1].

والسبب الثاني: هو التجلُّد والترفُّع عن الاتهام بما لا يليق، فعفراء بنت أحمر كانت تكتم حبها عزّة وتجلُّداً وترفعاً عن أن تتهم بما لا يليق بالأنثى، ذلك أنه قيل لها ما كان أضرّك لو روَّحت عن قلب الحارث بن الشريد وأجبته بزورة؟ فقالت: منعني من ذلك قولكن عفراء قد صبت إلى الحارث[2].

لذلك إذا نظرنا في هذا التراث الضخم والغزير من شعر الغزل في الجاهلية والإسلام، فإننا نجد أن هذا الشعر أظهر المرأة بمظهر العفيفة الشريفة، المتمنعة، بخيلة الوصل، بعيدة المنال، وندر في شعر الشعراء تصوير المرأة بصورة المرأة السهلة المنال، المجاهرة بالوصال، التي تبدي شوقها، وتباه بلقاء حبيبها.

والدلائل على هذا الأمر كثيرة في شعر شعراء الجاهلية والإسلام، يقول سويد بن أبي كاهل:

ودعتنـــــي برقاهـــــا إنهـــــا تنـــــزل الأَعْصَـــــمَ مـــــن رأس اليفـــــع

تُســـمع الحـــداثَ قـــولاً حســـناً لـــــو أرادوا غيـــره لـــــم يســـــتطع[3]

ويقول قيس بن الحدادية:

قـد اقتربـت لـو أن فـي قـرب دارهـا نـــوالاً، ولكـــن كـــل مـــن ضـــن مـــانع

---

(1) ينظر ابن قيم الجوزية، أخبار النساء (ص 56 – ص57).

(2) ينظر المرجع السابق (ص57).

(3) ابن قتيبة، الشعر والشعراء (ج1:412)، والضبي، المفصليات (ص 192)، الجاحظ، البيان والتبيين (ج1/ 151). الرقى: جمع الرقية. الأعصم: الوعل الذي في يديه بياض. اليفع: المرتفع، كاليفاع. الحداث: الذين يحدثونها وتحدثهم. لم يستطع: يريد أنهم التمسوا غير الحديث لم ينالوه، وذلك لعفَّتها.

وقــد جاورتنــا فــي شــهور كثيــرة فمـــــا نوّلـــــت، والله راءٍ وســـــامعُ[1]

ويقول كعب بن رواع:

ويخالهـــا المـــرح الســـفيه تحبـــه ونَوَالُهـــــا غيـــــرَ الحـــــديث بعيـــــدُ[2]

ويخبرنا السليك بن السلكة أن قلبه يعاف المرأة المتهالكة الجواد بوصلها، ويتعلق بالمتمنِّعة التي لا شبهة عليها، فيقول:

لعمـــر أبيـــك والأنبـــاء تنمـــي لـــنعم الجـــار أخـــتُ بنـــي عـــوارا

مـــن الخفـــرات لـــم تفضـــح أباهـــا ولـــــم ترفـــــع لإخوتهـــــا شـــــنارا

يعـــاف وصـــال ذات البـــذل قلبـــي ويتَّبـــــــع الممنِّعـــــــة النـــــــوارا[3]

"وإذا كان هذا هو الذوق العربي العام، فقد وجدوا في تصوير المرأة طالبة للرجل متهالكة عليه، غضاً من أنوثتها وحيائها، واستطالة من الرجل، وزهواً بنفسه، لأنه إذا يتغزّل في شخصه لا في حبيبته"[4]، ومن الشعراء الذين خرجوا على هذا الذوق السائد، عمر بن أبي ربيعة، وهو شاعر إسلامي، حيث يقول:

قالـــت لِتـــرْب لهـــا تلاطفهـــا لنُفْســـــدَنَّ الطـــــواف فـــــي عمـــــر

قـــومي تصـــدَّي لـــه ليعرفنـــا ثـــم اغمزيـــه يـــا أخـــت فـــي خَفَـــر

قالـــت لهـــا: قـــد غمزتـــه فـــأبى ثـــم اســـبطرت تســـعى علـــى أثـــري[5]

---

(1) الأصفهاني، الأغاني (ج14: 146)، الشنتمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين (ص 106).

(2) الآمدي، المؤتلف والمختلف (ص 127).

(3) فرحات، ديوان الصعاليك (ص187 – 188). الخفرات: الحييات، الشنار: العيب والعار، النوَّار: النفور من الريبة.

(4) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 657).

(5) الأصفهاني، الأغاني (ج169/1).

إن هذا الخروج عن المألوف عند العرب، وما كان سائداً عندهم، تمجّه الأذواق، ولا تستسيغه، وتنبذه القلوب ولا تألفه، لما فيه من مخالفة للأعراف السائدة، والأوصاف المألوفة، وهذا جعل كُثيِّر يقول له عند سماعه لهذه الأبيات: " لقد أسأت وقلت الهجر، ولو أنك وصفت بهذه هرّة أهلك لكنت قد أسأت إليها، وإنما توصف الحرّة بالحياء والإباء والالتواء والبخل والامتناع"[1].

وقال له ابن أبي عتيق عندما سمع قوله:

بينمـــــا ينعتنَنـــــي أبصـــــرنني دون قيـــد الميـــل يعـــدو بـــي الأغـــرّ

قالـــت الكبـــرى أتعـــرفن الفتـــى قالـــت الوســـطى: نعـــم هـــذا عمـــر

قالـــت الصـــغرى وقـــد تيَّمتُهـــا قـــد عرفنـــاه وهـــل يخفـــى القمـــر؟

أنت لم تنسب بها، وإنما نسبت بنفسك، وكان ينبغي أن تقول قلت لها فقالت لي، فوضعت خدي فوطئت عليه[2].

إذاً يمكن القول بأن المرأة أحبت كما أحب الرجل، ونجد في شعرها الغزل العفيف، ونجد أيضاً الغزل الحسي الصريح، وربما كان شعر أم الضحاك المحاربية مثالاً لهذا النوع من الشعر؛ الذي يُميِّز غزلها بالمجون والفحش أحياناً. ومثال ذلك قولها:

شـــفاء الحـــبِّ تقبيـــلٌ وضـــمٌّ وجـــرٌّ بـــالبطُون علـــى البطـــون

ورهـــزٌ تـــذرفُ العينـــان مِنـــهُ وأخـــذٌ بالـــذوائب والقـــرون[3]

ومهما يكن فإن السمة الغالبة على شعر النساء في الغزل، هي العفة والنقاء، ومغالبة الأهواء، وطهارة النفس، وشرف المقصد، والترفع عن الدنايا، والبعد عما يعيب ويصم، فهو شعر رقيق سهل، مغلف بالحياء،، يفيض باللهفة والشوق، والألم والحسرة، والمعاناة والحرمان.

---

(1) الأصفهاني، الأغاني (ج1/ 169).

(2) المرجع السابق (ج1/ 122 – 123).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص64).

وما دمنا في معرض الحديث عن الحب، فلا بد من تحديد مفهومه، الذي تضاربت فيه الأقوال، وساد فيه الإسهاب والإطناب بين القدماء والمحدثين، فطائفة عرفته بالمثال، وأخرى عرّفته بالنتيجة، أو السلوك الظاهر[1].

على أن جميع هذه التعريفات، وأقربها إلى النفس التعريف القائل بأنه: " تجمُّع وتمركز عواطف الإنسان وشعوره بميل وعطف وحنان على شخص، بإخلاص وثبات مع رغبة شديدة في التمتع تناسلياً بهذا الشخص. وبذلك يتألف الحب من حالتين رئيستين: حالة نفسية يتميز بها الإنسان عن الحيوان، وغريزة جسمية حيوانية"[2].

أما مفهوم المرأة عن الحب فتجمله هذه الأعرابية بقولها:

الحـــب أولـــه ميـــل تهـــيم بـــه نفـــس المحـــب فيلقـــى المـــوت كاللعـــبِ

يكـــون مبـــدؤه مـــن نظـــرة عرضـــت أو مزحـــة أشـــعلت فـــي القلـــب كاللهـــب

كالنـــــار مبـــــدؤها قدحـــــة فـــــإذا تضـــــرّمت أحرقـــــت مســـــتجمَع الحطـــــبِ[3]

فهي ترى أن الحب إذا تمكن من الإنسان لم يعد قادراً على التحكم في عواطفه فيغدو أسيراً لها. بينما ترى أخرى أن الحب يذهب ويعود، حيث تقول لمن لامها عندما تزوجت بعد زوجها الذي عاهدته على ألا تتزوج بعده:

وقـــد كـــان حبـــي ذاك حبـــاً مبرحـــاً وحبـــــي لـــــذا إذ مـــــات ذاك شـــــديدُ

وكـــان هـــواي عنـــد ذاك صـــبابة وحبـــــي لـــــذا طـــــول الحيـــــاة يزيـــــدُ

فلمـــا مضـــى عـــادت لهـــذا مـــودتي كـــذاك الهـــوى بعـــد الـــذهاب يعـــود[4]

---

(1) ينظر: كحالة، الحب (ص 5).

(2) كحالة، الحب (ص 7).

(3) ابن قيم، أخبار النساء (ص 58).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص 204).

"فهذه الشاعرة أحسنت التخلص من الموقف، وقد عللت زواجها بعد موت زوجها الذي أحبته، بتعليل يقبله أصحاب المذهب الحسي في الحب"[1].

وترى أخرى أن للحب علامات جسمية تظهر على المحب إن كان صادقاً في حبه، فعلاماته نحالة الجسم، والتصاق الجلد بالأحشاء، تقول أم حمادة الهمذانية:

شكوت إليها الحبَّ قالت كذبْتني ... ألستُ أَرى الأجلادَ فيك كواسيا

رويدك حتى يبتلي الشوقُ والهوى ... عظامَك حتى يرْتَجِفْنَ بواديا

ويأخذك الوسواس من لوعة الهوى ... وتخرس حتى لا تجيب المناديا[2]

وترى أخرى أن الحب يذهب العقل، ويذيق صاحبه ألوان الهوان والذل، تقول امرأة من قيس:

وما كيِّسٌ في الناس يُحْمَدُ رأيُه ... فيوجَدُ إلا وهو في الحبِّ أحمقُ

وما من فتى ما ذاق بؤس معيشةٍ ... فيعشق إلا ذاقها وهو يعشقُ[3]

(1) أبو علي، شاعرات عصر الإسلام الأول (ص 130).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 190).

(3) المرجع السابق (ص 209).

المطلب الأول: الشوق إلى المحبوب:

أحبت أسماء المُرّية عامر بن الطفيل، وهي كغيرها من الشواعر العربيات يحرصن على كتمان الحب ما أمكن ذلك، لذلك تلجأ الشاعرة إلى إخفاء شوقها لمحبوبها، بالحديث عن شوقها وحنينها إلى موطنها الذي نشأت فيه، وما ذاك الموطن إلا ذكريات علقت بالذاكرة، وحبيب بعدت به الديار، إنها تشكو الشوق ولوعة الهوى، الذي أحرق الحشا، وأسال الدموع، فغدت مولهة ثكلى، تتلهف على نسمة باردة من ديار محبوبها؛ تجد فيها شفاء ما بها، تقول:

أيـــا جَبَلَـــيْ نعمـــان بـــالله خلِّيـــا نســـيم الصـــبا يخلـــص إلـــيّ نســـيمها

فـإن الصَّـبا ريـحٌ إذا مـا تنفَّسـتَ علـــى قلـــب محـــزون تجلـــت همومُهـــا

أجـد بردهـا أو تشـف منـي حـرارة علـــى كبـــدٍ لـــم يبـــق إلا صـــميمها

أيـــا جَبَلَـــي وادي عُرَيْـــرة التـــي نـــأت عـــن نـــوى قـــومٍ وصُـــمّ قـــدومها

ألا خليـــا مجـــرى الجنـــوب لعلَّـــه يـــداوي فـــؤادي مـــن جـــواه نســـيمها

وكيـف يـداوي الـريح شـوقاً ممـاطلاً وعينـــاً طـــويلاً بالـــدموع ســـجومها

وقـــولاً لركبـــان تميميَّـــة غـــدت إلـــى البيـــت ترجـــو أن تحـــط جرومهـــا

بـــأن بأكنـــاف الرُّغـــام غريبـــةً مولَّهـــــةً ثكلـــــى طـــــويلاً نَئِيمُهـــــا

مقطعـةً أحشـاؤها مـن جـوى الهـوى وتبـــريح شـــوقٍ عـــاكفٍ مـــا يريمُهـــا[1]

ومثل ذلك الشوق نجده عند شاعرة أخرى هي هند بنت أوس الضبية، التي ترى أنه لا طائل من اللوم والعتاب، فلا شيء يمحو الشوق والغرام والصابة من قلبها، كما أنها تبدي استغرابها من محبتها لأرض عشيرتها، وبغضها للأرض الجديدة التي حلت بها، وهذا نوع من

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 62)، ومارديني، شواعر الجاهلية (208 – 209). حُمّ: قدر وقضى، نئيمها: صوتها وأنينها، ما يريمها: ما يزايلها. جرومها: الجروم: الأراضي شديدة الحر. الرغام: رملة من نواحي اليمامة. المولّهة: تقصد نفسها أي الشاعرة.

عدم التصريح، ولو أن الريح توصل الرسائل لتمنت من ريح الجنوب أن توصل رسالتها لأحبتها، دون أن تهينها وتذلها بخلطها بالتراب، حرصاً منها على من تحب، تقول:

وعاذلـــة تغـــدو علـــيّ تلـــومني ... علـى الشـوق لـم تمْـحُ الصـبابة مـن قلبـي

فمـــالي إن أحببْـــتُ أرض عشـــيرتي ... وأبْغَضْـــتُ طرْفـــاءَ القُصـــيْبةِ مـــن ذنـــب

فلـــو أنّ ريحـــاً بلَّغـت وحْـــي مُرسِـــلٍ ... حفـــيٍّ لناجيـــتُ الجنـــوب علـــى النَّقـــبِ

فقلـــتُ لهـــا أدي إلـــيهم رســـالتي ... ولا تخلطيهـــا طـــال سَـــعْدُك بـــالتُّرب

فـــإني إذا هبَّـــت شـــمال ســـألتُها ... هـــل ازداد صُـــدَّاح النُّميْـــرة مـــن قـــربِ[1]

إنها تعجب ممن يلومها في شوقها إلى وطنها، بل إن الملامة لتزيدها ولوعاً به، وما ذنبها أن تكلف بأرض عشيرتها وتقلى غيرها؟ وإنها لتتمنى أن تقدر الريح على نقل نجواها، وتلطف وتظرف في تمنيها أن تبلغ الريح تحياتها، وفي دعائها لها بالخير، راجية ألا تمس بتحيتها الثرى، وإنها لحفية بالريح الشمالية تسائلها عن قومها أيقتربون ؟ ومتى يقتربون؟[2]

وتشكو ليلى بنت لُكَيْز من ألم الشوق الذي أذاب أحشاءها كذوبان الرصاص في النار، تقول:

لمـــا ذكـــرت غُرَيْســـاً غـــالني أمـــدي ... حتـــى هممـــت مـــن البلـــوى بـــإعلان

تربَّـع الشـوقُ فـي أحشـائي ذِيْـب كمـا ... ذاب الرَّصَـــــاصُ إذا أُغلـــــي بنيـــــران

فلـــو ترانـــي وأشـــواقي تُقَلِّبُنـــي ... عَجبْـــت بـــرَّاق مـــن صـــبري وكتمـــاني[3]

---

(1) التبريزي، شرح الحماسة، (162/2)، ماريني، شواعر الجاهلية (310)، العذل: اللوم، الطرفاء: شجر، القصيبة: موضع بين خيبر والمدينة. الوحي: الإخبار. الحفيّ: المُلِحُّ واللطيف. النقب: الطريق في الجبل. النميرة: هضبة بين نجد والبصرة بعد الدهناء. الصَّدح: الصوت.

(2) ينظر: الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 651).

(3) ماريني، شواعر الجاهلية (ص 295).

ويأخذ الشوق هند بنت عصم السدوسية، فتحن إلى موطنها، " وتصور حنينها في أن الماء الذي تشرب منه لا يبل أوامها، وتود لو جاءها أحد بشربة من ماء وطنها لتعطيه أربعاً من وطن زوجها، ثم تقول إنها تشتعل شوقاً إلى ديار أهلها ومسقط رأسها، ويزيد شوقها اشتعالاً أنها يائسة من أوبة قريبة"[1]، تقول:

ألا لا أرى مـــاء المصَـــبَّح شـــافياً نفوســـاً إلـــى أمـــواهِ بقعـــاءَ نزَّعـــا

فمـن جـاء مـن مـاء السـبال بشـربة فـــإن لـــه مـــن مـــاء لِينـــة أربعـــاً

وقـــد زادنـــي وَجـــداً ببقعـــاء أننـــي رأيـــت مطايانـــا بلينـــة ظُلَّعـــا[2]

وهذه امرأة من أبان تزوجت في كلب رأت بكراً من ديارها يحن إلى موطنه، فتشاركه مشاركة وجدانية، سببها شوقها إلى موطنها، تقول:

ألا أيهـــا البكـــر الأبـــانيُّ إننـــي وإيـــاك فـــي كلـــب لمغتربـــان

تحـــنُّ وأبكـــي ذا الهـــوى لصـــبابة وإنّـــا علـــى البلـــوى لمصـــطحبانِ

وإن زمانـــاً أيهـــا البكـــر ضـــمَّني وإيـــاك فـــي كلـــبٍ لشـــرُّ زمـــانِ[3]

وتتمنى حليمة الحضرية أن ترى أرضاً بها محبوبها، وأن تشرب من الماء الذي يشرب منه، وأن تلمس التراب الذي خطا عليه، وإن كان مخلوطاً بسم السود من الأفاعي، تقول:

يُقـــرُّ بعينـــي أن أرى مَـــنْ مكانُـــه ذُرَا عقـــــداتِ الأَبْـــــرَقِ المتقـــــاودِ

وأن أرد المـــاء الـــذي شـــربت بـــه سُـــلَيْمى وقـــد مـــلّ السُّـــرى كـــلُّ واحِـــدِ

وأُلصِـــق أحشـــائي ببـــرْد ترابـــه وإن كـــان مخلوطـــاً بسُـــمِّ الأســـاود[4]

---

(1) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص 651).

(2) ابن طيفور، بلاغات النساء (ص 106). نُزَّعاً: مشتاقة، المصبِّح، وبقعاء، والسِّبال، ولينة أسماء مواضع. ظلّعاً: مقيمة.

(3) الجاحظ، رسائل الجاحظ (ج 400/2)، ياقوت، معجم البلدان (ج1/ 63).

(4) ماردِيني، رغداء، شواعر الجاهلية (ص 245). عقدات: ما صلب من الرجل. الأبرق: الجبل مخلوطاً برمل. البرقة: أرض ذات حجارة ورمل. المتقاود: المستوي. السرى: السير ليلاً. واخد: الوخد سعة الخطو في المشي. الأساود: العظيم من الحيات.

وحدث عبد الله بن إسحق الجعفري قال: أمرت بملء صهريج لي في بستان عليه نخل مطلّ، وذهبت بأم حسانة المريّة وابنتها – زوجتي – فلما نظرت أم حسّانة إلى الصهريج قعدت عليه وأرسلت رجليها في الماء، فقلت لها: ألا تطوفين معنا على هذا النخل لنجني ما طاب من ثمره؟ فقالت: هاهنا أعجب إليّ.

فدرنا ساعة وتركناها، ثم انصرفنا وهي تخضخض رجليها في الماء وتحرك شفتيها، فقلت: يا أم حسانة لا أحسبك إلا قلت شعراً، قالت: أجل، ثم أنشدتني:

أقـــول لأدنـــى صـــاحبيّ أســـرُّه ... وللعـــين دمـــعٌ يحـــدر الكحـــل ســـاكبه

لعمـري لنهـيٌ بـاللِّوى نـازحُ القـذى ... نقـــيُّ النـــواحي غيـــر طَـــرق مشـــاربه

أحـبُّ إلينـا مـن صـهاريج مُلِّئَـتْ ... للَعْـــب ولـــم تَمْلُـــحْ لـــديّ ملاعبـــه

فيـا حبـذا نجـد وطيـب هوائـه ... إذا أهضـــبته بالعشـــي هواضـــبه

وريـح صـبا نجـد إذا مـا تنسـمت ... ضـــحىً وســـرت جـــنح الظـــلام جنائبـــه

فأقسـم لا أنسـاه مـا دمـت حيَّـةً ... ومـــا دام ليـــل مـــن نهـــار يعقابـــه

ولا زال هـذا القلـب مَسْـقيَّ لوعـة ... بـــذكراه حتـــى يتـــرك المـــاء شـــاربه[1]

إن "الوطن الذي بعدت عنه المرأة ليس وطن الأهل، ومسرح الصبا والهوى فقط، إنما هو موطن الحبيب الذي حرمت منه الشاعرة، فالشاعرة تبدو كالمريضة التي تظن أن الرّيح التي تهب من ناحية قومها قد تشفيها، والذي يميز هذه التجربة عن تجربة الرجل في الحب هو ربط المعاناة بالألم الجسمي، فهي مقطعة أحشاؤها من الجوى"[2].

---

(1) الجاحظ، الرسائل (ج 2/ 398)، الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء (ج2/ 654). الطَّرق: الماء الذي خاضته الدواب وبالت فيه وأبعرت. الهواضب: الأماكن المرتفعة التي يكون هواؤها أطيب من السهول. الجنائب: مفردها جنوب وهي رياح الجنوب.

(2) يوسف، عالم المرأة في الشعر الجاهلي (ص77).

المطلب الثاني: البوح بالحب والشوق:

إذا كان بعض النساء كتمن حبهن، ولم يبحن به، وهذه السمة الغالبة للنساء العربيات، فإننا قد نجد من النساء من لم تقو على كتمان حبها، ذلك لشدة شوقها، وغلبة وجدها، فأطلقت لسانها واصفة ما بها، متحدية العرف والعادة، والنظام القبلي الصارم.

من ذلك أن رجلاً من بني عقيل تزوج امرأة من قبيلته، دخل يوماً وهي تتمثل ببيت غزل، فقال لها: ما هذا الذي تتمثلين به؟ لعلك عاشقة. قالت لا. ولكن أبيات حضرتني فقال: لئن سمعتك تعودين إلى مثل هذا لأوجعن ظهرك وبطنك. فأنشأت تقول:

فإن تضربوا ظهري وبطني كليهما فليس لقلب بين جنبي ضاربُ

يقولون عزِّي النفس عمَّن تَوّدُّه وكيف عزاء النفس والشوق غالبُ[1]

وتحتمل شقراء ابنة الحباب الضرب بالسياط من أجل من تحب حيث تقول:

أأضرب في يحيى وبيني وبينه تنايف لو سرى بها الريح كلَّت

ألا ليت يحيى يوم عبهل زارنا وإن نهلت منا السِياط وعلَّت[2]

وفي تحد واضح تقول:

أقول لعمرو والسياط تلفني لهن على متنيَّ شرٌ دليل

إن هذا التحدي، ناتج عن حب ملك عليها جوارحها، حتى أنها لم تقو على كبح جماح مشاعرها، فلم تعد تأبه بالعقاب أياً كان، فحب يحيى أفقدها صوابها، وفاق صبرها، وأشاب ناصيتها، تقول:

خليلي إن أصعدتما أو هبطتما بلاداً هوى نفسي بها فاذكرانيا

---

(1) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص658).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 197).

ولا تـــدعا إن لامنـــي ثـــمَّ لائـــمٌ علـــى سَـــخَط الواشـــين أن تعـــذرانيا

لقـد شـفَّ قلبـي بعـد طـول تجلـدي أحاديـــث مـــن يحيـــى تُشـــيبُ النواصـــيا

سـأرعى ليحيـى الـودَّ مـا هبَّت الصَّبا وإن قطعـــوا فـــي ذاك عمـــداً لســـانيا[1]

وتبوح امرأة من خثعم بحبها لكعب بن طارق فتقول:

فـإن تسـألوني مـن أحـب فـإنني أحـــب وبيـــتِ الله كعـــبَ بـــن طـــارق

أحـب الفتـى الجعْدَ السـلوليَّ فاضـلاً علـــى النـــاس معتـــاداً لضـــرب المفـــارقِ[2]

وتصور خولة بنت ثابت شوقها ولهفتها على محبوبها عمارة بن الوليد ابن المغيرة المخزومي، وقيل الشعر لفارعة بنت ثابت في عبد الرحمن بن هشام المخزومي:

يـــا خليلـــي نـــابني ســـهدي لـــم تـــنم عينـــي ولـــم تكـــد

فشـــرابي مـــا أُســـيغ ومـــا أشـــتكي مـــا بـــي إلـــى أحـــد

كيـــف تلحُـــوني علـــى رجـــلٍ آنـــــسٍ تلتـــــذه كبـــــدي

مثـــل ضـــوء البـــدر صـــورته لـــــيس بالزَّميلـــــة النِكـــــدِ

مـــن بنـــي آل المغيـــرة لا خامـــــل نكـــــس ولا جَحـــــدِ

نظـــرت يومـــاً فـــلا نظـــرت بعـــد عينـــي إلـــى أَحَـــدِ[3]

ويأخذ الشوق والوجد زينب بنت مُرَّة المرية فتقول:

يـا أيهـا الراكـب الغـادي مطيَّتـه عـرِّج أُنْبيـك عـن بعـض الـذي أَجـدُ

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص197).

(2) الجاحظ، الحيوان (ج24/2).

(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد (جـ7/ 31).

ما عالج الناس من وجدٍ ومن كمدٍ إلا ووجدي به فوق الذي وجدوا

حسبي رضاه وأني في مسَّرته ووده آخر الأيام أجتهد[1]

وتتشوق الخنساء بنت التيحان إلى جَحْوش الخفاجي، فتدعو لدياره بالسقيا كعادة الشعراء في دعائهم لديار محبوباتهم، ثم إنها تحن إلى لقائه، وسماع حديثه، فقد أضعف الوجد به جسمها، وأمرضها، فحبها لجحوش فاق حب عفراء لعروة بن حزام، فلا شفاء منه إلا بالموت، تقول:

أَمُنتَـذَرٌ قتلي إن العينُ آنست سنا بارقٍ بالغور غور تهام

فلا زال مُنْهَلٌّ من الغيث رائحٌ يقادُ إلى أهل القضا بزمامِ

ليشرب منه جحوشٌ ويشمَّهُ بعيني قطاميٍّ أغرَّ شآمي

بنفسي وأهلي جحوشٌ وكلامُهُ وأنيابه اللائي جلا بِبَشامِ

ألا إنَّ وجدي بالخفاجيّ جحوشٍ برى الجسمَ مني فهو نضوُ سقامِ

وأقسم إني قد وجدت بجحوش كما وجدت عفراءُ بابن حزام

وما أنا إلا مثلها غير أنني مؤجلة نفسي لوقت حمامِ[2]

وتقول:

وإن لنا بالشام لو نستطيعه خليلاً لنا يا تيَّحان مصافياً

نعدُّ له الأيامَ من حُبِّ ذكرهِ ونحصي له يا تيَّحانُ الليالي

فليت المطايا قد رَفَعْنَك مُصعِداً تجوبُ بأيديها الحُزونَ الفيافي[3]

---

(1) القالي، الأمالي (جـ87/2)، ابن قيم الجوزية، أخبار النساء (ص 73).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 75).

(3) المرجع السابق (ص 75).

وقد تتكلم الشاعرة بجرأة غير معهودة، فالمرأة العربية شديدة الحياء، عفيفة كتومة، بعيدة عن الابتذال، تحرص على ألا يؤتى أهلها من قبلها كما أسلفنا القول في معرض الحديث عن عفتها وكتمان وجدها.

تقول:

وإن ولــوج البيــت حــلٌ لجَحــوشٍ إذا جـــــاءَ والمســـــتَأْذنون نيـــــامُ

فأهـل الحجـاز معشـرٌ قـد كـرهتهم وأهـــلُ الغضـــا قـــوم علـــيّ كـــرام[1]

وكانت أم الضحاك المحاربية تحب زوجها حباً شديداً، فحصل بينهما خلاف طلقها على أثره، فاشتد وجدها به، وشوقها إليه. فقالت:

يـــا أيُّهـــا الغـــادي لطيَّتـــه عـــرِّج أبثُّـــك عـــن بعـــض الـــذي أجـــد

مـا عـالج النـاسُ مـن وجدٍ تضـمنهم إلا ووجـــدي بـــه فـــوق الـــذي وجـــدوا

حســبي رضــاه وأنــي فــي مســرته ووُدِّه آخـــــر الأيـــــام أجتهـــــد[2]

إنها تشكو للركبان شدة حبها وشوقها، لعل أحدهم يوصل رسالتها إلى محبوبها فيرق لها، فهي لا ترى أن أحداً أشدَّ وجداً من وجدها، ولا تتمنى إلا الرضى وعودة الوصال ودوام الود والمحبة، وتقول:

ســألت المحبــين الــذين تحمَّلــوا تبــاريح هــذا الحــبِّ فــي ســالف الــدَّهر

فقلـت لهـم مـا يـذهبُ الحـبَّ بعـدما تبـــوأ مـــا بـــين الجـــوانح والصـــدرِ

فقــالوا شــفاءُ الحــب حــبٌ يزيلــه مــن آخــر أو نــأيٌ طويــلٌ علــى هجــرِ

أو اليـأسُ حتـى تـذهل الـنفسُ بعـدما رجـت طمعـاً واليـأس عـون علـى الصـبر[3]

---

(1) يموت، شاعرات العرب، (ص 75)

(2) المرجع السابق (ص 64).

(3) المرجع نفسه (ص 64).

إنها تهرع إلى المحبين الذين عانوا تباريح الحب، وعانوا من ألم الفراق، لعلها تجد عندهم علاجاً يذهب عنها ما حل بصدرها، وتملك عليها جوانحها، فيخبروها بأن الحب لا يزيله إلا حب آخر، أو اليأس من الوصال، والبعد والهجران، وأنى يتأتَّى ذلك لها.

وتصور لنا شدة ما حل بها من شوق إلى محبوبها، الذي ملك عليها مشاعرها، وغلب على تفكيرها، وأفقدها صوابها، فهي لا تجد حرجاً أن تلق محبوبها خالياً في أكثر الأماكن قداسة، ولم لا وبينهما حديث كتنشيج المرضى، حديث لو شوي اللحم بحرِّه لنضج، إنها حرقة ما بعدها حرقة، وشوقاً لا يفوقه شوق، ووجد يذيب القلب، ويذهب العقل. تقول:

هل القلب إن لاقى الضبابيَّ خالياً ... لدى الركن أو عند الصَّفا متحرِّجُ

وأعجلنا قرب الفراق وبيننا ... حديثٌ كتنشيج المريضين مزعجُ

حديثٌ لو أنَّ اللحم يشوى بحرِّه ... طريَّاً أتى أصحابه وهو مُنْضَجُ[1]

لقد شغلت حالتها أهلها، حتى أعياهم حالها، وعجزوا عن علاجها، ولو علموا أن التمائم تشفيها لقلدوها بها، ولكن أنَّى لهم ذلك. تقول:

ألم تر أهلي يا مغيرَ كأنما ... يفيئون باللوماءِ فيك الغنائما

ولو أن أهلي يعلمون تميمةً ... من الحب تشفي قلدوني التمائما[2]

ثم إنها تسلوه بعد مدّة من الزمن، فتقول:

تعزَّيت عن حبِّ الضبابيِّ حِقْبَةً ... وكلُّ عمايا جاهلٍ ستثوبُ

يقولُ خليلُ النفسِ أنتِ مريبةٌ ... كلانا لَعَمْري قد صدقتَ مُريبُ

وأَرْيبنا من لا يؤَدّي أمانةً ... ولا يحفظُ الأسرار حينَ يغيبُ

ألهفاً بما ضيعتُ وُدّي وما هفا ... فؤادي بمَن لم يدر كيف يثيبُ[3]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 65).

(2) المرجع السابق (ص 65).

(3) المرجع نفسه (ص 65 – ص 66).

وقالت:

ولـــم أنتبـــه حتـــى وقفـــتُ بغيَّـــةٍ ... مـــن الغـــي ثـــم انجـــاب عنـــي غطائيـــا

فأقصـــرتُ عمّـــا تعلمـــين ولا أرى ... أخـــا غَيِّـــةٍ عنهـــا انتهـــى كانتهائيـــا[1]

وتبالغ بعض النساء في غزلهن كقول هذه الأعرابية:

فلو أن ما ألقى وما بي من الهوى ... بـــأرعنَ ركنـــاه صـــفاً وحديـــدُ

تقطـــر مـــن وجـــد وذاب حديـــده ... وأمســـى تـــراه العيـــد وهـــو عميـــد

ثلاثـــون يومـــاً كـــل يـــوم وليلـــة ... أمـــــوت وأحيـــــا إنّ ذا لشـــــديد

مســـافة أرض الشـــام ويحـــك قربـــي ... إلـــيَّ ابـــن جَـــوّاب يزيـــدَ أُريـــدُ

فليـت ابـن جـواب مـن النـاس حظنـا ... وأن لنـــا فـــي النـــار بُعـــد خلـــودُ[2]

إن ما بها لا تقو الجبال على حمله، فهي تموت وتحيا كل يوم شوقاً لابن جواب ؛ الذي تتمنى وصاله، والتنعم بقربه، والزواج منه، وإن كان مصيرها بعد ذلك إلى النار.

وتتذكر عشرقة المحاربية – حين هرمت – ما كان منها في صباها، فتقول إن المحبين والمحبات لم يجرِّبوا من الحب إلا بعض ما جرَّبت، تقول:

جريـت مـع العشـاق فـي حَلْبـة الهـوى ... ففقـــتهم سَـــبْقاً وجئـــت علـــى رسْـــلِ

فمـا لـبس العشـاق مـن حلـل الهـوى ... ولا خلعـــوا إلا الثيـــاب التـــي أبلـــي

ولا شـــربوا كأســـاً مـــن الحـــب مُـــرَّةً ... ولا حلـــــوةً إلا شـــــرابُهم فَضـــــلي[3]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 66).

(2) ابن طيفور، بلاغات النساء (ص 192).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص 102).

ويمر أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، في خلافته بطريق من طرق المدينة، فإذا جارية تطحن وتنشد:

وعشـقته مـن قبـل قطـع تمـائمي متمايســـاً مثـــل القضـــيب النَّـــاعمِ

وكـــأنَّ نـــور البـــدر سُـــنَّة وجهـــه ينمـــي ويصـــعد فـــي ذؤابـــة هاشـــم

وأنـــا التـــي لَعِـــبَ الغـــرامُ بقلبهـــا فَبَكـــتْ بحـــبِّ محمـــد بـــن القاســـم

فدق عليها الباب، فخرجت إليه، فقال: ويلك أحرّة أم مملوكة؟ قالت: مملوكة يا أمير المؤمنين. فسار إلى المسجد، وبعث إلى مولاها فاشتراها منه، وبعث إلى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وقال: هؤلاء فتن الرجال، فكم مات بهن كريم، وعطب عليهن سليم!![1]

وتتغزل عفراء بنت عقيل العذرية غزلاً عذباً حين تعتذر عن عدم زيارته خوف الوشاة والحاسدين:

عـــداني أن أزورك يـــا مـــرادي معاشـــــر كلهـــــم واشٍ حســـــود

أذاعـوا مـا علمـت مـن الـدواهي وعابونـــــا ومـــــا فـــــيهم رشـــــيدُ

فأمـــا إذا حللـــت بـــبطن أرض وقصـــر النـــاس كلهـــم اللحـــودُ

فـــلا بقيـــت إلـــى الـــدنيا فواقـــاً ولا لهـــــم ولا أثـــــري عديـــــد[2]

وترى أم حمادة الهمذانية أن الهوى استمكن منها، حتى بدا لها أنها العاشقة الوحيدة من بين الناس، وتتعجب من حبها لمحبوب لا يبادلها الحب والمودة، وهذا – في رأيها– الشقاء بعينه:

---

(1) ينظر: ابن القيم، أخبار النساء، (ص 219 – ص: 220). التمائم: جمع تميمة وهي خرزة يضعها العرب على أبنائهم خوفاً من العين. سنة وجهه: صورته أو جبهته وجبيناه.

(2) يموت، شاعرات العرب (ص 189).

دار الهـــوى بعبـــاد الله كلهـــم حتـــى إذا مـــرّ بـــي مـــن بيـــنهم وقفـــا

إنـــي لأعجـــب مـــن قلـــب يكلفكـــم ومـــا يـــرى مـــنكم بـــراً ولا لطفـــا

لـــولا شـــقاوة جـــدّي مـــا عـــرفتكمُ إن الشـــقيَّ الـــذي يشـــقى بمـــن عرفـــا[1]

إنها ترى أن المحب لا يكون محباً صادقاً، حتى يبلي جسمه، ويعتريه الوسواس ولا يقو على محادثة الناس، تقول:

شـكوت إليهـا الحـبّ قالـت كـذبتني ألســـت أرى الأجـــلاد منـــك كواســـيا

رويـدك حتـى يبتلـى الشـوق والهـوى عظامـــك حتـــى يـــرتجعن بواديـــا

ويأخـذك الوسـواس مـن لوعـة الهـوى وتخـــرس حتـــى لا تجيـــب المناديـــا[2]

ويتمكن الحب والوجد من ليلى العامرية، التي تخشى الوشاة، فتكتم حبها وتبقيه دفيناً في قلبها، وتظهر البغض لمحبوبها، لكنها تخشى أن يظهر ما بها من عينيها، التي تبدي ما تخفيه الصدور، والناس لا يخفى عليهم شيء:

كلانـــا مظهـــرٌ للنـــاس بغضـــاً وكـــلٌ عنـــد صـــاحبه مكـــين

تُبلِّغنـــا العيـــون بمـــا أردنـــا وفـــي القلبـــين ثـــم هـــوىً دفـــينُ

وأســـرار اللـــواحظ لـــيس تخفـــى وقـــد تغـــري بـــذي الخطـــأ الظنـــونُ

وكيـف يفـوت هـذا النـاس شـيءٌ ومـــا فـــي النـــاس تظهـــره العيـــون[3]

وتقول إنها تحب قيس حباً يعادل حبه لها، ولكن قيس لم يقو على كتمان حبها، إلا أنها كتمت حبها:

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص190).

(2) المرجع السابق، (ص190).

(3) المرجع نفسه، (ص 159).

لـــم يكـــن المجنـــون فـــي حالـــة إلا وقـــــد كنـــــت كمـــــا كانـــــا

لكنَّـــــه بـــــاح بســـــرِّ الهـــــوى وإنّنـــــــي قـــــد ذبـــــتُ كتمانـــــا[1]

وتقول:

بـــاح مجنـــونُ عـــامرٍ بهـــواه وكتمـــــتُ الهـــــوى فمـــــتُّ بوجـــــدي

فـــإذا كـــان فـــي القيامـــة نـــودي مَـــنْ قتيـــل الهـــوى تقـــدمتُ وحـــدي[2]

ويشتد الوجد بسعدى الأسدية، فقد أحبت ابن عمها، وأحبها، ورفض أهلها زواجهما، وزوجوها بغيره، فماتت كمداً وقهراً، تقول مخاطبة ابن عمِّها وكان قد أرسل لها بيتين يشكو فيهما حبه:

حبيبـــي لا تعجـــل لـــتفهم حجتـــي كفـــاني مـــا بـــي مـــن بـــلاء ومـــن جهـــدِ

ومـــن عبـــراتٍ تعترينـــي وزفـــرةٍ تكـــادُ لهـــا نفســـي تســـيلُ مـــن الوجـــد

غلبتَ علـي نفسـي جهـاراً ولـم أطِـقْ خلافـــاً علـــى أهلـــي بهـــزلٍ ولا جـــدِّ

ولـــن يمنعـــوني أن أمـــوت بـــزعمهم غـــداً خـــوف هـــذا العـــار فـــي جَـــدَثٍ وحـــدي

فـــلا تـــنس أن تـــأْتي هنـــاك فتلـــتمس مكانـــاً فنشـــكو مـــا تحمَّلْـــت مـــن جَهْـــد

فجاءها في الموعد فوجدها ميّتة، فاحتملها إلى شعب بذرى جبل وضمَّها ملتزماً لها فمات، ثم إن بعضهم وجدهما فأخبر عنهما فدفنوهما[3].

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 158).

(2) المرجع السابق (ص158).

(3) المرجع نفسه (ص 91).

المطلب الثالث: صفات المحبوب:

أولا: الصفات المعنوية:

حرصت الشاعرة العربية على ذكر صفات المحبوب المعنوية التي أحبتها فيه، فهي تحبه شجاعاً كريماً، فصيحاً، رزيناً وعاقلاً، عفيفاً، لأنها أكثر الصفات التي تستهويها، وتجذبها، وتزيد من تعلقها به، وسأحاول أن أتتبع بعض صفات المحبوب المعنوية في شعر المرأة العربية، وأرى أن الشواهد في شعرهن قليلة، وخصوصاً الجاهليات منهن، لأن المرأة الجاهلية خاصة والعربية عامة كانت مقلة في ذكر المحبوب، كتومة لا تبوح بما يخالج صدرها، ويذهب النوم من عينيها، فكيف بها إذا وصفت من تحب في مجتمع لا يقبل هذا، ولا يرضى عنه، إلا أنني وجدت شاعرة إسلامية بارزة، اشتهرت بالحب العفيف الطاهر، وعاصرت الصحابة والتابعين، وتعتبر من أبرز شاعرات العصر الإسلامي، إنها ليلى الأخيلية صاحبة توبة بن الحميِّر، لقد مدحت ليلى توبة ووصفته وصفاً مبالغاً فيه، حتى أغضبت الخلفاء في عصرها، وهذا سيأتي في حينه، فتوبة الفارس الشجاع المقدام، الكريم العفيف العاقل الرزين، الذي ساد قومه شاباً صغيراً، وهي أبرز الصفات التي تحرص المرأة على وجودها في محبوبها، وهذا عرض لهذه الصفات.

1- الشجاعة:

دخلت ليلى الأخيلية على مروان بن الحكم، فقال: ويحك يا ليلى أكما نعت توبة كان؟! قالت: أصلح الله الأمير؛ والله ما قلت إلا حقاً، ولقد قَصَّرت! وما رأيت رجلاً قط كان أربط على الموت جأشاً، ولا أقل انحياشاً حين تحتدم بركاء الحرب، ويحمى الوطيس بالطعن والضرب، كان والله كما قلت:

فتى لم يزل يزداد خيراً لدن نشا ... إلى أن علاه الشيبُ فوق المسايحِ

تراه إذا ما الموت حل بورده ... ضروباً على أقرانه بالصفائحِ

شجاعٌ لدى الهيجاء ثبْتٌ مشايحٌ ... إذا انحاز عن أقرانه كلُّ سابح

فعاش حميداً لا ذميماً فِعالُهُ ... وَصولاً لقرباه يُرى غير كالحِ[1]

---

(1) الأخيلية، الديوان (ص 62). أقران: جمع قرن، والقرن: كفؤك في الشجاعة. الصفائح: السيوف العريضة. الهيجاء: الحرب. الثبت: الفارس الشجاع. المشايح: المقاتل. سبح الفرس: جريه، والسوابح: الخيل لأنها تسبح بيديها، وهي صفة غالبة.

ويسأل معاوية بن أبي سفيان ليلى الأخيلية عن توبة بن الحميِّر، فقال: ويحك يا ليلى، أكما يقول الناس كان توبة؟ قالت يا أمير المؤمنين ليس كلُّ ما يقول الناس حقاً، والناس شجرة بغي يحسدون أهل النعم حيث كانوا وعلى ما كانت، ولقد كان – يا أمير المؤمنين– سبط البنان، حديد اللسان، شجاً للأقران، كريم المخبر، عفيف المئزر، جميل المنظر، وهو يا أمير المؤمنين، كما قلت له. قال: وما قلت له؟ قالت: قلت ولم أتعدّ الحق وعلمي فيه:

بعيـد الشَّـرى لا يبلُـغُ القـوم قَعْـرَهُ ... ألَـــدٌّ مُلِـــدٌّ يغلـــب الحـــقَّ باطلُـــهْ

إذا حـــلَّ ركـــبٌ فـــي ذراهُ وظلـــه ... ليمـــــنعهُم ممـــــا تُخـــــاف نوازلُـــــهْ

حماهم بنصل السيف من كلِّ فادحٍ ... يخافونـــــه حتـــــى تمـــــوتَ خصـــــائلُهْ[1]

فقال معاوية: ويحك يا ليلى! لقد جزت بتوبة قدره، فقالت: والله يا أمير المؤمنين لو رأيته وخبرته لعرفت أني مقصرة في نعته، وأني لا أبلغ كنه ما هو أهله، فقال معاوية: من أي الرجال كان؟ قالت:

أتتـــه المنايـــا حـــين تـــم تمامُـــه ... وأقصـــــر عنـــــه كـــــلُّ قـــــرنٍ يُطاوِلُـــــهْ

وكـــان كليـــثِ الغـــاب يحمـــي عرينَـــهُ ... وترضـــــــى بـــــــه أشـــــبالُهُ وحلائلُـــــهْ

غضـــوب حلـــيم حـــين يُطْلَـــبُ حِلْمُـــهُ ... وسُـــــمٌّ زُعـــــافٌ لا تصـــــاب مَقَاتِلُـــــهْ[2]

الأبيات الثلاثة الأولى " مدح خالص، وفي هذا المدح تسود قيم الجاهلية وخصالها، فهو "ألدٌّ ملد" أي كثير الجدل مسرف في الخصومة معاند للحق حتى أن باطله يغلب حق غيره، وكل هذه الصفات منبوذة بغيضة بأدب الإسلام"[3].

---

(1) الأصفهاني، الأغاني (ج11/ 222 – 223)، الديوان (ص 97). اللدد: شدّة الخصومة. ذراه: كنفه. الفادح: الخطب، والنازلة من نوازل الدهر.

(2) الأصفهاني، الأغاني، (ج11/ 223)، الديوان، (ص: 98). القرن: الكفؤ في الشجاعة. سم زعاف: قاتل.

(3) الغيث، ليلى الأخيلية وفن الرثاء، (ص 164).

ولكنها سرعان ما تتراجع عن هذه النغمة الجاهلية، وتنشد مرتجلة ستة أبيات في حضرة الخليفة تمزج فيها صفة الشجاعة بالكرم والعفة، وحسن معاملة الجار والضيف، والجمال المعنوي، بالجمال الحسي، لا تخلو من بعض اللمحات الإسلامية، وذلك أن الخليفة قال لها: " ويحك! يزعم الناس أنه كان عاهراً خارباً"[1].

معـــاذ إلهـــي كـــان والله ســـيداً ... جـــواداً علـــى العِـــلَّات جمَّـــاً نوافِلُـــه

أغـرَّ خفاجيَّـاً يـرى البخـلَ سُـبَّةً ... تحلَّـــبَ كفَّـــاه النـــدى وأنامِلُـــه

عفيفـاً بعيـدَ الهـمِّ صـلباً قناتُـه ... جمـــيلاً مُحيَّـــاه قلـــيلاً غوائِلـــهُ

وقـد علـم الجـوع الـذي بـات سـارياً ... علـــى الضـــيف والجيـــران أنَّـــك قاتلُـــه

وأنـك رحـبُ البـاع يـا تـوبُ بـالقرى ... إذا مـــا لئـــيمُ القـــوم ضـــاقت منازلُـــهْ

يبيـتُ قريـر العـين مـن بـات جـاره ... ويضـــحي بخيـــرٍ ضـــيفه ومُنازلـــه[2]

ومن جيد شعرها في توبة ما أنشدته في حضرة الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وذلك حين سألها عن أجود ما قالت في توبة، فقالت: والله يا أمير المؤمنين ما قلت فيه شيئاً إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر منه، ولقد أجدت حين قلت:

جـــزى الله خيـــراً والجـــزاء بكفـــه ... فتـــى مـــن عُقيـــل ســـاد غيـــر مكلَّـــف

فتـــى كانـــت الـــدنيا تهـــون بأســـرها ... عليـــــه ولا ينفـــــكُّ جـــــم التصـــــرُّفِ

ينـــال عليّـــات الأمـــور بهونـــةٍ ... إذا هـــي أعيـــت كـــل خِـــرْقٍ مُشـــرَّفِ

فيـا ألـفَ ألـفٍ كنـت حيَّـاً مسـلماً ... لألقـــاك مثـــل القسْـــوَر المتطـــرِّف

وكـم مـن لهيـفٍ محجَّـرٍ قـد أجبتَـه ... بـــأبيض قطَّـــاع الضَّـــريبةِ مرهـــفِ

---

(1) الأصفهاني، الأغاني، (ج11/ 223).

(2) الأغاني، (جـ11/ 223) الديوان، (ص97). على العلات: على كل حال، النوافل: العطايا، سبة: عار، أتى غولاً وغائلة: أمراً منكراً.

فأنقذتـــه والمـــوتُ يحـــرق نابـــه عليـــه ولـــم يُطْعَـــن ولـــم يُتَنَسَّـــفِ[1]

ومن قولها الذي أعجب به الأصمعي واستجاده قولها:

كـــأن فتـــى الفتيـــان توبـــة لـــم يَسِـــر بنجـــدٍ ولـــم يطـــل مـــع المتغـــوِّر

ولـــم يـــردِ المـــاء الســـدام إذا بـــدا ســـنا الصُّـــبح فـــي بـــادي الحواشـــي منـــوِّرِ

ولم يغلب الخصم الضِّجاج ويملأ الجفان ســـــديفاً يـــــوم نكبـــــاء صرصـــــر

ولـــم يعـــلُ بـــالجرد الجيـــاد يقودهـــا بســـــرَّة بـــــين الأشمســـــات فأبصـــــر

وصـــحراء مومـــاة يحـــار بهـــا القطـــا قطعـــت علـــى هـــول الجنـــان بمِنْســـرِ

فيـــا تـــوب للهيجـــا ويـــا تـــوب للنـــدى ويـــــا تـــــوب للمسْـــــتَنْبحِ المتنـــــوِّر[2]

ألا رب مكـــــروبٍ أجبـــــتَ ونائـــــلٍ بـــــذلت ومعـــــروف لـــــديك ومنكـــــر

في هذه الأبيات عادت الشاعرة إلى ذاكرتها، معددة بعض المواضع التي كان يرتادها توبة والتي تشهد له بالشجاعة والإقدام، والجرأة على الأعداء، والامتناع منهم فلا يصلون إليه، حيث إنه عليم بمجاهل الصحراء، فما إن يغنم شيئاً من الإبل وغيرها سرعان ما يدخل به

---

(1) الأصفهاني الأغاني (جـ11/ 224)، الديوان (ص 90 – 91). غير مكلّف: من التكليف وهو الأمر الذي يشق عليك. الهونة: الرفق والسهولة، أعياه الشيء: أكلّه وأعجزه، الخِرق (بالكسر): السخي، أو الظريف في شقاوة أو الفتى الحسن الكريم الخليقة. مشرَّف: جعل له شرف. القسور: الأسد، المتطرِّف: المغير. القنا المتقصف: المتكسر. جولان الخيل: كناية عن الحرب. اللهيف: الملهوف. المحجّر: المضيق عليه. يحرق نابه: كناية عن الغيظ والغضب. التنسف في الصراع: أن تقبض بيد الخصم ثم تعرض له رجلك فتعثره.

(2) الأغاني، (جـ11/ 217 – 219). الديوان (ص: 72 –74). المتغور: الذي يأتي الغور والغور ما انخفض من الأرض. النجد: ما أشرف من الأرض. الماء السدام: القديم المندفق. الضجاج: المشاغبة، الجفان: جمع جفنة وهي القصعة. السديف: قطع السنام. النكباء: الريح بين ريحين. الصرصر: الشديدة البرد. الجرد: جمع الأجرد، وهو السباق من الخيل. أشمس: جبل في بني عقيل. سَرَّة وأيسر: موضعان. المنسر: القطعة من الجيش. المستنبح: الضال في الليل الذي ينبح حتى يسمعه كلب القوم فينبح فيعرف مكان القوم. المتنور: الذي يبصر النار من بعيد. النائل: العطاء.

الصحراء، فيعجز القوم عن ملاحقته، وذلك أنه كان يخبئ الماء في أماكن عديدة من الصحراء، فإذا ما ظمئ أخرجه.

إن الشاعرة المعجبة بصاحبها لم تثبت صفة الشجاعة إلا وقد قرنتها بما يدخلها في إطار (القيمة) النبيلة المستحبَّة، وليست الجسارة والمغامرة، ففي القطعة السابقة تربط الشجاعة بأنه يملأ الجفان سديفاً في فصل الشتاء حيث الصقيع والرياح الباردة وخلو الأرض الصحراوية مما يمكن أكله وصيده، وهي تردِّد هذا الربط وتصر عليه، وهذا متوقع – بوجه عام – من حيث ترتبط في الوجدان العربي الشجاعة بالبذل والحماية، ولكنه هنا يؤصل صفة تلتوي بحدّ هذا النوع من الجسارة الذي يمارسه توبة. [1]

إنه نعم الفتى على كل حال من أحواله، فتكرر العبارة على أنه فاق أقرانه في كل الصفات الحسنة، متغنية بشجاعته وإقدامه وكرمه وفضله، غير آبهة بلوم اللائمين:

ولنعم الفتى يا توب كنت إذا التقت صدور الأعالي، واستشال الأسافل

ولنعم الفتى يا توب كنت ولم تكن لتُسبقَ يوماً كنت فيه تحاولُ

ونعم الفتى يا توب كنت لخائفٍ أتاك لكي يُحمى ونعم المجاملُ

ونعم الفتى يا توب جاراً وصاحباً ونعم الفتى يا توبَ حين تفاضل

لعمري لأنت المرءُ أبكي لفقده بجدٍ ولو لامت عليه العواذلُ

لعمري لأنت المرءُ أبكي لفقده ولو لام فيه ناقص الرأي جاهلُ[2]

إن الشاعرة تصرح بأنها غير آبهة بلوم اللائمين، من الجهلة وعديمي الرأي، وكأنها تقول كيف تلومونني في رثاء فتى كانت هذه صفاته؟ فهو الشجاع، الأبي، الكريم الحيي، فاق أقرانه وكان نعم الصديق والرفيق، ونعم الجار، كريم حليم، فلا يلوم إلا ناقص العقل.

لقد زعم البعض أن توبة كان فاجراً، إلا أن ليلى تماري في هذا وتتمسك بالحسن من صفاته، فتقول:

---

(1) ينظر الغيث، ليلى الأخيلية وفن الرثاء (ص 156).

(2) الأخيلية، الديوان (ص93 – ص94). استشال: استرفع.

وتوبـــة أحيـــا مـــن فتـــاة حييـــة وأجـــرأ مـــن ليـــث بخفـــان خـــادرِ

ونعـم الفتـى إن كـان توبـة فـاجراً وفـوق الفتـى إن كـان لـيس بفـاجرِ

ولـم يـدع يومـاً للحفـاظ وللنـدى وللحـــرب يرمـــي نارهـــا بالشـــرائر

وللبـازل الكومـاء يرغـو حُوارهـا وللخيـــل تعـــدو بالكمـــاة المســـاعر

وداوِّيـة قفـر يحـار بهـا القطـا تخطيتهـــا بالناعجـــات الضـــوامرِ

فلـيس شـهاب الحـرب توبـة بعـدها بغـــاز ولا غـــادٍ بركـــب مســـافرِ

وقد كـان طـلاع النجـاد وبـين اللسـان ومـــدلاج الســـرى غيـــر فـــاترِ

وكنـــت إذ مـــولاك خـــاف ظلامـــة دعـــاك، ولـــم يهتـــف ســـواك بناصـــر

دعـــاك إلـــى مكروهـــة فأجبتـــه علـــى الهـــول منـــا والحتـــوف الحواضـــر[1]

لقد جمع توبة بين الحياء والشجاعة، فهو أحيا من الفتاة، لكنه أجرأ من الأسد وقت الجرأة والشجاعة، ثم تعطيه صفة مجملة، تشتمل على كل حسن من الصفات حين تقول (نعم الفتى) وهو حسن على كل حال من أحواله.

إن توبة عليم بأحوال الحرب، خبير بدروب الصحراء، فلا يخشاها، حتى أن المستغيث لا يدع إلا باسمه، حين يشتد أوار الحرب، ويتطاير شرارها، لأنه يعلم أنه نعم المجيب في الشدائد، حين يستحرُّ القتل، وتبلغ القلوب الحناجر.

2- الكرم:

تأتي صفة الكرم مقرونة بصفة الشجاعة، إلا أنها تأتي عند الشاعرة في المرحلة الثانية، فالشجاعة في الوجدان العربي دائماً تكون مقرونة بالبذل والعطاء والحماية، إن توبة كان – دائماً

(1) الأخيلية ،الديوان (ص 80 – ص83). خفان: مأسدة قرب الكوفة. الخادر: المقيم، يقال أخدر الأسد إذا لزم خدره. البازل والبزول: الجمل والناقة في السنة الثامنة أو التاسعة. الحُوار: ولد الناقة. المساعر: جمع المسعر، وهو الموقد لنار الحرب. الدوية: الفلاة الواسعة المستوية. الناعجات: النوق البيض الكريمة. طلاع النجاد: أي كان سامياً لمعالي الأمور.

– عوناً للأرامل والضعفاء والأضياف الذين يطرقونه ليلاً ونهاراً، فهو كريم غياث في زمن القحط والعوز حين يضيق الرزق. تقول في ربط بين الشجاعة والكرم:

فيا توب للهيجا ويا توب للندى ويا توب للمستنبح المتنوِّر

ألا رب مكروب أجبت ونائلٍ بذلت ومعروف لديك ومنكر (1)

وتقول:

كم هاتفٍ بك من باكٍ وباكية يا توب للضيف إذ تدعى وللجار (2)

ومن للضيف غير توبة؟ إن توبة لا ينحر لضيفه إلا الإبل السمان التي تحسن في عين صاحبها، فيمتنع عن ذبحها، فتوبة لا يمنعه سمن إبله وقوتها، وغزارة لبنها من نحرها لضيفه في وقت الشتاء حين يشتد البرد ويقل الرزق، وهو الوقت الذي يتجلّى فيه الكرم، تقول:

ولا تأخذ الكومُ الجلادُ رماحها لتوبة في نحس الشتاء الصنابر

إذا ما رأته قائماً بسلاحه تقتته الخفاف بالثقال البهارز

إذا لم يجد منها برسل فقصره ذرى المرهفات والقلاص التواجر

قرى سيفه منها مشاشاً وضيفه سنام المهاريس السِّباط المشافر (3)

وتقول:

فتى كان للمولى سناءً ورقعة وللطارق الساري قرى غير باسر

---

(1) الأخيلية ،الديوان (ص 74). المستنبح: الذي لا يرى شيئاً في الليل، فينبح ليسمع نباح الكلاب فيعرف مكان القوم. المتنور: الذي يلتمس النار فيقصدها.

(2) المصدر السابق (ص75).

(3) المصدر نفسه (ص79 – ص80). الكوم: جمع كوماء: الإبل العظيمة السنام، أخذت رماحها: سمنت وحسنت في عين صاحبها. الجلاد: القوية وأرادت غزيرات اللبن. نحس الشتاء: ريحه الباردة. صنابر الشتاء: شدة برده. البهارز: العظيمات. الرسل: اللبن، المرهفات: الدقيقات. القلوص: هي من الإبل كالجارية من النساء. التواجر: النافقة في التجارة. المشاش: رؤوس العظام. المهاريس: الشداد الثقال من الإبل. سباط المشافر: طويلتها.

إنه رجل جوادٌ، يرى البخل سبة وعاراً، يكرم الضيف ويغيث الملهوف، ويبيت جاره قرير العين، ويضحى بخير وعافية، إذا ما ضن اللئيم بالعطاء. تقول:

معـــاذ إلهـــي كـــان والله ســـيداً جـــواداً علـــى العـــلات جمـــاً نوافلُـــه

أغـرَّ خفاجيـاً يـرى البخـل سـبةً تحلّـــب كفـــاه النـــدى وأناملـــه

وكـان إذا مـا الضـيف أرغـى بعيـره لديـــه أتـــاه نيلـــه وفواضـــله

وقـد علـم الجـوع الـذي بـات سـارياً علـــى الضـــيف والجيـــران أنـــك قاتلـــه

وأنـك رحـب البـاع يـا تـوب بـالقرى إذا مـــا لئـــيمُ القـــوم ضـــاقت منازلـــه

يبيـت قريـر العـين مـن بـات جـاره ويضـــحي بخيـــر ضـــيفه ومنازلـــه[1]

لقد غدا توبة في نظرها مثالاً للكرم، حتى أنه لا عيب عندها أن يلق المرء الموت وهو على هذه الحال:

لعمرك مـا بـالموتِ عـارٌ علـى الفتـى إذا مـــا الفتـــى لاقـــى الحمـــام كريمـــاً[2]

وهو لا شبيه له في كرمه ونداه، حتى خلفاء بني أمية، وعلى رأسهم عبد الملك بن مروان، فتقول متعجبة:

أأجعـــل مثـــل توبـــة فـــي نـــداه أبـــا الـــذِّبان فـــوه الـــدهر دامـــي[3]

لقد أغضبت الشاعرة عبد الملك بن مروان بمبالغتها في نعت توبة بالكرم حتى أنه قال لها متعجباً: ماذا أبقيت لنا؟! فقالت: الذي أبقى الله لك. قال: وما ذاك؟ قالت: نسباً قرشياً، وعيشاً رضياً، وإمرة مطاعة. والذي أغضب الخليفة قولها:

---

(1) الأخيلية، الديوان (ص 97 – ص:98).

(2) المصدر السابق (ص111).

(3) المصدر نفسه (ص113). أبو الذبان: كنية عبد الملك بن مروان؛ لشدة بخره، وموت الذباب إذا دنا منه. ينظر: الأغاني (جـ11/ 231).

أُريقت جفانُ ابن الخليع فأصبحت حياض الندى زالت بهنَّ المراتب

فعفاته لهفى يطوفون حوله كما انقضَّ عرش البئر والورد عاصبُ[1]

وتربط بين الشجاعة والكرم في أوقات الشدة، فتقول:

ومصدرٍ حين يُعيي القوم مصدرهم وجفنة عند نحس الكوكب الشبم[2]

وتربط بين الكرم والحياء فتقول:

كريمٌ يغض الطرف فرط حيائهِ ويدنو، وأطراف الرماح دواني[3]

ما أجمل أن تجتمع صفة الكرم بصفة الحياء عند شخص فارس همام، فلا يضن على أحد، ولا يتبع كرمه مناً أو أذى، فهو كريم وقت يعز الكرم، وذلك حين يضيق الحال، ويعز الطعام، وهو أشد حياءً من الفتاة في خدرها، وأشرس من الأسد في عرينه.

لقد عاش توبة محمود السيرة، طيب الفعال، وصولاً للأقرباء، محبوباً بين قومه، غير مذموم الفعال، تقول:

فعاش حميداً لا ذميماً فِعالُهُ وصولاً لقرباه يرى غيرَ كالحِ[4]

وتقول:

أبى لك ذمّ الناس يا توبَ كلَّما ذكرت أمورٌ مُحكماتٌ كواملُ

أبى لك ذمّ الناس يا توبَ كلَّما ذكرت سماحٌ حين تأوي الأرامِلُ[5]

---

(1) الأخيلية الديوان (ص: 52). تريد أن توبة قد مات فأريقت جفانه، ومات الندى بموته. والخليع: من آباء توبة. وكعب أحد هؤلاء الخلعاء من آباء توبة. العفاة: طالبو المعروف. اللهف: الحزن والتحسر.

(2)المصدر السابق (ص40).الشبم: البارد، عند نحس الكوكب الشبم: كناية عن الشتاء. وصفته بالشجاعة والكرم.

(3) المصدر نفسه (ص 119).

(4) المصدر نفسه (ص 62).

(5) المصدر نفسه (ص 94).

إن وصف الشاعرة لمحبوبها بالكرم جاء متنوعاً وشاملاً بحيث نستخلص مما سبق أن كرم الشاعر وسماحته، شمل الأقارب والجيران والأرامل والضعفاء، وطارق الليل، وضال الطريق، مع إسراف في هذه الصفة التي يعتز بها العربي، فهو يجود في وقت يعزُّ فيه الجود، حين يحل الشتاء، ويشتد البرد، ويقل الرزق، ويبلغ بالناس الجهد والبلاء مبلغاً كبيراً، يجعل الإنفاق والجود أمراً عزيزاً، إلا أن توبة يجود بالسمان من الإبل بطيب نفس، وحسن في المعاملة، وطلاقة في الوجه، ولين في الحديث.

3- الرزانة والعقل والحياء:

ربما ترتبط صفة الرزانة والعقل بالمتقدمين في السن أكثر منها في الشباب، فالغالب على الشباب صفة الرعونة والطيش والتسرع، إلا أن الشاعرة تصف محبوبها بهذه الصفات تأكيداً منها على ذلك، فتبدو هذه الصفات حسنة، لأنها خالفت المألوف، فتقول:

أبـى لـك ذمّ النـاس يـا تـوب كلمـا ذكـــرت أمـــور محكمـــات كوامـــلُ[1]

إنه فتى ساد قومه صغيراً، وأنّى له ذلك الشرف والسؤدد إن لم يكن على قدر كبير من العقل والرزانة وحسن التصرف، والرفق واللين، وبعد الهمة، تقول ليلى الأخيلية:

جـــزى الله خيـــراً والجـــزاء بكفـــه فتـــى مـــن عقيـــلٍ ســـادَ غيـــر مكلَّـــفِ

فتـــى كانـــت الـــدنيا تهـــون بأســـرها عليـــــه ولا ينفـــــكُّ جـــــمَّ التصـــــرُّفِ

ينـــال عليّـــات الأمـــور بهونـــةٍ إذا هـــي أعيـــتْ كـــل خـــرق مشـــرفِ

هـو الـذوبُ بـل أرى الخلايـا شـبيهُه بدرياقـــة مـــن خمـــر بيســـانَ قرقـــف[2]

إن توبة ساد قومه صغيراً، فالسيادة تعني الزعامة والقيادة، والرزانة، والحلم وحسن التدبير، وسعة الأفق، وعلو الهمّة، والفروسية والشجاعة، فترى الشاعرة أن محبوبها نال الشرف والسؤدد، وعليات الأمور التي أعيت غيره من الناس، ثم تختم هذا الوصف بكلمة (العسل) وهي كلمة تعني مجمل الصفات الحسنة من طيب الحديث، ولين الجانب، وحسن الخلق، وغيرها من

---

(1) الأخيلية، الديوان (ص: 94).

(2) المرجع السابق (ص 90).

الصفات الجميلة الحسنة، فكلمة (عسل) صفة مجملة لكل جميل، بل إنها تبالغ حين تجعل العسل شبيهه، ثم تصفه بأنه شبيه خمر بيسان، لبيان مدى تأثير محبوبها في الآخرين فهو يذهب بألبابهم لحسن أخلاقه، كما تذهب الخمر البيسانية بألباب شاربيها، وتقول ليلى أيضاً:

أتتـــه المنايـــا حـــين تـــم تمامـــهُ وأقصـــر عنـــه كـــلُّ قـــرن يطاولـــهُ[1]

فقولها " تم تمامه" فلا يتم تمام الإنسان إلا إذا اجتمعت فيه صفة الرزانة والحياء وحسن الخلق، وبعد الهمة، والشجاعة والكرم والفروسية وغيرها من الصفات، فقولها أنه " تم تمامه" أصبح كاملاً لا نقيصة فيه، ثم أجملت ذلك بقولها أقصر عنه كل قرن يطاوله.

وتقول:

وكـان كليـث الغـاب يحمـي عرينـه وترضـــى بـــه أشـــبالُه وحلائلُـــه[2]

إنه مع شجاعته وغيرته على أهل بيته، حريص على إرضائهم، وما يكون ذلك إلا بطيب الحديث ولين الجانب، وبسط اليد، والحلم، والعطف.

وتقول:

غضـوبٌ حلـيمٌ حـين يُطلَـبُ حلْمُـه وســـمٌّ زعـــافٌ لا تُصـــابُ مقاتلُـــه[3]

إن توبة جمع بين الشدَّة والبأس والقوة، والحلم، فهو حليم وقت يكون الحلم مطلوباً، وشديد في وقت الشدّة، فالحلم عن قوة وليس عن ضعف.

وتوبة أشد حياء من الفتاة في خدرها، ولكن الحياء وقت يكون الحياء صفة مطلوبة ومرغوب فيها، وليس الحياء الناتج عن ضعف ولين جانب، بل إنه عن صفات تأصلت في الممدوح، فهو حيي وقت الحياء، مع جرأة وشجاعة تفوق شجاعة الأسود في أوكارها. تقول ليلى:

---

(1) الأخيلية، الديوان (ص 98).

(2) المرجع، السابق (ص 98).

(3) المرجع، نفسه (ص 98).

وتوبـــة أحْيـــا مـــن فتـــاةٍ حييّـــةٍ وأجـــرأ مـــن ليـــث بخفـــانَ خـــادِرِ[1]

وتقول:

كـريم يغـض الطـرف فضـل حيائـه ويـــدنو وأطـــراف الرمـــاح دوانـــي[2]

4- العفة:

وتصفه بصفة أخرى وهي العفّة، الصفة التي طالما افتخر بها الشعراء العرب في جاهليتهم قبل إسلامهم. يقول عنترة:

وأغـض طرفـي مـا بـدت لـي جـارتي حتـــى يـــواري جـــارتي مأواهـــا

إنـــي امـــرؤ ســـمح الخليقـــة ماجـــد لا أُتْبِـــع الـــنفس اللجـــوج هواهـــا[3]

ويقول عروة بن الورد:

وإن جـــارتي ألـــوت ريـــاح ببيتهـــا تغافلـــت حتـــى يَسْـــترَ البيـــتَ جانبـــه[4]

وتقول ليلى الأخيلية في وصف توبة:

كـريم يغـض الطـرف فضـل حيائـه ويـــدنو وأطـــراف الرمـــاح دوانـــي[5]

فتوبة كان يحبها حباً عفيفاً طاهراً نقياً، فإذا كان عنترة بقوله السابق " يصور لنا المروءة الجاهلية الكاملة، وهي مروءة طرزها حب عذري عفيف لابنة عمه عبلة، وحقاً إن هذا الحب إنما شاع في بوادي نجد في أثناء العصر الأموي، بسبب المعاني الروحية التي بثها الإسلام في

---

(1) الأخيلية، الديوان (ص 119).
(2) المرجع السابق (ص 80).
(3) ابن شداد، عنترة، الديوان (ص 208 – 209).
(4) ابن الورد، عروة، الديوان (ص 48).
(5) الأخيلية، الديوان (ص 119).

نفوس العرب، وهو لم يشع في الجاهلية، إنما ظهر عند بعض الأفراد الفرسان مثل عنترة؛ فقد كان يتسامى لا في خلقه فحسب؛ بل في حبِّه"[1].

إذاً ليس غريباً على توبة الشاعر الفارس الذي تربى على موائد الإسلام أن يكون عفيفاً طاهراً نقياً لا يتبع نفسه هواها، بل يحفظ لمن يحب قدرها، ويصون عفتها وشرفها، ويعف عما يسوؤها.

لقد جمع البيت السابق أجمل الصفات التي يمكن أن تجتمع لأحد، فهو يجمع بين الكرم والحياء والعفة ولين الجانب من غير ضعف ولا خوف، وهذا ما أوضحته الشاعرة في التالي للبيت السابق حين تقول:

وكالسَّـــيف إن لاينتـــه لان متنـــهُ وحـــــدَّاه – إن خاشـــــنته – خشـــــنانِ[2]

لقد كان توبة يحب ليلى حباً عفيفاً، طاهراً نقياً، ويكتفي منها بالحديث، دون الرؤية، وهو يصرح بذلك صراحة في شعره، وذلك أنه كلما زار ليلى يجدها ساترة لوجهها، وحتى أنه ارتاب من سفورها حين أسفرت عن وجهها، في القصة المشهورة بينهما، يقول في ذلك:

وأشـــرف بـــالقوز اليفـــاع لعلنـــي أرى نـــــار ليلـــــى أو يرانـــــي بصـــــيرُها

وكنـــتُ إذا مـــا جئـــتُ ليلـــى تبرقعـــت فقـــــد رابنـــــي منهـــــا الغـــداة ســـــفورها

علـــيَّ دمـــاءُ البُـــدْنِ إن كـــان بعلهـــا يـــــرى لـــــيَ ذنبـــــاً غيـــــرَ أنـــــي أزورهـــــا

وأنـــي إذا مـــا زرتُهـــا قلـــت يـــا اســـلمي ومـــا كـــان فـــي قـــولي اســـلمي مـــا يضـــيرها[3]

وتصف خيرة أم ضيغم البلوية عفَّة محبوبها بقولها:

ونصـــدر عـــن أمـــر العفـــاف وربمـــا نقعنـــــا غليـــــل الـــــنفس بالرّشـــــفان[4]

---

(1) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي (ص 373).

(2) الأخيلية، الديوان (ص 119).

(3) المرجع السابق (ص 97). الغوائل: الأمور المنكرة.

(4) ينظر: الأصفهاني، الأغاني (جـ11/ 195).

فالعفة عند المرأة والرجل أمر شائع في أدب العرب، وهي صفة مستحبة تحرص عليها المرأة والرجل.

وتقول ليلى الأخيلية في موضع آخر:

عفيفاً بعيد الهمِّ صلباً قَنَاتُهُ جميلاً مُحيَّاه قليلاً غوائِلُه[1]

5- الفصاحة:

وحتى تكتمل الصورة، للمحبوب الفارس الشجاع الكريم العفيف لين الجانب، لا بد من ذكر صفة لا بد منها ألا وهي صفة الفصاحة والبيان. تقول ليلى الأخيلية في وصف توبة:

وقد كان طلاع النجاد وبيِّن اللِّسان ومِدْلاج السُّرى غيرُ فاترِ[2]

6- الأصالة وعراقة النسب:

لطالما افتخرت العرب بأنسابها إثباتاً لأصالتها وعراقتها، وشرفها، وليلى الأخيلية تتبع نسب محبوبها من القريب للبعيد، مبينة شرف النسب، وعراقة الأصل الذي يجمعها به فتقول:

جزى الله خيراً والجزاء بكفِّه فتى من عقيل سادَ غيرَ مكلَّفِ[3]

وتمضي من عقيل إلى الجد الأقرب (خفاجة) فتقول:

أغرَّ خفاجياً يرى البخل سبَّةً تحلب كفَّاه الندى وأَناملُه[4]

ثم بعد ذلك تصعد به إلى الجد الأعلى فتقول:

يا عين بكِّي بدمعٍ دائمِ السَّجَمِ وأبكي لتوبة عند الرَّوْعِ والبُهمِ

على فتى من بني سعدٍ فُجعتُ به ماذا أُجِنّ به في الحفرة الرَّجَم[5]

---

(1) الأصفهاني، الأغاني (ج198/11).
(2) يموت، شاعرات العرب (ص 194).
(3) الأخيلية، الديوان (ص 83).
(4) المرجع السابق (ص 90).
(5) المرجع نفسه (ص 97).

لقد جعلت الشاعرة من محبوبها أنموذجاً فريداً من نوعه، حرصت على نعته بكل صفة معنوية تحبها المرأة كالشجاعة والإقدام والجرأة والكرم ولين الجانب وحسن الجوار، وصحة النسب، مع العفة والحياء، والترفع عن صغائر الأمور ورذائلها وابتعدت الشاعرة عن الصفات الحسية، وذلك لكونها امرأة عاصرت الصحابة والتابعين، فتمكن الدين منها، فهذب نفسها، مع ما تحمله المرأة من قيم وأخلاق سامية، ممزوجة بعفَة وطهارة ونقاء نفس، ونبل غاية، وحرص على السمعة.

لذا نجدها تستنكر ضعف المحبوب وعدم قدرته على كتم هواه، والبوح به مما يعرضها إلى حديث الناس، تقول ليلى العامرية:

لـــم يكـــن المجنـــون فـــي حالـــة إلا وقـــــد كنـــــت كمـــــا كانـــــا

لكنَّـــــه بـــــاح بســـــرِّ الهـــــوى وإننـــــــي قـــــد ذبـــــت كتمانـــــاً[1]

إنها تلوم المحبوب على البوح بحبه وعدم كتمانه وهو الرجل القوي، واستطاعت هي كتمان حبها، وهي المرأة الضعيفة، ولكن الموانع عندها أكبر وأقوى، لأنها المتأذية الأولى.

وتقول في موضع آخر:

بـــاح مجنـــون عـــامرٍ بهـــواه وكتمـــــتً الهـــــوى فمـــــتُّ بوجـــــدي

فـــإذا كـــان فـــي القيامـــة نـــودي مَـــنْ قتيـــلُ الهـــوى تقـــدمتً وحـــدي[2]

والحقيقة أن المرأة أقدر من الرجل على الكتمان، والأسباب عند المرأة عديدة سبق الحديث عنها وهي الخوف من الأهل، الحرص على الشرف والعفّة، والسمعة والسيرة الحسنة، وخشية العار، إلى غير ذلك من الأسباب، ولكن لأسماء صاحبة جعد أسباب أخرى، حيث تقول:

كتمـــت الهـــوى أنـــي رأيتـــك جازعـــاً فقلـــــتُ فتـــــى بعْـــــدَ الصـــــديق يريـــــدُ

فـــإن تطرحنـــــي أو تقـــــول فتيَّـــــة يضـــــــربها بـــــــرح الهـــــوى فتعـــــودُ

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 158).

(2) المرجع السابق (ص 158).

فودَّيت عمَّا بي وفي الكبد والحشا من الوجدِ برحٌ فاعلمنَّ شديدُ[1]

ب-الصفات الحسيَّة:

بعد تتبع شعر النساء الجاهليات والإسلاميات، لم أجد حرصاً منهن على ذكر صفات حسية للمحبوب، إلا بعض الأشعار المتفرقة، وربما ذلك يرجع إلى طبيعة المرأة العربية، وتقاليد المجتمع الجاهلي والإسلامي.

لذا سأعرض لبعض الصفات الحسية التي ذكرتها بعض النساء بجرأة غير معهودة مثل ما قالته خيرة أم ضيغم البلوية التي عشقت ابن عم لها، فدرى أهلها بمحبوبها، فقالت:

فما نطفة من ماء بهمين عذبةٍ تمتع من أيدي السقاة أرومها

بأطيب من فيه لو أنك ذقته إذا ليلة أسحت وغاب نجومُها[2]

ففي جرأة من الشاعرة نجدها تصرّح على غير عادة الشواعر العربيات بل والشعراء العذريين، فتقول إن ريق المحبوب أطيب من ماء بهمين.

وتقول عاتكة المريَّة:

وما طعمُ ماءٍ أي ماءٍ تقوله تحدَّر عن غُرٍ طوالِ الذوائبِ

بمنعرجٍ من بطن وادٍ تقابلت عليه رياح الصيف من كلِّ جانبِ

نفتْ جريةُ الماءِ القذى عن متونه فما إنْ به عيبٌ تراه لشاربِ

بأطيب ممن يقصر الطرف دونه تقى الله واستحياءُ بعض العواقبِ[3]

ونجد شاعرة أخرى من الإسلاميات تعدد بعض الصفات التي تعشقها المرأة في الرجل وهي الشباب، وجمال الوجه، ولطافة الحشا، فتقول:

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 192).

(2) المرجع السابق (ص 194)، ابن طيفور، بلاغات النساء (ص 197).

(3) المرجع نفسه (ص 201).

تطـاول هـذا الليـلُ تسـري كواكبـه وأرقنـــــي أنْ لا خليـــــل ألاعبُـــــه

فـــوالله لـــولا اللهُ لا شـــيءَ غيـــرهُ لزحـــزح مـــن هـــذا الســـرير جوانبـــه

وبـــت ألاهـــي غيـــر بـــدعٍ ملعـــنٍ لطيـــفِ الحشـــا لا يجتويـــه مصـــاحبُه

يلاعبنـــي طـــوراً وطـــوراً كأنمـــا بـــدا قمـــرٌ فـــي ظلمـــة الليـــل حاجبُـــه

يسـرُّ بـــه مـــن كـــان يلهـــو بقربـــه يعـــــاتبني فـــــي حبـــــه وأعاتبـــــه[1]

وربما تكون المرأة أحياناً أكثر جرأة من الرجل، فتذكر من الصفات الحسية، ما لم يجرؤ هو على ذكرها، مثل قول أم الورد العجلانية في وصف ما خفي من صفات الرجل:

رب غـــلام قـــد صـــرى فـــي فقرتـــه

مـــــاء الشـــــباب، عنفـــــوان شـــــدته

يمشـــي بعـــرد قـــد دنـــا مـــن ركبتـــه

أقعـــــس لا مـــــن أود فـــــي خلقتـــــه

انعـــظ حتـــى اشـــتد ســـم فقحتـــه

وارتفعـــت خصـــيته فـــي عانتـــه

وقربـــــت عانتـــــه مـــــن ســـــرته

وانقلـــــب جلـــــده أعلـــــى فروتـــــه

فهـــــو إذا نضنضـــــه لدفعتـــــه

ينشـــب فـــي المســـلك عنـــد رهزتـــه

تقـــاعس الضـــب عصـــا فـــي كديتـــه[2]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 179).

(2) المرزباني، أشعار النساء (ص 76).

مثل هذا الشعر يندر وجوده في شعر الرجل، حيث لا يتعدى في غزله الحسي الأجزاء الظاهرة من جسد المرأة، أما المرأة فقد تصل إلى أبعد درجات الفحش في غزلها الجنسي، وأوصافها الحسية[1].

كما فعلت أم الضحاك المحاربية حين تحدثت عن علاج الحب بقولها:

شـــفاء الحـــبِّ تقبيـــلٌ وضـــمٌّ وجـــرٌّ بـــالبطُون علـــى البطـــون

ورهـــزٌ تـــذرفُ العينـــان مِنـــهُ وأخـــذٌ بالـــذوائب والقـــرون[2]

ومهما يكن فإن المرأة الشاعرة لم تكثر من التعرض لصفات المحبوب الحسية، وأكثرت من التغني بصفاته المعنوية، التي أحبتها وعشقتها والتي سبق الحديث عنها وهي صفات تحرص المرأة عامة على وجودها في الرجل سواء كان محبوباً، أم زوجاً، أو حتى أباً، وأخاً، وابناً، وقريباً.

(1) ينظر: أبو علي، شاعرات عصر الإسلام الأول (ص 136).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص65).

الفصل الثالث

آفاق الآخر في شعر النساء في العصرين الجاهلي والإسلامي

المبحث الأول: الآخر القدوة

(الرسول صلى الله عليه وسلم)

أحب الصحابة رضوان الله عليهم _ النبي صلى الله عليه وسلم، وأحبوه حبا عظيما، حبا يفوق حبهم لأبنائهم وآبائهم وزوجاتهم، وحتى من أنفسهم فشخصية النبي صلى الله عليه وسلم _ ليست كباقي الشخصيات التي عرفها التاريخ، فقد أحاطت هالة من القداسة المنبعثة من المهمة التي أوكلت إليه، من ربه حيث التكليف بالتبليغ والدعوة لدين الله، والوحي الذي كان ينزل عليه، والأخلاق العظيمة التي خصه الله بها، وغرسها فيه، لذلك تعلق الصحابة به تعلقا كبيرا، والصحابيات جزء من المجتمع ، لذلك تجد فيه أشعارهن صور عديدة للنبي (صلى الله عليه وسلم) وخصوصا بعد وفاته تقول صفية بنت عبد المطلب:

عـــين جـــودي بدمعـــة وســـهود وانـــدبي خيـــر هالـــك مفقـــود

فلقـــد كـــان بالعبـــاد رؤوفـــا ولهـــم رحمـــة وخيـــر رشـــيد

رضـــى الله عنـــه حيـــا وميتـــا وجـــزاه الجنـــان يـــوم الخلـــود [1]

الشاعرة هنا تصف النبي (صلى الله عليه وسلم) بصفات لا شك فيها ولكنها ذكرتها على سبيل التابين، والعزاء لنفسها، فهو خير الخلق أجمعين الذين احترمهم الموت، وكلمة (خير) كلمة جامعة لكان حسن جميل من الصفات وهو الرؤوف الرحيم بالعباد، الذي كان يرشدهم إلى الخير ن ثم تدعو له بالرضا من الله، والفوز بالجنان عند الرحمن.

وفي صورة أخرى، تبين عظيم عطفه، ورحمته، وشفقته على النساء والأطفال والشيوخ، وابناء السبيل، لذلك حق لهم أن يبكوه، لأن مصابهم به جلل تقول:

لتبكيـــك شـــمطاء مضـــرورة إذا حجـــب النـــاس لا تحجـــب

ويبكيـــك ركـــب إذا أرملـــوا فلـــم يلـــف مـــا طلـــب الطلـــب

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج2/ص330) والحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص91).

وتبكـــــي الأبـــــاطح مـــــن فقـــــده وتبكيـــــه مكـــــه والاخشـــــب [1]

وتعدد عاتكه بنت عبد المطلب الصفات المعنوية للرسول صلى الله عليه وسلم، فهو شريف النسب، عريف الأصل، زاهد تقي، طاهر نقي، عادل بار، من المصطفين الأخيار رحيما بالمؤمنين، تقول:

أعينـــي جـــودا بالـــدموع الســـواجم على المصـطفى بـالنور مـن آل هاشـم

علـى الطـاهر الميمـون ذي الحلـم والنـدى وذي الفضـــل والـــداعي لخيـــر التـــراحم

وســـما عليـــه وابكيـــا مـــا بكيتمـــا علـــى المرتضـــى للحكمـــات العـــزائم

علـــى المرتضـــى للبـــر والعـــدل والتقـــي وللـــدين والاســـلام بعـــد المظـــالم [2]

وتتحدث أروى بنت عبدالمطلب، عن صلته لأرحامه، وبره بهم ، رحيما لهم، رؤوفا عطوفا، غير جاف ولا غليظ، وهذا ليس غريبا عليه، لأنه النبي (صلى الله عليه وسلم). تقول:

ألا يـــا رســـول الله كنـــت رجاءنـــا وكنـــت بنـــا بـــرا ولـــم تـــك جافيـــا

وكنـــت بنـــا رؤوفـــا رحيمـــا نبيـــا ليبـك عليـك اليـوم مـن كـان باكيـا [3]

ما زالت صفة الرحمة حاضرة في أشعار النساء، اللواتي وصفن النبي (صلى الله عليه وسلم) وذلك ليقين وقر في قلوبهن، من خلال معاملته لأصحابه وغيرهم، ويكفي شاهدا على ذلك ما حدث يوم الفتح " وذلك أنه حين دخل مكة عنوه وقد قتلوا أعمامه ،وبني أعمامه، وأولياءه، وقادة أنصاره بعد أن حصروه في الشعاب وعذبوا أصحابه بأنواع العذاب، وجرحوه في بدنه، وبذوه في نفسه، وسفهوا عليه وأجمعوا على كيده، فلما دخلها بغير حمدهم، وظهر عليهم

(1) الحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص89)

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج2/ص327) والحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص126)

(3) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج2/ص225) والحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص12)

على "ضغن منهم، قام فيهم خطيبا فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين " [1]

وتبكي عاتكه بحرقة على النبي (صلى الله عليه وسلم) معددة ناقبة، فهو خير الخلق أجمعين، وهو النور المنير للعباد، الهادي المهدي، الراشد المرش، يفك العاني، ويعطي ذي الحاجة، وهذا غاية الكرم، وهو الذي كان ينزل عليه الوحي، وهذا شرف عظيم، تقول:

يـــا عـــين جـــودي مـــا بقيـــت بعبـــرة ســـحا علـــى خيـــر البريـــة أحمـــد

يـــا عـــين فـــاحتفلي وســـهي واســـجمي وابكـــي علـــى نـــور الـــبلاد محمـــد

إنـــى لـــك الـــويلات مثـــل محمـــد فـــي كـــل نائبـــة تنـــوب ومشـــهد

فـــابكي المبـــارك والموفـــق ذا التقـــى حـــامي الحقيقـــة ذا الرشـــاد المرشـــد

مـــن ذا يفـــك عـــن المغلـــل غلـــه بعـــد المغيـــب فـــي الضـــرح الملحـــد

أم مـــن لـــوحي الله ينـــزل بيننـــا فـــي كـــل مســـمى ليلـــة أو فـــي غـــد [2]

وتختم عاتكة مقطوعتها الشعرية بالدعاء بالرحمة لمن اجتمعت فيه الفواضل والندى والسؤدد، فتقول:

فعليـــك رحمـــة ربنـــا وســـلامه يـــاذا الفواضـــل والنـــدى والســـؤدد [3]

وكفاه شرف أن خصه الله بتبليغ رسالته، وانزل عليه كتابه وجعله خاتم الأنبياء، وجعله نقيا تقيا، مصون العرض، طاهر الثوب، صادق القول، رؤوف بالعباد، رحيم بهم، مطهر من كل رجس، أواب إلى ربه، من أجل هذه المناقب، تستهجن الشاعرة ندب أحد بعده، فتقول:

---

(1) الجاحظ، البيان والتبيين (ج21/2)

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج226/2) والحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص123)

(3) النويري، نهاية الادب (ج406/18)

عـــين جـــودي بـــدمع تســـكاب للنبـــــــي المطهـــــــر الأواب

وانـــدبي المصـــطفى فعمـــى وخصـــي بـــــدموع غزيـــــرة الإســـــراب

عـــين مـــن تنـــدبين بعـــد النبـــي خصـــــه الله ربنـــــا بالكتـــــاب

فـــــاتح خـــــاتم رؤوف رحـــــيم صـــادق القيـــل طيـــب الاثـــواب

رحمـــــة الله والســـــلام عليـــه وجـــزاه المليـــك حســـن الثـــواب [1]

وتشكو أروى بنت عبد المطلب من أن موت النبي (صلى الله عليه وسلم)، زلزل أركانها، وهد بنيانها، وشيب شعرها، لذلك نجد الشاعرة حزينة، تود من عينيها البكاء، مستغربة ممن يلومها على حزنها، فالمفقود ليس كمثله أحد، والمصاب فيه جلك، تقول:

ألا يـــا عـــين ويحـــك واســـعديني بـــدمعك مـــا بقيـــت وطـــاوعيني

ألا يـــا عـــين ويحـــك واســـتهلي علـــى نـــور الـــبلاد واســـعديني

فـــإن عـــذلتك عاذلـــة فقـــولي عـــلام وفـــيم ويحـــك تعـــذليني؟

علـــى نـــور الـــبلاد معـــا جميعـــا رســـول الله أحمـــد فـــاتركيني

فـــاء لا تقصـــري بالعـــذل عنـــي فلـــومي مـــا بـــدا لـــك او دعينـــي

لأمـــر هـــدني واذل ركنـــي وشـــيب بعـــد جـــدتها قرونـــي [2]

فالشارعة تجري حوارا مع عينيها فتحثها على البكاء، لأن المصيبة عظيمة، والقلب محزون، فلا تلتفت للعذال الذين لاموها على بكائها.

---

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج2/329) والحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص88) والنويري، نهاية الادب (ج405/18)

(2) والنويري، نهاية الادب (ج405/18)

ومثلها عاتكة بنت عبدالمطلب، والتي تخاطب عينيها، وتأمرهما بالبكاء على النبي، العادل، المصطفى من عباد الله، الذي أنار لهم ظلمات الجهل، والكفر بنور الإيمان، الذي خصه الله به، فتقول:

عينـــي جـــودا طـــوال الـــدهر وانهمـــرا ســـكبا وســـحا بـــدمع غيـــر تقـــدير

يـــا عـــين فاســـحنفري بالـــدمع واحتفلـــي حتـــى الممـــات بســـجل غيـــر منـــزور

يـــا عـــين وانهملـــي بالـــدمع واجتهـــدي للمصـــطفى دون خلـــق الله بـــالنور

بمســـتهل مـــن الشـــؤبوب ذي ســـبل فقـــد رزئـــت نبـــي العـــدل والخيـــر [1]

وهناك بعض الشواعر بكين لاسباب أخرى، فالمصيبة عند هند بنت أثاثة عظيمة جليلة، ولكنها ليست مصيبة بأقارب النبي وخاصته ولكنها عامة لكل الناس، من أجل هذا تطلب الشاعرة من فاطمة رضى الله عنها الصبر وعدم البكاء، لأن بكاءها أشاب رأسها، وقوض أركانها، وهذا يظهر بجلاء محبة النساء الصحابة لآل بيت رسول الله فكيف بحبهم لنبيهم عليه السلام، تقول:

أشـــــاب ذوائبـــــي وأذاب ركنـــــي بكـــــاؤك فـــــاطم الميـــــت الفقيـــــدا

أفـــــاطم فاصـــــبري فلقـــــد أصـــــابت رزيتـــــك التهـــــائم والنجـــــودا

وأهـــــل البـــــر والبحـــــار طـــــرا فلـــــم تخطـــــئ مصـــــيبته وحيـــــدا [2]

ولكن الشاعرة تمدح النبي بصفات عديدة، على طريقة شواعر الجاهلية، فهو الملاذ والمأوى الذي يحوطهم ويرعاهم، ويقوم على شؤونهم ويطعمهم في أوقات الشتاء، حين يعز الطعام، وهو فارس شجاع كريم لآباء والجدود، يعطي بكرم وجود، دون أن يكدر عطاءه بالمن والأذى، تقول:

---

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج326/2) والحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص124)
(2) والنويري، نهاية الادب (ج406/18)

فأعطيت العطاء فلم تكدر وأخدمت الولائد والعبيدا

وكنت ملاذنا في كل كرب إذا هبت شآمية برودا

وإتك خير من ركب المطايا وأكرمهم إذا نسبوا جدودا

رسول الله فارقنا وكنا نرجي أن يكون لنا خلودا

وكان الخير يصبح في دراه سعيد الجد قد ولد السعودا (1)

وتتمنى أروى بنت عبدالمطلب لو انها افتدت النبي (صلى الله عليه وسلم) بنفسها وأمها وخالتها وخالها وعمها، واصفة أياه بالصبر والصدق وتبليغ الرسالة، وإقامة الدين، حتى أنار به ظلمة الجهل والكفر للبشرية جمعاء، وتختم بالدعاء له بجنات عدن، تقول

فدا لرسول الله أمي وخالتي وعمي ونفسي قصرة ثم خاليا

صبرت وبلغت الرسالة صادقا وقمت صليب الدين أبلج صافيا

عليك من الله السلام تحية وأدخلت جنات من العدن راضيا (2)

إنها تبكيه لأنها تعلم أنه عصمة لامته من الخلاف، والفرقة التي قد تذهب بقوتهم، ويطمع فيهم عدوهم، فتسيل دماء صانها الله وحرمها، وتقطع أرحام أمر الله بوصلها، وتتفرق جماعة المسلمين تقول:

لعمرك ما أبكي النبي لموته وبكن لهرج كان بعدم آتيا

كأن على قلبي لذكر محمد وما خفت من بعد النبي المكاويا

أفاطم صلى الله رب محمد على جدث امسى بيثرب ثاويا (3)

---

(1) والنويري، نهاية الادب (ج406/18)

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج326/2) والحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص12)

(3) الحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص12)

وتصور فاطمة (رضى الله عنها) عظم المصيبة التي حلت بالأمة عامة، وبها خاصة، فهي لشدة مصيبتها، ترى كل شيء كئيبا حزينا، والأرض مضطربة غير ساكنة والنهار أظلم بعد أن كان منيرا، لذلك تطالب الجزيرة كلها ببكائه ،فتذكر اليمن ومضر، والشرق والغرب، والطور والبيت العتيق، أنها تريد أن يشاركها الجميع في مصيبتها، لأنها مصيبة عامة مست كل المسلمين، وحزن الشاعرة ضغى عليها، حتى أنها يخيل لها حدوث هذه التغيرات الكونية، تقول:

اغبـــر آفـــاق الســـماء وكـــورت شـــمس النهـــار واظلـــم العصـــران

فـــالأرض مـــن بعـــد النبـــي كئيبـــة أســـفا عليـــه كثيـــرة الرجفـــان

فليبكـــه شـــرق الـــبلاد وغربـــه ويبكـــه مضـــر وكـــل يمـــاني

وليبكـــه الطـــور المعظـــم جـــوه والبيـــت ذو الأســـتار والأركـــان

يـــا خـــاتم الرســـل المبـــارك ضـــوءه صـــلى عليـــك منـــزل الفرقـــان [1]

لقد اشركت السيدة فاطمة رضى الله عنها، الطبيعة في حزنها، تنفيسا عما يعتصرها من حزن، وما يستقر بصدرها من حرقة، ولوعة واسى، وهذا مرده إلى سببين هما: فقدها لوالدها، وأن هذا الوالد سيد الخلق أجمعين، لذلك أتت بصورة تتناسب مع حالتها النفسية الحزينة التي تعاني منها، فالصورة لونت بالسواد والشحوب وهو دليل على حزنها، وبعد تغير صورة السماء ولونها المعتادين، شاركت الأرض باضطرابها، وكثرة رجفانها، ثم أوجبت على الناس البكاء وهذا هو الشعور العام بالحزن والمصيبة.

ومن شعر فاطمة رضى الله عنها، أبيات تظهر عاطفة الشاعرة جلية واضحة ففقد الوالد جعلها تشعر أن الارض قد ضاقت بما رحبت، وأورثها حزنا وألما وخوفا على ابنيها من العناء والتعب، ومكابدة أهوال الحياة، لذلك نجد الشاعرة تتمنى لو أنها ماتت قبله، ولم تتجرع ألم فراقة، ولم تشهد يوم وفاتة، فالمصيبة عظيمة، لم يصيب بها أحد من العرب والعجم.

---

(1) النويري، نهاية الادب (ج403/18)، التادلي، الحماسة المغربية، (ج785/2) ابن رشيق، العمدة (ج153/2)

وهي مع ما بها من حزن تصفه بصفات عديدة، فهو خير الخلق، وأصدق الناس، وكذلك هو عريق النسب، طيب السجايا، خصه الله برسالته، ووحيه بجبريل عليه السلام، لذلك هي حزينة بفقد الأب، والنبي، وانقطاع الوحي، تقول:

قـــد رزينـــا بـــه محضـــا خليقتـــه صـــافي الضـــرائب والأعـــراق والنســـب

وكـــان جبريـــل روح القـــدس زائرنـــا مغـــاب عنـــا وكـــل الخبـــر محتجـــب

فليـــت قبلـــك كـــان المـــوت صـــادفنا لمـــا مضـــيت وحالـــت دونـــك الحجـــب

إنـــا رزينـــا عـــالم يـــزر ذو شـــجن مـــن البريـــة لا عجـــم ولا عـــرب

ضـــاقت علـــي بـــلاد بعـــد مـــا رحبـــت وســـيم ســـبطاك خســـفا فيـــه لـــي نصـــب

فأنـــت والله خيـــر الخلـــق كلهـــم وأصـــدق النـــاس حيـــث الصـــدق والكـــذب

فســـوف نبكيـــك مـــا عشـــنا ومـــا بقيـــت منـــا العيـــون بتمهـــال لهـــا ســـكب [1]

وفي أبيات أخرى نجدها حزينة، كسيرة الجناح، تخشى من الظلم والجوز بعد وفات النبي، فالأبيات " تقطر أسى وحزنا، وتتفجر عاطفة ولوعه، فكل بيت فيها يقطر دمعا بل دما، فالحزن يجري في قلبها وفؤادها، ويتمثل في حركاتها وسكناتها، بل في كل بيت من أبيات قصيدتها " [2]

تقول:

قـــل للمغيـــب تحـــت أطبـــاق الثـــرى إن كنـــت تســـمع صـــرختي ونـــدائيا

حبـــت علـــي مصـــائب لـــو أنهـــا حبـــت علـــى الأيـــام صـــرن لياليـــا

قـــد كنـــت ذات حمـــى بظـــل محمـــد لأخشـــى مـــن ضـــيم وكـــان جماليـــا

---

(1) الحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص169).

(2) العاني، دراسات في الادب الاسلامي (ص146).

فـــاليوم أخشـــع للـــذليل وأتقـــى ضـــيمي وأدفـــع ظـــالمي بردائيـــا

فـــإذا بكـــت قمريـــة فـــي ليلهـــا شـــجنا علـــى غصـــن بكيـــت صـــباحيا

فلأجعلـــن الحـــزن بعـــدك مؤنســـي ولأجعلـــن الـــدمع فيـــك وشـــاحيا

مـــاذا علـــى مـــن شـــم تربـــة أحمـــد أن لا يشـــم مـــدى الزمـــان غواليـــا ؟ [1]

مما سبق ذكره من شواهد شعرية، يمكن القول أن وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) كان لها وقع أليم على الصحابة والصحابيات، لذلك نجد شواعر الإسلام يبكينه بكاء حارا، ويعددن مناقبه، وصفاته التي خصه الله بها ، والصفات العامة التي يشترك فيها الناس، مع تفاوت بينهم، فالنبي ليس كمثله أحد، فهو النبي، الذي خصه الله بالرسالة، وأنزل عليه الملائكة والوحي، وهو الحليم الكريم، الصادق الأمين، الودود الرحيم، التقي النقي، الطاهر الميمون، خير الخلق كلهم.

(1) الحيالي، ديوان أشعار النساء في صدر الاسلام (ص175–ص176)

المبحث الثاني: الآخر الديني

أولا: المسلمون:

جاء الدين الاسلامي، فهذب النفوس، وغير الطباع، "وأصبح الناس في دين الله اخوانا، فأخذ الشعر يصدر عن روح الجماعة الإسلامية، التي كادت تذوب داخلها القبليات والنعرات الجاهلية، وأصبح التفاخر بالشجاعة والتفاني في الجهاد في سبيل الله، بعد أن كانت مسخرة لحماية القبيلة، وأصبحت الشواعر يندبن ويبكين شهداء العقيدة الاسلامية، أما بدافع الروابط الأسرية، أو كونهم من إخوة الإسلام ". [1]

وهذا لا يعني أن شعر المرأة في صدر الإسلام كان مقتصرا على غرض واحد هو الرثاء ، بل كان هناك أغراض أخرى شكلت من خلالها شواعر المسلمين صورة واضحة للآخر المسلم.

بيد أن عصر صدر الإسلام كان عصر حروب متتابعة منذ مجيء الدعوة، فغزوات النبي (صلى الله عليه وسلم) وحروب الردة، والفتوحات الإسلامية، والفتن المتلاحقة، جعلت الكثير من الصحابة يرتقون شهداء في سبيل الله، وهذا الأمر جعل شواعر الإسلام يسارعن إلى رثاء الشهداء رثاء خاليا من النياحة، والتفجع، في حين طغت عليه الروح الدينية، والقيم الإسلامية، التي غرسها الإسلام في نفوس الشواعر المسلمات ،" فدور المرأة منذ بداية الدعوة الإسلامية واضح في الأحداث السياسية وفي الوقائع الحربية... فقد كان منهن المناصرات للإسلام والمسلمين، وقد كان منهن وقفن في وجهة يهجون المسلمين." [2]

ولكن المرأة المسلمة تظل امرأة، لها مشاعرها، وأحاسيسها التي قد لا تتمكن من السيطرة عليها، فتطلق للسانها العنان ليفصح عما يخالج صدرها، ويعتصر قلبها ويؤرق عينها، سواء كانت أما، أو زوجة، أو أختا، أو بنتا، وخصوصا في المراحل الأولى من الدعوة الإسلامية، حيث إن كثيرا من الشواعر كن حديثات عهد بالإسلام، ومثال هذا النوع من الشواعر نعم بنت سعيد التي استشهد زوجها شماس بن عثمان يوم أحد فقالت ترثيه:

يـا عـين جـودي بفـيض غيـر ابسـاس علـــى كـــريم مـــن الفتيـــان أبـــاس

(1) السوداني ،أدب المرأة من ظهور الاسلام حتى نهاية القرن الاول الهجري (ص72)

(2) الشوري، شعر الرثاء في صدر الاسلام (ص96)

صـــعب البديهـــة ميمـــون نقيبتـــه حمـــال الويـــة ركـــاب أفـــراس

اقـــول لمـــا أتـــى النـــاعي لـــه جزعـــا أودى الجـــواد واودى المطعـــم الكاســـي

وقلـــت لمـــا خلـــت منـــه مجالســـه لا يبعـــد الله عنـــا قـــرب شـــماس [1]

الإسلام في الشاعرة، وهذا ما فطن له أخوها أبو الحكم بن سعيد، فأخذ يعزيها ويخفف عنها، ويذكرها بالصبر على ما أصابها، وأن زوجها قد استشهد في سبيل الله، وطاعته كغيره من المسلمين، ولها في حمزة العزاء والتسلية. [2] فيقول

أفنـــي حيـــاءك فـــي ســـتر وفـــي كـــرم فإنمـــا كـــان شـــماس مـــن النـــاس

لا تقتلـــي الـــنفس إذ حانـــت منيتـــه فـــي طاعـــة الله يـــوم الـــروع والبـــاس

قـــد كـــان حمـــزة ليـــث الله فاصـــطبري فـــذاق يومئـــذ مـــن كـــأس شـــماس [3]

ومثل هذا نجد في قول حبلة بنت منصور ترثي اخاها الاجلع بن منصوب حيث تقول:

ألا فـــــابكي أخـــــا ثقـــــة فقـــــــــد والله ابكينـــــــــا

لقتـــــل الماجـــــد القمقـــــا م لا مثـــــل لـــــه فينـــــا

أتانـــــا اليـــــوم مقتلـــــه فقـــــد جـــــزت تواصـــــينا

كـــــريم ماجـــــد الديـــــن يشـــفي مـــن أعادينـــا [4]

فالشاعرة على الرغم من أنها مسلمة إلا أنها ترثي رثاء أقرب إلى رثاء المرأة الجاهلية، حيث أن الإسلام حرم جز الشعر، وحلقه، ولطم الوجه، وشق الجيب، والنياحة، فالأجلع في

(1) ابن هشام، السيرة النبوية (ج3/ص93–ص94) ويموت، شاعرات العرب (ص126).
(2) الشوري / شعر الرثاء في صدر الاسلام (ص46).
(3) ابن هشام، السيرة النبوية (ج3/94).
(4) المنقري، وقعة حنين (ص178).

نظرها، سيد ماجد لا يشابهه أحد من أقرانه فارس كريم شريف النسب، يشفي النفس من الأعداء، لذلك أصابها فقده بالهلع والحزن مبكته.

فربما أرادت الشاعرة بجز النواصي، أن الذل لحقها وقومها بعدة، فهو الذي يحامي عنها وعنهم، وقد كان من عادة العرب جز النواصي أعدائهم أذلالا لهم وبذلك تكون أبتعدت عن الرثاء الجاهلي المرذول، ولكنها ظلت تدور حول الصفات التي وصفت بها المرأة الجاهلية أخاها، من شجاعة وكرم وشرف نسب، والأمانة والحياء وغيرها.

وتبكي هند بنت أثاثة بكاء جاهليا، فيه تفجع ولهفة، حيث رثت زوجها عبيدة بن الحارث بن المطلب، الذي استشهد بوم بدر بمكان يسنى الصفراء _ وتصفه وصفا معنويا معددة مناقبة وفضائله، التي ذهبت بذهابه، وماتت بموته فتقول:

قـد ضـمن الصـفراء مجـدا وسـؤددا وحلمـا أصـيلا وافـر اللـب والعقـل

عبيـدة فابكيـه لأضـياف غربـة وأرملـة تهـوي لأشـعث كالجـذل

وبكيـه للأقـوام فـي كـل شـتوة إذا احمـر آفـاق السـماء مـن المحـل

وبكيـه للأيتـام والـريح زفـزف وتشـبيب قـدر طالمـا ازبـدت تغلـي

فـإن تصـبح النيـران قـدمان ضـوءها فقـد كـان يـذكيهن بالحطـب الجـزل

لطـارق ليـك او لملـتمس القـرى ومسـتنبح أضـحى لديـه علـى رسـل [1]

إنها تصفه بالمجد والسيادة، والحلم ورجاحة العقل، والكرم، والشفقة عل الأرامل والأيتام، في الشتاء وغيره، وإذكائه للنار، وأنه كان ملجأ الغرباء والضعفاء والطارقين باليل، وكلها صفات حرص نساء الجاهلية على ذكرها في شعرهن.

تكاد النماذج السابقة تخلو من الصور التي أوجدها الدين الإسلامي بتعاليمه ومنهجه وعقيدته، وما تركه من أثر في نفوس أبنائه من شعراء وشواعر لكننا نجد عند شاعر آخر مثل قول صفية بنت عبدالمطلب في أخيها حمزة:

---

(1) يموت شاعرات العرب (ص133).

أســـائله اصـــحاب احـــد مخافـــة بنـــات أبـــي مـــن أعجـــم وخبيـــر

فقـــال الخبيـــر أن حكـــزة قـــد ثـــوى وزيـــر رســـول الله خيـــر وزيـــر

دعـــاه إلـــه الحـــق زو العـــرش دعـــوة إلـــى جنـــة يحيـــا بهـــا وســـرور

فـــذلك مـــا كنـــا نرجـــي ونرتجـــي لحمـــزة يـــوم الحشـــر خيـــر مصـــير

فـــوالله لاأنســـاك مـــا هيـــت الصـــبا بكـــاء وحزنـــا محضـــري ومســـيري

علـــى أســـد الله الـــذي كـــان مـــدرها يـــذود علـــى الاســـلام كـــل كفـــور

فياليـــت شـــلوي عنـــد ذاك وأعظمـــي لـــدى أضـــبع تعتـــادني ونســـور

أقـــول وقـــد العـــى النعـــي عشـــيرتي جـــزى الله خيـــرا مـــن أخ ونصـــير [1]

الشاعرة حزينة، مكلومة، مفجوعة بفقد أخيها، وأن الحزن رفيقها في حلها وترحالها، وتظل امرأة لها أحاسيسها ومشاعرها التي قد تفقدها السيطرة على انفعالاتها، فتتمنى لو أنها اكلتها الوحوش وجوارح الطير قبل تعرف بموت أخيها، إلا أننا نلمس في هذه الأبيات ظاهرة جديدة بدأت تظهر في شعرها وشعر غيرها ممن جاء بعدها، مثل الصبر على قضاء الله والفوز بالجنة، ورضى الله، وطاعة الله، وتلبية ندائه، والذود عن حمى الإسلام وغيره، وهذا يظهر في قولها:

دعـــاه إلـــه الحـــق ذو العـــرش دعـــوة إلـــى جنـــة يحيـــا بهـــا ســـرور

فـــذلك مـــا كنـــا نرجـــي ونرتجـــي لحمـــزة يـــوم الحشـــر خيـــر مصـــير

وقولها:

علـــى أســـد الله الـــذي كـــان مـــدرها يـــذود علـــى الإســـلام كـــل كفـــور

وتقول سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية:

---

(1) يموت شاعرات العرب (ص116).

صـــلى الإلـــه علـــى جســـم تضـــحنه قبـــر فأصـــبح فيـــه العـــدل مـــدفونا

قـــد حـــالف الحـــق لا يبغـــي بـــد بـــدلا فصـــار بـــالحق والإيمـــان مقرونـــا (1)

فالمعاني التي اشتمل عليها البيتان مستمرة من الروح الإسلامية التي غرسها الدين في نفس الشاعرة وآمنت بها، فهي تدعو له بالرحمة، فقد كان في صف الدين، مناصرا له، لا يحيد عنه، حتى غدا مثالا طاهرا للايمان الصادق.

وتقول عاتكة بنت زيد مخاطبة ابن جرموز الذي قتل الزبير بن العوام:

غـــدر ابـــن جرمـــوز بفـــارس بهمـــة يـــوم اللقـــاء وكـــان غيـــر مغـــرد

يـــا عمكـــرو لـــو نبهتـــه لوجدتـــه لا طائشـــا وعـــش الجنـــان ولا اليـــد

كـــم غمـــرة قـــد خاضـــها لـــم يثنـــه عنهـــا طـــرادك يـــا ابـــن فقـــع القـــردد

فاذهـــب ممـــا ظفـــرت يـــداك بمثلـــه فـــيمن قضـــى ممـــن يـــروح ويغتـــدي

إن الزبيـــر لـــذو بـــلاء صـــادق ســـمح شـــجيته كـــريم المشـــهد

هبلتـــك أمـــك أن قتلـــت لمســـلما حقـــت عليـــك عقوبـــة المتعمـــد (2)

فالشاعرة مع ما ذكرته من صفات حسنة للزبير، فإنها تخاطب القاتل قائلة:

إن الذي أقدمت على قتله رجل مسلم، وبذلك حقت عليك عقوبة الله سبحانه وتعالى. ومثله قول زينب بنت العوام فالشاعرة بعد أن تعدد الصفات والمناقب في الزبير من كرم وجود، وشجاعة، وكفالة الأيتام، فإنها تتساءل مستهجنة كيف سولت لكم أنفسكم قتل حواري النبي وصهره، وصاحبه، أما وقد فعلتم فأبشروا بعذاب الله وسخطه، تقول:

أعينـــي جـــودا بالـــدموع فأشـــرعا علـــى رجـــل طلـــق اليـــدين كـــريم

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص186).

(2) المرجع السابق، (ص169).

زبيـــر وعبـــدالله يـــدعي لحـــادث وذي خلـــة منـــا وحمـــل يتـــيم

قتلـــتم حـــواري النبـــي وصـــهره وصـــاحبه فاسبشـــروا بجحـــيم (1)

وتبالغ الشاعرة في رثاء عثمان بن عفان فتقول:

وقـد هـدني قتـل ابـن عفـان قبلـه وجـادت عليـه عبرتـي بسـجوم

وأيقنـت أن الـدين أصـبح مـدبرا فمـاذا تصـلي بعـده وتصـومي

وكيـف بنـا أم كيـف بالـدين بعـدما أصـيب ابـن أروى وابـن أم حكـيم (2)

فالشاعرة رأت أن فقد الزبير وعثمان رضى الله عنهما، قد فتك في عضد دولة الإسلام، وتتساءل عن حال الدين بعدهما وهي هنا تبدو قلقه على مستقبل الدين الإسلامي، وقد إذا المسلم يقتل أخاه في فتنة عظيمة، سوداء كقطع الليل المظلم.

وبكت خزانة بنت خالد(3) شهداء القادسية في حرب المسلمين ضد الفرس فقالت:

فيـا عـين جـودي بالـدموع السـواجم فقـد شـرعت فينـا سـيوف الأعـاجم

فكـم مـن حسـام فـي الحـروب وذابـل وطـرف كميـت اللـوت صـافي الـدعائم

حزنـا علـى سـعد وعمـرو ومالـك وسـعد مبيـد الجـيش قتـل الغمـائم

هـم فتيـة غـر الوجـوه أعـزة ليـوث لـدى الهيجـاء شـعث الجمـاجم (4)

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص171).

(2) المرجع السابق (ص171).

(3) خزانة بنت خالد: وهي خزانة بنت خالد بن جعفر بن قرطه شاعرة حضرت فتوح العراق التي قادها سعد بن أبي وقاص. ينظر: ينظر: الواقدي، فتوح الشام، (ج174/2). وينظر: الحيالي، ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام:(ص 46).

(4) الواقدي، فتوح الشام (ج174/2) والحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص46)

الشاعرة هنا لا تصف أحدا بعينه، ولا تتحدث من منطق العصبية المقيتة التي حرمها الإسلام، وإنما تصور لنا جماعة المسلمين الذين تسابقوا إلى التضحية والفداء من أجل رفعة الدين ونصرته فهي تبكي الشهداء المسلمين الأطهار، الذين كانوا كالأسود في مجالدة الفرس وقتالهم، والذود عن دينهم، متسلحين بعزة الإسلام، يخوضون غمار المعركة، شعثا غبرا، آملين أن يخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

والشاعرة واثقة من نصر الله، وأن الدين سينتصر حتى يملأ الأفاق وأن صرحه لن يهدم، بارتقاء هؤلاء الشهداء، تقول:

طـوى المـوت مـا بينـي وبـين أحبـة بهـم كنـت أعطـي مـن اشـاء وامنـع

فـــلا يحســـب الواشـــون إن قناتنـــا تلـــين، ولا أنـــا مـــن المـــوت نجـــزع

ولكـــن لـــلألاف لابـــد لوعـــة إذا جعلـــت أقرانهـــا تتقطـــع [1]

ولعل الفتن التي وقعت بين المسلمين في عهد علي ومعاوية كان لها وقع شديد على شواعر صدر الإسلام، لأن النساء رأين خيرة الصحابة وهم يرتقون شهداء في خسارة فادحة للإسلام والمسلمين، فهذه امرأة من عبد القيس خرجت تطوف في الشهداء يوم الجمل فوجدت ابنين لها قد استشهدا وكان قد قتل لها زوج واخوان قبل ذلك فأنشأت تقول:

شـــهدت الحـــروب فشـــيبتني فلـــم أر يومـــا كيـــوم الجمـــل

أضـــر علـــى مـــؤمن فتنـــة وأقتلـــه لشـــجاع بطـــل

فليـــت الظعينـــة فـــي بيتهـــا وليتـــك عســـكر لـــم ترتحـــل [2]

فمثل هذا اليوم من الوقائع قد أشاب رأسها، مما رأت من كثرة الشهداء الشجعان الأبطال الذين أفنى بعضهم بعضا، رغم حرمة الدم، وروابط العقيدة.

---

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية(ج262/2).

(2) المسعودي، مروج الذهب (ج378/2).

وترثي ضبيعة بنت خزعة[1] والدها الذي استشهد يوم حنين ومن معه من المؤمنين الذين يسارعون في الخيرات، ويبادرون إلى تلبية الدعوات نصرة لدين رب السماوات فتقول:

عين جودي على خزعة بالد ... مع قتيل الأحزاب يوم الفرات

قتلوا ذا الشهادتين عنو ... أدرك الله منهم بالتراب

قتلوه في فتية غير عزل ... يسرعون الركوب للدعوات [2]

وتبكي أمينة الأنصارية [3]مالك بن التيهان، فقد كان عماد البيت، فهدم بموته، وأورثها موته حزنا دائما، مشبهة الفقيد بشهداء أحد الذين قتلوا على أيد المشركين، إنها تعرض بالفريق الآخر من المسلمين في معركة حنين، واصفة إياهم بالفسق والكفر تقول:

منع اليوم أم أذوق رقادا ... مالك إذ مضى وكان عمادا

يا أبا الهيثم بن تيهان إني ... صرت للهم معدنا ووسادا

إذ غدا الفاسق الكفور عليهم ... إنه كان مثلها معتادا

أصبحوا مثل من ثوى يوم أحد ... يرحم الله تلكم الأجسادا [4]

إنها معجبة بشجاعته، فخورة بشهادته، تترحم عليه وعلى شهداء المسلمين مدفوعة بحسها الديني الصادق، وروح الأخوة الإسلامية التي زرعها الإسلام في نفوس المسلمين. [5]

يمكن القول أن الإسلام هذب النفوس، وطهرها من كل أدرانها وأحقادها ونهى عن العصبية الجاهلية، وأزال الفوارق الطبقية، فلا سادة ولا عبيد، ورحم أفعال الجاهلية، فلا نياحة، ولا تفجع، ولا خمش للوجوه، ولا لطم للخدود، أو شق للجيوب، وحلق للشعر، إلى غير ذلك.

---

(1) لم أقف على ترجمة لها.

(2) الحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص106).

(3) لم أقف على ترجمة لها في كتب التراجم.

(4) الحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص27).

(5) ينظر: السوداني، ادب المرأة من ظهور الاسلام حتى نهاية القرن الاول الهجري (ص73).

ولذلك رأينا أثر الإسلام واضحا في شعر شواعر صدر الإسلام فبرزت صفات جديدة أوجدها الإسلام مثل الإيمان والتقوى والزهد، ونصرة الدين، والجنة والنار، وهذه الصفات كانت بارزة في شعرهن.

ثانيا: المشركون:

جاء الدين الجديد، فانقسم العرب إلى فريقين، فريق آمن به وهب يدافع عنه بكل قوة وشجاعة، وفريق وقف منه موقف العداء، بعد أن سمح الله لنبيه بالجهاد، قال تعالى: **(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ،الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله)** الحج (ص39-ص40)، دك المسلمون عروش الشرك، وقتل كثير من عتاة الكفر، وصناديده، فكثر المصاب فيهم فقتل من قتل، وأسر من أسر، الأمر الذي دفع شواعر المشركين لرثائهم بحرقة وألم، وتفجع، كعادة نساء الجاهلية في رثائهن للقتلى.

ومن الشواعر اللاتي برزن في هذه المواقف الفارقة في التاريخ العربي، وفي هذه المرحلة الحرجة من المراحل التي مر بها العرب، هند بنت عتبة، التي فقدت أباها وعمها وأخاها وابنها في معركة بدر، مما جعلها ترثيهم بحرقة، وتحرض المشركين على قتال المسلمين، حتى أنها خرجت بنفسها تحمسهم على القتال، تقول:

لله عينـــــــا مـــــــن رأى ... هلكـــــا كهلـــــك رجاليـــــه

يـــــا رب بـــــاك لـــــي غـــــدا ... فـــــي النائبـــــات وباكيـــــة

كـــــم غـــــادروا يـــــوم القليـــــب ... غـــــداة تلـــــك الداعيـــــة

مـــــن كـــــل غيـــــث فـــــي الســـــنين ... إذ الكوكـــــــــب خاويـــــــــة

قـــــد كنـــــت احـــــذر مـــــا ارى ... فـــــاليوم حقـــــد حذاريـــــة

يـــــا رب قائلـــــة غـــــدا ... يـــــا ويـــــح أم معاويـــــة [1]

فالشاعرة لا ترى أحدا مثلها أشد مصابا من مصابها، ولا أحدا فقد رجالا كراما سادة كرجالها، فهم غوث الناس في السنين المجدبة، وفي والدها تقول:

(1) يموت، شاعرات العرب (ص129).

أعينـــي جـــودا بـــدمع ســـرب علـــى خيـــر جنـــدف إذ ينقلـــب

تـــداعى لـــه رهطـــه عـــدوة بنـــو هاشـــم ولبـــوا المطلـــب

يذيقونـــه حـــد أســـيافهم يفلونـــه بعـــد مـــا قـــد عطـــب

يجـــرون منـــه عفيـــر التـــراب علـــى وجهـــه عاريـــا قـــد ســـلب

وكـــان لنـــا جـــبلا راســـيا جميـــل المـــراح كثيـــر العشـــب [1]

لقد صورت والدها في هذه الأبيات فقالت: أنه خير خندف حسبا ونسبا وجودا وكرما، وشجاعة وبأسا، وكأنها تريد القول أن مثله لا يقتل، ولكنه قتل بأيدي رهطه من بني هاشم وبني المطلب، وهذا كان أشد إيلاما لها، لأنها إنما تتكلم من منطلق العصبية الجاهلية، ولم تعرف أن الإسلام كان حدا فاصلا، فلا عصبية ، ولا قرابة إذا ما فرق بينهم الكفر والإيمان.

ثم تبين حال والدها، وقد تعاورته أسياف المسلمين، وقد تعفر وجهه بالتراب وسلب ماله وسلامه فكيف حدث هذا وهو الذي كان لها حصنا منيعا، وجبلا راسيا، يفيض عليهم خيره في كل وقت وحين.

وتقول معاتبة الدهر الذي تخرم أهلها، وملأ بالحزن قلبها:

يريـــب علينـــا دهرنـــا فيســـوؤنا ويـــأبى فمـــا نـــأتي بشـــيء نغالبـــه

أبـــد قتيـــل مـــن لـــؤي بـــن غالـــب يـــراع امـــرؤ إن مـــات أو مـــات صـــاحبه

ألا رب يـــوم قـــدر رزئـــت مـــرزءا تـــروح وتغـــدو بالجزيـــل مواهبـــه

فـــأبلغ ابـــا ســـفيان عنـــي مالكـــا فـــإن القـــه يومـــا فســـوف اعاتبـــه

فقـــد كـــان حـــرب يســـعر الحـــرب إنـــه لكـــل امـــرئ فـــي النـــاس مـــولى يطالبـــه [2]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص128).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص129).

وتصف أهلها بالسيادة والمجد والشجاعة ،والبأس، والعز، والكرم، تقول:

ابكـــي عميـــد الابطحـــين كليهمـــا وحيهمـــا مـــن كـــل بـــاغ يريـــدها

أبـــي عتبـــة الخيـــرات ويحـــك فـــاعلمي وشـــيبة والحـــامي الـــذمار وليـــدها

لاولئـــك آل المجـــد مـــن آل غالـــب وفـي العز منهـا حين ينمـي عديـدها (1)

إن المجد وقف عند والدها وعمها وأخيها ولم يتخطاهما.

وتصف والدها وعمها بالغصنين الباسقين، الذين غذاهما المجد، والشرف والسؤدد وهما أسدان شجاعة وقوة وبأسا، وكالرمحين قواما واعتدالا، سادا قومها صغارا، لما ورثاه من أسباب السيادة والقيادة، تقول:

مـــن حـــس لـــي الأخـــوين كالغضـــين أو مـــن رآهمـــا

ويلـــــي علـــــى أبـــــوي والقبـــــر الـــــذي واراهمـــــا

لا مثـــل كمهلـــي فـــي الكهـــول ولا فتـــى كفتاهمـــا

أســـــــدان لا يتـــــــذللان ولا يـــــــرام حماهمـــــــا

رمحـــين خطيـــين فـــي كبـــد الســـماء تراهمـــا

مـــا خلفـــا إذ وردعـــا فـــي ســـؤدد شـــرواهما

ســـادا بغيـــر تكلـــف عفـــوا بغـــيض نـــداهما (2)

وتصف هند والدها بالكرم في أوقات الجوع، والشجاعة عند ملاقاة الأعداء وتصف بالثأر من المسلمين فتقول:

---

(1) المرجع السابق (ص129–ص130).

(2) المرجع نفسه (ص130).

يـــا عـــين بكـــي عتبـــة شـــيخا شـــديد الرقبـــة

يطعـــم يـــوم المســـغبة يـــدفع يـــوم المغلبـــة

إنـــي عليـــه حربـــة ملهوفـــة مســـتلبة

ليهـــبطن يتربـــة بغـــارة منشـــعبة

فيهـــا الخيـــول مقربـــة كـــل جـــواد ســـلهبة [1]

وتصف أم كلثوم ابنة عبد ود أخاها عمرو بن عبد ود العامري، بالأسد في شجاعته ومجالدة أعدائه، ليس كمثله أحد، ثم تعزي لنفسها مأن الذي قتله كفؤ له، فكلاهما شجاع كريم، باسل، حاسر القناع، تقول:

أســدان فـــي ضـــيق المكـــر تجـــاولا وكلاهمـــا كفـــؤ كـــريم باســـل

فتخالســـا ســـلب النفـــوس حفيظـــة لـــم يثنـــه عـــن ذاك شـــغل شـــاغل

فاذهـــب علـــي فمـــا ظفـــرت بمثلـــه قـــول ســـديد لـــيس فيـــه تحامـــل [2]

وتبكي قتيلة بنت النضر بن الحارث[3] والدها، الذي أسر يوم بدر، وأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بقتله، أمعن في إيذاء المسلمين، وتصفه وصفا يقطر حزنا وألما، فقد لقي حتفة أسيرا، فقيدا، متعبا، ولم يشفع له الرحم والقربى وتدعو لحامل رسالتها بالتوفيق، وتعاتب النبي (صلى الله عليه وسلم)، عتابا رقيقا، لا فحش فيه ولا خطأ، ولا يخرج عن حدود الأدب والإحترام تقول:

يـــا راكبـــا أن الأثيـــل مظنـــة مـــن صـــبح خامســـة وأنـــت موفـــق

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص128–ص129).

(2) المرجع السابق (ص126).

(3) وهي قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن مناف كان أبوها صاحب لواء المشركين بمعركة بدر وقد أمر الرسول (ﷺ) علياً (رضي الله عنه) بقتله صبرا لفرط إساءته للإسلام، وقد أسلمت قتيلة، وحسن إسلامها، ومدحت النبي (ﷺ). ينظر: يموت، شاعرات العرب،(ص 202).

أبلـــغ بهـــا ميتـــاً بـــأن تحيـــة ... مـــا إن تـــزال بهـــا النجائـــب تخفـــق

منـــي عليـــك وعبـــرةً مســـفوحةً ... جـــادت بواكفهـــا وأخـــرى تخنـــق

هـــل يســـمعن النضـــر إن ناديتـــه ... بـــل كيـــف يســـمع ميـــت أو ينطـــق

ظلـــت ســـيوف بنـــي أبيـــه تنوشـــه ... لله أرحـــــام هنـــــاك تمـــــزق

صـــبراً يقـــاد إلـــى المنيـــة متعبـــاً ... رســـف المقيـــد وهـــو عـــان موثـــق

أمحمـــد يـــا خيـــر صـــنو كريمـــةٍ ... فـــي قومهـــا والفحـــل فحـــل معـــرق

مـــا كـــان ضـــرك لـــو مننـــت وربمـــا ... مـــن الفتـــى وهـــو المغـــيظ المحنـــق

فالنضـــر أقـــرب مـــن أســـرت قرابـــة ... وأحقهـــم إن كـــان عتـــق يعتـــق

لـــو كنـــت قابـــل فديـــةٍ لفديتـــه ... بـــأعز مـــا يفـــدى بـــه مـــن ينفـــق[1]

وبعد انتهاء معركة أحد، واستشهاد حمزة رضى الله عنه ومثل بجثته، فقالت هند بنت عتبة:

شـــفيت مـــن حمـــزة نفســـي بأحـــد ... حتـــى بقـــرت بطنـــه عـــن الكبـــد

اذهـــب عنـــي ذاك مـــا كنـــت أجـــد ... مـــن لذعـــة الحـــزن الشـــديد المعتمـــد

والحـــرب تعلـــوكم بشـــؤبوب بـــرد ... تقـــدم إقـــداما علـــيكم كالأســـد [2]

ووقفت على صخرة عالية وقالت بعد انتهاء المعركة:

نحـــن جزينـــاكم بيـــوم بـــدر ... والحـــرب بعـــد الحـــرب ذات ســـعر

مـــا كـــان لـــي عـــن عتبـــة مـــن صـــبر ... ولا أخـــــي وعمـــــه وبكـــــري

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص134).

(2) المرجع السابق (ص130).

شـــفيت نفســـي وقضـــيت نـــذري شـــفيت وحشـــي غليـــل صـــدري

فشـــكر وحشـــي علـــي عمـــري حتـــى تـــرم أعظمـــي فـــي قبـــري [1]

فردت عليها أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب، واصفة والدها بالجبار، الكفور، داعية عليها بالخزي والعار والذل والهوان، وملمحة إلى أنها فرطت في شرفها ثمنا لما فعله وحشي بحمزة ، تقول:

يـــا بنـــت جبـــار كثيـــر الكفـــر خزيـــت فـــي بـــدر وغيـــر بـــدر

صـــبحك الله قبيـــل الفجـــر بالهاشـــميين الطـــوال الزهـــر

بكـــل قطـــاع حســـام يفـــري حمـــزة ليثـــي وعلـــي صـــقري

رام شـــبيب وابـــوك غـــدري مخضـــبا منـــه ضـــواحي النحـــر

هتـــك وحشـــي حجـــاب الســـتر مـــا للبغايـــا بعـــدها مـــن فخـــر

ونذرك السوء فشر نذر [2]

هند بنت عتبة المقطوعتين السابقتين تنطلق من حقد دفين على الإسلام والمسلمين فهي " متدفقة منطلقة على سجيتها مليئة بالحماس والعاطفة، لقد أخذ وحشي بثأرها وقتل حمزة، فذهب ألمها الجاثم على صدرها فحق لها أن تشكره على صنعه " [3]

أما أروى، فتسب أباها، وتتوعدها بالثأر لحمزة.

وأخيرا يمكن القول إن أثر الإسلام كان واضحا في شعر الشواعر المسلمات، فقد مزجن رثاء الشهداء بالثواب في الآخرة والنعيم في الجنة والحياة الخالدة بعد الموت، وأتهمن غيرهن

---

(1) يموت، اعرات العرب (ص131).

(2) المرجع السابق (ص132).

(3) الشوري، شعر الرثاء في صدر الاسلام (ص95).

بالكفر وعدم الإيمان، في حين لم يظهر شي في رثاء المشركات لقتلاهن وإنما ظهر الجزع والبكاء، وتعديد الصفات من كرم وشجاعة، ولا يكاد شعرهن يختلف عن شعر الجاهليات. [1]

"غير أن أثر الإسلام في الشعر بوجه عام في تلك الفترة لم يكن بالصورة المرجوة ". [2]

إذ " إن المعاني الدينية في القصيدة كانت مقتصرة على بيت أو أبيات، ويأتي المعنى الديني مقتضبا مجملا، من غير توسع ولا عمق ولا استرسال أو تفصيل ". [3]

وتفسير هذا الأمر أن الشواعر كن حديثات عهد الإسلام، فكان التأثر به ما زال ضعيفا، واخيرا يمكن القول: " أن دور المرأة منذ بداية الدعوة الإسلامية واضح في الأحداث السياسية وفي الوقائع الحربية، فقد كان منهن المناصرات للإسلام والمسلمين، ومنهن من وقفت في وجهه يهجون المسلمين ". [4]

ثالثا- اليهود:

كان اليهود يعيشون في أماكن عديدة من الجزيرة العربية، ولهم حصونهم ومدنهم التي عرفوا بها، مثل خيبر، وبني قريضة، وبني قينقاع، ويهود اليمن وغيرهم.

ومن شواعرهم التي ذكرها بشير يموت في كتابة شاعرة تسمى سارة القريظية وهي من بني قريظة، لها مقطوعة شعرية تبكي فيها من قتل من أشراف قومها على يد أبي جبلة الغساني، في وادي ذي حرض بالمدينة المنورة، وذلك حين اشتكى الناس من فحشهم، تقول:

بنفسي أمة لم تغن شيئا بذي حرض تعفيها الرياح

تهول من قريظة أتلفتهم سيوف الخزرجية والرماح

رزئنا والرزية ذات ثقل يمر لأجلها الماء القراح

ولو أذنوا بحربهم لحالت هنالك دونهم حرب رداح [5]

---

(1) ينظر: الشوري، شعر الرثاء في صدر الاسلام (ص97).

(2) المرجع السابق (ص97).

(3) الجبوري، شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه (ص117).

(4) الشوري، شعر الرثاء في صدر الاسلام (ص96).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص124).

تشكو الشاعرة من أمر عظيم حل بأهلها وقومها، فالمصيبة جلل فقد ذهبت أمة اليهود شبابها وشيبها، فغدا موطنهم خلاء تسفيه الرياح، بعد أن قتلهم الخزرج غدرا وغيلة، ولو كانوا آذنوهم بقتال لوجدوهم فرسانا في ساحات الوغى.

إن مصيبتها في قومها ثقيلة عظيمة تجعل الماء القراح مرا، وكأن الأمر أفقدها السيطرة فلم تعد تفرق بين الحسن والقبيح، والطيب والخبيث، ولم تستغرب شيئا من حلو الحياة، التي استحالت بموت السادات من قومها سوادا قائما.

وتصف هند بنت عتبة يهود المدينة بأنهم، لا حسب لهم ولا نسب، ولا سيادة، ولا ريادة، ولا شرف، إنما هم عبيد للتبع اليماني، وهذا هجاء مقذع، وقدح في أصولهم، وخبث في نسبهم، تقول:

وقامـــــت يهـــــود بأســـــيافها قصـــار الجـــدور لئـــام الحســـب

عبيـــــد أابـــــي كـــــرب تبـــــع عبيـــد قصـــار دقـــاق النســـب [1]

وعندما بكي كعب بن الأشرف قتلى قريش، يوم بدر بقصيدته التي مطلعها:

طحنـــت رحـــا بـــدر لمهلـــك أهلـــه ولمثـــل بـــدر تســـتهل وتـــدمع [2]

ردت عليه ميمونة بنت عبدالله بقولها:

تحـــنن هـــذا العبـــد كـــل تحـــنن يبكـــي علـــى قتلـــى ولـــيس بناصـــب

بكـــت عـــين مـــن بكـــى لبـــدر واهلـــه وعلـــت بمثليهـــا لـــؤي بـــن غالـــب

فليـــت الـــذين خرجـــوا بـــدمائهم يـــرى مـــا بهـــم مـــن كـــان بـــين الأخاشـــب

فـــيعلم حقـــا عـــن يقـــين ويبصـــروا فجـــرهم فـــوق اللحـــى والحواجـــب [3]

---

(1) يموت ،شاعرات العرب (ص128).

(2) ابن هشام، السيرة النبوية (ج52/2).

(3) المرجع السابق (ج53/2).

الشاعرة تستهجن بكاء كعب بن الأشرف _وهو يهودي _ على قتلى المشركين وتدعو عليه بدوام الحزن والبكاء، في شيء من الإزدراء، فتصفه بالعبد الذليل الذي لا يساوي شيئا.

ولا استغرب ما قالته هند عنما وصفت يهود المدينة بالعبيد لأنها امرأة ما زالت جاهلية، والعصبية ما زالت متمكنة منها في مجتمع طبقي بإمتياز يمتهن العبيد ويحتقرهم، ولكن المستهجن هو أن تصف شاعرة إسلامية هذا الوصف في مجتمع قضى على العصبية والطبقية والفوارق بين أبناء المجتمع، فلا سادة ولا عبيد.

وكأنني بالعرب ينظرون إلى اليهود في الجزيرة نظرة احتقار وازدراء، وكره وبغض، لما يتميز به اليهود من خبث ودهاء ومكر وحيلة، لذلك عد كعب بن الأشرف قولها شتيمة له، ولا يصدر ألا عن سفيه فقال:

ألا فـــازجروا مـــنكم ســـفيها لتســـلموا عـــن القـــول يـــأتي منـــه غيـــر مقـــارب

اشـــتمني إن كنـــت أبكـــي بعبـــرة لقـــوم أتـــاني ودهـــم غيـــر كـــاذب

فـــإني لبـــاك مـــا بقيـــت وذاكـــر فـــآثر قـــوم مجـــدهم بالحباحـــب

فحـــق مريـــد أن تجـــد انـــوفهم بشـــتمهم حيـــي لـــؤي بـــن غالـــب [1]

لعل النصوص الشعرية التي تعرضت لذكر اليهود قليلة، ولكنها مع قلتها رسمت صورة مهينة لهذه الشريحة من المجتمع الذي كان يسكن جزيرة العرب، فالشاعرة العربية تنظر لهم بفوقية واستعلاء، بغير ما صورتهم ابنتهم الشاعرة سارة القريظية، حين قالت عنهم بانهم شيوخ سادة، كان فقدهم مصيبة كبيرة حلت بهم.

(1) ابن هشام، السيرة النبوية (ج54/2).

المبحث الثالث:

الآخر المذهبي في شعر النساء (الخوارج نموذجا)

المطلب الأول: التسمية والنشأة:

يرجع سبب تسميتهم بالخوارج لخروجهم على الإمام على ﷺ بعد قبوله التحكيم، حيث انتهى بهم الأمر إلى الخروج من معسكره وقد قبل الخوارج هذه التسمية، ولكن فسروا الخروج بأنه خروج من بيوتهم جهاداً في سبيل الله وفقاً لقوله تعالى﴿...**وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ**...﴾ [النساء:100] وقد أطلق عليهم عدة أسماء منها الحرورية لنزولهم بحروراء في أول أمرهم، والمارقة؛ لأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، والمحكمة لإنكارهم الحكمين، وقولهم لا حكم إلا لله.

أما نشأتهم فارتبطت بالأحداث التي قامت بين على بن أبي طالب ﷺ ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ وقبول على ﷺ التحكيم ورفض الخوارج الذين كانوا في صف على ﷺ للتحكيم ثم إعلانهم الخروج على علي ﷺ ومحاربته. [1]

ثانياً: من تأويلاتهم:

اعتمد الخوارج التأويل ليدافعوا عن أفكارهم ومعتقداتهم حالهم كحال من سبقهم من الفرق ومن ذلك:

1. تأويلهم لقوله تعالى﴿ ... **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّه**...﴾ [الأنعام:57] وكان قصدهم تخطئة الإمام على ﷺ وتكفيره لقبوله التحكيم والتحلل من الالتزام بإمرة معينة، ولذلك قالوا بأنه يجب على الإمام على ﷺ أن يستمر في القتال حتى يظهر حكم الله. [2] وقد رد عليهم الإمام على ﷺ وعلى شعارهم لا حكم إلا لله بقوله: كلمة حق أريد بها باطل" [3].

---

(1) الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة(ص206-207) البغدادي، الفرق بين الفرق (ص72) الشهرستاني،الملل والنحل (ج91/1).

(2) البغدادي، الفرق بين الفرق (ص78-79).

(3) مسلم،(749/2) رقم(1066).

2. استدلوا بالآيات ليؤيدوا ما ذهبوا إليه من تكفير مرتكب الكبيرة والمعاصي دون النظر إلى عمل الرسول ﷺ وسنته التي تبين القرآن وتفسره من ذلك:

أ- قوله تعالى:﴿... **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران:97] قالوا:" إن الله وصف تارك الحج بالكفر وترك الحج ذنب، فإذا كل مرتكب للذنب كافر"[1].

ب- قوله تعالى:﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾ [آل عمران:106] قالوا: والفاسق لا يجوز أن يكون ممن ابيضت وجوههم فوجب أن يكون ممن اسودت وجوههم ووجب أن يسمى كافراً. [2].

أطلق الخوارج أحكام الكفر دون أن ينظروا إلى الكفر الأصغر والكفر الأكبر المخرج من الملة بل اعتبروا الكل كفراً مخرجا من ملة الإسلام وهذا مخالف لآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ.

3. وهذا دفع فرقة الأزارقة من الخوارج إلى تكفير الإمام على ﷺ، وتأويل الآيات لتتفق مع أهوائهم ومبادئهم حيث قالوا إن الله أنزل في شأنه:﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**﴾ [البقرة:204] كما صوبوا ابن ملجم قاتل الإمام على ﷺ **وقالوا إن الله أنزل فى شأنه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾** [البقرة:207] [3].

إن قول الأزارقة ليشير بوضوح إلى التأويلات الفاسدة للقرآن الكريم، وافترائهم الواضح على علي ﷺ، فإن زعمهم أن الآية نزلت في على ﷺ فهذا محض افتراء وجهل واضح بالقرآن ونزوله ؛ لأن هذه الآية نزلت في الأخنس بن شريق الذي أظهر الإسلام وأبطن خلاف ذلك،

---

(1) أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية(ص66). وجلى، دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين (ص 51).
(2) أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية (ص66). وجلى، (ص51).
(3) الشهرستاني،الملل والنحل(96/1).

وعن ابن عباس ﷺ أنها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم. [1]

وأما الآية الثانية فنزلت في صهيب الرومي ﷺ وذلك عندما أسلم وأراد منعه الناس أن يهاجر بماله فأعطاهم ماله فأنزل الله فيه هذه الآية. [2]

المطلب الثاني: الآخر الخارجي القريب في شعر النساء.

كان للمرأة دور بارز في فكر الخوارج، فالمرأة الخارجية كانت زاهدة، ناسكة مقبلة على الآخرة، مدبرة عن الدنيا، تمتشق السيف، وتخوض حومات الوغى، حتى بلغت بها المكانة أن تعتلي منبر الكوفة، وتخطب بالناس، وينادى لها بالإمامة [3]. وهناك مواقف عديدة للمرأة الخارجية، وصراعها مع أعدائها، تشهد على عظيم بلائها، وثباتها على منهجها وفكرها، حتى آخر لحظة من حياتها، وكثير من هؤلاء النسوة إما في ساحات القتال أو صلبا على أعواد المشانق، مثل البلجاء وقطام وكحيلة وحمادة الصفونية، وغزالة الشيبانية، وسجا ،اللائي قتلن جميعا[4]. وقتلت البلجاء صبرا بعد أن قطع عبيد الله بن زياد يديها ورجليها، وألقى بها في السوق [5]. وقتل الحجاج امرأة من الخوارج كانت لا تنظر إليه، وتقول إني لأستحي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه [6]. لقد أهملت المرأة الخارجية الحياة الأنثوية، وانشغلت بالقتال من أجل مبادئها، وحبا في الشهادة، مقبلة على الحياة الآخرة، مدبرة عن الحياة الفانية، تقول أم حكيم الخارجية:

أحمـــل رأســـا قـــد ســـئمت حملـــه وقـــــد مللـــــت دهنـــــه وغســـــله

ألا فتـــى يحمـــل عنـــي ثقلـــه[7]

---

(1) الشوكاني، فتح القدير(ج1 /207).

(2) الشوكاني، فتح القدير(ج1/207).

(3) ينظر البغدادي، الفرق بين الفرق (ص97).

(4) ينظر الجاحظ، البيان والتبيين (ج1/292). وينظر الجاحظ، الحيوان (ج5/ 311).

(5) ينظر المبرد، الكامل في اللغة (ج3/ 181).

(6) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد (ج4/111).

(7) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص142- ص143).

لقد ملت أم حكيم غسل شعرها، ودهنه وتسريحه، وهي إشارة إلى شكوى من طول الحياة الدنيا التي لا تريدها، وبعد عن حياة آخرة تريدها، لذلك تقول في تحد: هل من فتى يريحني منه ومن هموم الدنيا وآلامها وأحزانها. وهي تحب أن تتزين بالسيف، وليس الذهب الذي تفضل المرأة عامة التزين به. تقول امرأة المختار بن عوف بن حمزة مرتجزة:

أنـــا ابنـــة الشـــيخ الكـــريم الأعلـــم
مـــن ســـأل عـــن اســـمي فاســـمي مـــريم
بعـــت ســـواري بســـيف مخـــدم [1]

ومثلها عميرة زوجة مجاشع البكري، تزهد في الحياة الزوجية، وتهب فراشها لأخرى تنوب عنها، فما عاد الأمر يشغل بالها، ولا يستهويها، إنما تقبل على الجهاد، والخروج نصرة لنكرها ومنهجها الذي ارتضته لنفسها، دون التفكير في القفول والعودة للحياة الهادئة الوادعة التي تستهويها النساء.

كتب لها زوجها_ وكان من الخوارج _ بيتين من الشعر، يطلب منها العودة، يقول فيهما:

وجـــدا يصـــاحبني لعـــل صـــبابة منهـــا تـــرد حليلـــة لحيـــل

فلـــئن قتلـــت ليقـــتلن قتـــيلكم فتيقنـــي أنـــي قتيـــل قتيـــل[2]

فأجابته:

أبلـــغ مجاشـــع إن رجعـــت فـــإنني بـــين الأســـنة والســـيوف مقيلـــي

أرجـــوا الســـعادة لا أحـــدث ســـاعة نفســـي إذا ناجيتهـــا بقفـــول

ووهبـــت خـــدري والفـــراش لكاعـــب فـــي الحـــي ذات دمـــالج وحجـــول [3]

---

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص245).
(2) المرجع السابق (ص 236).
(3) المرجع نفسه (ص236 – ص237).

وترفض أم حكيم الزواج، وتأبى أن تهب نفسها لرجل لا هم له إلا الجماع، مع أنها كانت من أجمل الناس وجها، وأشجعهم، وأشدهم بدينها تمسكا، وهي لا تريد ما يقعدها عن هدفها الذي تسعى لتحقيقه، ومنهجها الذي خطته لنفسها، تقول بعد أن خطبها جماعة من الأشراف الخوارج فردتهم:

ألا إن وجهـــا حســـن الله خلقـــه لأجـــدر أن يلفـــى بـــه الحســـن جامعـــا

وأكـــرم هـــذا الجـــرم عـــن أن ينالـــه تـــورك فحـــل همـــه أن يجامعـــا [1]

إن النصوص السابقة تجعلنا نستشرف صورة المرأة الخارجية التي أهملت أنوثتها، وتخلت عن مظاهر الزينة التي تهم النساء واستبدلت ذلك بالسيف والرمح، لصالح عقيدتها، ومبادئها التي قدمت روحها ثمنا لها.

" إن هذه الأشعار نزعة إلى التمرد والثورة على الأعراف التي تجعل من المرأة ضلعا قاصرا وتابعا للرجل في مجتمع عرف _ ولا يزال _ بذكوريته الراسخة "[2].

وليس هذا الأمر عند كل نساء الخوارج، فقد تتراجع المرأة الخارجية عن موقفها من ترك الحياة الزوجية بالكلية، وذلك حين يطول بها المقام عن الزوج ،فيأخذها الشوق، ويشدها الحنين، وتلح عليها الغريزة، تقول إ حدى نساء الخوارج مقارنة بين حالتين ورمحين:

تركـــت رمحـــا لينـــا مســـه وجئـــت رمحـــا مســـه قاتـــل

شـــتان هـــذا بـــدم ســـائل وذاك منـــه عســـل ســـائل

مطعـــون ذا كـــم منـــه فـــي لـــذة وأم مطعـــون بـــذا ثاكـــل [3]

إن هذه الأبيات _ إن صحت نسبتها إلى امرأة خارجية _ لابد أن تكون قيلت عن امرأة عادت عن مبادئها، وفارقت جماعتها، وما كانت لتخرج من امرأة ثائرة، مقاتلة ، تحيا على مفهوم الخروج والثورة. هذه صورة موجزة للمرأة الخارجية التي أود دراسة شعرها الذي صورت فيه

---

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص142).

(2) معيطة، شعر النساء الخارجيات ،(ص 36).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص 209). وعباس، ديوان شعر الخوارج (ص224 – ص225).

الآخر بشكل عام، وجل هذا الشعر يدور حول غرض واحد من أغراض الشعر ،غرض الرثاء، والذي من خلاله سنتعرف على الصورة التي رسمتها شواعر الخوارج للآخر، سواء القريب أم غير القريب.

1- **الأب:**

يوجد في ديوان أشعار الخوارج ثلاث مقطوعات شعرية لثلاث شواعر ذكرن الأب فيها، الأولى لمريم امرأة المختار بن عوف بن حمزة تفتخر بأبيها، كعادة المرأة العربية، التي طالما زهت بأصلها وبأهلها، مرددة أفضل الصفات المعنوية، فتقول:

أنـــــا ابنـــــة الشـــــيخ الكـــــريم الأعلـــــم

مـــن ســـأل عـــن اســـمي فاســـمي مـــريم

بعـــــت ســـــواري بســـــيف مخـــــدم (1)

تزهوا البنت بأبيها، وتفخر به، فتقول مفتخرة أنها ابنة شيخ، وهذه الكلمة لها مدلولات عديدة، فالشيخ هو السيد الذي جمع المحاسن كلها، شجاعة وإقداما، كرما وسخاء، علما وإيمانا، حلما وأدبا، إلى غير ذلك، حتى ساد قومه.

والكرم والسخاء صفتان متأصلتان في والدها، والعلم والمعرفة، إنها ذكرت الصفات السابقة الذكر بالتعريف، (الشيخ، الكريم، الأعلم) لتبين لنا مدى قناعتها بتأصل هذه الخلال الكريمة في والدها ولذلك لا تجد حرجا في أن تعلن عن اسمها واسم أبيها، وتنتسب له بكل زهو وفخر. فإذا ما داهم الأب خطرا وجدناها تبادر للدفاع عنه حتى لو لجأت إلى استعطاف الحاكم من أجل الإبقاء عليه حيا.

تقول بنت أسلم بن عبيد البكري مخاطبة الحجاج، عندما أراد قتل أبيها:

أحجـــاج لـــو تشـــهد مقـــام بناتـــه وعماتـــــه ينـــــدبن بالليـــــل أجمعـــــا

أحجـــاج إمـــا أن تمـــن بتركـــه علينـــــا وإمـــــا أن تقتلنـــــا معـــــا

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص225).

أحجـــاج لا تفجـــع بـــه ونســـائه ثمانـــــا وتســـــعا واثنتـــــين وأربعـــــا

فمـــن رجـــل دان يقـــوم مقامـــه علينـــا، فمهـــلا لا تزدنـــا تضعضـــعا [1]

إن الوالد هو الذي يعول عائلة كبيرة من المحارم، تزيد عن العشرين، وإن مقتله سيضيع هؤلاء جميعا، فلا أحد يقوم مقامه، لأن موت الأب يعني ضياع الأسرة، وتفككها.

يبدو من خلال الأبيات السابقة أن الأب وصولا لأرحامه، رؤوفا بهن، عطوفا عليهن، كريما، سمحا حليما، يلم شملهن، ويغنيهن عمن سواه من الناس، لذلك يعد موته فاجعة لأكثر من عشرين من هؤلاء النسوة.

ولكننا نقف عند مقطوعة شعرية لبنت الحازوق الحنفي، ترثيه بعد مقتله، تجمع بين التفجع والبكاء، والفخر والزهو، والتحريض على الأخذ بثأره. تقول:

أعينـــي جـــودا بالـــدموع علـــى الصـــدر علـــى الفـــارس المقتـــول فـــي الجبـــل الـــوعر

فـــإن تقتلـــوا الحـــازوق وابـــن مطـــرف فإنـــا قتلنـــا حوشـــبا وأبـــا جســـر

أقلـــب عينـــي فـــي الركـــاب فـــلا أرى حزاقـــا وعينـــي كالحجـــاة مـــن القطـــر

ومـــن يعـــتم العـــام الوشـــيك ولا حقـــا وقتـــل حزاقـــا لا يـــزال عـــالي الـــذكر

تعـــاوره أســـياف قـــوم تعـــودوا قـــراع الكمـــاة لا خنـــوس ولا ضـــجر

فيـــا لهفتـــي ألا تكـــون لقيـــتهم بصـــحراء لا لا ضـــيق المكـــر ولا وعـــر

فلـــو كـــان لـــي ملـــك اليمامـــة ســـومت فـــوارس يســـبون العـــذارى مـــن شـــكر

ولـــو كـــان لـــي ملـــك اليمامـــة قـــد غـــزت قبائـــل دوس كـــل قنبلـــة شـــقر

فـــإن لا أنـــل مـــن دوس ثـــأري بفتيـــة مصـــاليت لـــم يكســـرهم حـــدث الـــدهر

---

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص154).

فـــإن قريشـــا كـــان مقتـــل حـــازق بأيـــديهم فاطلـــب بـــه قـــاطن الحجـــر

ففـي قـتلهم مثـل الـذي نـال مـن حظـي بقتـل حـزاق فـي العـلاء وفـي الـذكر [1]

إنها تأمر عينها بالبكاء _ على عادات نساء الجاهلية _ ألما وحرقة على مقتل أبيها الفارس الشجاع المشهور، الذي لم يقو أحد على نزاله وقتاله، لذلك نجدها تتمنى أن يكون لقيهم في متسع للقتال والفر والكر، لكان أبلى بلاء حسنا، لكنها تعزي النفس في نبرة من التشفي، وذلك أنهم قتلوا من أعدائهم كما قتل منهم. إنها تتمنى لو أن لها ملكا وحكما لكانت أخذت بثأر ابيها، من قاتليه، ولكن أين لها ذلك ؟

2- الأخ:

حياة الخوارج كانت قلقة، متوترة، حزينة، ثورات متلاحقة، وقتال مستمر، وكر وفر، وجراح ودماء، وموت وفناء، وواقع صعب، تصوره لنا امرأة من الخوارج قتل أخوها مع الضحاك، فتقول:

مـن لعـين ريـا مـن الـدمع عبـري ولـــنفس مـــن المصـــائب حـــرى

أفـــدت عيشـــنا صـــروف الليـــالي ووقـــاع مـــن الكتائـــب تتســـرى

كلمـــا ســـكنت حـــرارة وجـــد مـــن فقيـــد منـــا تجينـــا بـــأخرى [2]

لقد أفسدت الحروب المتتابعة حياتهم، فأورتهم حرارة الجوف، ودمعا في العين لا ينقطع، فما إن تهدأ النفوس، إلا ويشعل نارها فقد آخر، وهكذا هي حياتهم بكاء يتبعه بكاء، وحزن يتبعه حزن، تقول:

يـــا عـــين جـــودي بالـــدموع وابكـــــي بجهـــــد المســـــتطيع

يـــا مـــوت ويحـــك مـــا تـــزا ل لمفرقـــــا بـــــين الجميـــــع

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص89).

(2) المرجع السابق (ص 225).

أبكـــــي ومـــــا يغنـــــي التلـــــه ف والبكـــــاء عـــــن الجـــــزوع [1]

وتبكي مليكة الشيبانية أخاها في مقطوعتين شعريتين، تبدأ الأولى بالطلب من عينيها أن تجود بالبكاء على أخيها، بكاء لا ينقطع إلى الممات، فأخوها هو المؤمل والمرجي في معضلات الأمور، وهو المؤامر والمؤازر في والمطالب للتراث، تقول:

يـا عـين جـودي بالـدموع بواكـف حتـى الممـات

قـولا لمـن حضـر الحـرب مـن النسـاء الشـاريات

أمـــين بعـــد غضـــارة ونعـــيم عـــيش مثبتـــات

مـن بعـد عـيش نـاعم صـارت عظـامهم رفـات

وإذا المنيـــة أقبلـــت لـــم تغـــن أقـــوال الرثـــاة

كنـت المؤمـل والمرجـى فـي الأمـور المعضـلات

كنـت المـؤامر والمـؤازر فـي والمطالـب للتـرات [2]

بدأت الشاعرة أبياتها بالبكاء ثم انتقلت إلى ذكر مناقب أخيها فجعلت منه نموذجا فريدا، يجمع بين الشجاعة والبأس، والحكمة ورجاحة العقل، وفصاحة اللسان، وقوة البيان، والكرم، والجود، فحق له أن يكون هو المؤمل والمرجى في معضلات الأمور.

وفي موضع آخر تبدأ الشاعرة بذكر مناقب أخيها حتى رسمت له صورة فريدة، فلم تبقى صفة حسنة يعتز العربي بها إلا ألحقتها به، حتى بدا أنها لا تبكيه للرحم، ولكن لهذه المناقب والخلال، تقول:

---

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص 225).

(2) المرجع السابق (ص238 – ص239).

مـــن لجاراتـــك الضـــعاف إذا حـــل بهـــا نـــازل الحـــدثان

مـن لضـيف ينتـاب فـي ظلمـة الليـل إذا قـل منـزل الضـيفان

سـوف أبكـي عليـك مـا سـمعت أذنـاي يومـا تـلاوة الفرقـان

أيــن مــن يحفــظ القرابــة والصــهر ويــؤتي لحاجــة اللهفــان

ويحـوط المـولى ويصـطنع الخيـر ويجـزي الإحسـان بالإحسـان

ويكـف الأذى ويبتـذل المعـروف سـمح اليـدين سـبط البنـان[1]

تتساءل الشاعرة قائلة: هل بقي بعدك من يحمي النساء والأطفال من النوازل والمصائب؟ وحوادث الدهر، ومن للضيف الساري ليلا ؟ الذي لا يجد من يكرمه حيث يعز الكرم، وأين الذي يصل الرحم ؟ ويحفظ حق القربى الأصهار، ويقضي حاجات الملهوفين، بل أين من يصنع المعروف ويجازي الإحسان بالإحسان، ويكف أذاه عن الناس، ويبذل المعروف ويعطي بسخاء ؟.

لقد جمعت الشاعرة الصفات المعنوية السابقة في أخيها ولأجل هذا ستبكيه الدهر كله، وربما يكون البيت الذي ذكرت فيه البكاء، وهو البيت الثالث هو آخر أبيات المقطوعة، لأنه الترتيب المنطقي لتسلسل الأبيات، يقول ذلك. فالمقطوعات الرثائية إما تبدأ بالبكاء أو تختم بها.

ومن أبرز شعر النساء الخارجيات، قصيدة ليلى بنت طريف، في أخيها الوليد بن طريف الشيباني، وهو رأس من رؤوس الخوارج، " وهي أطول القصائد التي قيلت على لسان شاعرة من شواعر الخوارج، ولا تتميز بطولها فحسب، بل بما لها من السمات الفنية التي تجعل منها قصيدة متفوقة قياسا على النتاج الشعري للخوارج بوجه عام، فهي تصوير بارع لشخصية المرثي، وإشادة بما تحلى به من الخصال النبيلة والشمائل الرفيعة "[2]

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص238).

(2) معيطة، شعر النساء الخارجيات (ص 40).

تقول ليلى:

بتـــل نبـــاتى رســـم قبـــر كأنـــه علـــى علـــم فـــوق الجبـــال منيـــف

تضـــمن جـــودا حاتميـــا ونـــائلا وســـورة مقـــدام وقلـــب حصـــيف

ألا قاتـــل الله الجثـــا كيـــف أضـــمرت فتـــى كـــان بـــالمعروف غيـــر عفيـــف

فـــاءلا تجيئنـــي دمنـــة هـــي دونـــه فقـــد طـــال تســـليمي وطـــال وقـــوفي

وقـــد علمـــت أن لا ضـــعيفا تضـــمنت إذا علـــم المـــرزي ولا ابـــن ضـــعيف

فتـــى لا يلـــوم الســـيف حـــين يهـــزه علـــى مـــا اختلـــى مـــن معصـــم وصـــليف

فتـــى لا يعـــد الـــزاد إلا مـــن التقـــى ولا المـــال إلا مـــن قنـــا وســـيوف

ولا الخيـــل إلا كـــل جـــرداء شـــبطة وكـــل حصـــان باليـــدين غـــروف [1]

لا تبدأ الشاعرة بالبكاء والتفجع على أخيها، بل بدأت بذكر مناقبه، فأخوها الذي ثوى تبل بناتي، كان كريما، جوادا، شجاعا، مقداما، ليس جبانا ولا رعيدا، ولا هو من أبناء الضعفاء، زاده التقوى، وحياته على صهوات الخيل، مجاهدا من أجل مبدوء. من أجل هذه الخلال، هي تقف طويلا على قبره، تسائل الدمن فلا يجيبها، فتكتفي بالتسليم.

إنها تشكو من ألم الفراق بعد فقده، وتتمنى لو أنها فقدت من السادات ألوفا، وبقي هو حيا، فهو فارس بألف فارس، لقد عاش حياته غصة للأعداء، نصيرا للحلفاء، ملجأ للضعفاء، حليف للكرم والجود، ولا يرضى الجود به بديلا. تقول:

فقـــدناك فقـــدان الربيـــع وليتنـــا فـــديناك مـــن ســـاداتنا بـــألوف

ومـــا زال حتـــى أزهـــق المـــوت نفســـه شـــجا لعـــدو أو لجـــأ لضـــعيف

حليـف النـدى أن عـاش يرضـى بـه النـدى وإن مـات لا يرضـى النـدى بحليـف [2]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 159 – ص160).

(2) المرجع السابق (ص160).

ثم تعود مؤكدة على شجاعة أخيها، في غزواته، فكم من جمع فرقه وصف فضه، ببسالة وجرأة، وعزم لا يلين. تقول:

فـــإن يـــك أراده يزيـــد بـــن مزيـــد فيـــا رب خيـــل فضـــها وصـــوف [1]

والشاعرة لشدة ألمها وفجيعتها على فقد أخيها ،غدت والهة حرى تمتلكها حالة من الحزن، والألم النفسي، جعلها تتصور أن كل شيء حولها من الطبيعة حزينا عليه، حتى أنها لتستغرب أن يورق شجر الخابور بعد أخيها، فالشمس كاسنة، والقمر ما عاد قمرا حزنا على الليث المحمول على الأكتاف إلى حفرة صغيرة يوارى بها.

فيـــا شـــجر الخـــابور مالـــك مورقـــا كأنـــك لـــم تجـــزع علـــى ابـــن طريـــف

أيـــلا يـــا قـــومي للنوائـــب والـــردى ودهـــــر ملـــــح بـــــالكرام عنيـــــف

وللبـــدر مـــن بـــين الكواكـــب إذا هـــوى وللشـــــمس همـــــت بعـــــده بكســـــوف

ولليـــث فـــوق الـــنعش إذ يحملونـــه إلـــى حفـــرة ملحـــودة وســـقوف [2]

ثم تذكر الشاعرة موقفا مشابها لمواقف الجاهلية، حيث البكاء والتفجع والندب، والنياحة، وخروج النساء حاسرات، وكل ذلك حزنا على فقد أخيها. تقول:

بكـــت تغلـــب الغلبـــاء يـــوم وفاتـــه وأبـــــرز منهـــــا كـــــل ذات نصـــــيف

يقلـــن وقـــد أبـــرزن بعـــدك للـــورى معانـــد حلـــي مـــن بـــري وشـــنوف [3]

ثم تختم القصيدة مشيدة ببطولته، وبصولاته وجولاته، وشجاعته وحسن بلائه، وكرمه وسخائه، فكم قاد الكتائب، وطاعن الفرسان، فكان ثقيلا على أعدائه، وأعياهم وكسر شوكتهم، تقول:

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص160).
(2) المرجع السابق (ص160).
(3) المرجع نفسه (ص160).

كأنــك لــم تشــهد مصــاعا ولــم تقــم مقامـــا علـــى الأعـــداء غيـــر خفيـــف

ولـــم تشـــتمل يـــوم الـــوغى بكتيبـــة ولـــم تبـــد فـــي خضـــراء ذات رفيـــف

دلاص تـرى فيهـا كـدوحا مـن القنـا ومـــن ذلـــق يعجمنهـــا بحـــروف

وطعنـــه خلـــس قـــد طعنـــت مرشـــة علـــى يزنـــي كالشـــهاب رعـــوف

ومائـــدة محمـــودة قـــد علوتهـــا بأوصـــال بختـــي أخـــذ عليـــف [1]

وأختم القصيدة بهذا البيت الذي لم أجده عند بشير يموت في شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ولكنه موجود في ديوان الخوارج، لفايق معروف، حيث تعزي نفسها، بأن كل شريف مصيره للموت. تقول:

فـلا تجزعـا يـا بنـي طريـف فـإنني أرى المـــوت نـــزالا بكـــل شـــريف [2]

وفي قصيدة أخرى تذكر الشاعرة أيام أخيها، فتبدو لها الأرض مجدبة قاحلة لا حياة فيها، وتأخذ تبحث عنه في معالي الأمور حيث كان دائما، ثم تلوم قومها الذين فرطوا فيه، ثم تتحداهم أن يجدوا مثله في فعاله وخلاله، ثم تختم متحسرة بقولها لو أن السيوف عاقلة وعرفت أخاها، لنبت خوفا وهيبة ولم تقطع.

تقول:

ذكـــــرت الوليـــــد وأيامـــــه إذا الأرض مـــــن شخصـــــه بلقـــــع

فأقبلـــت أطلبـــه فـــي الســـماء كمـــا يبتغـــي أنفـــه الأجـــدع

أضـــاعك قومـــك فليطلبـــوا إفـــادة مثـــل الـــذي ضـــيعوا

لـــو أن الســـيوف التـــي حـــدها أصـــابك تعلـــم مـــا تصـــنع

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص160).

(2) معروف، ديوان الخوارج (ص185).

نبـــت عنـــك أو جعلـــت هيبـــة وخوفـــا لصـــولك لا تقطـــع [1]

3- العم:

العم بمنزلة الوالد، لذلك ليس غريبا أن نجد في شعر المرأة رثاء حارا لا يقل حرارة عن رثاء الأب والأخ والابن، ويبدو ذلك جليا في رثاء مليكة الشيبانية لعمها حيث بكته بحرارة وحرقة مؤكدة على أنها ستواصل البكاء في الصباح وفي الهاجرة، وفي المساء، ولن تتوقف عن البكاء معللة ذلك بأنها فقدت بطلا مغوارا، وفارسا صنديدا، غدا فقده مصيبة لا تقوى على الصبر عليها. وتعدد الشاعرة مناقب عمها الذي كان يؤمر بالمعروف، ويقف إلى جانب الحق من جماعة أصحاب الفضائل، والبصائر وهو لسان قومه وخطيبهم وزعيمهم في كل محفل من المحافل، تقول:

أصـــبرت عـــن عمـــي الـــذي قـــد كـــان بـــالمعروف آمـــر

أصـــبرت عـــن عمـــي الـــذي كـــان المـــؤامر والمـــؤازر

إخوانـــه النفـــر الشـــرا ة ذوو الفضـــيلة والبصـــائر

يـــا عـــم كنـــت لســـان قـــوم مـــك حـــين يجتمـــع المعاشـــر

فـــلا أبكينـــك بالغـــدا ة وبالأصـــائل والهـــواجر

ولا إن بكيـــت لقـــد رزئ ت بفـــارس بطـــل مغـــاور [2]

تصرح الشاعرة في مقطوعة شعرية أخرى عن ألمها وحسرتها، وعظيم مصيبتها بقولها:

أبكـــي المغيـــب فـــي الثـــرى بـــين النضـــائد والصـــفائح

أبكـــي وحـــق لـــي البكـــا ء مـــع الغـــوادي والـــروائح

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص160 – ص161).

(2) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص239).

فـــــلا أبكينـــــك مـــــا غـــــدت شـــمس ومـــا جـــرت البـــوارح [1]

ثم تعدد مناقب عمها، فهو الرجل الحكيم الذي يرجع إليه ويؤخذ برأيه ويستشار ويؤخذ بمشورته، وهو كريم حليم وصول لرحمه وأقاربه، وعون للشاردين النازحين عن ديارهم، وهو الذي يغني الأيتام وذوي الحاجات من الناس، فيقضي حاجاتهم، ويصون كرامتهم، ويقيهم غوائل الزمان. يعم خيره كل صديق وقريب وفقير ويتيم وغريب. تقول:

مـــن ذا يرجـــى للنصـــيحة حـــين تفتقـــد النصـــائح

أم مـــن يرجـــى للقريـــب ومـــن يكـــون لكـــل نـــازح

أم مـــن يؤمـــل لليتـــيم وكـــل ذي غـــرب ونـــائح

أم مـــن يعـــم صـــديقه خيـــرا ويحجـــر كـــل نـــابح [2]

لقد وقع فقد العم على الشاعرة وقع الصاعقة، أفقدها وعيها، وأذهلها عن نفسها، مما جعلها تلقي جلبابها وتخرج سافرة بغير خمار، تقول:

ألقيـــت جلبـــابي لعظـــم رزيتـــي وبـــــرزت ســـــافرة بغيـــــر خمـــــار

وهي لا يجف دمعها، ولا يهدأ قلبها، ولا يسكن روعها، ويستكين حزنها لا ليلا ولا نهارا، تقول:

مـــا بـــال دمعـــك يـــا مليكـــة جـــار أم مـــــا لقلبـــــك لا يقـــــر قـــــرار

أمـــا لنفســـك لـــيس يســـكن حزنهـــا لـــــيلا ولـــــيس نهارهـــــا بنهـــــار [3]

ذاك إلا جزعا على هذا الطود الشامخ الذي يجمع شمل القبيلة ويدفع عنها مصائب الزمان وغوائله وعثراته، لذلك تتمنى لو أنها كانت تملك من أسباب القوة ما يمكنها من الدفع عنه، لكانت فعلت، وما ولما أصبح مدفونا بين نضائد وغبار.

---

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص 240).

(2) المرجع السابق (ص240).

(3) المرجع نفسه (ص239).

تقول:

جزعـا علـى مـن كـان يجمـع شـملنا ونعـــــــده لنوائـــــــب وعثـــــــار

لـو كنـت أملـك دفـع ذلـك لـم تكـن يـــا عـــم بـــين نضـــائد وغبـــار[1]

وتحاول الشاعرة أن تسلي نفسها بزيارة المقابر، علها تجد فيها ما يهدأ روعها ويذهب حزنها، ولكن هيهات، لذلك تتقلب مرددة مناقب عمها، فهو الذي ستفقده نساء الشراة وكهولهم عند ساعة الشدة والضيق، فهو الذي يفرج عنهم كرباتهم، كما سيفتقده أصحاب الحاجات، والضيوف فهو الكريم يعطي بسخاء ويسار، تقول:

زرت المقـــابر كـــي أســـلي عبرتـــي هيهـــات ممـــن زرت بعـــد مـــزار

فلتبـــك نســـوان الشـــراة بعبـــرة عنـــد الحـــروب وكـــل كهـــل شـــار

ويبكيـــه المـــولى وطالـــب حاجـــة عنـــد العشـــاء وكـــل ضـــيف طـــار[2]

وعمها فوق هذا كله يتصف بالوقار، والعفاف، والبذل والعطاء، والسخاء، وحسن الدين، حتى غدا خير قومه. تقول:

أيـــن الـــذين إذا ذكـــرت فعـــالهم عرفـــوا بحســـن عفافـــة ووقـــار

أيـــن الـــذين إذا أتـــاهم ســـائل بـــذلوا لـــه أمـــوالهم بيســـار

أيـــن الـــذين إذا دكرنـــا ديـــنهم قالـــت عشـــائرهم هـــم أخيـــاري[3]

مما سبق يمكن القول إن الشاعرة أجادت في وصف عمها وصفا معنويا، حيث جعلت منه جبلا يلوذ به قومه، فيحميهم في الملحات والمصائب، لأنه فارس قومه وسيدهم، المتكلم

---

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص239).

(2) المرجع السابق (ص 240).

(3) المرجع نفسه (ص240).

بإسمهم في المجالس، وهو الكريم الجواد، الذي يعطي بسخاء، فيكرم الضيف ويغني الفقير والعاني، وهو الحكيم الذي تؤخذ منه النصيحة، وهو الرجل المؤمن حسن الإيمان.

4- الابن:

ترسم لنا عمرة بنت أم عمران بن الحارث الراسبي صورة مغايرة عن الصورة التي رالأم الجاهلية لابنها، والصورة هنا تأخذ شكلها من القيم الإسلامية، وما غرسه الدين الإسلامي في نفوس أتباعه، من حب الشهادة، واللجوء إلى الله بالدعاء في أوقات السحر، سرا وعلانية، لكي يفوز على يد الكفار والملاحدة. تقول عمرة:

الله أيـــــد عمرانـــــا وطهـــــره وكـأن عمـران يـدعوا الله فـي السـحر

يـــدعوه ســـرا وإعلانـــا ليرزقـــه شـــهادة بيـــدي ملحـــادة غـــدر

ولـــي صـــحابته عـــن حـــر ملحمـــة وشـــد عمـــران كالضـــرغامة الهصـــر

أعنـــي ابـــن عمـــرة إذ لاقـــى منيتـــه يـوم ابـن بـاب يحـامي عـورة الـدبر[1]

إن عمران كما – تصفه الأم – مؤيد من الله ومطهر من كل رحب ودنس وشرك وكفر، مقبل على الله، محبا للشهادة، يدعوا الله في كل وقت أن يرزقه إياها، وهو رغم خذلان أصحابه وفرارهم، لم يضعف ولم يتوان، بل شد على أعدائه كالأسد الهصور. " فالأبيات تمثل الصراع بين النقيضين، أحدهما يمثل الطهر والإيمان، والشجاعة ، مجسدة في شخصية عمران، والآخر يمثل الكفر والغدر مجسدين بعدو الخوارج، واستشهاد عمران لم يكن إلا تحقيقا لحلم راوده طويلا، لهذا نجد أمه لا تذرف الدموع عليه، ولا تبدي الحزن لفقدانه، بل تشيد بمآثره، وتصم قاتله بالغدر والإلحاد " [2]. وتصور امرأة أخرى أبنائها، بأنهم بيض كسيوف الهند المصلتة مضاء وعزما، زهم في الحرب كالأسود قوة وبأسا وشجاعة، فبياضهم دليل على صحة نسبهم وشرفه، وعراقة أصلهم، وتشبيهم بالسيوف، دليل على صلابتهم وعزمهم، ومضاء عزمهم، وتشبيههم بالأسد، دليل على شجاعتهم، وبأسهم وقوتهم، وإقدامهم. لذلك فأمهم طويلة الحزن. تقول:

---

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص286).

(2) معيطة، شعر النساء الخارجيات، (ص43).

نجلـــتهم كســـيوف الهنـــد أربعـــة بيضـا مصـاليت فـي الهيجـاء كالأسـد

حتـى إذا كملـوا فـي السـن واتسـقوا أخنـى علـى القـوم وأخنـي علـى لبـد

لهفـــي علـــيهم فـــإني مـــن تـــذكرهم طويلـــة الحـــزن والإعـــوال والكمـــد

لا أفتـــا الـــدهر أبكـــيهم بأربعـــة مـا اجتـرت النيـب أو حنـت إلـى ولـد[1]

5- الأسرة:

هذا عنوان أضفته لأن الأسرة تتكون من الأب والأخ والأم والخالة والزوج والعم....إلخ. وقد وجدت مقطوعة شعرية تتحدث عن هؤلاء مجتمعين مجتمعين، ولم أرد أن أغفلها، فهذه امرأة من بني شيبان يقتل أبوها، وأخوها، وأمها، وزوجها، وعمها، وخالتها، مع الضحاك بن قيس الشيباني الحروري، فما رؤيت بعد ذلك ضاحكة ولا مبتسمة، تقول:

مـــن لقلـــب شـــفه الحـــزن أو لـــنفس مالهـــا ســـكن

ظعـــن الأبـــرار فـــارتحلوا خيـــرهم مـــن معشـــر ظعنـــوا

معشـــر قضـــوا نحـــوبهم كـــل مـــا قـــد قـــدموا حســـن

صـــبروا عنـــد الســـيوف فلـــم ينكلـــوا عنهـــا ولا جنبـــوا

فتيـــة بـــاعوا نفوســـهم ولا ورب البيـــت مـــا غبنـــوا

ابتغـــوا مرضـــاة ربهـــم حـــين مـــات الـــدين والســـنن

فأصـــاب القـــوم مـــا طلبـــوا منـــة مـــا مثلهـــا مـــن [2]

---

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص259).

(2) المرجع السابق (ص237).

لقد رحل الأبرار من خيار قومها، صابرين محتسبين، غير جبناء ولا متخاذلين، لأن مطلبهم رضى الله سبحانه وتعالى في وقت ضاعت فيه السنن، ومات الذين قدموا أرواحهم رخيصة في سبيل هدفهم وغايتهم، صادقين مخلصين فمن الله عليهم بما أرادوا وهي منة من أعظم المنن.

لقد وصفت الشاعرة أقاربها وأفراد أسرتها، بأنهم أبرار من خيار قومها؛ وهما صفتان جامعتان مانعتان، ووسمت فعالهم بالحسن، وهذا منبعه الإيمان بالله والخوف منه، والخلق الكريم والنشأة الطيبة.كذلك وصفتهم بالصبر في الشدائد، ونفت عنهم الجبن والخذلان والغبن كذلك هم – كغيرهم من الخوارج – مقبلون على الآخرة، زاهدون في الدنيا، لذلك نجدهم يقدمون أرواحهم رخيصة من أجل تحقيق غاياتهم وأهدافهم وهي مرضاة ربهم، في وقت مات فيه الدين والسنن.

المطلب الثالث: الآخر غير القريب.

لا تختلف صورة القريب– عند المرأة الخارجية – عن صورة البعيد وغير القريب، فقد حلت الأخوة في العقيدة بدلا من صلات القربى، لهذا تتشابه الصورة العامة لأفراد الخوارج في قصيدة للرثاء أيا كانت صلتهم بالشاعرة.

ومن شواعر الخوارج اللاتي رثين غير القريب في شعرهن مليكة الشيبانية، التي رثت الضحاك بن قيس الخارجي بقولها:

مـــا بـــال دمعـــك دائـــم الســـجم مثـــل الجمـــان وهـــي مـــن الـــنظم

جلـــت مصـــيبتنا وقـــد عظمـــت لمـــا فجعـــت بســـيد ضـــخم

حلـــو الشـــمائل حـــين تخبـــره حســـن الســـريرة ماجـــد شـــهم

يصـــل القرابـــة والجـــوار إذا قطـــع القرابـــة صـــاحب الظلـــم

فـــلا بكينـــك كلمـــا وخـــدت عيســـى بأرجلهـــا علـــى رســـم

ولا بكيتـــك عنـــد مجتمـــع ال أمـــلاء عنـــد تطـــاول الخصـــم[1]

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص240 _ ص 241).

إن دمع الشاعرة لا ينقطع، لعظم المصيبة والفجيعة فالمفقود سيد عظيم من السادات، لسيد حلو الشمائل، حسن السريرة، ماجد شهم، يصل الرحم، ويحسن للجار بفقد في الملحات والشدائد وحين تحتدم الخصومة. وتقول في مقطوعة أخرى:

قـــولي مليـــك عليـــك بالصـــبر تســـــتوجبين فضـــــائل الأجـــــر

قـــولي فإنـــك غيـــر كاذبـــة يـــا عـــدتي لنوائـــب الـــدهر

أورثتنـــــي كمـــــدا يـــــؤرقني وتلهفـــــا وحـــــرارة الصـــــدر

ومـــــرارة العـــــيش دائمـــــة وحـــــرارة كحـــــرارة الجمـــــر

ذهـــب الـــذي قـــد كـــان يأمرنـــا بـــالخوف والمعـــروف والـــذكر[1]

الشاعرة هنا تصبر أملا في نيل الثواب، رغم ما أورثها الفقد من حرارة في الصدر، فالفقيد كان يأمر بالمعروف ويحث على الذكر واجتناب الذنوب والخوف من الله، وكان عدة لها من مصائب الدهر ونوائبه. ولعل الالحاح على القيم الإيمانية في شعر الخوارج عائد إلى تأثير العقائد الخارجية التي تطمح إلى بناء الانسان من خلال الحض على الزهد في الحياة والسعي للخلود عن طريق الشهادة.

وهذه امرأة من بني سليط ترثي مرداسا وأصحابه، وتدعوا لهم بالسقيا كعادة الشعراء العرب واصفة إياهم بصدق الإيمان، والصبر في اللقاء، والإقبال على الله، والجود بأرواحهم في سبيل الفوز بالجنة. تقول:

ســقى الله مرداســا وأصــحابه الأولــى شـــروا معـــه غيثـــا كثيـــر الزمـــاجر

فكلهـــم قـــد جـــاد لله مخلصـــا بمهجتـــه عنـــد التقـــاء العســـاكر[2]

أما أم الجراح العدوية فإنها تتوعد قتله أبي بلال وعروة، وهما من الخوارج، بالحرب في الدنيا، وعذاب الله في الآخرة ، فتقول:

---

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص238).

(2) المرجع السابق (ص67).

ومـــا بعـــد مـــرداس وعـــروة بيننـــا وبيـــنكم شـــيء ســـوى عطـــر منشـــم

ولســـت بنـــاج مـــن يـــد الله بعـــدما هرقـــت دمـــاء المســـلمين بـــلا دم [1]

بعد هذا العرض لمعظم أشعار النساء الخارجيات، يمكن القول أن الغرض الرئيس في شعرهن هو الرثاء، والذي حاولت المرأة من خلاله رسم صورة للرجل الخارجي يغلب عليها السمات المعنوية، كالتقى، والزهد، والحلم، والشجاعة، والمروءة ،والتضحية ،والفداء، والإقبال، وهذه السمات اشترك فيها جميع أفراد الخوارج، فصورة الآخر الخارجي لا تختلف عند المرأة الخارجية، سواء أكان أخا أم قريبا أم بعيدا، لأن أخوة العقيدة حلت بدلا من أخوة النسب، مما خلق تشابها في الصورة العامة لأفراد الخوارج.

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص67).

المبحث الرابع:
الآخر الأعجمي

العرب في الجاهلية يمقتون الفرس بوصفهم وثنيين، ولما كانوا يمثلونه من تهديد وخطر، وظلم للعرب، وكان الأعشى من أشد الشعراء تصويرا للصراع مع الفرس حيث انتصار قومه على الفرس في يوم ذي قار، فقد أتي الفرس ببهرجهم وزينتهم، وقد علقوا الحلي في آذانهم وعلى رقابهم؛ دلالة على السيادة، لكن خيول العرب دكت حصونهم، وأعادتهم مضرجين بالدماء، حيث قتل منهم الكثير، وعادوا منهزمين يقول الأعشى مفتخرا:

وَجُنْـدُ كِسـرى غَـداةَ الحِنـوِ صَـبَّحَهُم ... مِنّـا كَتائِـبُ تُزجـي المَـوتَ فَانصَـرَفوا

جَحـاجِحٌ وَبَنـو مُلـكٍ غَطارِفَـةٌ ... مِـنَ الأَعـاجِمِ فـي آذانِهـا النُطَـفُ

إِذا أَمـالوا إِلـى النُشّـابِ أَيـدِيَهُم ... مِلنـا بِبـيضٍ فَظَـلَّ الهـامُ يُختَطَـفُ

وَخَيـلُ بَكـرٍ فَمـا تَنفَـكُّ تَطحَـنُهُم ... حَتّـى تَوَلّـوا وَكـادَ اليَـومُ يَنتَصِـفُ

لَـو أَنَّ كُـلَّ مَعَـدٍّ كـانَ شـارَكَنا ... فـي يَـومِ ذي قـارَ مـا أَخطـاهُمُ الشَـرَفُ

لَمّـا أَتَونـا كَـأَنَّ اللَيـلَ يَقـدُمُهُم ... مُطَبِّـقَ الأَرضَ يَغشـاها بِهِـم سَـدَفُ

وَظُعنُنـا خَلفَنـا كُحـلاً مَـدامِعُها ... أَكبادُهـا وُجُـفٌ مِمّـا تَـرى تَجِـفُ

حَواسِـرٌ عَـن خُـدودٍ عايَنَـت عِبَـراً ... وَلاحَهـا وَعَلاهـا غُبـرَةٌ كُسُـفُ

مِـن كُـلِّ مَرجانَـةٍ فـي البَحـرِ أَخرَجَهـا ... غَوّاصُـها وَوَقاهـا طينَهـا الصَـدَفُ[1]

ترسم ليلى بنت بكير صورة منكرة للفرس، الذين قاموا بخطفها، وعاملوها معاملة قاسية وحشية، فعذبوها وضربوها، على موطن العفة أملا على أن توافق على الزواج من الملك، ولكنها رفضت مفضلة الموت على الزواج من فارسي غير عربي.

(1) الأعشى، الديوان (ص 113-114).

وبداية قصتها مع ملك الفرس، أن والدها نزل في جانب من بلاد الفرس، ومعه ابنته، وكانت من أجمل نساء زمانها، فأوصل خبرها للملك وقتئذ. أحد حاشية فقال له الملك: ما عسى أن نبلغ منها والبدوية تفضل الموت على أن يغشاها أعجمي، فقال نرغبها بالمال، ومحاسن المطاعم والمشارب والملابس، وأرسل الملك فأغتصبها من أبيها، ثم عرض عليها جميع المشهيات والمرغبات، وخوفها بجميع العقوبات، وعاملها بالتعذيب ليرى وجهها فأبت، وخيرته بين أن يقتلها أو يعيدها لأبيها، ولما يئس منها أسكنها في موضع وأجرى عليها الرزق واكتفى برؤية قوامها تحت ملابسها في بعض الأحيان، وكان لليلى المذكورة ابن عم من بني بكر، فارس شجاع يقال له البراق، فاحتال حتى خلصها.[1]) تقول ليلى وهي في أسرها مخاطبة اخوتها وابن عمها، ومصورة حالها:

ليـــت للبـــراق عينـــاً فتـــرى ... مـــا ألاقـــي مـــن بـــلاء وعنـــا

يـــا كليبـــاً وعقـــيلاً إخـــوتي ... يـــا جنيـــداً أســـعدوني بالبكـــا

عـــذبت أخـــتكم يـــا ويلكـــم ... بعـــذاب النكـــر صـــبحاً ومســـا

غللـــوني، قيـــدوني، ضـــربوا ... ملمـــس العفـــة منـــي بالعصـــا

يكـــذب الأعجـــم مـــا يقربنـــي ... ومعـــي بعـــض حشاشـــات الحيـــا

فأنـــــا كارهـــــة بغـــــيكم ... ويقـــين المـــوت شـــيء يرتجـــى

فاصـــطبار أو عـــزاء حســـن ... كـــل نصـــر بعـــد ضـــر يرتجـــى

أصـــبحت ليلـــى تغـــل كفهـــا ... مثـــل تغليـــل الملـــوك العظمـــا

وتقيـــد وتكبـــل جهـــرة ... وتطالـــب بقبيحـــات الخنـــا[2]

---

(1) ينظر: يموت، شاعرات العرب (ص32).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص32 _ ص33). النكر : الصعب الشديد. الحشاشة : بقية الحياة. الأعجم : غير العربي. الحيا : الخجل.

إنها تستنهض قومها من أجل تخليصها من المهانة والذل والمعاناة، فالأعاجم ضربوها، وقيدوها، وسجنوها، وضربوها، على موطن العفة، ولا يفعل ذلك بالنساء إلا الغلاظ ، الطغاة، الجفاة، الذين لا نخوة عندهم ولا إنسانية ولا رحمة، ولا قيم أخلاقية، بل كانوا أشبه بالوحوش الضارية.

إنها أنزلتهم منزلة دونية، لا ترقى إلى مستوى العرب، ولذلك فضلت الموت على أن تعطيهم مبتغاهم، حتى ولو كانوا ملوكا.

لذا ترجوا من قومها أن ينهضوا لحرب الفرس وتخليصها من أسرهم مستنهضة همهم، ومحذرة لهم من العار الذي قد يلحق بهم طوال العمر وتعرض ببني أنمار الذين زينوا للملك خطفها:

أتـــــدلون علينـــــا فارســـــا يـــا بنـــي أنمـــار يـــا أهـــل الخنـــاء

يـــا إيـــاد خســـرت صـــفقتكم ورمـــى المنظـــر مـــن بـــرد العمـــاء

يـــا بنـــي الأعمـــاص إمـــا تقطعـــوا لبنـــــي عـــــدنان أســـــباب الرجـــــا

فاصـــــطبارا وعـــــزاء حســـــنا كـــل نصـــر بعـــد ضـــر يرتجـــى

قـــل لعـــدنان فـــديتم شـــمروا لبنـــي الأعجـــام تشـــمير الـــوحى

وأعقـــدوا الأيـــات فـــي أقطارهـــا وأشـــهروا البـــيض وســـيروا فـــي الضـــحى

يـــا بنـــي تغلـــب ســـيروا وانصـــروا وذروا الغفلـــــة عـــــنكم والكـــــرى

واحـــذروا العـــار علـــى أعقـــابكم وعلـــيكم مـــا بقيـــتم فـــي الـــورى[1]

(1) ماردیني، شواعر الجاهلية (ص297). أنمار : حي من خزاعة. والشاعرة تهجوهم لأنهم حسنوا لكرى خطفها. إياد : حي من معد. العمص : ضرب من الطعام.الوحي: النار. يقال للملك وحي، لأنه مثل النار ينفع ويضر. العقب : عقب القدم مؤخرها

وهناك حادثة أخرى تمثل نظرة العرب للفرس، فالعرب تأنف أن تزوج بناتها للأعاجم حتى ولو كانوا ملوكا، ولو كان هؤلاء أولياء نعمتهم، فقد رفض النعمان بن المنذر تزويج ابنته لكسرى ،أنفه وكبرياء وعزة وشموخا، من أن يطأها أعجمي، حتى ولو كان كسرى، وهذا الرفض كان ثمنه حياته وعندما أراد كسرى أخذ بنته عنوة استجارت بقبائل العرب، والتي أجارتها امرأة من بني شيبان تسمى صفية بنت ثعلبة الشيبانية، وطلبت من قومها ومن ساندهم من قبائل العرب الدفاع عن جارتها _ وكان اسمها "الحرقة " _ وفي ذلك تقول:

أحيوا الجوار فقد أماتته معاً ... كل الأعارب يا بني شيبان

ما العذر لقد لفت ثيابي حرة ... مغروسة في الدار والمرجان

بنت الملوك ذوي الممالك والعلى ... ذات الحجال وصفوة النعمان

أتهاتفون وتشحدون سيوفكم ... وتقومون ذوابل المران

وتسومون جنودكم يا معشري ... وتجددون حقيبة الأبدان

وعلى الأكاسر قد أجرت لحرة ... بكهول معشرنا وبالشبان

شيبان قومي هل قبيل مثلهم ... عند الكفاح وكرة الفرسان؟

لا والذوائب من فرع ربيعة ... ما مثلهم في نائب الحدثان

قوم يجيرون اللهيف من العدا ... ويحاط عمري من صروف زماني

ترد الهياج بنو أبي لا تتقي ... مسطى العدو وصولة الأقران

إني حجيجة وائل، وبوائل ... ينجو الطريد بشطبة وحصان

يا آل شيبان ظفرتم في الدنا ... بالفخر والمعروف والإحسان[1]

(1) يموت، شاعرات العرب (ص11).

وتفخر الشاعرة على الفرس في مشهد يقل مثيله، فالشاعرة تأخذها العزة بقومها وأهلها الذين لا يذل الجار فيهم، فهم أهل الكرم والعزة والشرف، والإباء والشاعرة إذ تفاخر بقومها، فإنها تعرض تعريضا خفيا بالفرس ممثلين في ملوكهم الأكاسرة، فهم وإن كانوا ملوكا فإنه لا يليق بهم أن يفكروا في الزواج ببنات العرب، ثم أن الشاعرة لا تخاطب في شعرها كسرى مباشرة، بل بطريقة غير مباشرة، استعلاء وعزة وترفعا:

أنا الحجيجة من قوم ذوي شرف أولي الحفاظ وأهل العز والكرم

والعز فيهم قديما غير مقترف والجار فاعلم عزيزاً داره بهم

قولوا لكسرى أجرنا جارة فثوت في شامخ العز يا كسرى على الرغم

نحن الذين إذا قمنا لداهية لم نبتدع عندها شيئاً من الندم

نحيط جارتنا من كل نائبة ونرفد الجار ما يرضى من النعم[1])

لعلنا نلمس نبرة التحدي حاضرة في قولها، فالشاعرة لا تبدي الخوف والقلق من غضبة الفرس. بل نراها معتدة بقومها ومنعتهم، واثقة من نصرهم. ثم إن الشاعرة ترسم صورة جميلة لنتيجة إحدى المعارك مع الفرس، حيث الغنائم والسبايا، اللاتي يرفلن في الدمقس والحرير واللؤلؤ والمرجان وإلى غير ذلك من مظاهر زينة الفرس وربما أرادت الشاعرة أن سباياهم من بنات الأمراء والملوك ذوات المنزلة الرفيعة عند الفرس وهذا النوع من المبالغة في الإنتصار، ومحاولة لإيلام العدو وإذلاله ورفعا لهم وقومهم. تقول:

ساقت فوارس شيبان لمعشرها خير الصنائع فيها طفرة العجم

غنماً سبايا من الديباج فرشهم والتسترى وأفنان من القسم

ثم النضار وفيه الدر منتظم واللؤلؤ العجم والمعرف بالنظم[2]

(1) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص142– ص143).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص12).

لقد ذكرت الشاعرة السبايا كعادة العرب الذين يرون لسبي الناس إذلالا لأعدائهم الذين لم يستطيعوا الذود عن نسائهم وحمايتهن ومنعهن من السبي.

ويرسل المنصور– وهو عربي وقائد من قادة جند كسرى – إلى بني شيبان يطلب منهم أن يسلموه الحرقة (هند بنت النعمان)، على أن يبرئ ذمة الشيبانيين عند كسرى، فردت عليه صفية بنت ثعلبة، مستهجنة ومستغربة ومتسائلة في شيء من التعريض بالمنصور، هل هناك من العرب من زوج الفرس من العرب، وكأن هذا الأمر جريمة كبرى، ومصيبة عظمى، وعيب يصم أهله. تقول:

قــولا لمنصــور لا درت خلائفــه ... مــا صــاح فــيهم غــراب البــين أو نعقــا

مـن زوج الفـرس يـا متبـول قـبلكم ... مــن الأعــارب يــا مخــذول أو ســبقا

اختـر عـدمتك مـن فـدم أخـا ثقـة ... فــانطق فإنــك شــر النــاس إن نطقــا

يــا ويــح أمــك يــا منصـور إن لنــا ... خــيلاً كراماً تصـون الجـار مــا علقــا[1]

ثم أن الشاعرة تهدد جيش الفرس إذا ما قدم مع المنصور فإنه سيمزق تمزيقا، وكل جيش آخر سيلقى نفس المصير، ولن ينال أحد من جارتها طالما هي في جوارها. تقول:

بــالله لا نــال منصــور لجارتنــا ... وكــل جــيش يجــي يرجعنــه فرقــا

فمت بغيظك يا منصور وأحي على ... بغضــاك قــومي وشــمر كــل يــوم لقــا[2]

ثم نرى الشاعرة ساخرة من عدوها، حيث تطلب منه أن يتمنى أخذ جارتهم، ولكن بني شيبان لن ترضى بالذي كتب وعبيه أن يتوقف عن طلبه إن أراد البقاء حيا:

واحذر تمنـى فمـا تعطـى منـاك بهـا ... تلــك الأمــاني تعيــد الضــعف والعرقــا

آلت بنـو بكـر ترضـى مـا كتبـت بـه ... يــا ابــن الدنيــة فاجعــل إن أردت بقــا[3]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص12).

(2) المرجع السابق (ص13).

(3) المرجع نفسه (ص13).

وترسم الشاعرة صورة أخرى للفرس، وهي صورة الجيش الذي حباء مجهزا بالحديد من خوذ وسيوف ودروع وتروس، ويلبس الجلود ومعهم بعض الجنود من العرب الذين ناصروهم من اليمن. إلا أن الشاعرة تبدي تحديا واضحا لهؤلاء الجند، ومرد ذلك ثقتها في فرسان قومها، ومن ناصرهم من شجعان العرب، تقول:

ماذا أحاذر من عشرين يقدمهم منصور في حي غسان على نجب

من الجياد عليها الحي من يمن والعجم ترفل في الماذي والليب

وعندي الأفقم الهماس في فئة منهم ظليم وعمار بن ذي كرب

وعقبة وعبادة والربيع إلى ذي العزة الفارس الحمال بالكتب

والصلت مع سالم والمالكان معاً ومسلم بعد بكر الفارس الأرب

ونافع وعمير والمروح في فرسان شيبان لا ميل ولا غضب

والأحوصان وأعواف وأحسبهم وابن المسيب من ذي الخيل بالقضب[1])

ثم إنها تسخر من جيش الفرس الذي جاء مجهزا بكامل عتاده، مغترا بقوته، وتعجب مما يخوفها بلقائه، وتتوعد الفرس في تحد وإصرار بأن يوم اللقاء هو الفاصل وسيبين الضعيف من القوي، والشجاع من الجبان، ومن يدافع عن قضية مشرفة، ومن جاء طاغيا باغيا. تقول:

لأجل عشرين ألفاً أضح صارخة في آل بكر وذا شيء من العجب

لا تكتشفوني بهذا اليوم وارتقبوا يومي لوقت اجتماع العجم والعرب[2]

في صورة أخرى لجيش الفرس، تبين لنا الشاعرة، أنه مكون من مرتزقة من أجناس مختلفة، وليس خالصا من الفرس، وذلك أن الفرس إما ضنوا بدماء أبنائهم، أو أنهم جبنوا من لقاء العرب، ولم يقدروا على مواجهتهم، والشاعرة ما زالت واثقة من النصر، غير آبهة

(1) يموت، شاعرات العرب (ص13).

(2) المرجع السابق (ص18).

بالتهديدات، وكيف تفزع من جنود الفرس ووراءها جموع من العرب الفرسان المجربين، الذين رضعوا الحرب صغارا، وخاضوا غمارها كبارا.

تقول الشاعرة في معرض ردها على رسالة الطميح ـ وهو الطميح الذي كان قائدا من قادة كسرى، وكان يضن بدماء قومه أن يهدرها كسرى ـ التي يحذرهم فيها من أن كسرى أرسل لهم جيشا عظيما:

لله درك مـــن نصـــيح صـــادق والنصـــح رأيـــك أيهـــا الإنســـان

والله يجزيـــك الـــذي أرســـلته إن المهـــيمن واصـــل منـــان

لكـــن دون الســـلم ســـمراً ذبـــلاً لمعاشـــري مـــن معشـــر فتيـــان

وصـــوارم مشـــحوذة وســـوابغ وأبـــو جيـــاد كلّهـــنّ حصـــان

واليـوم يـوم حجيجـة مـن وائـل جـــاءت بهـــا الأنبـــاء والأزمـــان

ولعمـر جـدك إن عنـاني جنـده فمعـــي لـــه الشـــفرات والمـــران

شـيبان قـومي والأعـارب دعـوتي وعزيـــزة فـــيهم فلســـت أهـــان

قـل للطمـيح: فدتـه فتيـان الـوغى عنـــدي لكســـرى القلـــب والأبـــدان

بـــالله أفـــزع مـــن كثيـــف جنـــوده وأنـــا تجيـــب لـــدعوتي العربـــان

فليـــأت كســـرى والأيافـــث بعـــده والتـــــرك والأدلام والحبشـــــان

ولـــدي أبـــيض صـــارم ذو صـــعدة عنـــد الكريهـــة باســـل مطعـــان

جنيّ حرب في الحروب مجـــرب ولـــدى الســـلامة إنـــه إنســـان

هـزم الجيـوش بجحفـل مـن قومـه لاقيـــه يـــوم لقائـــه خســـران

عنـدي السـلاهب والقواضـب والقنـا ومـــدججون، الشـــمط والشـــبان

وأنـا الحجيجـة مـن ذؤابـة وائـل وأنـــــاالمجيرة والقنـــــا رعفـــــان

أبلـغ طميحـاً يـا رسـول وقـل لـه بســـيوف تغلـــب تغلـــب الأقـــران

لا تجــزعن علـــى ربيعـــة إنهـــم أهــل النصــيحة يــا فتــى شــيبان[1]

وفي معرض حديث الشاعرة في قومها حين خيرتهم في الصبر على قتال الأعداء، وبين رحيلها عنهم هي وجارتها مستجيرة بغيرهم، وفي هذا اسثارة لهممهم وشحذ لقواهم، وتأجيج الحمية في صدورهم، في حديثها هذا ترسم الشاعرة صورة مرعبة لجيش كسرى، الذي جاء مدججا بالسلاح ولا يقف في وجههم إلا فرسان شجعان صبر على القتال. تقول:

مـاذا تـرون بنـي بكـر فقـد نزلـت كبــرى الــذوائب والأخــرى علــى الأثــر

أتصـــبرون لشـــعواء ململمـــة فيهـــا الأعـــاجم بالنشـــاب والـــوتر

أم لسـتم أهـل صـبر فـي لوازمهـا عنـــد الحفـــائظ والجـــارات والخفـــر

أنـي أجرت بكم يـا قـوم فاصطبروا فالصــبر يحلــل فــوق الأنجــم الزهــر

إمــا صــبرتم فــلا أدعــو لغيــركم وإن جــزعتم أنــادي كــل ذي حضــر

بكل سام إلـى الهيجـاء ذي شرف واري الزنــاد كــريم الجلــد مــن مضــر

ذي مـرة لا يخـاف الجنـد إن كثـروا فـــي ســادة قــادة معروفــة صــبرة[2]

من حديث الشاعرة مع قومها، يتبين لنا مدى قوة جيش الأعاجم وكثافة عدده، وكثرة عتاده، وجاهزيته للقتال، بحيث يصعب قهره إلا بالصبر والجلد، لذلك تحاول الشاعرة إعطاء شحنات نفسية لقومها فتذكرهم بالحرمات وإغاثة الملهوف وإجابة المستغيث وإجارة المستجير، وهي من أهم الأمور التي افتخر بها العربي وحرص عليها.

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص 15).

(2) المرجع السابق (ص 15 ـ ص16).

لذلك نجدها في موضع آخر تستنهض همم القبائل العربية بذكر محاسنها ومفاخرها، ومحذرة من انتهاك أعراض الحرمات الطاهرات العفيفات على يد جيش الأعاجم المرعب المخيف كثيف العدد. تقول:

إيهـاً أجيـدوا الضـرب يـا حنيفـة فـــأنتم الجمجمـــة الشـــريفة

أهــل اللقــا، والعمــدة المعروفــة والعـــدة المنســـوجة الموصـــوفة

حــامي علــى أعراضــك النظيفــة الطـــاهرات ويحـــك العفيفـــة

إن الجنـــود حـــولكم كثيفـــة فـــلا تهلكـــم وتـــزدكم خيفـــة(1)

ثم تدعوا الشاعرة قومها بني عجل ـ وفيها أخوها وأبوها ـ طالبة منهم أن يلتحموا بجيش العدو، حتى لا يكونوا صيدا سهلا لسهامهم، وهذا فهم وخبرة بالقتال، لأن فاعلية السهام تنعدم حين تنعدم المسافات بين الجند، ويلتحم الفرسان، كما تطلب الشاعرة منهم أن يمعنوا في قتل عدوهم حتى يبيدوهم عن آخرهم:

الفخـــر فخـــري بســـراة عجـــل هـــم معشـــري فـــي نجـــدهم والســـهل

هـــم الســـراة وحمـــاة الأهـــل والفـــــائقون بشـــــريف الفعـــــل

والمنعمـــون بشـــريف البـــذل والنـــــاقمون بعـــــريض الرجـــــل

إيهـــاً أبيـــدوا جمعهـــم بالقتـــل ولا تكونـــــوا غرضـــــاً للنبـــــل

واختلطوا فيهم بغير مهل(2)

كما تحذر الشاعرة قومها من الخوف والفرار من وجه أعدائهم، لأن الأعاجم ظلمة متجبرون، غلاظ شداد، إن سخت لهم فرصة سيعملون سيوفهم في الجميع شيبا وشبانا، نساء وأطفالا، لذلك تستنهضهم بقولها إن الذي يطلب العليا لا يخشى الموت، بل يزود عن حماه، ويسعى لمبتغاه، من أجل تحقيق العزة والشرف، اللذين يكمنان في النصر على الاعداء.

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص16).

(2) المرجع السابق (ص18).

تقول:

إيهاً بني شيبان صفاً بعد صف من يرد العلياء لم يخش التلف

من حاذر الموت تنحى ووقت إن الشجاع باسل فيه الصلف

إن تقبلوا نظفر، ونحذر ونخف وفي الفرار يولجوا فينا الأكف

اليوم يوم العز موصوف الشرف إن حافظت قومي فما بي من أسف[1]

وتصر الشاعرة على رسم صورة الأعاجم الطغاة الذين حاؤوا غاضبين حانقين، لا يألون في العرب ألا ولا ذمة ،ويريدون أن يهلكوهم جميعا، لذلك وجب على قومها الصبر والجلد:

اليوم يوم العز لا يوم الندم يوم رماح وجياد وخدم

يوم به الأرواح جهراً تصطلم سوف ترى البيض غداة المبتسم

للوائليات التي تحمي البهم يا آل بكر لا تهلكم العجم

من يحمي الخيام والنعم؟ ومن يطاعن تحت سربال القتم

إن صبرت ذهل فعزي اليوم تم[2]

وفي مشهد آخر تظهر الشاعرة الأعاجم وهم يتخطفون بأيدي العرب الذين أسرفوا فيهم قتلا، تقول:

أنا ابنة العز وعرضي اليوم عف بكل نصل كالشهاب المختطف

نخطف قوماً قد عفونا بسرف[3]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص17).

(2) المرجع السابق (ص17).

(3) المرجع نفسه (ص 18).

وتقول حين اشتد القتال حاثة قومها على مزاحمة العدو عند العقبة:

يا عمرو يا عمرو الفتى بن ثعلبه حـــام علـــى جارتـــك المســـتقربة

وزاحم العجمان عند العقبة[1]

وتخاطب الشاعرة العرب الذين كانوا يناصرون الفرس ضد قومهم العرب، طالبة منهم خذلان الفرس ونصرة أهلهم العرب فأن فعلوا تحفف النصر للعرب على الفرس. تقول:

لـيس للعجـم نصـرة فـي عشـيري إن أراد الطمـــيح نجـــل الكـــرام

إن تولـــت لنـــا إيـــاد انهزامـــاً كـــان مـــنهم هزيمـــة الأعجـــام

وملكنـــا العلـــو والفجـــر طـــول الـــدهر حتـــى أواخـــر الأيـــام[2]

وهناك مشهد مهيب لنتيجة معركة شديدة تتمناها الشاعرة، وهذا المشهد لجيش الأعاجم، وهم بين صرعي على ساحة المعركة، ودماؤهم تملأ المكان، ومتفرقين بين فار لا يلوي على شيء سوى صون دمه، والحفاظ على حياته، ومستلم لا حيلة له. وخيل للعرب تطاردهم في كل مكان. تقول الشاعرة:

يـا عمـرو يـا مـن قـد أجـار الحرقـة يـــا رأس شـــيبان الكمـــاة المعرقـــة

يـــا فـــارس العاديـــة المحققـــة اليـــوم يـــوم مـــا العيـــون أرقـــة

إذا رأت فيـــه دمـــاء مهرقـــة والعجـــم صـــرعى جمعهـــم مفترقـــة

مقتولـــة تنفـــر شـــتى، قلقـــة أدرك شـــهاباً فهـــو اليـــوم الثقـــة[3]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص18).

(2) المرجع السابق (ص19).

(3) المرجع نفسه (ص19).

وبعد انتصار العرب على الفرس انتصارا عظيما في واقعة (ذي قار) تزهو الحزقة بالنصر، فتقول:

رغمنا بعمرو أنف كسرى وجنده وما كان مرغوما بكل القبائل

هذا قصارى الأمر فاحمل محسرا لكميك ما بين الظبا والذوابل[1]

لقد مرغ العرب أنف كسرى وجنوده بالتراب، وأرجعوهم مهزومين مدحورين، لم يحققوا مبتغاهم، وغنم العرب منهم مغانم عظيمة، وأهمها الغنم المعنوي وهو حماية أعراضهم، وصونها، وحفظ جارتهم من أن يمسها السوء. لذلك نجد الحرقة تمدح صفية بنت ثعلبة وقومها وتعرض بكسرى وقومه. فتقول:

المجد والشرف الجسيم الأرفع لصفية في قومها يتوقع

ذات الحجاب لغير يوم كريهة ولذا الهياج يحل عنهم البرقع

لا أنس ليلة إذ نزلت بسوحها والقالب يخفق والنواظر تدمع

والنفس في غمرات حزن فادح ولهم الفؤاد كئيبة أتفجع

مطرودة من قتل أبوتي ما إن أجار ولم يسعني المضجع

ويئست من جار يجير تكرماً فتحل عن عيسي لديه الأنسع[2]

وتصور الحرقة عدوان كسرى والفرس على العرب، حيث أرسلوا الحملة بعد الحملة ضد العرب، إلا أنهم فشلوا في تحقيق مبتغاهم حيث الهزائم المتتالية، والانكسارات المتوالية، والخسائر الكبيرة في الجند والعتاد والمال، تقول:

وألح كسرى بالجنود عليهم وطميح يردف بالسيوف ويدفع

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص23).

(2) المرجع السابق (ص24).

كـم زادهـم مـن غـارة ملمومـة بالقـب تعطـب والأسـنة تلمـع

وهـم عليـه واردون بطـرفهم والنصـر تحـت لـوائهم يترعـرع

حتـى غـدا الفرسـيّ فـي أجنـاده والقـوم جرحـى والمـذاكي ظلّـع

فهنـاك أرجفـت الـبلاد ومـن ب هـا الأحيـاء مـن يمـن ومـن يتربـع

وتحيـروا فشـفت صـفية مفخـراً ودعـت قبائـل شـرها لا يقلـع[1]

ورغم هذا العداء المحتدم بين العرب والفرس في العصر الجاهلي كما رأينا، ورغم هذه الحرب الشعواء بينهم، إلا أننا قد نجد من العرب من يفخر بأمه الأعجمية، مثل زينب بنت فروة التميمية التي افتخرت بأمها الأعجمية قائلة:

وإن ابنـة الـدهقان كسـرى تنولـت بطعـن الكمـاة واخـتلاس المعابـل

ولـم يحتطـب أمـي علـى غيـر ثلـةٍ ولـم يحتطـب إلا بطعـن المقاتـل

إلـى المـوردات المـوت والمصـدراته أولات المنـون كـالقنى الـذوابل

فطارت لوادي الزند لا واهي القوى ولا بـرم نكـس كثيـر الغوائـل

مـن اللابسـات الـريط زهراء لـم تبت تحـش مـع الآمـاء وقـد المراجـل

ولـم يـر فـي أفنـاء مـرة مثلهـا ولا عنـد قيسـي غنيمـة قافـل[2]

وأخيرا يمكن القول أن المرأة العربية نظرت للأعجمي على أنه كائن غريب لا تألفه، وعدو لا تأمنه، ووضيع لا ترضى الزواج به، منطلقة من انتماء لأصالة في الحسب، وشرف في النسب، وعصبية غير خفية.

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص25).

(2) المرجع السابق (ص94). وابن طيفور، بلاغات النساء (ص182).

الفصل الرابع

الدراسة الفنية

(اللغة – الصورة البيانية – الموسيقى)

المبحث الاول

اللغة

اللغة: هي أحد العناصر الأربعة التي تعارف عليها النقاد قديما وحديثا وهذه العناصر هي: العاطفة، والخيال، والمعنى، واللغة، وتتحدد نسبة الجودة في العمل الأدبي، بمدى الإجادة فيها.

"واللفظة تعتبر السبب الأساسي لكل نقد يوجه إلى اللغة، ولا غرابة في ذلك، فاللفظة هي أصغر الوحدات ذات المعنى في الكلام المتصل " [1]

واللفظ يخضع لمقاييس جودة تجعلنا نصدر أحكامنا عليه وفقها، فيا ترى ماذا قال عنه القدماء، يقول قدامة بن جعفر: " نعت اللفظ أن يكون سمحا، سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة " [2]

وربما يكون قول الجاحظ أكثر وضوحا حين يقول: " وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا، وساقطا سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون وحشيا، ألا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي. وكلام الناس من طبقات، كما أن الناس من طبقات " [3]

فالجاحظ يرى أن للبيئة أثرا واضحا في اللغة، فلغة البادية وحشية، جزلة، بينما لغة الحاضرة سهلة لينة سلسة رقيقة.

إن اللفظ الجيد، هو الذي تتباعد مخارج حروفه، فيسهل نطقه، ويجب أن يكون حسن الوقع على السمع، وألا تكون الكلمة وحشية غريبة غير مألوفة الاستعمال، وألا تكون عامية مبتذلة، أو ساقطة سوقية.

وأن تكون الكلمة جارية على القواعد العربية في التصريف، وألا تكون كثيرة الحروف لكي لا تثقل على اللسان في النطق، ثم ينبغي أن تكون الألفاظ مشاكلة للمعاني التي تعبر عنها

---

(1) كامل، دلالة الالفاظ العربية وتطورها (ص6).

(2) قدامة، نقد الشعر (ص74).

(3) الجاحظ، البيان والتبيين (ج1/ 144).

– فالمعني الخسيس يعبر عنه لفظ الخسيس – أما التراكيب فينبغي أن تكون خالية من التنافر [1].

وهناك عوامل غير البيئة تؤثر في اللغة، مثل الثقافة، والموضوع فالثقافة كان لها تأثير بارز على لغة الشواعر المسلمات، وذلك أن أثر الدين الإسلامي بدا بينا واضحا في لغتهن، وأما بالنسبة للموضوع فهو أيضا له أثر بارز، فلغة شعر الرثاء ليست كلغة الغزل مثلا، لأن كل موضوع له ألفاظه التي تعبر عنه، يقول ابن الاثير: " إن الألفاظ تنقسم في الإستعمال جزله ورقيقة، ولكل منها موضوع يحسن استعماله فيه، فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب، وفي قوارع التهديد، والتخويف وأشباه ذلك، وأما الرقيقة منها فانه يستعمل في وصف الأشواق، وذكر الأيام البعاد، وفي استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك " [2]

يجمع النقاد العرب القدماء والمحدثون على جودة الشعر الجاهلي وحسن تنظيمه، وقوة سبكه، وجمال صوره، ولطافة معانيه وصدقها، وقوة مبناه، وعمق ولالته، [3]

حيث فرضت اللغة الجاهلية نفسها على لغة الشعر في العصر الاسلامي فقد " بقي شعر المحضرمين في غالبه محافظا على عظمة الشعر الجاهلي وأسلوبه متمسكا بالمثالية التي كان يصدر عنها الشعر قبل الاسلام، فهو بعامة يتسم بالايجاز، وقوة التعبير، وجزالة اللفظ، وتعدد الموضعات، وبراعة الأوصاف " [4]

وليس هذا الأمر في لون واحد من ألوان الشعر، بل في أغراضه المختلفة، يقول يحيى الجبوري: " أما من حيث عموم الشعر فالنهج الجاهلي هو السائد في أساليب الشعراء في المديح، والهجاء، والفخر والرثاء " [5]

لكن اللغة لم تظل جامدة متوقفة عند العصر الجاهلي بل إنها أبدت حيوية كبيرة حين استقبلت يدعي ورحابة صدر هذا الزخم الحضاري الهائل المتمثل بالإسلام الذي بدوره حقق لها شخصيتها الفذة المستقلة ومنحها طاقات أكبر، وأكسبها مرونة أكثر كي تنمو وتتطور، وهذا لا

---

(1) ينظر: قدامة، جواهر الالفاظ (ص3– ص8) عن ابي علي، نبيل، شاعرات عصر الاسلام الاول (ص166).

(2) الشايب، الاسلوب (ص76).

(3) ينظر: الحديثي، دراسات نقدية في الشعر العربي (ص19).

(4) الجبوري، شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه (ص348).

(5) المرجع السابق (ص348).

يعني أنها خلعت ثوبها القديم بقدر ما يعني أنها ثبتت جذورها ورفعت ورفعت جذعها فرعت فروعها. [1]

لقد استخدمت شواعر الجاهلية الفاظ البكاء بكثرة في شعر الرثاء، ومثل هذه الالفاظ والتراكيب كانت ذات أثر واضح في رثاء النساء قبل الإسلام تقول الخنساء:

أعينـــــي جـــــودا ولا تجمـــــدا ألا تبكيـــان لصـــخر النـــدى [2]

وتقول:

أعينـــي هـــلا تبكيـــان علـــى صـــخر بـــدمع حثيـــث لا بكـــي ولا نـــذر [3]

وتقول عاصية البولانية [4]:

أعاصـــي جـــودي بالـــدموع الســـواكب وبكـــي لـــك الـــويلات قتلـــى محـــارب [5]

وتقول سبيعة بنت عبد شمس:

أعينـــي جـــودا علـــى المطلـــب بويـــل ومـــا لـــه منســـكب [6]

وتقول عاتكة:

أعينـــــي جـــــودا ولا تـــــبخلا بـــدمعكما بعـــد نـــوم النيـــام [7]

---

(1) النعمة، المراثي الشعرية في عصر صدر الاسلام (ص197).

(2) الخنساء، الديوان (ص31).

(3) المرجع السابق (ص48).

(4) عاصية البولانية بنت عبد العزى الطائي، كانت شاعرة مجيدة وشعرها قليل، قيل: إن بني محارب غزت طيئاً وفتكت فيهم لغياب سراتهم ورجعت غانمة فقالت عاصية تندب قومها وتهجو محاربا بقولها:
أعاصي جودي بالدموع السواكب... وبكى لك الويلات قتلى محارب.
ينظر :العاملي، الدر المنثور،(ص326).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص71).

(6) المرجع السابق (ص114).

(7) المرجع نفسه، (ص115).

وعلى نهج شاعرات الجاهلية سارت شاعرات الاسلام، فهذه ليلى الاخيلية تبدا كثيرا من مقطوعاتها الشعرية، وقصائدها بمطالع بكائية كالتي كانت في العصر الجاهلي تقول:

أيــا عــين بكــي توبــه ابــن الحميــر بســح كفــيض الجــدول المتفجــر [1]

وتقول:

يــا عــين بكــي بــدمع دائــم الســجم وأبكــي لتوبــة عنــد الــروع والــبهم [2]

وتقول:

لتبــك العــذارى مــن خفاجــة كلهــا إلــى الحــول صــيفا دائبــات ومربعــا [3]

وتقول فاطمة بنت الأحجم:

يــا عــين بكــي عنــد كــل صــباح جــــودي بأربعــــة علــــى الجــــراح [4]

وتقول ابنه عقيل بن أبي طالب:

عينــــي ابكــــي بعبــــرة وعويــــل وانــــدبي أن نــــدبت آل الرســــول [5]

وتقول زينب بنت العوام:

أعينــــي جــــودا بالــــدموع فأشــــرعا علــى رجــل طلــق اليــدين كــريم [6]

ويمكن أن نتبين مما سبق أن الشاعرة في العصر الإسلامي حذت حذو الشاعرة الجاهلية في المطالع البكائية، وهذا ليس لأن الشواعر المسلمات حديثات عهد بالإسلام، فهذا

---

(1) الاخيلية، الديوان (ص71).
(2) المرجع السابق (ص71).
(3) المرجع نفسه (ص86).
(4) يموت، شاعرات العرب (ص164).
(5) المرجع السابق (ص166).
(6) المرجع نفسه (ص171).

حكم ربما ينطبق على البعض من المحضرمات، ولكن ليلى الأخيلية (ت 980) شاعرة متاخرة وابنة عقيل قالت شعرها بعد استشهاد الحسين – رضى الله عنه، وهذا في وقت متأخر ولكن المرأة تظل هي المرأة، رقيقة الشعور، مرهفة الإحساس، ضعيفة، تلجا إلى تفريغ شحناتها النفسية، وتوتراتها، وآلامها، وما يعتريها من خلال البكاء والندب والعويل والصراخ، فهذا هو متنفسها في كل زمان.

لقد تفاوتت لغة الشواعر في هذه المرحلة من الأدب العربي، فمن الشاعرات من كانت ألفاظها تميل الى الجزالة والعرابة ومنهن من كانت لغتها سهلة واضحة، تنسب انسيابا ومنهن من لجات إلى اللغة الجزلة متينة التركيب واضحة المعنى.

ومن الشواعر اللاتي استخدمن لغة غريبة في شعرهن ام قيس الضبيه اذ تقول:

مـــن للخصـــوم إذا جـــد الضـــجاج بعـد ابـن سـعد ومـن للضـمر القـود

فرجتـــه بلســـان غيـــر ملتـــبس عنـد الحفـاظ وقلـب غيـر مـزؤود [1]

فكلمة (الضجاج) وكلمة (مزؤود) لفظتان مغرقتان في الغرابة التي تحتاج الى البحث عن معناهما في كتب المعاجم.

ومن الشواعر اللاتي كانت ألفاظهن جزلة قوية، وتقدمن على غيرهن من شواعر عصرهن، الخنساء، التي كانت تول شعرها اهتماما خاصا في لغته وموسيقاه، حتى غدا شعرها شواهد على الوان من البديع. تقول:

حـامي الحقيقـة محمـود الخليقـة مهـ دي الطريقـــة نفـــاع وضـــرار

فعـــال ســـامية وراد طاميـــة للمجـــد ناميـــة تعنيـــه اســـفار

جـــواب قاســـيه جـــزار ناصـــية عقـــاد الويـــة للخيـــل جـــرار

حلـــو حلاوتـــه فصـــل مقالتـــه قـــاس حمالتـــه للعظـــم جبـــار [2]

(1) شاعرات، يموت العرب (ص87).

(2) الخنساء، الديوان (ص46).

أن الذي ساعد الخنساء على الإهتمام بألفاظها سعة قاموسها اللفظي، وهذا يجعها تنساق أحيانا خلف الألفاظ والمواءمة بين أصواتها، حتى ليؤخذ عليها أحيانا التكلف وتظهر الصنعة في شعرها. [1]

ومن الشواهد على لغتها السهلة الواضحة قولها:

يـــذكرني طلـــوع الشـــمس صـــخرا وأذكـــره لكـــل غـــروب شـــمس

ولـــولا كثـــرة البـــاكين حـــولي علـــى إخـــوانهم لقتلـــت نفســـي

ولكـــــن لا أزال أرى عجـــــولا وباكيـــة تنـــوح ليـــوم نحـــس [2]

ومن الشعر الذي جمع بين جمال اللغة ورصانتها وجزالتها، وبين حسن النظم والصياغة، مما جعلها قطعة موسيقية غاية في الإتقان، قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب:

وحـــي أبحـــت وحـــي صـــبحت غـــداة الهيـــاج منايـــا عجـــالا

وخـــوف وردت وثغـــر ســـددت وعلـــج شـــددت عليـــه الحبـــالا

ومـــال حويـــت وخيـــل حميـــت وضـــيف قريـــت يخـــاف الوكـــالا [3]

ومثلها الفارعة بنت شداد، التي جاءت ألفاظها قوية معبرة، مع جودة في النظم، وجمال في المعنى، تقول:

شـــهاد أنديـــة رفـــاع ابنيـــة شـــداد ألويـــة فتـــاح اســـداد

نحـــار راغيـــة قتـــال طاغيـــة حـــلال رابيـــة فكـــاك اقيـــاد

قـــوال محكمـــة نقـــاض مبرمـــة فـــراج مبهمـــة حبـــاس اوراد

حـــلال ممرعـــة حمـــال مضـــلعة قـــراع مفظعـــة طـــلاع انجـــاد [4]

---

(1) ينظر ابو علي، شاعرات عصر الاسلام الاول (ص174).

(2) الخنساء، الديوان (ص72).

(3) ماريني، شواعر الجاهلية (ص 235 – ص 236).

(4) المرجع السابق (ص290).

ومن الشعر الذي جمع بين البناء المحكم، وملاءمة الألفاظ لمعانيها قول جنوب:

فأقسم يا عمرو لو نبهاك إذن نبها منك داء عضالا

إذن نبها غير رعدية ولا طائش رعش حين صالا

إذ نبها ليث عريسة مفيدا مفيتا نفوسا ومالا

إذ نبها واسعا ذرعه جميع السلاح جليدا بسالا

هزبرا فروسا لاقرانة أبيا اذا صاول القرن صالا [1]

لقد أعجب القدماء بهذه القصيدة، حتى قال عنها ابن طباطب: " وأحسن الشعر ما يوضع فيه كل كلمة موضعها، حتى تطابق المعنى الذي أريدت له، ويكون شاهدها معها لا يحتاج الى تفسير من غير ذاتها... فتامل تنسيق هذا الكلام وحسنه " [2]

ولا شك أن الدين الاسلامي أحدث اثرا كبيرا في العرب، فهذب سلوكهم، ورقق طبعه، وأثر في لغتهم التي مالت الى السهولة والوضوح والبعد عن الوحشية والغرابة، لأن ذلك لم يعد يناسب العصر، ولكن التغيير كان بطيئا. يقول ابن فارس " كانت العرب في جاهليتها على إرث آبائهم في لغاتهم، وآدابهم، ونسائكهم، وقرابينهم، فلما جاء الله – جل ثناؤه – بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخرى، بزيادات زيدت وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفا الآخر الأول " [3]

ويقول الشورى: " كان الشعر في أوائل ظهور الإسلام خالية من آية مسحة دينية، أو أي لفظة تشعرنا بأننا قد نظمت في ظلال الدين الجديد...وهذا أمر طبيعي، لأن حياة المسلمين لم تكن قد اكتملت بعد في تلك الأيام، ومن ثم لم يستطع هؤلاء الشعراء استيعابها وفهمها فهما جيدا، حتى يتناولها في أشعارهم، وبمرور الزمن، وانتشار الإسلام وتوالي نزول القرآن، ودوام

(1) ماريني، شواعر الجاهلية (ص 233 – ص234).

(2) ابن طباطبا، عيار الشعر (ص 215 – ص 216).

(3) ابن فارس، الصاحبي فقه اللغة (ص78).

تلاوتة، بدأت ألفاظ جديدة تتسلل إلى أشعار هؤلاء الشعراء وتتردد على شفاههم، محاولين تحرير تلك الأشعار من الخشونة والتعقيد اللفظي مما درجوا عليه في العصر الجاهلي " [1]

ومثال ذلك قول صفية بنت عبدالمطلب ترثي النبي (صلى الله عليه وسلم):

ألا يـــا رســـول الله كنـــت رجاءنـــا وكنـــت بنـــا بـــرا ولـــم تـــك جافيـــا

وكنـــت رحيمـــا هاديـــا ومعلمـــا ليبـــك عليـــك اليـــوم مـــن كـــان باكيـــا

فـــدى لرســـول الله امـــي وخـــالتي وعمـــي وخـــالي ثـــم نفســـي ومماليـــا

فلـــو أن رب النـــاس ابقـــى نبينـــا ســـعدنا ولكـــن أمـــره كـــان ماضـــيا

عليـــك مـــن الله الســـلام تحيـــة وأدخلـــت جنـــات مـــن العـــدن راضـــيا [2]

وفي رثاء حمزة تقول:

دعـــاه إلـــه الحـــق ذو العـــرش دعـــوة إلـــى جنـــة يحيـــا بهـــا وســـرور

فـــذلك مـــا كنـــا نرجـــي ونرتجـــي لحمـــزة يـــوم الحشـــر خيـــر مصـــير

فـــوالله لا أنســـاك مـــا هبـــت الصـــبا بكـــاء وحزنـــا محضـــري ومســـيري

علـــى أســـد الله الـــذي كـــان مـــدرها يـــذود عـــن الإســـلام كـــل كفـــور [3]

لقد ظهرت ألفاظ جديدة في شعر النساء في صدر الإسلام وعصر بني أمية لم تكن موجودة في العصر الجاهلي، وإنما الذي أوجدها هو الدين الجديد فأصبحنا نجد ألفاظا مثل: (الجنة – النار – الشهادة – الإيمان – الكفر –الحلال – الحرام – التقوى – الجهاد – أمير المؤمنين – النور – الضياء – خاتم الأنبياء)

---

(1) الشوري، شعر الرثاء في صدر الاسلام (ص104).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص117).

(3) المرج السابق(ص116).

وبعد ذلك يمكن القول أن ألفاظ شواعر الجاهلية مالت إلى الجزالة والقوة، والخشونة والغرابة أحيانا في جميع أغراض شعرهن أما مع مجيء الإسلام فقد لانت الألفاظ وسهلت، ودخلت مفردات جديدة قاموس شواعر الإسلام سواء المخضرمات أم غيرهن من الجدد وهذا التغيير كان بطيئا، حيث ظل عدد كبير من الشواعر المخضرمات يحتفظن، بمفردات العصر الجاهلي الذي كان غير بعيد عنهن.

المبحث الثاني
الصورة البيانية

المطلب الأول: مفهوم الصورة:

الصورة اصطلاحا:

الصورة عنصر أساسي من عناصر الإبداع الشعري، فمن خلاله يتأكد مهارة الشاعر، وتثبت براعته في عملية الخلق الفني. [1]

ومع ذلك نجد اختلافا بين النقاد، بشأن الدلالة الفعلية والحقيقية لهذا المصطلح، لكونه تشكيل جمالي متفرد يصعب تعيين ماهيته، فتشعبت الدراسات النقدية التي تناولته، وذهبت بخصوصه مذاهب شتى، [2] ،لكنها في نهاية الأمر، أسفرت عن وجود أنماط متعددة لمصطلح الصورة، وكل نمط يقوم على عناصر ويضطلع بوظيفة. [3]

ومن المفاهيم التي قاربت معنى الصورة: "أنها رسم قوامه الكلمات " [4] فهي ترسم لوحة جميلة في ذهن المتلقي، مجسدة المعنى عن طريق الالفاظ والمفردات وحيث أن المبدع يستمد صورة من الواقع الذي يتأمله جيدا، ثم ينقل هذه الصورة، إلى الشعر، بعد أن يعيد تشكيلها، معتمدا على عنصر الخيال، بإعتباره القوة التركيبية، والسحرية التي تساعده على التوفيق، بين الصفات المتضادة، أو المتعارضة، وأيضا بين العناصر المتباعدة، والمتنافرة، من أجل خلق عالم متميز في جدته وتركيبه. [5]

لذا قيل عنها:"هي إدراك حسي ولكنه إدراك ينفد إلى باطن الأشياء " [6] ويمكن أن نخلص إلى أن الصورة، تقوم على دعامتين أساسيتين هما: الواقع الذي تستمد منه مادتها، والخيال الذي يعيد تشكيل تلك المادة. [7] وفاعلية الصورة لا تتحقق في العمل الفني إلا إذا

---

(1) ينظر أخذاري : الخطاب الشعري (ص98).
(2) ينظر: صالح الصورة الشعرية في النقد الادبي الحديث (2105).
(3) صفير، فاطمة، اساليب البيان في الشعر النسوي القديم (ص235).
(4) لويس، الصورة الشعرية، ترجمة احمد نصيف الخباني (ص21).
(5) عبدالرحمن، في النقد الحديث (ص197).
(6) ينظر: عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي (ص17).
(7) ينظر، صغير ، فاطمة، اساليب البيان في الشعر النسوي القديم (ص235).

كانت شديدة الصلة بالعاطفة الإنسانية، التي تثريها وتغلفها بمختلف الأحاسيس، والإنفعالات مما يجعلها ذات تأثير في نفس المتلقي. [1]

لقد أفرزت الدراسات النقدية المعاصرة أنماطا متعددة للصورة، منها الصورة الفنية، والصورة الشعرية، والصورة البلاغية، التي منها الصورة البيانية علما أن مصطلح الصورة متداول في الدراسات العربية القديمة، وقد أريد به هيئة الكلام وسمته، وسمته، بحيث يتناسب مع شكل الإبداع، ويميز صاحبه عن غيره من المبدعين.

يقول الجاحظ (255هـ): "وإنما الشعر صياغة، وضرب من التصوير " [2]

ويقول عبد القاهر الجرجاني (471هـ):" واعلم أن قولنا: الصورة إنما هو تمثيل وقياس، لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا... ثم وجدنا بين في أحد البيتين وبينة في الأخر بينونة في عقولنا، وفرقا عبرنا عن ذلك الفرق، وتلك البينونة، بأن قلنا للمعنى، في هذا صورة، غير صورته في ذلك " [3]

والصورة مصطلح عام يتضمن التشبيه، والإستعارة، والكناية، والرمز مما يؤدي إلى وضوح المعنى بطريقة فنية، يقول رابح بو حوش: " الصورة في الشعر، هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات، بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص، ليعبر عن جانب، من جوانب التجربة الشعرية الكاملة، مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها، في الدلالة والتركيب، والإيقاع، والحقيقة والمجاز، والترادف، والتضاد، والمقابلة، والتجانس " [4]

وبهذا يمكن القول أن البيان مكون من مكونات الصور الجزئية، التي تكون مجتمعة الصورة الكلية. أما البيان، فهو الإفصاح مع الذكاء، ويعني أيضا كشف المعنى، وإظهار المقصود بأبلغ لفظ. [5]

وفي كتب السابقين ورد المصطلح بمعنى القدرة على التعبير بأسمى وسائل الاداء الفني، كاللفظ الموحي، والصورة المعبرة، والتركيب المحكم. [6]

---

(1) ينظر الصايغ، الاستعارات في الشعر العربي الحديث(ص29).
(2) الجاحظ، الحيوان (ص132).
(3) الجرجاني، دلائل الاعجاز، (ص507).
(4) بوحوش، اللسانيان، وتطبيقاتها على الخطاب الشعري (ص152).
(5) ينظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (ب. ي. ن).
(6) سلطاني، البلاغة العربية في فنونها (ص101).

وإذا كان الجاحظ (255 هـ) قد جمع كل علوم البلاغة تحت هذا المصطلح في كتابة البيان والتبيين، فان البيان أصبح علما مستقلا بذاته، له أصوله وقواعده، حددها الطيب القزويني بقوله: "هو علم يعرف ايراد المعنى الواحد، وإبرازه في صور مختلفة، وتراكيب متفاوتة ،زيادة ونقصانا، في وضوح الدلالة عليه، ليحترز بالوقوف، على ذلك عن الخطأ، في مطابقة الكلام لتمام الدلالة." [1]

إذا البيان بأشكاله البلاغية، التشبيه والإيجاز والكناية يساعد المبدع على التعبير عن المعنى الواحد بأساليب عدة وبطرائق مختلفة فالصورة البيانية تزيد الفكرة وضوحا وقوة وتأثيرا في نفس المتلقي.

فالصورة البيانية: " هي طريقة التعبير عن المرئيات، والوجدانيات باثارة المشاعر وجعل المتلقي، يشارك المبدع أفكاره، وإنفعالاته." [2]

إذا الصورة البيانية غدت أمرا مهما، لأنها تمثل الإبداع الفني، الذي الجمال الكامن في الطبيعة، ويقدمه للمتلقي، مغلفا بالمشاعر والأحاسيس، وممزوجا بالخيال الشعري الواسع، مما يجعل المتلقي يحيا في عالم ساحر جميل.

المطلب الثاني:التشبيه:

أولا: مفهوم التشبيه

التشبيه لغة: التمثيل، وهو مصدر مشتق من الفعل " شبه"، نقول شبهت هذا بهذا تشبيها، أي مثلته به." [3]

أما إصطلاحا: فهو الدلالة على أن شيئا أو صورة تشترك مع شي آخر أو صورة أخرى في معنى أو صفة. [4]، ويراد به أيضا إلحاق أمر بآخر في صفة مشتركة بينهما، لغرض يقصده المتكلم ويرمي إليه. [5]

---

(1) القزويني، تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع (ص133).
(2) مطلوب، الصورة في شعر الاخطل الصغير (ص35).
(3) ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش. ب. هـ).
(4) ينظر وهبة، والمهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب (ص99).
(5) ينظر فيود، دراسات بلاغية (ص99).

ومن العلماء القدامى الذي تحدثوا عن التشبيه ابن رشيق القيرواني (436هـ) الذي عرفه بقوله:"التشبيه صفة الشيء بما قاربه، وشاكله، من جهة واحدة، أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو نسبه مناسبة كلية لكان إياه " [1].

أما عبد القاهر الجرجاني فقد درسه درسة موسعه وربطه بسائر الفنون البيانية، وعرفه بقوله:" التشبيه أن يثبت لهذا معنى من معاني ذاك، أو حكما من أحكامه كإثباتك للجل شجاعة الأسد، وللحجة حكم نور " [2]

وعرفه السكاكي (ت 626هـ)، بقوله:" إن التشبية مستودع طرفين: مشبها، ومشبه به، اشتركا من وجه، وافترقا في آخر " [3]

إما القزويني فقال:" هو إلحاق شيء بآخر، بينهما صفة مشتركة ". [4]

وللتشبيه أهمية بالغة في أشاد بها القزويني بقوله:" وإذ قد عرفت معنى التشبيه في الإصطلاح فأعلم أنه مما إتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره، في فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني به، لا سيما قسم المثيل منه، يضاعف قواها في تحريك النفوس، إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذما أو إفتخارا ". [5]

فلا عجب بعد ذلك إن يجد التشبيه حظوة عند العلماء، والأدباء والأمراء والخلفاء، يتدارسون أقوال الشعراء فيه، يوازنون بين الأقوال ثم ينقسمون هذا يفضل قولا وذاك يفضل آخر.

وما ذاك إلا لأن:" التشبيه يزيد المعنى وضوحا، ويكسبه تأكيدا، ولهذا أطبق جميع المتكلمين، من العرب، والعجم عليه، ولم يستغنى أحد منهم عنه " [6]

ويكاد يجمع الباحثون على أنه من أكثر أساليب البيان تأثيرا في النفس، حيث ينقلها من المعقول إلى المحسوس، ومن الفكرة إلى الفطرة، ومن الغموض إلى البديهة وبذلك تزول شوكتها وتتلاشى أوهامها.[7]

---

(1) ابن رشيق، العمدة في الشعر (ج241/1).
(2) الجرجاني، اسرار البلاغة (ص267).
(3) السكاكي، مفتاح العلوم (ص439).
(4) القزويني، تلخيص مفتاح العلوم (ص135).
(5) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ص136).
(6) العسكري، الصناعتين (ص216).
(7) ينظر عباس، فضل، اساليب البيان (ص259).

وللتشبيه أهمية خاصة بالنسبة للمعاني، وهذا يظهر في قول الزفحشري:" لضرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر، شأن ليس بالخفى، في إبراز خبيئات المعاني، ورفع الأستار، حتى يريك المتخيل، في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد ". [1]

وهو " أعلق بالطبع، والذ للنفس وله نفع عظيم في باب الخطابة " [2]

وهو لأهميته يعد مقياسا للحكم على الشعراء والمفاضلة بينهم، يقول القاضي الجرجاني:" وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب ". [3]

ومن المحدثين الذين تعرضوا لأهمية التشبيه مصطفى الصاوى الجويني الذى قال:" تكمن بلاغة التشبيه في أنه، ينتقل بك من الشيء نفسه ،الى شيء طريف يشبهه، وصورة بارعة تمثله، وكلما كان هذا الإنتقال بعيدا، قليل الخطور بالبال، أو ممتزجا بقليل أو كثير من الخيال، كأن التشبيه أروع للنفس، وأدعى إلى إعجابها ". [4]

أما فايز الداية فيرى أن الصورة تكتسب قيمتها من خلال الجوانب المتعددة التى تتعامل معها، سواء أكانت محسوسة، أو مجردة، ويقول:" الصورة التشبيهية تعامل مع الواقع المحسوس بأبعاده، ومع الجوانب التجريدية الفكرية، ومع أعماق الإحساس النفسى الداخلى، وهى تتوزع بحسب المواقف الانفعالية ". [5]

ويرى عدنان قاسم أن التشبيه يمنح النص كثافة تصويرية، وأبعادا إيمائية تجذب اهتمام المتلقى، لذلك يعد تصويرا يكشف عن حقيقة الموقف الجمالى الذى عاناه الشاعر أثناء عملية الإبداع، ويرسم أبعاد ذلك الموقف عن طريق المقارنة بين طرفي التشبيه، مقارنة لا تهدف إلى تفضيل أحد الطرفين على الآخر، بل تربط بينهما في حالة أو صيغة أو وضع. [6]

---

(1) الزمخشري، الكشاف (ص39).

(2) الجرجاني، الاشارات والتنبيهات (ص171).

(3) الجرجاني، الوساطة بين المتبني وخصومه (ص33).

(4) الجويني، البيان في فن الصورة (ص33).

(5) الداية، جماليات الاسلوب (ص72).

(6) ينظر قاسم، التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية (ص53).

إذا للتشبيه دور مهم وعظيم في إيصال المعنى وتأكيده، فتن به الشعراء وأولعوا به ولع شديدا، فجاؤا بأجمل التشبيهات، والشواعر جزء مهم في المجتمع، وشريحة بارزة مبدعة في هذا المجال، لذلك أثر الباحث دراسة شعرهن دراسة بلاغية، للوقوف على مواطن الإبداع والجمال فيه.

ثانيا: مصادر التشبيه في شعر المرأة:

استمدت الشاعرة العربية تشبيهاتها من البيئة التي كانت تحيط بها، فنقلت مشاهداتها لبيئتها بعد أن غلفتها بخيالها، وشكلها، بفكرها، ومزجتها بعاطفتها وإحساسها، مما جعلها ذات تأثير في المتلقين حسب براعة المبدع الذي أبدعها.

لقد تحدث الباحثون العرب عن المصدر الذي استمدت منه الشاعرة مادتها التي رجعت إليها في تصويرها، زمنها الذي نهلت منه تشبيهاتها، فهذا ابن بطوطة يقول:"واعلم أن العرب، أودعت أشعارها، من الأوصاف والتشبيهات، والحكم، ما أحاطت به معرفتها، وادركته عيناها، ومرت به تجاربها، وهم أهل بر، صحونهم البوادي، وسقوفهم السماء، فليست تعدو أوصافهم ما رأوا منها وفيها " [1]

وإلى مثل هذا القول يذهب مصطفى الصاوي الجويني حيث يرى أن الشاعر إنما ينقل من بيئته، وهو على مر العصور ظل كذلك أسير البيئة التي يحيا فيها، يقول:" هو فن من فنون التعبير الشعري، أولع به الشعراء، منذ الجاهلية، فوافق طبائعهم، وجاء مستمدا من بيئتهم البدوية " [2]

ففي معرض الحديث عن الشجاعة مثلا، نجد المرأة تسارع إلى تشبيه الفرسان بالليوث في شرتها وفتكها بفرائسها، تقول جليلة بنت مرة:

وقد كان تاجا عليهم في محافلهم وكان ليث وغى للرقن طراحا [3]

---

(1) ابن طباطبا، عيار الشعر (ص48).

(2) الجويني، البلاغة العربية، تأجيل وتجديد (ص95).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص38).

وتشبه صفية بنت ثعلبة ظليم حين جاء لنصرة قومها في معركة ذي قار بالليث الهائج فتقول:

هـــذا ظلـــيم جـــاءكم فـــي يشـــكر بالقـــــب والمـــــران والســـــنور

كليـــث غابـــات مهـــوس مخـــدر يـــا فارســـا تحـــت العجـــاج الاكـــدر [1]

وتصور ريطة بنت عاصم فرسان قومها، حين غدوا إلى المعركة بالأسود الضارية التي لا تهاب أحدا فتقول:

كـــأنهم تحـــت الخـــوافي إذ غـــدوا الـــى المـــوت أســـد الغـــابتين الهواصـــر [2]

وتصف الخنساء صخرا بالأسد في حالتي السلم والحرب، فالشجاعة صفة ملازمة له في كل حيم، تقول:

قـــد كـــان حصـــنا شـــديدا ممتنعـــا ليثـــا إذا نـــزل الفتيـــان أو ركبـــوا [3]

وفي موضع آخر تصفه بالليث والرئبال، مصره على أنه بطل شجاع ليس كمثله أحد، له هيبه في ساحات الوغى:

حـــامي الحقيـــق تخالـــه عنـــد الـــوغى أســـــدا ببيتـــــه كأشـــــر الأنيـــــاب [4]

وهو لا يغشى الموت، ولا يفر من ملاقاة الأعداء، بل تراه جريئا جرأة الأسد تقول:

إذا لاقـــــى المنايـــــا لا يبـــــالي أفـــــي يســـــر أتـــــاه أم بعســـــر

كمثـــــل الليـــــث مفتـــــرس يديـــــه جـــــريء الصـــــدر رئبـــــال ســـــبطر [5]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص18).

(2) التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ص460).

(3) الخنساء، الديوان (ص17).

(4) المرجع السابق (ص16).

(5) المرجع نفسه (ص63).

الشاعرة هنا وصفته بالأسد الذي يفترش يديه غير آبه بما يدور حوله، ولم تصوره هائجا، مضطربا، لأنها تريد أن تؤكد على أن صخرا لا يأبه بالموت، ولا يكترث بأعدائه، لأنه واثق من قوته وشجاعته، فلا انفعالات ولا توتر ولكن هدوء ورزانة.

وتشبه جنوب بنت عجلان أخاها بالأسد المفترس، تنظره في صورة الشاب القوي، الذي يفوق أقرانه قوة وشجاعة، تقول:

هزبـــــــرا فروســـــــا لأقرانـــــــه أبيـــا إذا صـــاول القـــرن صـــالا [1]

وتشبه الهيفاء بنت صبيح زوجها بالضرغام في قوته وشجاعته فتقول:

أبكـــــي وأبكـــــي بأســـــفار وأظـــــلام علـــى فتـــى تغلبـــي الأصـــل ضـــرغام [2]

تقول خزانة بنت خالد مشبهة فرسان المسلمين بالليوث المفترسة، التي تفتك بأعدائها:

هـــم فتيـــة عـــز الوجـــوه أعـــزة ليوث لدى الهيجاء شعث الجماجم [3]

وشبهت ليلى الأخيلية توبة بالليث الهصور حال إقامته في عرينة مبين أشباله فقالت:

وكأن كليث الغاب يحمي عرينه وترضـــى بـــه اشـــباله وحلائلـــه [4]

وتشبه الخنساء أخاها بالنمر في جرأته وفتكه وقوته، وهذا حين يخوض ساحات الوغى، دون خوف ولا جبن، تقول:

مشـيى السـبنتي إلـى هيجـاء معضـلة لـــه ســـلاحان أنيـــاب وأظـــافر [5]

والشاعرة العربية تعجب كأي امرأة بالرجل الحازم الذي يمضي أمره وينفذه بكل عزم دونما كلك أو شعف، لذلك شبهت هذا النوع بالسيف في مضائه تقول:

---

(1) ماريني، شواعر الجاهلية (ص233).
(2) يموت، شاعرات العرب (ص41).
(3) الواقدي، فتوح الشام (ج174/2)، والحيالي، ديوان اشعار النساء في صدر الاسلام (ص46).
(4) الاخيلية، الديوان (ص97)، والاصفهاني، الاغاني (ج223/11).
(5) الخنساء، الديوان (ص46).

وحـــــدثني أصـــــحابه أن مالكـــــا صــروم كماضــي الشــفرين صــقيل [1]

وتشبه ريطة بنت عاصم أبناء قومها حال إقدامهم على ساحات الوغى بعزم، بسيوف الهند، التي تعد من أجود السيوف، تقول:

غــدوا كســيوف الهنــد وراد حومــة مــن المــوت اعيــا وردهــن المصــادر [2]

ومن الصور التشبيهية التي نقلتها المرأة من البيئة، تشبيه الممدوح بالصقر، وهو طائر جارح يكثر في جزيرة العرب، ويزخر به الشعر العربي.

تشبه الخنساء والدها وأخاها حين يخرجان للناس بالصقرين الواقفين على وكرهما، تقول:

وهمـــا كأنهمـــا وقـــد بـــرزا صــقران قــد حطــا علــى وكــر [3]

وشبهت مية بنت ضرار أخاها وهو يجلس في مرقبته بأعلى الجبل بالصقر فتقول:

وكأنـــه صـــقر بـــأعلى مربـــأ مــن كــل مرتبــأ تــراه شخيصــا [4]

وتشبه الخنساء الخيل في خفة حركتها بالسعالي، وهي انثى الغول، وهو امر وهمي يثير الخوف والهلع والرعب، وتشبهها في دقة ملاحظتها، وانطلاقها نحو الاعداء بالصقور، تقول:

وقــواد خيــل نحــو أخــرى كأنهــا ســعال وعقبــان عليهــا زبانيــة [5]

ومن الصور تشبيه الممدوح بالرمح، ودقة جسمة بالسيوار، تقل الخنساء في أخي صخر:

مثــل الردينــي لــم تنفــد شــبيبته كأنــه تحــت طــي البــرد اســوار [6]

---

(1) الشريف المرتضى، امالي المرتضى (ص126).
(2) التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ص459).
(3) الخنساء، الديوان (ص65).
(4) يموت، شاعرات العرب (ص84) ومارديني، شواعر الجاهليات (ص302).
(5) الخنساء، الديوان (ص120).
(6) المرجع السابق (ص47).

وشبهت آمنة بنت عتبة أباها في خفته وسرعته بالرمح فقالت:

وكـــأن أبـــي عتيبـــة ســـمهريا فـــلا تلقـــاه يـــدخر النصـــيبا [1]

ومن التشبيهات الأخرى، تشبه صفية الباهلية أخاها بغصن الشجرة الغض فتقول:

عشـــنا معـــا كغصـــني بانـــه ســـمقا حينـا بأحسـن مـا تسـمو لـه الشـجر [2]

وتشبه ليلى بنت الأحوص ابنها بالبدر بين النجوم، فابنها ذو مكانة عالية واضحة، فهو بين قومه كالقمر بين النجوم، تقول:

إذا مـــا غـــدا فيهـــا غـــدوا وكـــأنهم نجـــوم ســـماء بيـــنهن هلالهـــا [3]

ومثل هذا تقوله صفية الباهلية:

كنـــا كـــأنجم ليـــل بيننـــا قمـــر يجلـو الـدجى فهـوى مـن بينـا القمـر [4]

وشبهت أم سنان بنت جشمة على كرم الله وجهه، بالقمر وسط النجوم، أتوصيل صورة تبين مكانة على بين أصحابة كمكانة البدر بين النجوم تقول:

هـــذا علـــي كـــالهلال تحفـــة وسـط السـماء مـن الكواكـب أسـعد [5]

إن القمر هنا يرمز إلى الرفعة وعلو المكانة وشرفها، ولكنه أيضا يعني الجمال مثل تشبيه الخنساء لأخيها بالقمر حسنا وجمالا فقالت:

أعـــز ازهـــر مثـــل البـــدر صـــورته صـاف عتيـق ممـا فـي وجهـه نـدب [6]

---

(1) عبدالرحمن، ديوان شعر الايام (ص294).
(2) يموت شاعرات العرب (ص98).
(3) ماريديني، شواعر العرب (ص298).
(4) يموت، شاعرات العرب (ص98).
(5) االمرجع السابق (ص183).
(6) الخنساء، الديوان (ص17).

وتقول إمامه بنت ذي الأصبع الدواني، مشبهة قريبها بالبدر حسنا وجمالا أيضا:

كـــم مـــن فتـــى كانـــت لـــه معيـــة أبلـــــج مثـــــل القمـــــر الزاهـــــر [1]

وتشبه الخنساء صخرا بالبدر في الضياء والإشراق والجمال:

يـا صـخر قـد كنـت بـدرا يستضـاء بـه فقـد مضـى يـوم مـت المجـد والجـود [2]

وتقول أروى بنت الحارث واصفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

اذا اســـتقبلت وجـــه أبـــي حســـين رأيـــت البـــدر راع الناظرينـــا [3]

فشبهت وجه علي بالبدر في حسنه وجماله وإشراقه.

وتقول خولة بنت ثابت متغزلة بعمارة بن الوليد:

مثـــل ضـــوء البـــدر صـــورته لـــيس بالزميلـــة النكـــد [4]

فقد شبهته بالبدر في جماله وضيائه ورفعته وعلو مكانته.

وتشبه الفرعة بنت همام حاجب محبوبها في استدارته بالهلال قبل اكتماله تقول:

يلاعبنـــي طـــورا وطـــورا كأنمـــا بـدا قمـرا فـي ظلمـة الليـل حاجبـه [5]

بل قد تبالغ المرأة فتجعل البدر يشبه ممدوحها، مستمدا منه جماله وبهاءه فتقول:

وكـــأن نـــور البـــدر ســـنه وجهـــه ينمـــي ويصـــعد فـــي ذؤابـــة هاشـــم [6]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص61).

(2) الخنساء الديوان (ص38).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص132).

(4) ابن عبدربه، العقد الفريد (ج31/7).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص201).

(6) ابن قيم، اخبار النساء (ص219)، والبونسي، كنز الكتاب ومنتخب الآداب (ج734/2).

وشبهت الدموع بحبات الدر، تقول صفية بنت عبدالمطلب:

فقاضـــت عنـــد ذلكـــم دمـــوعي علـــى خـــدي كمنحـــدر الفريـــد [1]

وشبهت العجز بالدعص وهو الرمل المجتمع، والثغر بالزهر الأبيض لبيان جمال المرأة، تقول أم النحيف:

لهـــا كفـــل كالـــدعص لبـــده النـــدى وثغـــر نقـــي مالاقـــامي المنـــور [2]

وتشبه ريطة بنت العباس، خيل أخيها الكثيرة بالجراد الذي دفعته الريح:

وكـــان إذا مـــا أورد الخيـــل بيشـــى إلـــى هضـــب أشـــراج أنـــاخ فألجمـــا

فأرســـلها رهـــوا رعـــالا كأنهـــا جـــراد زهتـــه ريـــح نجـــد فاتهمـــا [3]

وشبهت درة بنت أبي لهب الخيل بالعقبان تتساقط أمام الفرسان الأشداء:

والـــــدر كالعقبـــــان كاســـــرة تهـــوي أمـــا كتائـــب خضـــر [4]

وتشبه الخنساء أخاها صخرا بالشهاب الذي يهتدي به الناس إذا ما تفرقوا فتقول:

نصـــبت للقـــوم فيـــه فضـــل أعيـــنهم مثـــل الشـــهاب وهـــم مـــنهم عباديـــد [5]

وتشبه أحد الصرعى من أعداء أخيها صخر، فتقول:

وتـــروي الســـنان وتـــردي الكمـــي كمرجـــل طباخـــة حـــين فـــارا [6]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص115).

(2) المرجع السابق (ص103).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص96).

(4) المرزباني، الموشح (ص395)، وابو تمام، الوحشيات (ص66).

(5) الخنساء، الديوان (ص39).العباديد: الفرق من الناس.

(6) المرجع السابق (ص51).

شبهت الدم وهو يخرج من جرح الصريع بقوة بالمرجل يغلي فوق النار.

وتشبه عمرة بنت مرداس في جسد احد المقاتلين بالشق في رداء المرأة فتقول:

وطعنـــــــة خلـــــــس تلاقيتهـــــــا كعـــط النســـاء الـــرداء الحجوبـــا [1]

فالجرح واسع سعة هذا الشق.

وتشبه والدها بالشهاب الذي يهتدي به فتقول:

والفـــيض فينـــا شـــهاب يستضـــاء بـــه أنـــا كـــذلك فينـــا توجـــد الشـــهب [2]

والشاعرة حين شبهته بالشهاب، أكدت على أن هذا أمرا عاديا ولا عجب فيه ولا استغراب، فهم موطن السادات والشرفاء من الناس.

وتمدح ليلى الأخيلية الحجاج، وتشبهه بالشهاب في ظهوره واشراقه وبروز مكانته في الحرب، يراه الناس وبه يقتدون، تقول:

حجـاج أنـت شـهاب الحـرب إن تهجـت وأنـــت للنـــاس فـــي الـــداجي تقـــي [3]

وشبهت أم أيمن النبي (صلى الله عليه وسلم) بالسراج الذي ينير للناس الظلمات وذلك من خلال دعوته التي بددت ظلمات الكفر والجهل فقالت:

ولقـــد كـــان بعـــد ذلـــك نـــورا وســـراجا يضـــيء فـــي الظلمـــاء [4]

والمرأة ضعيفة تحتاج الى من يرعاها، ويذود عنها، ولذلك ليس غريبا أن نجدها تشبه زوجها بالجبل الذي تلوذ به إذا مادها أمر، وهذا ما يؤكده قول الرياب زوجة الحسين رضى الله عنه:

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص200).

(2) المرجع السابق (ص199).

(3) الاخيلية، الديوان (ص63).

(4) السيوطي، المحاضرات والمحاورات (ص69).

قـد كنـت لـي جـبلا صـعبا ألـوذ بـه وكنـت تصـحبنا بـالرحم والـدين [1]

وقد تعجب المرأة بقوام الرجل، فتشبهه بالقضيب الناعم حينا والسيف حينا، وبالرمح الرديني حينا آخر تقول:

وعشـقته مـن قبـل قطـع تمـائمي متمايسـا مثـل القضـيب النـاعم [2]

وتقول زينب بنت الطثرية، مشبهة قد أخيها في اعتدالة وعدم نزهله بالسيف:

فتـى قـد السـيف لا متضـائل ولا رهـل لباتـه وبأدلـه [3]

وشبهت أسماء بنت أبي بكر ابنها وهي ترقصه بالسيف في لمعانه وبريقه وبياض نصله فبياضه يشبه بياض السيف:

أبـيض كالسـيف الحسـام الأبريـق بـين الحـواري وبـين الصـديق [4]

وتشبه زوجة الوليد بن عبدالملك أخاها عمرو بن سعيد بالصقر، وقاتليه من بني مروان بخشاش الطير، فقالت:

كـأن بنـي مـروان إذ يقتلونـه خشـاش مـن الطيـر اجتمعـت علـى صـقر [5]

وتشبه زوجة عبدالله بن عباس إبنيها بالدرتين فتقول:

يـا مـن أحسـن بنيـي الـذين همـا كالـدرتين تشـظى عنهمـا الصـدف [6]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص172).
(2) ابن قيم، اخبار النساء (219).
(3) يموت، شاعرات العرب (ص195).
(4) ابن ظفر، انباء نجباء الابناء (ص85).
(5) يموت، شاعرات العرب (ص195).
(6) المرجع السابق، (178).

"والتشبيه في شعر المرأة، لا يكون دائما أداة تعبيرية، لتعظيم المشبه، أو تقوية شأنه، أو إبرازه في معرض حسن، وإنما يأتي أيضا، بغرض تقبيحه، والحط من قدره ". [1]

وشعر الهجاء عند المرأة فيه العديد من الصور التي رسمتها الشاعرة العربية للآخر، فكانت مادة مؤلمة في وصفها، تقول حميدة بنت النعمان:

نكحـــــت المـــــديني اذ جـــــاءني فيـــا لـــك مـــن نكحـــة غاويـــة

لـــــه ذمـــــر كصـــــنان التيـــوس أعيـــا علـــى المســـك والغاليـــة [2]

فالشاعرة تشبه رائحة زوجها برائحة التيوس في وقت التزاوج، وهي رائحة سيئة مستقبحة، وقالت في موضع آخر:

تكحـــل عينيـــك عنـــد العشـــي كأنـــــك مومســـــه زانيـــــة [3]

وشبهت دختنوس بني أسد بالطيور في جبنها وخوفها الدائم فقالت:

فـــرت بنـــو أســـد فـــرار الطيـــر عـــن أربابهـــا [4]

وحين فر النعمان بن قهوس التميمي وكان من فرسان العرب غيرته دختنوس بقولها:

فـــر ابـــن قهـــوس الشـــجاع بكفـــه رمـــح متـــل

يعـــدو بـــه خـــاظي البضـــيع كأنـــه ســـمع أزل [5]

وتحذر كبشة بنت معدي كرب قومها من التقاعس عن الأخذ بثأر أخيها فيلحقهم الذل والصغار قائلة:

---

(1) صغير، فاطمة، اساليب البيان في الشعر النسوي القديم (ص248).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص174).

(3) المرجع السابق (ص175).

(4) المرجع نفسه (ص51).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص52) ومارديني، شواعر الجاهلية، (ص 247- ص 248) متل : مستقيم، الخاظي : المكتنز، البضيع : اللحم، السمع : ولد الضبع من الذئب.

ودع عنـــك عمـــرا أن عمـــرا مســـالم وهـل بطـن عمـرو غيـر شـبر لمطعـم

فـــإن أنـــتم لـــم تثـــأروا واتيـــتم فمشـــوا بـــآذان النعـــام المصـــلم

ولا أردوا الا فضـــــــول نســـــــائكم إذا ارتملـــت أعقـــابهن مـــن الـــدم [1]

وتشبه أم الصريح المندية البت حال وجود زوجها فيه بالحفرة التي ملئت دخانا فاستحالة العيش مع الزوج مثل استحالة العيش في حفرة مملوءة بالدخان، تقول:

كـــأن الـــدار يـــوم تكـــون فيهـــا علينـــا حفـــرة ملئـــت دخانـــا

فليتـــك فـــي ســـفين بنـــي عبـــاد طريـــدا لا نـــراك ولا ترانـــا [2]

وأخيرا يمكن القول أن الشاعرة في العصرين الجاهلي والاسلامي ظلت في تصويرها أسيرة البيئة المحيطة بها، منها أخذت صورها ففي تصوير القوة شبهت بالأسد والنمر، والجمال بالبدر، والرضا بالماء البارد، والدموع بالدر واللؤلؤ، والخيل بالعقبان والجراد، والكفل بكثيب الرمل، والقد المعتدل بالسيف، والرمح، وعلو المكانة بالهلال، والشهرة وعلو المكانة بالبدر وسط النجوم، والحضر بالسوار، وهكذا في جميع تشبيهاتها.

ثالثا: أنواع التشبيه في شعر المرأة:

ينقسم التشبيه إلى أنوع مختلفة، مردها المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه، وهذه الأنواع من التشبيه موجوده في شعر النساء، حيث أجدن فيه مثل الشعراء الرجال، وهذا بيان لأنواعه.

1- التشبيه باعتبار الطرفين الأساسيين:

بالرجوع إلى شعر النساء نجد أن أكثر التشبيهات لديهن من النمط الحسي الذي يدرك بحاسة من الحواس الخمس، وأما العقلي فكان قليلا في شعرهن.

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص97) ومارديني، شواعر الجاهلية، (ص 294).

(2) المرجع السابق (ص98).

ومما يدرك بحاسة السمع تشبيه ليلى الأخيلية صوت جري الخيل بصوت خذروف الوليد حيث تقول:

لوحشـــيها مـــن جـــانبي زفيانهـــا حفيـــف كخـــذروف الوليـــد المثقـــب [1]

وقولها تشبه صوت الخصوم ودوي الجيوش بصوت ذكر النحل:

وترجيـــع أصـــوات الخصـــوم يردهـــا وســـقوف بيـــوت فـــي طمـــار مبـــوب

يظـــــل لأعلاهـــــا دوي كأنـــــه تـــرنم قـــاري بيـــت نحـــال مجـــوب [2]

ومما يدرك بحاسة الشم قول حميدة بنت النعمان في زوجها:

لـــــه ذفـــــر كصـــــنان التيـــــوس أعيـــا علـــى المســـك والغاليـــة [3]

وتقول زوجة قتادة بن مغرب:

لـــو أن المنايـــا أعرضـــت لاقتحمتهـــا مخافـــة فيـــه أن فيـــه لداهيـــة

فمـــا جيفـــة الخنزيـــر عنـــد ابـــن مغـــرب قتـــادة إلا ريـــح مســـك وغاليـــة [4]

ومما يدرك بحاسة البصر، قول أم النحيف:

لهـــا كفـــل كالـــدعص لبـــده النـــدى وثغـــر نقـــي كالأقـــاحي المنـــور [5]

ومما يدرك بحاسة التذوق قول خيرة أم ضيغم البلوية:

فمـــا نطفـــة مـــن مـــاء بهمـــين عذبـــة تمتـــع مـــن أيـــدي الســـقاة أرومهـــا

---

(1) الاخيلية، الديوان (ص54). الخفيف : الصوت، الخذروف : حجر او قصبة تشد بخيط اذا ادارت اصدرت صوتا خفيفا.

(2) الاخيلية، الديوان (ص58).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص174).

(4) التبريزي، شرح الحماسة (ج2/ص220).

(5) التبريزي، شرح الحماسة (ج2/ص411) ويموت، شاعرات العرب (ص103).

بأطيب من فيه لو أنك ذقته إذا ليلة أسحت وغاب نجومها [1]

ومما يدرك باللمس، الحرارة في قول مليكة الشيبانية:

أورثني كمدا يؤرقني وتلهفا وحرارة الصدر

ومرارة في العيش دائمة وحرارة كحرارة الجمر [2]

ومن التشبيهات التي يمكن إدراكها بالعقل لا بالحواس، وهذا التشبيه العقلي نجده في قول صفية بنت عبدالمطلب:

أنا فقدناك فقد الأرض وأبلها واختل قومك فأشهدهم فقد سغبوا [3]

فحاجة الناس إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) شديدة كشدة حجاة الأرض للماء أو المطر الذي يبعث فيها الحياة.

المشبه عقلي والمشبه به حسي من ذلك قول بره بنت عبدالمطلب:

له فضل مجد على قومه منير يلوح كضوء القمر [4]

فالمشبه عقلي وهو فضل مجد الفقيد على قومه، والمشبه به حسي يمكن رؤيته بحاسة البصر وهو ضوء القمر، فالفضل واضح جلي كضوء القمر ومن هذا النوع أيضا قول الحرقة بنت النعمان إذ تقول:

ما الدهر إلا مثل ظل زائل وبدور شمس فارقتها الأسعد [5]

فالدهر عقلي، والظل حسي، فسرعة إنقضاء الزمن كسرعة زوال الظل.

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص194)، وابن طيفور، بلاغات النساء (197).

(2) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص238).

(3) الجاحظ، البيان والتبيين (ج236/3).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص117).

(5) المرجع السابق، (ص22).

ويمكن القول:" أن التشبيه الحسي العقلي يقل في شعر المرأة مقارنة بالعقلي الحسي، ولعلها أدركت قيمة هذا النمط ، وأهميته، إذ يعتبره البلاغيون من أجود التشبيهات وأبلغها، لأنه يخرج ما لا تقع عليه الحاسة، إلى ما تقع عليه". [1]

ومن أنماط التشبيه التي يحددها الطرفان الأساسيان، فقد يكون المشبه والمشبه به مقيدان أو غير مقيدين، وقد يكونان مفردين وقد يكونان مركبين.

المشبه والمشبه به مفردان غير مقيدين كقول زوجة ابي حمزة الضبي:

ونحـــــن كـــــالأرض لزارعينـــــا ننبـــت مـــا زرعـــوه فينـــا [2]

فالمشبه النساء والمشبه به الارض، وهما مفردان وغير مقيدين بوصف أو إضافة، ومثال الطرفين المقيدين قول أم النحيف:

لها كفل كالدعص لبده الندى وثغر نقي كالأقاحي المنور [3]

فالمشبه الثغر وقيدته بالنقي، والمشبه به الأقاحي وقيدته بالنوار، والشاهد جمع النوعين معا فالشطر الأول كان شاهدا على الطرفين المفردين غير المقيدين الطفل مشبه، والدعص مشبه به.

وقد يكون أحد الطرفين مطلقا والآخر مقيدا مثل قول أسماء بنت أبي بكر:

أبـــيض كالســـيف الحســـام الإبريـــق بـــين الجـــواري وبـــين الصـــديق [4]

المشبه مطلق وغير مقيد، بينما المشبه به قيد بصفتين وهما الحسام والإبريق.

ومن حيث الإفراد والتركيب فقد يكون أحد الطرفين مفردا والآخر مركبا كقول الخنساء:

أعـــز ابلـــج تـــأتم الهـــداة بـــه كأنـــه علـــم فـــي رأســـه نـــار [5]

---

(1) صغير، اساليب البيان في الشعر النسوي القديم.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين (ج1/ 165).

(3) التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ج2/ 411)

(4) ابن ظفر السقلي، انباء نجباء الابناء، (ص85).

(5) الخنساء، الديوان (ص386).

وقد يكون الطرفان مركبين مثل قول ام الصريح الكندية:

كـــأن الـــدار يـــوم تكـــون فيهـــا علينـــا حفـــرة ملئـــت دخانـــا [1]

فالشاعرة شبهت الدار وزوجها فيها، بالحفرة المملوءة بالدخان فالمشبه والمشبه به مركبان.

2-التشبيه الضمني:

ومن التشبيهات الضمنية التي تفهم من خلال الكلام قول امرأة من بني شيبان:

وقـــالوا ماجـــدا مـــنكم قتلنـــا كـــذلك الـــرمح يكلـــف بـــالكريم [2]

ترد الشاعرة على خصومها، وتبين أن قتل الفرسان للفرسان ليس عيبا، فالرماح لا تحب إلى صدور الفرسان الكرام.

ومنه قول أعرابية قتل خالد بن الوليد ولدها يوم أن ذهب ليهدم صنما لبني ود:

أيقنـــت بعـــدك أنـــي غيـــر باقيـــة وكيـــف يبقـــى ذراع زال عـــن عضـــد [3]

تؤكد الشاعرة على أن ابنها بالنسبة لها، كالذراع للجسد، فالأم لا تستطيع العيش بعد ولدها، الذي فقدته، وشأنها شأن الذراع الذي فصل عن الجسد. [4]

2-التشبيه باعتبار الأداة ووجه الشبه:

الأداة ركن من أركان التشبيه، وتكون اسما وحرفا، ويمكن حذفها والاستغناء عنها، والتسبيه ينقسم إلى قسمين باعتبار أداة النشبيه.

أ -**التشبيه المرسل:** وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه مثل قول هند بنت حذيفة بن بدر الفزارية.

فـإن أنـتم لـم تصـبحوا القـوم غـارة يحـــدث عنهـــا وارد بعـــد صـــادر

وترمـــوا عقـــيلا بـــالتي لـــيس بعـــدها بقـــاء فكونـــوا كالإمـــاء العـــواهر [5]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص99) وابن طيفور، بلاغات النساء (ص118).

(2) التبريزي، شرح ديوان الحماسة (ص365).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص127).

(4) ينظر: صغير فاطمة، اساليب البيان في الشعر النسوي القديم (ص264 – ص 269).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص46).

فقد شبهت رجال قومها بالإماء العواهر، وأداة التشبيه موجودة وغير محذوفة.

ومثله قول أمية بنت ضرار:

الطـاعن الطعنــة الـنجلاء عـن عـرض كأنهـــا قـــبس بالليـــل مســـعور [1]

أ- **التشبيه المؤكد:** وهو ما حذفت منه أداة التشبيه، وتأكيده لأن المتكلم جعل المشبه عين المشبه به، مثل قول ريطة بنت عاصيه في أخيها عمرا، وكان شجاعا كريما:

إذ جـاء يـنفض عـن أصـحابه طفـلا مشـي السـبنتي أمـام الأيكـة العـادي [2]

وقول آمنة بنت عتبة:

وكـــان أبـــي عتيبـــة ســـمهريا فـــلا تلقـــاه يـــدخر النصـــيبا [3]

أما من حيث وجه الشبه فينقسم إلى قسمين وهما:

أ- **التشبيه المفصل:** وهو ما ذكر فيه وجه الشبه مثل قول خالدة بنت هاشم:

شـــيظمي مهـــذب ذي فضـــول أبطحـــي مثـــل القنـــاة وســـيم [4]

ب- **التشبيه المجمل:** وهو ما حذف منه وجه الشبه مثل قول هند بنت أسد:

يلـوذ بـه الجـاني مخافـة مـا جنـى كمـا لاذت العصـماء بالشـاهق الصـعب [5]

التشبيه التمثيلي:الذي يكون فيه وجه الشبه منتزعا من متعدد مما ستوجب امعان النزر، للوصول إلى معناه. [6]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص84).

(2) المرجع السابق (ص88).

(3) عبدالرحمن، ديوان شعر الايام (ص284).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص113).

(5) القيرواني، زهر الآداب وثمر الالباب (ج4/ ص 1010).

(6) ينظر، صغير، فاطمة، اساليب البيان في الشعر النسوي القديم (ص272).

مثل قول الخنساء:

يـا عـين جـودي بـدمع منـك مسـكوب كلؤلــؤ جــال فــي الأســماط مثقــوب [1]

فالشاعرة شبهت الدموع وهي تنحدر على خدها باللؤلؤ الذي في خيط واحد، فتتابع الدموع، كتتابع حبات اللؤلؤ في الخيط.

ومثله قول زوجة الوليد بن عبدالملك، في أخيها الذي قتله عبدالملك بن مروان بعد أن أفنه:

كـــأن بنـــي مـــروان إذ يقتلونـــه خشاش من الطير اجتمعن على صقر [2]

فالشاعرة تشبه جنود بني مروان وقد اجتمعوا على أخيها بخشاش الطير التي اجتمعت على صقر لا حيله له أما هذا العدد وهذه القوة، فالشاعرة رفعت من قدر أخيها، وحقرت شأن خصومه.

لقد أجادت الشاعرة العربية في العصرين في التشبيه إجادة كبيرة، وما الشواهد التي سقتها إلا غيض من فيض، على هذا الذوق الرفيع، والمقدرة الفائقة على التصوير والبراعة في نقل المشاهد وتوظيفها توظيفا جديدا، وبعد أن تغلفها بفكرها وثقافتها، وتخرجها بعاطفتها، فتغدوا نموذجا فريدا للإبداع.

---

(1) الخنساء، الديوان (ص18).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص195).

المطلب الثالث

الإستعارة

أولا: مفهومها:

لعل الجاحظ (255هـ) أول من عرّف الإستعارة في الأدب العربي بقوله: "الإستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"[1]، ومن يتأمل تعريف الجاحظ للإستعارة يجده يشير إلى كل الإستعاضات المجازية التي تتضمن استبدال كلمة أو صورة مجازية بأخرى حرفية من أي سياق كان لوجود علاقة أو صلة فيهما أو تسمية الشيء بغير اسمه لوجود هذه العلاقة.

وتحدث ابن قتيبة (ت. 276هـ) عن الإستعارة، عندما تعرَّض لما أشكل على المفسرين من آيات القرآن وألفاظه، وبخاصة الألفاظ التي استعملت في غير ما وضعت له في أصل اللغة فقال: "فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاوراً أو مشاكلاً، فيقولون للمطر سماء: لأنه من السماء ينزل المطر فيقال: مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم ويقولون: ضحكت الأرض، إذا انبتت..."[2].

وعرف الرماني (ت384هـ) الإستعارة بأنها "تعليق العبارة على غير ما وضعت في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة"[3]. وهو أول من وضع الحدود بين المصطلحات البلاغية وفرّق بين التشبيه والإستعارة فقال: "والفرق بين التشبيه والإستعارة إن ما كان من التشبيه بأداة التشبيه في الكلام فهو على أصله، لم يغير عنه في الاستعمال – وليس كذلك الإستعارة – لأن مخرج الأستعارة مخرج ما العبارة (لبست) له من أصل اللغة"[4]

وتحدث أبو هلال العسكري (ت. 395هـ) عن الإستعارة تحت كلمة (بديع) وهو يقصد لهذه اللفظة (الطريف والجديد من الكلام) فعرّفها بقوله: "الإستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك (إما) أن يكون شرح المعنى، وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشادة إليه بالقليل من اللفظ، أو يحسن المعرض الذي يبرز

---

(1) البيان والتبيين (ج153/1).

(2) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن (ص135).

(3) النكت (ص 85).

(4) م.ن: 86.

فيه. وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة"[1]. ويذكر ابن رشيق القيرواني (ت 463هـ) تعريف الاستعارة، فيقول "الاستعارة أفضل المجاز، وأول أبواب البديع، وليس في حُلى الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام، إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها"[2].

ويعد عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) يعرف عبد القاهر للاستعارة بقوله: "أعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية[3].

ثانيا: أنواعها:

1- الاستعارة المكنية:

وهي الاستعارة التي حذف فيها المشبه به، ودل عليه شيء من قرائنه.

تقول العوراء بنت سبيع واصفة كرم اخيها:

يعصـــــــــي البخيـــــــــل إذا ارا د المجـــــد مخلوعـــا عـــــذاره [4]

فالشاعرة تشبه أخاها بعصيانه البخلاء، وعدم اطاعتهم، بالفرس الذي لا رسن لها، ولا يسيطر عليها فارسها.

وتشبه غنية بنت عفيف أثر الجوع عليها، بلسعة الحية أو الافعى فتقول:

لعمـــري قـــد عضـــني الجـــوع عضـــة فآليـــت الا امنـــع الـــدهر جائعـــا [5]

الشاعرة حذفت المشبه به وهو (الأفعى) ودلت عليه بشيء دل عليه وهو (العض).

---

(1) الصناعتين: 295.

(2) ابن رشيق القيروان، العمدة (ج235/1).

(3) الجرجاني، أسرار البلاغة (ص 19).

(4) [ص49]

(5) يموت، شاعرات العرب (ص91).

وتشبه الخنساء الهموم التي لا تفارقها، بسبب موت أخيها بالإنسان الذي يزورها صبحا ومساءا فتقول:

دهتنـــي الحادثـــات بـــه فأمســـت علـــي همومهـــا تغـــدو وتســـري [1]

وتقول:

تلقـــــى عيـــــالهم نوافلـــــه فتصـــيب ذا الميســـور والعســـر [2]

فالشاعرة تشبه عطايا أخيها، وهباته، بالإنسان الذي يلقى الأطفال بود وحب وحذفت المشبه به، وأبقت شيئا يدل عليه وهي كلمة (تلقى).

وفيها تشخيص للعطايا.

وتحذر هند بنت يزيد، حجر بن عدي من معاوية فتقول:

أخـــاف عليـــك مـــا أردى عـــديا وشـــيخا فـــي دمشـــق لـــه زئيـــر [3]

فالشاعرة شبهت معاوية بالأسد المفترس، الهائج، وحذفت المشبه به، ودلت عليه بشيء من صفاته وهو الزئير.

وتمدح ليلى الأخيلية الحجاج بن يوسف الثقفي بقولها:

إذا هـــبط الحجـــاج أرضـــا مريضـــة تتبـــع أقصـــى داءهـــا مشـــفاها [4]

شبهت الشاعرة الأرض بالإنسان، وحذفت المشبه به وهو الإنسان وأبقت شيئا من لوازمه، وهو المرض والشفاء، وفيه تشخيص للأرض، على سبيل الاستعارة المكنية.

وتشبه الشاعرة السحاب الذي لا يمطر بالإنسان البخيل، وذلك خلال مدحها للخليفة معاوية بن أبي سفيان، تقول:

---

(1) الخنساء، الديوان (ص44).
(2) المرجع السابق (ص52).
(3) يموت، شاعرات العرب (ص187).
(4) الاخيلية، الديوان (ص 121).

وكنـــت المرتجـــى وبـــك اســـتغاثت لتنعشـــها إذا بخـــل الســـحاب [1]

فالشبه هو السحاب الذي لا يمطر، والمشبه به البخيل، وحذفت المشبه به، وأبقت على صفة له وهو البخل، على سبيل الاستعارة المكنية.

وتقول جمعه بنت الخس:

يفـــر الفتـــي والمـــوت يطلـــب نفســـه ســـيدركه لا شـــك يومـــا فيجهـــز [2]

فالشاعرة تشبه الموت بالحيوان المفترس الذي يطارد الفريسة، وحذفت المشبه به (الحيوان المفترس) وأبقت على لازم من لوازمه وهو (يجهز).

ومثله قول الخنساء التي شبهت الدهر ونوائبه ومصائبه بالحيوان المفترس الذي ينهشها بقوة، تقول:

تعرقنـــي الـــدهر نهشـــا وحـــزا وأوجعنـــي الـــدهر قرعـــا وغمـــزا [3]

وتشبه ليلى الأخيلية الرماح بأناس يبكون ألما وحزنا وقرفا على فراق من يحبون، وحذفت المشبه به، ودلت عليه بشيء من صفاته، وهو البكاء تقول:

تبكـــي الرمـــاح إذا فقـــدن أكفنـــا حزنـــا وتلقانـــا الرفـــاق بجـــورا [4]

الشواهد على الاستعارة المكنية كثيرة، وما سقت من شواهد عليها في شعر النساء ما هو إلا غيض من فيض ولا يتسع المقام لذكر المزيد، فما ذكر من شواهد يبين للمرأة الشاعرة على رسم الصورة بإتقان وإبداع من خلال الاستعارة المكنية.

---

(1) الاخيلية، الديوان (ص51).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص77).

(3) الخنساء، الديوان (ص69). نعرقني : أي اخذ ما على عظمي من لحم بأسنانه، النهي : الاخذ باطراف الاسنان، غمرا : أي نحسا وجسا وعصرا.

(4) الاخيلية، الديوان (ص 69).

ب – الاستعارة التصريحية:

هي التي يصرح فيها بالمشبه به وحذف المشبه، تقول الخنساء:

تكفكـــــف فضـــــل ســـــابغة دلاص علـــى خيفانـــة خفـــق حشـــاها [1]

فقد شبهت فرس أخيها بالجرادة في خفتها ورشاقتها، وحذفت المشبه وصرحت بالمشبه به، وهو(الخيفانة)، على سبيل الاستعارة التصريحية.

وتشبه الخنساء الحزن والألم الذي تمكن من قلبها ، بالصدع غير الملتئم فتقول:

إنـــــي ذكرتـــــه والليـــــل معتكـــــر ففـــي فـــؤادي صـــدع غيـــر مشـــعوب [2]

فأثر الحزن واضح في قلبها، والحزن هو المشبه، المحذوف، والصدع مشبه به، وهو المصرح به، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية.

وتقول عاتكة بنت عبدالمطلب:

ســـــائل بنـــــا فـــــي قومنـــــا وكفـــــاك مـــــن شـــــر ســـــماعه

قيســـــا ومـــــا جمعـــــوا لنـــــا فـــــي مجمـــــع بـــــاق شـــــناعه

فيـــــه الســـــنور والقنـــــا والكـــــبش ملتمعـــــا قناعـــــه [3]

شبهت الشاعرة قائد جيش الأعداء (بالكبش) بجامع القوة، وحذفت المشبه، وصرحت بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

وتشبه أم فطن ارتباطها بابنها وتعلقها به، بارتباط الذراع بالجسد، وحذفت المشبه وصرحت بالمشبه به، على سبيل الاستعارة التصريحية. تقول:

---

(1) الخنساء، الديوان (ص116).

(2) المرجع السابق (ص18).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص114).

ايقنـــت بعـــدك أنـــي غيـــر باقيـــة وكيـــف تبقـــى ذراع زال عـــن عضـــد [1]

وتقول صفية بنت عبدالمطلب في رثاء حمزة (رضى الله عنه):

علـــى أســـد الله الـــذي كـــان مـــدرها يـــذود عـــن الإســـلام كـــل كفـــور [2]

فقد شبهت حمزة بالأسد، فحذفت المشبه، وصرحت بالمشبه به فالاستعارة التصريحية.

وتشبه ليلى بنت طريف أخاها بالبدر حينا، وبالليث حينا آخر تقول:

وللبـــدر مـــن بـــين الكواكـــب إذ هـــوى وللشـــمس همـــت بعـــده بكســـوف

ولليـــث فـــوق الـــنعش إذ يحملونـــه علـــى حفـــرة ملحـــودة وســـقوف [3]

فالشاعرة شبهت أخاها بالبدر في جماله وعلوه ورفعته وشرفه، وبالليث في قوته وجرأته وشجاعته، وحذفت المشبه، صرحت بالمشبه به، وتقول صفية الشيبانية:

أحيـــوا الجـــوار فقـــد أماتتـــه معـــا كـــل الأعـــارب يـــا بنـــي شـــيبان [4]

فقد شبهت المحافظة على الجوار بالأحياء، وحذفت المشبه، وصرحت بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

وتشبه مقدمة الجيش في الحرب، بشعر مقدم الرأس فقالت:

مـــاذا تـــرون بنـــي بكـــر فقـــد نـــزلت كبـــر الـــذوائب والأخـــرى علـــى الأثـــر

والاستعارة التصريحية، لأنها حذفت المشبه، وهو المجموعة من الناس في مقدمة الجيش، وصرحت بالمشبه به.

---

(1) ابن عبدربه، العقد الفريد (ج3/ 216).

(2) يموت شاعرات العرب (ص116).

(3) المرجع السابق (ص160).

(4) المرجع نفسه (ص11).

مما تقدم يمكن القول أن الشاعرة العربية القديمة قد وظفت الاستعارة في شعرها، واستطاعت من خلالها . رسم صورها ووضحت من خلالها معانيها، وإبراز مشاعرها، فجاءت مرتبطة بملامح بيئتها.

المطلب الرابع: الكناية.

أولا: المفهوم:

حصر الخليل ابن أحمد الفراهيدي (175هـ) وتلميذه سيبويه(180هـ) دلاله الكناية في المعنى اللغوي المتمثل في الخفاء والستر، وتبعهما في ذلك معمر بن المنني (209هـ) [1]

وهي عند الجاحظ (255هـ) تقابل التصريح والإفصاح، يقول " ومن البصر بالحجة والمعرفة بموضع الفرصة أن تضع الإفصاح بها، إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة " [2]

أما قدامه بن جعفر فجاء بمفهوم الكناية تحت اسم الأرداف فقال " وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني، فلا تأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى ردفه، وتابع له، فإن دل على التابع، أبان على المتبوع " [3]

وبمثل هذا قال عبد القاهر الجرجاني (471هـ): " والمراد من الكناية، أن يرد المتكلم، اثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولاكن يجيء إلى معنى هو تاليه، وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليل عليه " [4]

ومن المحدثين الذين تعرضوا لمفهوم الكناية فضل حسن عباس الذي عرفها بقوله: " الكناية أن تريد معنى من المعاني فتعبر عنه، بغير اللفظ الموضع له في اللغة " [5]

---

(1) ينظر كحيل، الكناية في البلاغة العربية (ص22– ص 23).
(2) الجاحظ، البيان والتبيين (ج1/ 92).
(3) قدامة، نقد الشعر (ص157).
(4) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص66).
(5) عباس، أساليب البيان (ص335).

وعرفها ابو العدوس بقوله: " هي لفظ أطلق، وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى الحقيقي " [1] يرى أبو العدوس أنه يمكن إرادة المعنى الحقيقي.

"فالكتابة من الفنون الجميلة التي تمس حياة الناس وأذواقهم وتطورهم الثقافي والإجتماعي، وهي تحتاج إلى حسن لغوي مرهف، ذكي، يختار المعنى ثم يخفيه مشيرا إليه بأحد المعاني المنبثقة منه، المترتبة عليه، اللازمة له لزوما منطقيا أو عرفيا أو ابتكاريا من صنع الفنان نفسه " [2]

وأود الإشارة إلى أن الذوق العام يتغير، وبيئة المجتمع وثقافته تتطور بشكل مستمر، لذلك نجد أن بعض الكنايات التي تناسب عصرا قد لا تناسب آخرا مما أدى إلى فقدان بعض الكنايات القديمة أثرها، وربما اندثارها من التصوير البياني، وبقائها حبيسة الكتب والدواوين وهذا تطلب البحث عن كنايات جديدة تناسب روح العصر، فتناسب الذوق العام فيه، المتصل بطبيعة الحياة، يقول القزويني: " تختلف الكناية باختلاف الزمن فقد كان العربي يمد المرأة ويكني عن ترفها بقوله: هي نؤوم الضحى، ونحن الأن نعد ذلك مظهرا للكسل والحمول، والكناية: هو كثير الرماد كناية لها بلاغتها في العصور القديمة، أما الآن فلا نكاد مشعر لها بجمال، لأن الذوق يختلف، في تقدير الكناية ، باختلاف العصور " [3]

واخيرا السؤال الذي يطرح نفسه، هل لجأت المرأة الشاعرة إلى الكناية في رسم صورها البيانة، والتعبير عن معانيها ؟ وإن كانت فعلت هذا، هل أجادت في هذا التوظيف ؟ وإلى أي مدى ؟

إن الإجابة على مثل هذه الأسئلة ستوجب منا الولوج في دراسة نماذج من الكناية في شعر النساء، لعلها تسعفنا في استجلاء الأمر ومنحنا إجابات شافية على تساؤلاتنا.

ثانيا: الكناية في شعر المرأة في العصرين الجاهلي والاسلامي:

المرأة القديمة أكثرت من الصور المعنوية، وهذا سبق الإشارة إليه في ثنايا البحث، لذلك من الطبيعي أن تلجأ الى الكناية في رسم هذه الصور، تقول الخنساء:

---

(1) أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية ،(ص212).

(2) سلطان، الصورة الفنية في شعر المتنبي، الكناية والتعريض (ص101).

(3) القزويني، الايضاح (ص204).

رفيـــــع العمـــــاد طويـــــل النجـــــا د ســـــــاد عشـــــيرته امـــــردا [1]

فأخوها "رفيع العماد " كناية شرفه ومجده، فبيته يعد ناديا يؤمه الناس، "طويل النجاد" كناية عن طول الجسم، وحمال القوام لأن طول الجسم يستدعي أن تكون حمائل السيف طويلة، و"ساد عشيرته أمردا " كناية عن النجابة التي جعلت صخرا يسود قومه قبل أن ينبت شعر لحيته.

وتقول صفية بنت عبد المطلب:

رفيـــــع البيـــــت أبلـــــج ذي فضـــــول وغيـــث النـــاس فـــي الـــزمن الحـــرود [2]

فالكناية "رفيع البيت " دلت على المكان والمجد والشرف والسيادة، وعلو الشأن.

وتقول الخنساء:

رفيـــــع العمـــــاد يفـــــوق الرجـــــال ويجـــــري فيســـــبق ســـــبقا مبينـــــا [3]

وتقول:

ضـــــخم الدســـــيعة بالنـــــدى متـــــدفقا مـــــأوى اليتـــــيم وغايـــــة المنتـــــاب [4]

فالشاعرة تمد صخرا بالكرم من خلال الكناية، فضخامة الجفنة، تدل على كثرة مرتاديه من الناس، وكثرة طعامه الذي يصنعه.

وحول هذا المعنى تقول فاطمة بنت الأحجم أن كريم يؤثر الضيوف بأطيب الطعام، مطعامه كثير يفيض على ضيوفه، فتنال الطير منه حظا وافرا تقول:

أمســـت ركابـــك يـــا ابـــن ليلـــى بـــدنا صـــــنفينا بـــــين مخـــــائض ولقـــــاح

ولقـــد تظـــل الطيـــر تخطـــف جنحـــا منهـــا لحـــوم غـــوارب وصـــفاح [5]

---

(1) الخنساء، الديوان (ص31).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص116).

(3) الخنساء، الديوان (ص351).

(4) المرجع السابق (ص16).

(5) المرجع نفسه (ص164).

ويؤثر الناس على نفسه، فلا يستأثر بشحم سنام الجمل عنهم، تقول الفارعة:

يـــا عـــين بكـــي لمســـعود بـــن شـــداد بكـــــاء ذي عبـــرات شـــجوه بـــــادي

مـــن لا يـــذاب لـــه شـــحم الســـديف ولا يجفـــو العيـــال إذا مـــا ظـــن بـــالزاد (1)

وتقول الخنساء مظهرة كرم أخيها من خلال كنايتين جمعتهما في بيت واحد:

طلـــق اليـــدين بفعـــل الخيـــر ذو فجـــر ضـــخم الدســـيعة بـــالخيرات أمـــار (2)

(فضخم الدسيعة) كناية عن الكرم، و(طلق اليدين) كناية عن الكرم والجود، وتقول الخنساء أيضا في أخيها صخر:

حمـــــال الويـــــة هبـــــاط أوديـــــة شـــــهاد أنديـــــة للجـــــيش جـــــرار (3)

فالأولى: (حمال ألوية) كناية عن السيادة والقيادة فحمل الراية للمتقدم في الجيش.

والثانية: (هباط أودية) كناية عن الجرأة والشجاعة والمغامرة والمخاطرة والسعي لمحاربة الأعداء أيا كانوا، وأينما وجدوا.

والثالثة: (شهاد أندية) كناية عن الشرف والسيادة، وعلو المكانة في القوم، فهو معروف وغير مجهول.

وتقول:

صـــلب النحيـــزة وهـــاب إذا منعـــوا وفـي الحروب جريء الصدر مهصار (4)

(فصلب النحيزة) كناية عن الجرأة والشجاعة والتماسك والثبات والصلابة في الحرب.

وتجمع العوراء بنت سبيع الذبيانية بين صفة العفة والكرم لأخيها وهي من الصفات التي كان العربي يحرص عليها تقول:

---

(1) الخنساء، الديوان (ص69).
(2) المرجع السابق (ص48).
(3) المرجع نفسه (ص46).
(4) الخنساء، الديوان (ص45).

طيـــــان طـــــاوي الكشـــــح لا يرخـــــــــــي لمظلمـــــــــــة إزاره

يعصـــــــــــي البخيـــــــــل إذا أرا د المجـــــد مخلوعـــــا عـــــذاره [1]

فقولها: " لا يرخي لمظلمة إزاره " كناية عن العفة، فأخوها لا يأتي الفواحش وأصحاب الفواحش كانوا إذا فعلوا فعلتهم، ترخو أزرهم، وجرزها على الأرض لتمحو الأثر، وقولها " يعصي البخيل " كناية عن الكرم والسخاء والبذل والعطاء.

وتقول ليلى بنت سلمة في أخيها:

فتـى كـان يعطـي السـيف فـي الـروع حقـه إذا ثـوب الـداعي وتشـقى بـه الجـزر [2]

"تشقى به الجزر " كناية عن كرمه، فهو كثير النحر للإبل، من أجل إطعام من يلج بيته من الناس.

وتقول هند بنت أثاثة:

وبكيـــه للأيتـــام والـــريح زفـــزف وتشـيب قـدر طالمـا ازبـدت تغلـي [3]

فكنت الشاعرة بإيقاد النار، وغليان القدر عن الجود والكرم وكثرة الطعام.

وتكني زينب بنت الطثرية عن كرم أخيها، بأنه لا يهدأ له بال، فيظل يروح ويجيء، حتى يطمئن على أعداد الطعام وتجهيزه لضيوفه. تقول:

إذا نـــزل الضـــيفان كـــان عـــذورا علـى الحـي حتـى تسـتقل مراجلـه [4]

ومدحت اروى بنت عبدالمطلب والدها وقومها بالأنفة فقالت:

مـــا زال أبـــيض مكرامـــا لأســـرته رحـب المحاسـن فـي خصـب وفـي لـين

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص49).

(2) المرجع السابق (ص67).

(3) المرجع نفسه (ص133).

(4) المرجع نفسه (ص196).

مــن الــذين متــى مــا تغــش نــاديهم تلــق الخصــارمة الشــم العــرانين [1]

فالأشم من ارتفعت قصبة أنفه، وأشرقت أرنبته، وعد العرب قديما ذلك رمزا للإباء والأنفة.

ومثله قول ليلى الاخيلية في معرض فخرها بقولها:

شــم العــرانين أســماط لغــالهم بــيض الســراويل لــم يعلــق بهــا العمــر [2]

وكنت الشاعرة عن الجدب والقحط بكنايات عديدة مثل قول سبيعة بنت عبد شمس:

أخــا الجــود والمجــد والمعضــلات إذا لنقطــع الــدر بعــد الحلــب [3]

فانقطاع اللبن، وجفاف ضرع الحيوانات سيبة الجدب وقلة الطعام.

وتقول سعدي بنت الشمردل:

ســمح إذا مــا الشــول حــارد رســلها واســتروح المــرق النســاء الجــوع [4]

الشول: تقصد الناقة التي ارتفع ضرعها، وانقطع لينها، وهو كناية عن الجدب الناتج عن انقطاع المطر:

وقد تلجا بعض الشواعر إلى ذكر بعض الظواهر الكونية للدلالة على الجدب وانقطاع المطر، تقول جنوب بنت عجلان:

وقــد علــم الضــيف والمرملــون إذا اغبــر أفــق وهبــت شــمالا

وخلــت عــن أولادهــا المرضــعات فلــم تــرعين لمــزن بــلالا

كأنــك كنــت الربيــع المغيــث وكنــت لمــن يعتفيــك الثمــالا [5]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص120).

(2) الأخيلية، الديوان (ص68).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص114).

(4) المرجع السابق (ص60).

(5) المرجع نفسه (ص101).

فالشاعرة تمدح أخاها بأنه يطعم في وقت الجدب وانقطاع المطر، وكنت عن الجدب بقولها:" اذا اغبر أفق وهبت شمالا " لأن الغبار لا ينتج إلا عن هبوب الرياح على أرض جافه لا ماء فيها.

وتقول ناجية بنت ضمضم:

الواهـــــب المـــــال الـــــتلاد د لنـــــا ويكفينـــــا العظيمـــــة

ويكـــــــــون مـــــــــدرهنا إذا نزلـــــت مجلحـــــة ذميمـــــة

واحمـــــــر آفـــــاق الســـــما ء ولـــم تقـــع فـــي الارض ديمـــة

وتعـــــذر الآكـــــال حتـــــى كـــــان أحمـــــدها الهشـــــيمة

لا ثلـــــــــه ترعـــــــــى ولا إبـــــل ولا بقـــــر مســـــيمة

الفيتـــــه مـــــأوى الارامـــــل والمدفعـــــــة اليتيمـــــــة [1]

فالشاعرة تكني بقولها " احمر آفاق السماء " عن انقطاع القطر وحلول الجدب والقحط.

وكنت الشاعرات عن الحرب وأدوات القتال فيها ن وذلك أن العصرين الجاهلي والإسلامي شهدا حروبا كثيرة، لذلك نجد الكناية حاضرة في شعرهن. تقول ليلى بنت الأحوص:

فللـــه عينـــا مـــن رأى مثلـــه فتـــي إذا الخيـــل يـــوم الـــروع هـــب نزالهـــا [2]

" يوم الروع " كناية عن الحرب لأن أهوالها وفظائعها، وكثرة القتلى والجرحى يروع الناس، وتقول سودة بنت عمارة تحث أخاها على نصرة على بن أبي طالب:

شـــمر كفعـــل أبيـــك يـــا ابـــن عمـــارة يـــوم الطعـــان وملتقـــى الأقـــران [3]

وكنت الحرقة بنت النعمان عن الرمح بالأسمر العسال، وعن السيف بالأبيض القاطع فقالت:

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص48).

(2) مهنا، معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والاسلام (ص46).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص186).

حمتنـــي بنـــو شـــيبان والحـــي تغلـــب بقـــب المـــذاكي والســـيوف القواضـــب

بأســـمر عســـال وأبـــيض قـــاطع وأكمـــت وردي وعـــين مراقـــب (1)

وكنت أم البراء بنت صفوان، بالرونق، والصارم، والبتار عن السيف وذلك لحدته وشدة لمعانه، فقالت:

يـــا عمـــرو دونـــك صـــارما ذا رونـــق غضـــب المهـــزة لـــيس بـــالخوار

أجـــب الإمـــام وذب تحـــت لوائـــه وأفـــر العـــدو لصـــارم بتـــار (2)

وكنت زينب بنت الطثرية بالأبيض الهندي، عن السيف الذي صنع في الهند فقالت:

فتـــى كـــان يـــروي المشـــرفي بكفـــه ويبلـــغ اقصـــى حجـــرة الحـــي نائلـــه

مضـــى وورثنـــاه دريـــس مفاضـــة وأبـــيض هنـــديا طـــويلا حمائلـــه (3)

ولجأت المرأة إلى الكناية في الهجاء ايضا، بقول الخنساء في هجاء دريد بن الصمة:

معـــــاذ الله ينكحنـــــي حركـــــي قصـــير الشـــبر مـــن حشـــم بـــن بكـــر

يـــــرى مجـــــدا ومكرمـــــة أتاهـــــا لـــذل عشـــى الصـــديق جـــريح تحـــر (4)

تقول الشاعرة أن دريد سميح نجيل، ويرى أن إطعام التمر مجدا، وكرما عظيما.

وتقول هند بنت الخس:

وكـــم مـــن كثيـــر المـــال يقـــبض بكفـــه وكـــم مـــن قليـــل المـــال يعطـــي ويســـلس (5)

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص23 – ص24).

(2) المرجع السابق (ص184).

(3) المرجع نفسه (ص196).

(4) الخنساء، الديوان (ص65).

(5) المرجع نفسه (ص78).

فكنت الشاعرة بقبض الكف عن البخل.

وتقول أم خالد النميرية تهجو الفرزدق:

فكيـــف يســـاوي خالـــدا أو يشـــينه خميص من التقوى بطين من الخمر [1]

فكنت الشاعرة بالشطر الثاني من البيت الثاني عن إنحلال خلق المهجو حيث جعلته فارع الفؤاد من التقوى، ومخافة الله، سكيرا يقبل على شراب الخمر.

ثالثا: أنواع الكناية في شعر المرأة:

الكناية في شعر المرأة حاضرة بأقسامها التي حددها علماء البلاغة وهي كالاتي:

أ – بإعتبار المكنى عنه:

تنقسم الكناية على هذا الإعتبار إلى ثلاثة أقسام، وهي: كناية عن صفة، وكناية عن موصوف، والكناية عن النسبة.

1- **كناية عن صفة:** وهي التي يستلزم لفظها صفه من الصفات المعنوية ومثاله قول أميمة بنت عبد شمس:

أبـــــي ليلـــــى أن يـــــذهب ونـــــيط الطـــــرف بالكوكـــــب [2]

كنت الشاعرة بقولها "ونيط الطرف بالكوكب "عن صفة وهي السهر والأرق.

وتقول فاطمة بنت الأحجم معبرة عن ضعفها بعد فقد زوجها:

فـــاليوم أخضـــع الـــذليل وأتقـــي منـــه وأدفـــع ظلمـــي بـــالراح [3]

---

(1) الخنساء، الديوان (ص182).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص111).

(3) المرجع السابق (ص164).

تصور ليلى الأخيلية قوة قومها، وبأسهم وشدتهم بقولها:

وحـــي حريـــد قـــد صـــبحنا بغـــارة فلـم يمـس بيـت مـنهم تحـت كوكـب [1]

فالشطر الثاني كناية عن صفة وهي الإبادة.

2- **كناية عن موصوف:** وهي التي يستلزم لفظها ذاتا أو مفهوما مثل قول الفارعة بنت شداد:

أبـــا زرارة لا تبعـــد فكـــل فتـــى يومـــا رهـــين صـــفيحات وأعـــواد [2]

فكنت الشاعرة بالصفيحات وألاعواد عن القبر.

وتكني آمنة بنت عتيبة عن النساء بنواعم البشر، وذلك لرقتهن ونعومتهن تقول:

علـــى مثـــل ابـــن ميـــه فانعيـــاه تشـــق نـــواعم البشـــر الجيوبـــا [3]

وتقول ليلى الأخيلية في هجاء قابض بسبب فراره عن توبه وعدم نصرته:

دعـــا قابضـــا والمرهفـــات يردنـــه فقبحـــت مـــدعوا ولبيـــك داعيـــا [4]

فكنت عن السيوف بالمرهفات.

فكنت مليكة الشيبانية عن القبر بالصفائح والنضائد فقالت:

ابكـــي المغيـــب فـــي الثـــرى بـــين النضـــائد والصـــفائح [5]

3- **كناية عن نسبة:** يتحقق هذا النوع من الكناية عن طريق اثبات صفة معنوية للموصوف

4- دون أن تلحق به مباشرة، بل بشيء يتصل به ويلازمه.

---

(1) الاخيلية، الديوان (ص123).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص70).

(3) المرجع السابق (ص105).

(4) الأخيلية، الديوان، (ص123).

(5) عباس، ديوان شعر الخوارج (ص240).

وهذا النوع قليل في شعر المرأة، ولعل هذا الأمر يرجع إلى رغبتها في اثبات صفة المدح للممدوح مباشرة. [1]

تقول الخنساء:

جـــم فواضـــله تنـــدى اناملـــه كالبـدر يجلـو ولا يخفـى علـى السـاري[2]

فالشاعرة في هذا البيت نسبت الندى الى أنامل صخر، ولم تنسبه لصخر مباشرة، وتريد أن تقول أن كل جزء فيه مهما صغر يقطر بالجود والكرم.

وتقول:

تـــرى المجـــد يهـــوي إلـــى بيتـــه يـــرى أفضـــل الكســـب أن يحمـــدا[3]

الشاعرة تصف أخاها بالمجد والسؤدد، وعلو المكانة، ولكنها لم تنسب الصفة مباشرة، وإنما جعلتها تهويإلى بيته، دلالة على ملازمتها إياه.

وتقول أيضا:

ربيـــع هـــلاك ومـــأوى نـــدى حـــين يخـــاف قحـــط القطـــار[4]

فالشاعرة جعلت الكرم والجود يلوذ به، وينزل في بيته، في إيحاء بكرم صخر وجوده، وعطفه على الفقراء.

ب: باعتبار الوسائط:

المقصود بالوسائط اللوازم التي تكون بين المعنى الحرفي، (المكنى به) والمعنى المقصود (المكنى عنه)، وبحسب كثرتها، أو قلتها، خفائها أو ظهورها تتحدد الأنواع التالية:

---

(1) ينظر صغير، اساليب البيان النسوي (ص232).

(2) الخنساء، الديوان، (ص64).

(3) المرجع السابق (ص31).

(4) المرجع نفسه (ص61).

1- **التعريض:** هو إمالة الكلام إلى عرض ، بمعنى الجانب، والناحية، ويتحقق إذا أشار المتكلم بكلامه، إلى معنى آخر يفهم من السياق، أو المقام الذي يتحدث فيه. [1]

تقول البسوس معرضة ببني بكر، حين قتل كليب ناقتها سراب:

لعمـــرك لـــو أصـــبحت فـــي دار منقـــذ لمـــا ضـــيم ســـعد وهـــو جـــار لأبيـــاتي

ولكننـــــي أصـــــبحت فـــــي دار غربـــــه متـــى يعـد فيهـا الـذئب يعـد علـى شـاتي

فيـــا ســـعد لا تغـــرر بنفســـك وارتحـــل فإنـــك فـــي قـــوم عـــن الجـــار أمـــوات [2]

فالشاعرة تشعر بالغربة والذل والهوان، وذلك لعجز ذويها عن نصرتها والدفاع عنها.

وتقول ميسون بنت بحدل:

وخـــرق مـــن بنـــي عمـــي ضـــعيف أحـــب إليـــا مـــن علـــج عنيـــف [3]

الشاعرة تحن الى عيش البادية، ولذلك نجدها تعقد مقارنة بين البادية والحضر، فتفضل أبناء عمومتها على الخلفاء والأمراء، وتعرض بمعاوية في الشطر الثاني.

1- **التلويح:** تكون الكناية تلويحا إذا كثرت فيها الوسائط بين المكنى عنه والمكنى به.

تقول الخنساء:

طويـــل النجـــاد رفيـــع العمـــاد كثيـــر الرمـــاد إذا مـــا شـــتا [4]

هذا البيت يحوي عدة كنايات، فقولها: " رفيع العماد " يبين علو مكانة صخر، وهذا المعنى لا يدركإلا من خلال وسائط عديدة، فرفيع العماد، دلاله على علو البيت، واتساعه

---

(1) ينظر ابو العدوس، مدخل الى البلاغة، (ص228).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص36).

(3) المرجع السابق (ص158).

(4) الخنساء، الديوان (ص64).

وصلاحه لدخول الضيوف على خيلهم وهذا يدل على أنهم كبار القوم، وكبار القوم لا ينزلون إلا عند سيد من سادات العرب.

وكذلك " كثير الرماد " أرادت الشاعرة أن تصف أخاها بالكرم.

وهذا المعنى يأتي من خلال معرفة عدة خطوات، فالرماد ينتج عن كثرة اشعال النار وكثرة اشعال النار، دليل على كثرة الطهو، وكثرة الطهو بسبب كثرة الضيوف، وهذا دليل على كرم أخيها وجوده وسخائه.

ومن هذا النوع قول فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، _ رضى عنها _

فـــاليوم أخشـــع للـــذليل واتقـــي ضـــيمي وأدفـــع ظـــالمي بردائيـــا [1]

أراد الشاعرة اظهار ضعفها بعد موت والدها فقالت: " وادفع ظالمي بردائيا" فدفع الظالم بالرداء، يدل على غياب المدافع عنها، وغياب المدافع يدل على أنها تعيش وحيدة بمفردها، وهذا الحال ينتج عنه العجز والإحساس بالضعف.

2- **الاشارة:** تكون الكناية اشارة حين تقل المدلولات بين المكنى عنه والمكنى به تقول ليلى بنت لكيز:

ليـــت للبـــراق عينـــا فتـــرى مـــا ألاقـــي مـــن بـــلاء وعنـــا

يـــا كليبـــا وعقـــيلا إخـــوتي يـــا جنيـــدا أســـعدوني بالبكـــا

عـــذبت أخـــتكم يـــا ويلكـــم بعـــذاب النكـــر صـــبحا ومســـا

غللـــوني قيـــدوني ضـــربوا ملمـــس العفـــة منـــى بالعصـــا [2]

(1) الزهراء، الديوان (ص86).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص32).

كنت الشاعرة عن إهانتها، من قبل أعدائها بقولها " ضربوا ملمس العفة منى بالعصا ". وكانوا قد ضربوها على مؤخرتها، وفي هذا امتهان لكرامتها، وأنوثتها، وشرفها، وتقول نائلة بنت الفرافصة:

أيـــــا قبـــــر النبـــــي وصـــــاحبيه عــذيري إن شــكوت ضــياع ثــوبي [1]

تشير الشاعرة إلى موت زوجها وغيابه عنها، بضياع الثوب، وهذه الكناية مستمدة من التعبير القرآني الذي أثرى اللغة العربية بمعانيه وصورة.

وأخيرا يمكن القول أن: " للكناية دور فعال في استكشاف المعاني وتصويرها بأدق وأوفى تعبير، يتمثل في قوة الدلالة الوجدانية وكشفها عن الجوانب الخفية من النفس الإنسانية، أكثر من اقترانها بحركة الواقع المادي الذي لا يتطلب مزيد تأمل وقوة استحياء، لذلك إن الكناية تقوم على أساس تداعي الصور " [2]

من خلال ما سبق يمكن القول أن المرأة وظفت معظم انماط الكناية، رغبة فيها في عدم الإفصاح عن معانيها بلغة صريحة مباشرة، و"صفوة القول " أن الشعر النسوي خلال العصور الأدبية الأولى، يعج بصور البيان، المتمثلة أساسا في التشبيهات والمجازات، والكنايات، وقد استعانت بها المرأة الشاعرة في تصوير ملامح بيئتها، وكشف حالتها النفسية، وابراز سمات أنوثتها " [3]

لقد أجادت المرأة في توظيفها للتشبيه والاستعارة، والكناية، وغيرها من ألوان البلاغة، توظيفا لا يقل براعة عن توظيف الشعراء، في عصرها فرسمت صورة بيانية غاية في الدقة والإبداع.

---

(1) ابن طيفور، بلاغات النساء (ص72).

(2) فالح، خليل رشيد، الصورة المجازية في شعر المتنبي (ص107).

(3) صغير، أساليب البيان في الشعر النسوي القديم (ص336).

المبحث الثالث

الموسيقا في شعر النساء

الشعر العربي القديم شعر غنائي، فهو شعر ذاتي يعبر عن المشاعر والأحاسيس في أوقات الفرح والحزن والأمل والألم، فهو شعر الحب والبغض والفرح والحزن، وهو في بنائه عباره عن مقاطع متوالية بتكرر بعضها في نسق موسيقي تألفه الآذان وتطرب له النفوس.

والشعر ارتبط بالغناء منذ البدايات، فأغاني الأفراح والمناسبات، وترقيص الأطفال، وقد أبيح الغناء في مناسبات حصرها الغزالي في " أيام العيد وفي العرس، وفي وقت قدوم الغائب، وفي وقت الوليمة، والعقيقة، وعند ولادة المولود، وعند ختانه، وعند حفظه للقرآن الكريم " [1]

والشعراء كانوا يدفعون شعرهم إلى جواري يجدن الغناء والضرب على الآلات الموسيقية، وذوات أصوات جميلة كي يعنين هذا الشعر فالعلاقة بين الشعر والغناء علاقة وثيقة، يؤكدها قول حسان:

تغــن فــي كــل شــعر أنــت قائلــة إن الغنــاء لهــذا الشــعر مضــمار [2]

انتقل الشعر القديم لمدة طويلة رواية، ومما سهل حفظه ونقله، هو هذه الموسيقا الخلابة المنبعثة من أوزانه وقوافيه، وانتقاء مفرداته، فالموسيقا " تزيد في انتباهنا وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها، وتجعلنا نحس بمعانيه كأنما تمثل إما أعيننا تمثيلا عمليا واقعيا، هذا إلا أنها تهب الكلام مظهرا من مظاهر العظمة والجلال، وتجعله مصقولا مهذبا تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه " [3]

بحور الشعر

لقد حاول بعض النقاد القدماء والمحدثين الربط بين ما يتخيره الشاعر من أوزان شعره، وبين الحالة النفسية التي تسيطر عليه [4]، وهذا الربط قد يفتقر إلى الدقة في نتائجه، فشعر الرثاء مثلا توحده عاطفة الحزن، ومع ذلك تتعدد أوزانه بين (الكامل – والطويل، والبسيط، السريع، الخفيف، والرجز).

---

(1) الغزالي، احياء علوم الدين، (ج244/2).

(2) ابن رشيق، العمدة،(ج241/2).

(3) انيس، ابراهيم، موسيقى الشعر (ص16).

(4) ينظر القرطاجي، منهاج البلغاء (ص266) وينظر البستاني ،سليم في مقدمة الالياذة (ص90– ص91).

ثم إن عاطفة الحزن عند الشعراء متفاوتة، فهي ليست على درجة واحده عندهم، وحتى عند الشاعر نفسه، تتفاوت العاطفة، فتجاوب الشعراء مع حوادث الموت تختلف باختلاف منزلة الفقيد، ودرجة قرابته، ومكانته الإجتماعية والدينية والسياسية – بل إن شاعر الرثاء ذاته قد يختلف في ضبط وحدته الموسيقية، واختيار البحر الشعري من مرثية لأخرى وللبيت مثلا – عشر قصائد في رثاء أخيه أربد توحدت فيها عاطفة الحزن في نفسه، فعندما زادت حدة حزنه وانفعاله اتخذ الرجز قالبا لشعره يجاري به عاطفته الجياشة فقال:

أنـــــــع الكـــــــريم للكـــــــريم أربـــــــدا

أنـــــــع الـــــــرئيس واللطيـــــــف كبـــــــدا[1]

ودفعه هذا الانفعال إلى مجزوء الكامل بتلمس فيه فسحة لهموم نفسه فقال:

لـــــــن تفنيـــــــا خيـــــــرات أر بـــــد فابكيـــــا حتـــــى يعـــــودا [2]

ثم استكانت أحزانه وهدأت حدة انفعاله، فمال إلى البحر الطويل فقال:

يـــاقي قـــومي فـــي الميـــاتم وانـــدبي فتـى كـان ممـن يبتنـي المجـد أروعـا [3]

وإلى البحر الوافر فقال:

ألا ذهـــــب المحـــــافظ والمحـــــامي ومـــــانع صـــــيمنا يـــــوم الخصـــــام [4]

وعلى الكامل يقول:

أبكـــــي أبـــــا الحـــــزان يـــــوم مقامـــــه لمنـــــاخ اضـــــياف ومـــــأوى مقتـــــر [5]

---

(1) لبيد، الديوان (ص53).

(2) المرجع السابق (ص52).

(3) المرجع نفسه ص91. مي : ابنة اربد، الاروع : الشم الشجاع.

(4) المرجع نفسه ص59.

(5) لبيد، الديوان (ص75) ابو الحزاز : كنية اربد، المقامة : مجلسهم عند الملوك.

وعلى المنسرح يقول:

مـــا إن تعـــرى المنـــون مـــن أحـــد لا والـــــد مشـــــفق ولا ولـــــد [1]

فإذا ما نظرنا في شعر النساء نجد أن هند بنت عتبه وهي ترزح تحت وطأة المصيبة، والفاجعة العظيمة التي حلت بها، والحزن العظيم الذي ملك عليها أحساسها وشعورها نجدها تندفع راثية والدها على مجزوء الرجز فتقول:

يـــــا عـــــين بكـــــي عتبـــــة شـــــــيخا شـــــــديد الرقبـــــــة

يطعـــــــم يـــــــوم المســـــــغبة يـــــــدفع يـــــــوم المغلبـــــــة

إنـــــــي عليـــــــه حربـــــــه ملهوفـــــــــة مســـــــــتلبة [2]

وتقول أيضا تحت وطأة الحزن الشديد على مجزوء الكامل:

لله عينـــــــــا مـــــــــن رأى هلكـــــا كهلـــــك رجاليـــــة

يـــــا رب بـــــاك لـــــي غـــــدا فـــــي النائبـــــات وباكيـــــه [3]

ولكنها عندما هدأت حدة انفعالها، وسكن عنها حزنها قالت على الطويل:

يريـــب علينـــا دهرنـــا فيســـوؤها ويـــأبى فمـــا نـــأتي بشـــيء نغالبـــه

أبعـــد قتيـــل مـــن لـــؤي بـــن غالـــب يـراع امـرؤ إن مـات او مـات صـاحبه [4]

وأما الخنساء فهي خير من يمثل شعر النساء، فهي كهند بنت عتبة، فقدت الأب والزوج والأخوين، ولعل هذه السلسلة الأليمة من الأحداث المتتابعة قد غرست على نفسها منذ أول فقد

---

(1) لبيد، الديوان (ص49).

(2) يموت، شاعرات العرب (ص123- ص129).

(3) المرجع السابق (ص129).

(4) المرجع نفسه ص129.

بذرة الألم، ثم تعهدتها بقية الأحداث بالنماء حتى استشرى الحزن في نفسها المكلومة، وطغى عليها هذا الإحساس فراحت تعاظم العرب في مصيبتها. [1]

لذلك فإننا نجد بحور الشعر عندها متباينة تباين الحالة النفسية، فعندها كانت حزينة، منفعلة، مضطربة، لجأت إلى بحور تستوعب هذه الحدة والإنفعال مثل البحر الخفيف، حيث تقول في رثاء اخيها صخر:

دق عظيمـــي وهـــاض منـــي جنـــاحي هلـــك صـــخر ممـــا اطيـــق براحـــا [2]

وعلى البحر الرمل تقول:

عـــين فـــابكي لـــي علـــى صـــخر اذا علـــت الشـــفرة أثبـــاج الجـــزر [3]

وعندما هدأت نفسها بعد طول المدة، لجأت إلى البحور الطويلة بثتها تأملاتها الحزينة فقالت على الطويل:

لا شـــيء يبقـــى غيـــر وجـــه مليكنـــا ولسـت أرى حيـا علـى الـدهر خالـدا [4]

وقالت متأملة على البسيط:

كـــل امـــريء يأثـــا فـــي الـــدهر مرجـــوم وكـــل بيـــت طويـــل الســـمك مهـــدوم

لا ســـوقة مـــنهم يبقـــى ولا قيلـــك ممـــن تملكـــه الاحـــرار والـــروم

إن الحـــوادث لا يبقـــى لنائبهـــا ألا الإلـــه وراســـي الأصـــل معلـــوم [5]

مما سبق يمكن القول أن اختلاف درجة العاطفة ما بين القوة والهدوء كانت عامل في تنوع بحور الشعر، فالبحر الطويل بإيقاعه الهادئ البطيء نسبيا يلائم العاطفة المعتدلة

---

(1) ينظر العباسي. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (ج 1/ 351 –352)

(2) الخنساء الديوان (ص28) هاض : كسر، ابراح : الزوال من المكان.

(3) المرجع السابق (ص56).

(4) المرجع نفسه ص32.

(5) المرجع نفسه ص105.

الممتزجة بقدر من التفكير والتأمل، سواء كانت حزنا هادئا لا صراخ فيه ،أم سرورا هادئا لا صخب فيه، لذا جاء في النماذج كلها، والبحر الخفيف يلائم العاطفة المتزنة المضبوطة، في حين ينسجم البحر الكامل مع العاطفة قوية النشاط والحركة، سواء أكانت فرحة قوبة الاهتزاز، أم حزنا شديد الجلجلة. [1]

فنجده حاضرا في الحالات، أما البحور القصيرة فإنها توافق حالة الانفعال القوي، فتتماشى مع سرعة التنفس، وازدياد دقات القلب [2]

لذلك نجد شعر الرثاء _غالبا _مقطوعات شعرية قريبة من عشرة أبيات، لأنها وليدة لحظة انفعال وتوتر واضطراب نفسي، وكلما كانت النفس هادئة مستكينة مالت الشاعرة الى البحور الطويلة التي تساعد على التأمل والتفكير.

ويمكن القول إن إصحاب النماذج السابقة (لبيد – هند – الخنساء) جمع بينهم غرض واحد هو الرثاء، والعاطفة المسيطرة عليهم هي عاطفة الحزن والألم على الفقيد، ثم إن شعرهم لم يأتي على نمط موسيقي واحد، حيث تعددت بحور الشعر عندهم، وحتى عاطفة الحزن لم تكن على حالة واحدة، فمرة قوية حادة، ومرة ضعيفة هادئة، وهذا أنتج لنا شعرا متعدد الأوزان، فالشاعر نظم على أكثر من بحر ضمن الغرض الشعري الواحد وهذا واضح مما ذكر من أمثلة.

فالبحور التي ترتبط بقوة عاطفة الحزن هي (الرجز، السريع، الرمل، الخفيف المتقارب، مجزوء الكامل) والتي ارتبطت بالعاطفة الهادئة هي: (البسيط، الكامل الطويل، الوافر، المنسرح) والطويل أكثر هذه البحور.

ويمكن القول إنه لا يوجد رابط بين الحالة النفسية، والأوزان الشعرية إلا من ناحية حدة الانفعال وفتوره.

1- التقسيم المقطعي الصوتي:

يقصد بالتقسيم المقطعي هنا، إمكانية تقسيم البيت من الشعر إلى مجموعات كل مجموعة تتكون من كلمات، ويساعد على تكوين هذه المجموعات كل من التركيب النحوي، والدلالي، أو المعنى، ويمكن أن يطلق تجوزا على هذه المجموعة (مقطع صوتي)؛ أي مجموعة

(1) ينظر: النويهي، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه (ج 1/ ص60).
(2) ينظر: أنيس، موسيقى الشعر (ص177).

كلمات تألفت – في ضوء النظام النحوي، وفي ضوء المعنى العام، والمعاني الجزئية – فكونت كتلة صوتية.

فهذا النمط من التركيب اللغوي والصوتي يحقق إيقاعا وانسجاما فوق الإيقاع والانسجام الذين يشتمل عليهما الوزن العروضي، فكما أن التفعيلات تكرر في البيت الواحد على مسافات معينة، كذلك تتكرر المقاطع الصوتية على مسافات معينة، فيتم حينئذ البعيد.

عن الشحنة النفسية تعبيرا أدق، ويكون تكرار المقاطع الصوتية كسرا لرتابة وحدة الوزن والقافية من جهة، وزيادة في تحقيق موسيقى الشعر بصورة أكثر تأثيرا وأقوى تعبيرا من جهة أخرى، كما يتوافق هذا التقسيم المقطعي مع ضغط الانفعال النفسي الناتج عن الحزن، ويبرز جرعة الشعور النفسي. [1]

والشاعرة قد تجد في هذا التقسيم شيئا من الراحة النفسية، تقول الفارعة بنت شداد في رثاء اخيها:

شـــــهاد أنديـــــة رفـــاع أبنيـــة شـداد الويـة فتـــاح أســـداد

نحـــــار راغيـــــة قتـــال طاغيـــة حـــلال رابيـــة فكـــــاك أقيـــــاد

قـــــوال محكمـــــة نقـــاض مبرمـــة فـراج مبهمـة حبـــــــاس أوراد

حـــــلال ممرعـــــة حمـــال مضـــلعة قـراع مفظعـة طـــلاع أنجـــاد [2]

ومثلها الخنساء التي لجأت إلى المقاطع المتتابعة يقودها حزنها على فقد أخيها فتقول:

آبـــي الهضـــيمة آتـي بالعظيمـة متلاف الكريمة لا نكس ولا وانـي

حـــامي الحقيقـــة سـبال الوديقـة معتاق الوسيقة جلد غير ثنيان [3]

---

(1) ينظر: السريحي، الصورة في شعر الرثاء الجاهلي (ص257)

(2) ماريني، شواعر الجاهلية (ص289 – ص290).

(3) الخنساء، الديوان (ص111) الهضيمة : تعني الظلم، الكريمة : خيار المال، النكس : الجبان، الواني : الضعيف، بسال : مانع، الوديقة : موضع العشب، الوسيقة :هي الاسيرة ، جلد : صبور، الثنيان : من لا عقل له.

وتقول أيضا:

طـــــلاع مرقبـــــة منـــاع مغلقـــة وراد مشـــــربة قطـــــاع أقـــــران

شـــــهاد أنديـــــة حمـــال الويـــة قطـــاع أوديـــة ســـرحان قيعـــان [1]

وإذا نظرنا إلى المقاطع على المستوى النحوي والصرفي والصوتي وجدنا التناسب والتجانس والتشابه الذي يوفر لنا إيقاعا موسيقيا محببا الى النفس، وذلك فوق التجانس العروضي.

وهناك تقسيم آخر في شعر النساء، حيث يعتمد بناء البيت على التقسيم الثلاثي، بحيث يتكون الشطر الأول من مقطعين قصيرين ويكون عجزه مقطعا واحدا طويلا، تقول جنوب أخت عمرو ذي الكلب:

وحـــــي أبحـــــت وحـــــي صـــــبحت غـــــداة الهيـــــاج منايـــــا عجـــــالا

وخـــــوف وردت وثغـــــر ســـــددت وعلـــــج شـــــددت عليـــــه الحبـــــالا

ومـــــال حويـــــت وخيـــــل حميـــــت وضـــــيف قريـــــت يخـــــاف الوكـــــالا [2]

يقول على البطل هذه التقسيمات تتناسب مع تجمعات الندب والنياحة الطقوسية [3]

وهذا رأي فيه اجتهاد، إلا أنني لا أذهب مع هذا الرأي، فجميع الأمثلة التي سيقت هي أبيات من قصائد طويلة، بعضها زاد على الثلاثين بيتا، ولو كانت نظمت لتناسب طقوس النياحة لكانت القصيدة قصيرة وعبارة عن مقطوعة شعرية وتسير على نظام واحد ألا وهو المقاطع الصوتية ألا أن هذه الأبيات نثرت في ثنايا القصيدة، ولكنها قد تتيح للشاعرة مدى أوسع، متفرع من خلالها شحنات الحزن والألم، مع منح النص موسيقى محببة إلى النفس تالفها الأذن وتنسجم معها.

---

(1) الخنساء، الديوان (ص112).

(2) ماريني، شواعر الجاهلية (ص235 –ص 236).

(3) ينظر: البطل علي، الصورة في الشعر العربي (ص222).

2- القافية:

القافية لغة: هي مؤخر العنق . [1]

أما اصطلاحا: هي على رأي الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 174) آخر ساكنين البيت وما بينهما والمتحرك قبل اولهما.

وهي عند الاخفش الأوسط (ت 215 هـ) في آخر كلمة في البيت فقافية البيت الآتي:

أنـــت علـــى مالـــك مـــن مـــروءة رميـــت بالغـــدر أحـــب مـــن وفـــي

على رأي الخليل (من وفى) وعند الأخفش (وفى) [2]

والقافية إما مطلقة، وهي ما كانت موصولة مثال ذلك قول عروة بن الورد:

أتهـــزأ منـــي أن ســـمنت وأن تـــرى علـــي شـــحوب الحـــق والحـــق جاهـــدُ

أفـــرق جســـمي فـــي جســـوم كثيـــرة وأحســـو قـــراح المـــاء والمـــاء بـــاردُ[3]

والوصل حرف اللين الناشئ عن إشباع حركة الروي، وهو في البيت الثاني الواو الناشئة عن إشباع حركة الدال في (باردو)، أو مقيدة: وهي ما كانت غير موصولة، أي ليس فيها حرف لين ناشئ عن إشباع حركة الروي، هو هنا الدال في قول المتنبي:

أزائـــر يـــا خيـــال أم عائـــدْ أم عنـــد مـــولاك إننـــي غيـــر راقـــدْ [4]

إن تكرار القافية الدائم والمتتابع في جميع أبيات القصيدة يؤدي إلى ربط الأبيات بعضها ببعض، كما إنها تلتحم مع المعنى العام للقصيدة، وتوحي بجوها سواء أكانت قافية كطلقة تعج بالحركة والحيوية وينطلق الصوت من خلالها واضح المعالم ن ام قافية مقيدة ساكنة تبعث الهدوء والسكون وتضيع معالم الاصوات فيها. [5]

---

(1) ابن منظور، لسان العرب (ماده قفا).

(2) وهبة والمهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (ص282 – ص 283).

(3) عروة، الديوان (ص61).

(4) المتنبي، الديوان (ص551).

(5) يقول ابراهيم انيس في كتاب موسيقى الشعر (ص284) : " ان الحرف الساكن حين يقع في نهاية الكلمة ثم يراد الوقوف على كلمته قد يتعرض ذلك الحرف للغموض او الابهام فيقل وضوحه في السمع، او قد يسقط في النطق "

والقافية المطلقة هي القافية السائدة في الشعر الجاهلي عامة فحركة الفتح والضم والكسر تعكس حركة العربي الدائبة، وتنقله المستمر عبر الصحراء لذلك بلغت القافية المطلقة 90% من الشعر الجاهلي عامة، بينما ظلت القافية المقيدة تمثل 10% منه فقط. [1]

ومن نماذج القافية المقيدة في شعر النساء قول الخنساء:

يـــا عـــين جـــودي بالـــدموع المســـتهلات الســـواجم [2]

وتقول ايضا:

مـــن لامنـــي فـــي حـــب كـــوز وذكـــره فلاقـــي الـــذي لاقيـــت اذ حفـــز الـــرحم [3]

ومن الشواعر الاخر اللاتي لجأن الى القافية المقيد امية بنت امية بنت عبد شمس بن عبد مناف، حيث تقول:

ابـــــي ليلـــــي ان يـــــذهب ونـــــيط الطـــــرف بالكوكـــــب

ونجـــم دونـــه الاهـــوال بيـــ ن الـــــــــدلو والعقـــــــــرب

وهـــــذا الصـــــبح لا يـــــأتي ولا يـــــــــدنو ولا يقـــــــــرب

بفقـــــد عشـــــيرة منـــــا كـــــرام الخـــــيم والمنصـــــب

احـــــال علـــــيهم دهـــــر حديـــــد النـــــاب والمخلـــــب [4]

ان الذي ألجأ الشاعرة إلى القافية المقيدة، هو قيد الحزن والألم الذي يقيد الشاعرة ، فالحزن أبدي والليل لا يذهب ، فهو أزلي سرمدي لذلك فهي متعلقة بالعالم العلوي حيث النجوم والكواكب، لكنها تجد الهموم والأهوال دون ما تريد.

---

(1) أنيس موسيقى الشعر (ص283).

(2) الخنساء، الديوان (ص109).

(3) المرجع السابق (ص107).

(4) يموت، شاعرات العرب (ص111).

ويمكن أن نخلص إلى شيء مهم وهو أن المرأة الشاعرة كانت مقله من القافية المقيدة، لأنها تميل إلى رفع الصوت ومده وإطلاقه لإعلان مصابها، وشحذ الهمم لا شفاء غليلها.

الروي:

هو في العروض العربي، أحد أحرف القافية الذي تبنى عليه القصيدة ويتكرر بتكرر أبياتها، وتنسب إليه عادة، وذلك كقول حرير:

أقلـــى علـــى اللـــوم عـــاذل والعتابـــا وقـــولي إن أصـــبت فقـــد أصـــابا [1]

وتتبع أهمية الروي من كونه يعكس صدى صوته على القصيدة، وكونه يمثل وحدتها، ويمنحها اسمة، فيقال اللامية، والسينية وغيرها، ثم أن الروي يعتبر مرآة تنعكس عليها عواطف الشاعر وأحاسيسه ومشاعره، أو بصمة غير صاحبها وتعكس حالته، لذا كان في معرفة هذا الصوت كشف لنفسية صاحبه.

وفي الشعر تنعكس الحالة النفسية للشاعرة على لغتها، والروي جزء من هذه اللغة بل هو عنوان القصيدة، والصوت المتكرر فيها، ولابد أن فيه ظلالا من نفسية الشاعر وأحاسيسه [2]

وإذا نظرنا إلى كتاب شواعر الجاهلية لرغداء ماريديني، فأننا نجد أن المؤلفة أوردت فيه مائة وخمس عشرة مقطوعة شعرية لشواعر من العصر الجاهلي، وبعد عملية احصاء للروي في هذه المقطوعات تبين الاتي:

حرف الروي	ء	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ي	المجموع
العدد	1	9	-	-	1	3	-	7	-	25	1	1	-	2	-	-	-	4	-	-	3	2	12	16	6	14	1	7	**115**

اكثر حروف الروي الراء (25) يليه الميم (16) ثم الهاء (14) واللام (12) والباء(9) والياء(7) والدال (7) والنون (6)

(1) وهية والمهندس، معجم المصطلحات العربية (ص190)

(2) ينظر: السريحي، الصورة في شعر الرثاء الجاهلي (ص268)

أن طبيعة الأصوات التي كثر مجيؤها رويا نجد أنها جميعا من الأصوات المجهورة التي تساعد بوضوحها وقتها على رفع الصوت في شعر الرثاء لإعلان المصاب، والتفريغ شحنة الحزن والألم. " ثم أن حالة شاعر الرثاء القلقة المتوترة لا يتناسب معها الهمس الهادئ، وإنما الجهر العالي، كما تجتمع هذه الاصوات، الراء، اللام، والنون والباء على صفة الذلاقة." [1]

وشاعر الرثاء يحتاج لهذه الأصوات في تأبينه وتهديده ووعيده، لما فيها من سهولة وطلاقة، ثم أن هذه الحروف بخفتها وسلاستها يسهل النطق بها في ساعه الانفعال والارتباك والاضطراب " [2]

وإذا كان حرف الراء أكثر الحروف ظهورا في روي شعر النساء، فانه يتناسب مع رعشة الحزن والألم، وتذبذب الوترين، وارتعاد اللسان عند النطق، كما أن الدال والباء من الأصوات المجهورة الغنية بعنصر الوضوح السمعي، كما أنهما من الأصوات الشديدة الإنفجارية.

فالأصوات التي كثر ورودها توفرت فيها صفات القوة من: جهر وذلاقة وشدة انفجار وقلقلة، أما الحروف التي قل ورودها رويا في شعر النساء فإن أغلبها من المهموسة.

التكرار:

التكرار من الأصوات الواضحة في شعر الرثاء يكشف به شاعره عن المعاني المتغلغلة في نفسه والممتلئة حزنا وألما، فيعمد إليه لتفريغ شحنة الألم والحزن المطبقة على نفسه، فقد يفقد الإنسان اتزانه في لحظة اشتداد الحزن، فيفلت من ربقة التحكم في نقطه، ويعود إلى فطرته وسليقته في النطق. [3]

والتكرير عند الشعراء تكرير حركة وتكرير كلمة وتكرير جملة وتكرير معنى.

---

(1) الذلاقة : حدة اللسان وطلاقته، والمراد هنا الحروف التي تتصف بالخفة والسلاسة وهي : الراء واللام، والنون، وسميت حروف الذلاقة لانها تخرج من ذلق اللسان وهو طرفه مع غار الفم، وقد ضمت اليها ثلاثة حروف شفوية هي :الفاء والباء والميم وسميت حروف ذلاقة للخفة التي فيها، ينظر علام، علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الحديثة (ص65) والمهدي، أصوات العربية ودراسة وصفية (ص127).

(2) السريحي، الصورة في الشعر الجاهلي (ص269 – ص290).

(3) السيد، التكرير بين المثير والتأثير (ص80).

1- تكرار الحركة:

تبرز حركة الكسر كأكثر الحركات في شعر الرثاء عند النساء، وذلك أن حركة الكسر تناسب لحظة الضعف والإنكسار والخضوع للحزن والألم ، تقول زينب بنت العوام:

أعينـــي جـــودا بالـــدموع فاشـــرعا علـــى رجـــل طلـــق اليـــدين كـــريم [1]

وتقول خالدة بنت هاشم:

عيـــنن جـــودي بعبـــرة وســـجوم واســـفح الـــدمع للجـــواد الكـــريم [2]

وقد تشبع الشاعرة الحركة فتتقلب الى ياء:

وأرســـل عبـــدالله إذ خـــان يومـــه إلـــى قومـــه لا تعقلـــوا لهـــم دمـــي [3]

وحركة الكسر عند المرأة تتكرر أكثر من الرجل الإحساس الدائم بالخوف وفقد الحماية بعد موت مرثيها، لذلك يبلغ التكرار عندها أكثر من النصف [4]

ولعل حركة الفتح أقل حضورا في شعر النساء وذلك أن المرأة تلجأ إلى البكاء والصراخ والعويل لتخفيف حدة انفعالها تقول آمنة بنت عتيبة:

وكـــان أبـــي عتيبـــة شـــمريا فـــلا تلقـــاه يـــدخر النصـــيبا [5]

وتقول دخنتوس بنت لقيط:

بكـــر النعـــي بخيـــر خنـــدف كهلهـــــــا وشـــــــبابها [6]

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص171).

(2) المرجع السابق (ص113).

(3) المرجع نفسه (ص97).

(4) ينظر، السريحي، الصورة في شعر الرثاء الجاهلي (ص284).

(5) يموت، شاعرات العرب (ص105).

(6) المرجع السابق (ص51).

2- تكرار الحرف (المماثلة):

يطلق لفظ المماثلة على تأثير الأصوات بعضها على بعض حين تتجاور، وهذا التماثل قد يكون في الصفة، أو المخرج، أو فيهما معا، مما ينشأ عنه الإدغام [1]

فالمماثلة تتمشى مع ما فيها من سرعة في نطق الأصوات، ومزج بعضها ببعض، مع تدفق مشاعر الشاعر وحدة انفعاله، كما يستمد من قوة التضعيف قوته التي تكاد تتلاشى من الحزن والألم ومثال ذلك قول الخنساء:

تطيـــر مـــن خـــل الـــبلاد براقشـــا بـــأروع طـــلاب اللتـــرات مطلبـــه [2]

وتقول دخنتوس ابنة لقيط:

وأضـــــــــــرها لعـــــــــــدوها وأفكهـــــــــــا لرقابهـــــــــــا [3]

وهو يكاد يختفي حين تهدا نفس الشاعر، فإذا ما عاوده التوتر والإنفعال، عاد التماثل بقوة، فهو رهين الحالة النفسية والدفق الشعوري، والتوتر الانفعالي.

3- تكرار الصياغة والمعنى:

من الصياغات التي تتكرر في شعر المرأة الصياغات البكائية التي تبدو واضحة في كثير من المقطوعات الشعرية، وربما تتكرر في المقطوعة الواحدة من ذلك قول أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب في رثاء والدها:

ألا يـــا عـــين جـــودي واســـتهلي وبكـــــي ذا النـــــدى والمكرمـــــات

ألا يـــا عـــين ويحـــك اســـعفيني بـــدمع مـــن دمـــوع هـــاطلات

ويكـــي خيـــر مـــن ركـــب المطايـــا أبـــاك الخيـــر تيـــار الفـــرات

فبكيـــــه ولا تســـــمي بحـــــزن وبكـــــي مـــا بقيـــت الباكيـــات [4]

---

(1) ينظر انيس، اللهجات العربية (ص71).

(2) الخنساء، الديوان (ص15).

(3) يموت، شاعرات العرب (ص51).

(4) المرجع السابق (ص118 – ص 119).

ومثله قول عاتكة بنت عبدالمطلب:

أعينـــــي حـــــودا ولا تـــــبخلا بـــــدمعكما بعـــد نـــوم النيـــام

أعينـــــي واســـــتعبدا واســـــكبا وشـــــويا بكـــاء كمـــا بالتـــدام

أعينـــــي واســـــتخرطا واســـــجما علـــى رجـــل غيـــر نكـــس كهـــام [1]

ومثل ذلك عند خالدة بنت هاشم [2] وسليمى بنت المهلهل [3]

ومن الصياغات التي تتكرر في شعر النساء، صياغة التفجع، وهي من الصياغات الأنثوية المقصورة على المرأة فقط [4] وإن وجدت عند الرجال فهي قليلة.

تقول سليمى بنت المهلهل في رثاها لأبيها:

لهفـــي عليـــه إن توســـط معضـــل حصـــن العشـــيرة ضـــارب بجـــران

لهفـــي عليـــك إذا اليتـــيم تخاذلـــت عنـــه الأقـــارب إيمـــا خـــذلان [5]

وتقول الخنساء في رثاء أخيها صخر:

لهفـــي علـــى صـــخر فـــإني أرى لـــه نوافـــل مـــن معروفـــة قـــد تولـــدت

لهفـــي علـــى صـــخر لقـــد كـــان عصـــمة لمـــولاة إن نعـــل بمـــولاه زلـــت [6]

ومن المعاني التي تكررت في شعر النساء: معاني الكرم والشجاعة والفصاحة والبيان واغاثة الملهوف: وفك العاني وهذا كثير في شعر النساء، وربما سبق الحديث عن ذلك بإسهاب في فصول البحث.

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص115).
(2) المرجع السابق (ص113).
(3) المرجع نفسه (ص39).
(4) ينظر الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي (ص623).
(5) يموت، شاعرات العرب (ص40).
(6) المرجع السابق (ص22).

ومن التكرار تكرار الضمير الدال على الجمع الذي يفيد الشمول والعموم مثل قول أميمة بنت أمية:

فـــــإن أبكـــــي فهـــــم عـــــزي وهـــــم ركنـــــي وهـــــم منكـــــب

وهـــــم أصـــــلي وهـــــم فرعـــــي وهـــــم نســـــبي إذا أنســـــب

وهـــــم مجـــــدي وهـــــم شـــــرفي وهـــــم حصـــــني إذا أرهـــــب

وهـــــم رمحـــــي وهـــــم ترســـــي وهـــــم ســـــيفي إذا أغضـــــب [1]

وتكرار كم الخبرية قولها:

وكـــــم مـــــن نـــــاطق فـــــيهم خطيـــــب مصـــــقع معـــــرب

وكـــــم مـــــن فـــــارس فـــــيهم كمـــــي معلـــــم محـــــرب

وكـــــم مـــــن مـــــدره فـــــيهم اريـــــب حـــــول قلـــــب

وكـــــم مـــــن جحفـــــل فـــــيهم عظـــــيم النـــــار والموكـــــب

وكـــــم مـــــن خضـــــرم فـــــيهم نجيـــــب ماجـــــد منجـــــب [2]

يمكن القول أن الشعر العربي شعر غنائي استمد موسيقاه من الوزن والقافية، والتصريع وحركة روية، ومن انتقاء ألفاظه وحسن نظمها، من سهولة في تركيبها وانسجام لأصواتها مع ما يولده التكرار من نغمة موسيقية رتيبة، كل هذا يجعل الشعر أقرب للنفوس، وأسهل للوصول للقلوب وأهون في الحفظ والرواية.

---

(1) يموت، شاعرات العرب (ص111).

(2) المرجع السابق ص112.

الخاتمة

بعد هذا الطواف الجميل في نتاجات شواعر الجاهلية والإسلام، والوقوف على صورة الآخر في شعرهن، سواء أكان هذا الآخر أبا، أو أخا، أو ابنا، أو زوجا، أو محبوبا، وسواء أكان أعجميا أو مذهبيا، مسلما أو كافرا، وبعد الدراسة الفنية لشعر هذه المرحلة، والتي تتبعت الصورة البيانية من تشبيه واستعارة وكناية، ووقفت على لغة الشعر فيها ثم الموسيقى.

أولاً: النتائج

يمكن القول بأن الدراسة توصلت إلى عدة نتائج ،وهذا عرض لأبرزها:

1- حظيت المرأة العربية بمكانة مرموقة في العصر وعززها الإسلام بعد ذلك، فقد حرص العربي على إعزازها، وصونها وحمايتها، بل وافتداها بنفسه وماله.

2- كانت المرأة العربية في العصرين شديدة التعلق بأهلها وأقربائها، مما جعلها تطلق للسانها العنان في وصفهم والتغني ببطولاتهم، وتزهو بالعيش في كنفهم.

3- حرصت المرأة في رثائها لأهلها على التصوير المعنوي، فالشجاعة والإقدام، والكرم والجود، والحلم والفصاحة والبيان كانت من الصفات التي حرصت عليها وأكثرت منها.

4- أكثرت المرأة في العصر الجاهلي من التفجع والتوجع، وشق الجيوب ولطم الخدود، لكنها أحجمت عن ذلك في العصر الإسلامي بعد أن غيرها الدين الجديد، الذي حارب كل هذه الأفعال وأنكرها.

5- ظلت شواعر صدر الإسلام متأثرات بالعصر الجاهلي، وخصوصا المخضرمات، لأنهن كن قريبات عهد به، ولذلك جاءت صورهن مشابهة لحد بعيد صور المرأة الجاهلية.

6- نادت المرأة في العصر الجاهلي بالثأر لقتلاها، وحرضت أهلها وقومها عليه، وكانت قاسية جدا على من تقاعس عنه. ولكن هذا الأمر كان مختلفا عند شاعرات العصر الإسلامي لتأثرهن بالدين الجديد.

7- إن المراثي الشعرية في العصر الإسلامي في مجملها لم ترق إلى درجة مراثي النساء في عصر ما قبل الإسلام، من حيث الكشف عن التجربة وعمقها، وربما يرجع ذلك إلى القدرة التعبيرية للراثية الجاهلية عن الراثية المسلمة، بسبب تمسك الأخيرة بتعاليم الدين الجديد.

8- رثت المرأة العربية في العصر الإسلامي محبوبها بجرأة وشجاعة لم تكن معهودة في العصور القديمة، وهذا بين واضح في رثاء ليلى الأخيلية لتوبة بن الحمير.

9- من العرب من حرص على أن يرثى قبل موته، مثل ما فعل عبد المطلب بن هاشم، حين طلب من بناته أن يرثينه، ففعلن وأجدن في رثاءه.

10 ـ لم تناد المرأة الخارجية بالثأر للقتلى، لأنها كانت متعلقة بالآخرة وترجو الثواب من الله، ولأن الشهادة عند الخوارج كانت هدفا يسعون له، ويحرصون عليه.

11- نظرت المرأة العربية للآخر الأعجمي، والآخر اليهودي نظرة احتقار وازدراء، وهذا واضح في كونها تفضل الموت على الزواج منهما.

12ـ أحبت المرأة العربية، ولكنها كانت عفيفة شريفة، كتومة، لا تظهر ودها حرصا على سمعتها، وسمعة أهلها، وهذا هو الأغلب، أما ما خالف ذلك فهذا يعد شذوذا.

13- ظلت المرأة العربية أسيرة بيئتها، تعشقها، وتحن إليها، وتأسى على أيام قضتها فيها، وربما يكون ذلك لحب نما وترعرع في ربوعها، فخشيت البوح به، والإفصاح عنه.

14 ـ كان شعر الهجاء عند المرأة شديدا، مؤلما، قاسيا، حيث نال الزوج منه نصيبا، وكذلك من تقاعس عن الأخذ بالثأر من الأقارب، إضافة إلى الأعداء في الجاهلية والإسلام سواء بسواء.

15- لقد شهدت مراثي النساء لشهداء المسلمين حالة جديدة كانت قليلة جداً قبل الإسلام وتمثلت في الرثاء من دون صلة القربى بل قد يكون الذي يرثونه اليوم عدواً بالأمس فضلاً عن انتقال الرثاء عن المنظور الفردي إلى المنظور الجماعي.

16- تميزت مراثي النساء في عصر صدر الإسلام بألفاظ سهلة، واضحة، لينة، بعيدة عن الأغراب، والتعقيد، بعكس لغة مراثي النساء في عصر ما قبل الإسلام، ويعود ذلك إلى تأثر لغة العصر- صدر الإسلام- بأسلوب القرآن الكريم.

17- لقد حفلت مراثي النساء في العصرين بكثير من الألفاظ التي جاءت متوافقة وموضوع الرثاء؛ فالبكاء ؛ والدموع، والأرق، والموت، والمصيبة، والحزن ألفاظ عامة لا يمتاز بها عصر دون غيره علماً أنَّ لفظة (البكاء) ومشتقاتها تكاد تطغى على سائر المراثي النسائية في العصرين.

18- عكس شعر النساء الكثير من الصفات الشكلية التي رغب فيها العرب في الطفل، كبياض البشرة والطول والجمال...، والصفات التي رغبوا عنها كاحمرار البشرة واللعثمة.

19- رجوع الشواعر في بناء صورهن، إلى الواقع، ومحيطهن، يتأملنه جيدا، ثمّ يعدنَ تشكيله، ناقلات، إياه من الحياة إلى الشعر، معتمدات في ذلك، على عنصر الخيال.

20- توظيف المرأة العربية، لأسلوب التشبيه بكثرة في شعرها، متخذة إياه، وسيلة لتصوير حياتها، وإبراز نفسيتها، وكشف مشاعرها، علما أنها فيه، وفية لبيئتها ومحيطها.

21- الطبيعة، في شعر المرأة ملمح هام، فهي أداة مهمة، لرسم الصور الشعرية، سواء كانت تشبيهية، أو استعارية، أو كنائية، ولذلك جاءت أحاسيسها، ومشاعرها، ممزوجة بمشاهدها.

22- استناد شواعر الجاهلية، إلى عناصر الطّبيعة، أثناء بناء تشبيهاتهن، التي نجدها تكشف العديد من جوانب شخصية المرأة، إذ تظهر من خلالها، ممجدة للبطولة والإقدام، مؤثرة للقوة، وهائمة بمظاهر الحسن والجمال.

23- خضوع البناء الاستعاري، في شعر المرأة، لعناصر الطَّبيعة، وملامح البيئة، كما يتصل اتصالا وثيقا بطبيعة المرأة الأنثوية.

24- التشبيه في شعر المرأة الجاهلية، يأتي لبيان حالتها النفسية، كالإحساس بالضعف، وعدم الشعور بالاطمئنان، مثلما هو ماثل في تشبيهات فاطمة بنت الأحجم، وزينب اليشكرية، وليلى بنت لكيز، وأيضا للتعبير عن حزنها، وإبراز نفورها، من بعض السلوكات والأوصاف.

25- لم تخرج شواعر العصر الإسلامي، والأموي في التشبيه عن الإطار المرسوم له، في العصر الجاهلي، حيث استقين مادته من البيئة، فجاء صورة صادقة عن العصر، بكلّ موجوداته، ومرآة عاكسة، لنفسية المرأة، التي ظلّت تستهويها مظاهر القوة والجمال.

26- لجوء المرأة الشاعرة، إلى الصورة الكنائية لقيمتها التعبيرية، ودورها الفعال في نقل المعاني، دون التصريح بما يجيش، في نفسها من خواطر، فوظّفتها بقوة في شعرها، كأداة تنقل من خلالها، مختلف القيم الخلقية، والأمراض السلوكية، المنتشرة في مجتمعها.

27- تكنية شواعر الجاهلية، عن أشياء متصلة ببيئتهن، ومرتبطة بقيم عصرهن، كالخصال المعنوية من مثل الجود، والمجد، والعفّة، وكذلك الصفات المذمومة، وفي مقدمتها الجبن. والبخل، فضلا عن بعض الظّواهر الشائعة في الجاهلية، كالقحط، والحرب.

28- سير شواعر العصر الإسلامي، والأموي، في أسلوب الكناية، على مذهب شواعر الجاهلية، فكنين بدورهن، عن الصفات الحميدة، كالكرم، كما استخدمنها، للإشارة إلى الحرب، والأدوات القتالية، علما أنّ أثر الإسلام، باد في كنايات، بعض الشواعر، مثلما هو الشأن بالنسبة لأم خالد النميرية، وليلى الأخيلية.

29- جاءت ألفاظ الشاعرات في بيان صورة الآخر، متناسبة مع المعاني، فكانت ألفاظها رقيقة في الغزل، جزلة في الفخر والمدح.

20 – مالت المرأة إلى القافية المطلقة في شعرها، وكانت مقلة في القافية المقيدة، لعدم مناسبتها لعاطفة الحزن، والرغبة في تفريغ الشحنات العاطفية.

31 – تباين العاطفة عند الشاعرات بشكل عام، وعند الشاعرة بشكل خاص بين القوة والضعف، أدى إلى تنوع بحور الشعر وتعددها.ض

32 – كان للعاطفة أثر واضح في أشعار النساء، وهذا ما يفسر وجود المقطوعات القصيرة التي تقال في الموقف نفسه، لحظة الانفعال.

ثانياً: التوصيات

1- دراسة شعر النساء دراسة فنية للوقوف على القيمة البلاغية الكامنة فيه.

2- جمع شعر النساء في دواوين منفصلة لأفراد أو مجموعات.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

آبادي، الفيروز (2003م). *القاموس المحيط*، تحقيق: محمد عبد الرحمن.(ط.2). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الأبشيهي، أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور (ت: 852هـ).(1419هـ) *المستطرف في كل فن مستطرف*.(ط.1)..بيروت: عالم الكتب.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري. (ت: 630هـ). (1417هـ / 1997م).*الكامل*. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. (ط1). بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري. (ت: 630هـ). (1409هـ – 1989م). *أسد الغابة*،(د.ط). بيروت: دار الفكر.

أخذاري، بكاي. (2007).*الخطاب الشعري*.(د. ط). الجزائر: وزارة الثّقافة.

الأخيلية، ليلى. (د ت) *الديوان* . تحقيق: خليل إبراهيم العطية وجليل العطية.(د ط).بغداد: وزارة الثقافة والإرشاد.

الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد. (ت: 321هـ). (1411 هـ – 1991 م) *الاشتقاق*. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون.(ط.1). بيروت: دار الجيل.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. (ت: 370هـ). (2001م). *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب.(ط1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو أسعد، أحمد ،(1982م)،*أغاني ترقيص الأطفال عند العرب*، ط2. بيروت: دار العلم للملايين.

الأشعري، أبو الحسن علي .(1990م). *الإبانة عن أصول الديانة* . ط.2.بيروت : دار الكتاب العربي .

الأصبهاني، أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف ثم البغدادي الظاهري (ت:297هـ). *الزهرة*. الكتروني، الشاملة.

الأصفهاني،أبو الفرج (1410 هـ، 1990 م).*الأغاني*.(ط8). بيروت: دار الثقافة.

الأصفهاني، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي(د.ت). (ت: 421 هـ). غريد الشيخ . إبراهيم شمس الدين. *شرح ديوان الحماسة*. (ط.1). بيروت: دار الكتب العلمية.

الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (ت: 216هـ) ،(1993م)، *الأصمعيات*، تحقيق: احمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون، (ط7). القاهرة: دار المعارف.

الألوسي، محمود شكري ، (ت1342هـ).(1342هـ). *بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب*. عنى بشرحه وتصحيحه وضبطه، محمد بهجة الأثري. (ط3). مصر: دار الكتب الحديثة.

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت: 370هـ)، (1411 هـ - 1991 م)، *المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم*. تحقيق: ف. كرنكو. (ط1). بيروت: دار الجيل.

الأندلسي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (ت: 487هـ).(د. ت)، *سمط اللآلي في شرح أمالي القالي*. تحقيق: عبد العزيز الميمني.(د. ط). ، بيروت: دار الكتب العلمية.

أنيس، إبراهيم (1984 م). *اللهجات العربية* ،(ط6).القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

أنيس، إبراهيم. (1972 م). *موسيقى الشعر*.(ط4). القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية.

البخاري. أبو عبدا لله محمد بن إسماعيل. (1407هـ -1987م). *الجامع الصحيح المختصر* تحقيق: مصطفى ديب البغا.(ط3). دار ابن كثير. بيروت.

البخاري، أبو عبدا لله محمد بن إسماعيل الجعفي.(1987م- 1407هـ) صحيح البخاري الجامع الصحيح المختصر. تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا. (ط3). بيروت: دار ابن كثير.

البستاني، سليم. (1954 م) *مقدمة في تاريخ الإليادة*.(د.ط) القاهرة. مطبعة الهلال.

البصري، أبو الحسن علي بن أبي الفرج بن الحسن. *الحماسة البصرية*.تحقيق: مختار الدين أحمد.(د.ط). بيروت: عالم الكتب.

البصري، المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي، (ت: 384هـ)،(1391هـ)، *نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة*.(د.ط).(د.م).

البصري، ليلى محمد ناظم محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله.(1989م). *ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام*. رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الطابعة. كلية الآداب. الجامعة المستنصرية.

البطل، علي (1980). *الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري*. (ط.1) . بيروت: دار الأندلس. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر.(د.ت). الفرق بين الفرق.(د.ط).بيروت: دار المعرفة.

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر.(د.ت). *الفرق بين الفرق*.(د.ط).بيروت: دار المعرفة.

البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي.(1405 هـ - 1985 م). *المنمق في أخبار قريش*. تحقيق: خورشيد أحمد فاروق. (ط1). بيروت: عالم الكتب.

البغدادي، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون (ت: 562هـ).(1417 هـ). *التذكرة الحمدونية*. (ط1). بيروت: دار صادر.

البغدادي، عبد القادر بن عمر. (ت: 1093هـ). *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*. عبد السلام محمد هارون.(ط.4). القاهرة: مكتبة الخانجي .

البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود.(ت: 279هـ). (1417 هـ - 1996 م). *جمل من أنساب الأشراف*. تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي. (ط1). بيروت: دار الفكر.

بنون، نعيم محمد عبد اللطيف. (1409هـ - 1989م). *فن الرثاء عند المرأة في الشعر الأموي*. رسالة ماجستير. جامعة أم القرى. المملكة العربية السعودية.

بوحوش، رابح.(2006م). *اللّسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري*. (د.ط). عنابة: دار العلوم.

البونسي، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن الفهري.(651هـ)، (2004م). *كنز الكتاب ومنتخب الآداب*. تحقيق: حياة قارة (د.ط). أبو ظبي: المجمع الثقافي.

البياتي، عادل.(1986م). *دراسات في الأدب الجاهلي*.(د.ط) الدار البيضاء: دارالنشر المغربية.

التادلي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي (ت: 609هـ)، (1991م). *(الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب*. تحقيق: محمد رضوان الداية .(ط1). بيروت: دار الفكر المعاصر.

التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ.(ت: 502هـ).(د. ت). *شرح ديوان الحماسة*. (د.ط). بيروت: دار القلم.

التبريزي. (736هـ). (1403هـ-1983م). *تهذيب إصلاح المنطق*. تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة.(ط.1). بيروت: دار الآفاق الجديدة.

التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ.(ت: 502هـ).(1352هـ). *شرح القصائدِ العشر*.(ط2).القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية.

أبو تمام. (1414هـ-1994م). الديوان. برواية الخطيب التبريزي. قدم له راجي أسمر. (ط.2). بيروت. لبنان: دار الكتاب العربي.

أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي. (ت: 231هـ). *الوَحشيَّات* تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي. وزاد في حواشيه: محمود محمد شاكر. (ط3).القاهرة: دار المعارف.

التميمي، ساجدة عبد الكريم.(1421هـ-2000م). *الأمومة والبنوة في الشعر العراقي الحديث*. رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الطابعة. كلية العلوم الإسلامية. جامعة بغداد.

التونجي، محمد. (2002م). *شاعرات في عصر النبوة*. (ط.1).بيروت. لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن ثابت، حسان. (1414هـ_1994م) . *الديوان*.(ط.2). بيروت: دار الكتب العلمية .

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري.(1417 هـ - 1997 م) *لباب الآداب*. تحقيق: أحمد حسن لبج (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية .

الجاحظ ،عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء. الليثي، أبو عثمان.(1423 هـ). *البيان والتبيين*.(د.ط). بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الجاحظ، أبو عثمان (د.ت). *الحيوان*. تحقيق: عبد السلام هارون.(ط1).القاهرة: مصر.

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء (1424 هـ). *الحيوان*.(ط.2). بيروت: دار الكتب العلمية.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت: 255هـ). (1384 هـ - 1964 م). *رسائل الجاحظ*. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون.(د.ط). القاهرة: مكتبة الخانجي.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، (ت: 255هـ). (1423هـ) *المحاسن والأضداد*، (د.ط). بيروت دار ومكتبة الهلال.

الجبوري، يحيى.(1964 م). *شعر المخضرمين*. (د. ط) بغداد. العراق: مكتبة النهضة.

الجبيلي، عبد الرحمن مرضي علاوي (1425هـ -2005م).*الشهادة والشهيد في الشعر العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي. دراسة موضوعية فنية*. (ط1). القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه،(1951 م). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.(ط2).القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

الجرجاني، ركن الدين محمد بن علي بن محمد (1982م). *الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة*. تحقيق: عبد القادر حسين.(د.ط). دار نهضة مصر.

الجرجاني، عبد القاهر (2003م). دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود شاكر.(ط3). القاهرة مطبعة المدني.

جرير، (1406هـ – 1986 م).الديوان. بيروت. دار بيروت للطباعة.

جلي، أحمد .(1988م). *دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين*.(ط.2). السعودية . مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلّام بن عبيد الله (ت 232هـ).(د.ت). *طبقات فحول الشعراء*. تحقيق: محمود محمد شاكر.(د.ط). جدة: دار المدني.

جمعه حسين (1998م). *قصيدة الرثاء، جذور، وأطوار، دراسة تحليلية في مراثي الجاهلية وصدر الإسلام*. (ط1). دمشق: دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع.

الجهني، زيد بن محمد بن غانم (1425هـ). *الصورة الفنية في المفضليات أنماطها وموضوعاتها ومصادرها وسماتها الفنية* (ط1)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

الجويني، مصطفى الصاوي (1993هـ). *البيان في فن الصورة*. (د. ط).الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

أبو الحجاج، يوسف بن سليمان الشنتمري الأندلسي. المعروف بالأعلم. (476هـ). *أشعار الشعراء الستة الجاهليين* (آلي).المصدر الشاملة.

الحديثي، بهجت (1998م). *دراسات نقدية في الشعر العربي*.(د.ط). بغداد. دار الشؤون الثقافية.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ). (1414 هـ – 1993 م). *معجم الأدباء*. تحقيق: إحسان عباس.(ط1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الحوفي، أحمد محمد (1362هـ – 1963 م). *المرأة في الشعر الجاهلي*. (ط.2). دمشق: دار الفكر العربي.

الحوفي، أحمد (1382هـ_1962م). *الحياة العربية في الشعر الجاهلي*. (ط.4). بيروت: دار القلم.

الحيالي، ليلى محمد ناظم.(1989م). *ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام*. رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة. كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.

الخرنق، بنت بدر بن هفان (1410هـ– 1990م). *الديوان*. رواية أبي عمر ابن العلاء. تحقيق: يسري عبد الغني عبد الله. (ط.1). بيروت: دار الكتب العلمية.

الخزاعي، دعبل بن علي،(1414هـ _ 1994م).الديوان. شرح حسن بن حمد. (ط1). بيروت: دار الكتاب العربي.

الخطيب، بشرى محمد علي(1977م). *الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام*. (د.ط).بغداد: مطبعة الإدارة المحلية.

الخنساء، (1425هـ–2004م). *الديوان*. شرح: حمدو طماس.(ط.2).بيروت: دار المعرفة.

الداية، فايز (1996). جماليات الأسلوب.(ط.2). دمشق: دار الفكر المعاصر.

دراوشة، صلاح الدين أحمد ،(2001). *القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي من خلال ديواني المفضليات والأصمعيات*، (ط1). عمان: مكتبة الفجر.

رومية، وهب أحمد،(1996م)، *شعرنا القديم والنقد الجديد*،(ط1). الكويت: عالم المعرفة.

ابن الريب، مالك. (د.ت). *الديوان*. تحقيق: نوري حمودي القيسي. مجلة معهد المخطوطات العربية. المجلد الخامس عشر. (ج1).

الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي (ت: 337هـ). (1407هـ– 1987م)، *الأمالي* تحقيق: عبد السلام هارون. (ط2). بيروت، دار الجيل.

زكريا، أبي الحسين أحمد بن فارس. (395هـ). *الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية*. تحقيق السيد أحمد صقر.(د.ط).القاهلرة: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

الزمخشري، جار الله (1946م). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*.(د. ط). القاهرة: مطبعة الاستقامة.

الزمخشري،(د.ت). *المستقصى*.(ط3). بيروت: دار الكتب العلمية.

الزمخشري، (ت 583 هـ).(1412 هـ). *ربيع الأبرار ونصوص الأخيار*.(ط1). بيروت: مؤسسة الأعلمي.

أبو زهرة، محمد .(د.ت). *تاريخ المذاهب* الإسلامية.(د.ط). بيروت: دار الفكر .

الزهري، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري (د.ت). *الطبقات الكبرى*.(د.ط). بيروت: دار صادر.

السريحي، صلوح بنت مصلح بن سعيد (1419هـ - 1998م). *الصورة في شعر الرثاء الجاهلي*، رسالة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جدة، السعودية.

سلطان، منير. (2002 م). *الصورة الفنية في شعر المتنبي : الكناية والتعريض*.(د. ط) الإسكندرية. مصر. منشأة المعارف.

سلطاني، محمد علي (1980م). *البلاغة العربية في فنونها* .(د.ط). (د.م). مطبعة زيد بن ثابت.

السلمي، سليم بن ساعد. (2009م). *الصورة الفنية في شعر الخنساء*. رسالة ماجستير. جامعة مؤتة الأردن.

سمارة، ربى شحادة صابر(2013م). *صورة الطفل في الشعر الجاهلي*. رسالة ماجستير.(مخطوطة). جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي (ت: 626هـ).(1407هـ-1987م). *مفتاح العلوم*. ضبطه: نعيم زرزور.(ط2). بيروت: دار الكتب العلمية.

السنيكي، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا. زين الدين أبو يحيى المصري الشافعي. (1426هـ - 2005م). *منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى (تحفة الباري)*. تحقيق: سليمان بن دريع العازمي. (ط.1).الرياض. المملكة العربية السعودية: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

السوداني، عتاب بسيم مشكل. (1426هـ-2005م). *أدب المرأة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الأول الهجري*. رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الطابعة. كلية التربية للبنات. جامعة الكوفة.

السيوطي ،عبد الرحمن بن أبي بكر. جلال الدين (1386هـ -1966م). *شرح شواهد المغني*. وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان. (د.ط).(د.م). لجنة التراث العربي.

السيوطي ،عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت: 911هـ).(1424هـ). *المحاضرات والمحاورات*.(ط1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (1986). *المزهّر في علوم اللغة وأنواعها*، شرحه وضبطه وصحّحه: محمد أحمد جاد المولى، ،(د، ط). بيروت: المكتبة العصرية.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. (1974م). *الإتقان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ط). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السيد، عز الدين علي(1986م). *التكرير بين المثير والتأثير*.(ط 2). بيروت: عالم الكتب.

الشايب، أحمد (1976م). *الأسلوب*.(ط7).القاهرة: دار النهضة المصرية.

ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (ت: 542هـ)، (1344هـ - 1925 م).*مختارات شعراء العرب ابن الشجري*. ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي .(ط1). القاهرة: مطبعة الاعتماد.

ابن شداد، عنترة.*الديوان*. الخطيب التبريزي. بيروت. دار الكتاب العربي.

ابن شداد، عنترة، (1893م).*الديوان* .(ط1). بيروت: مطبعة الآداب.

الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (355 - 436هـ)، (1373هـ - 1954م). *أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط1).(د.م) دار إحياء الكتب العربية .

الشمشاطي، أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي. *الأنوار ومحاسن الأشعار*. الكتاب الكتروني.الشاملة.

الشوري، مصطفى عبد الشافي،(1995م). *شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية* .(ط1). القاهرة: دار نوبار للطباعة.

الشهرستاني، محمد بن أحمد.(1402هـ _ 1982م). *الملل والنحل*.(د.ط). بيروت: دار المعرفة.

الشوكاني، محمد (د.ت). *فتح القدير* . (د.ط) . بيروت: دار المعرفة .

شيخو، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب (1913م). *مجاني الأدب في حدائق العرب*.(د ط). بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين.

صالح، بشرى موسى، *الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث*، (1994م). (ط1).(د.م) المركز الثّقافي العربي.

ابن صالح، هند، وابن صالح، إبراهيم (د.ت). *الشعر الجاهلي. (عنترة، الخنساء، النابغة)* (د.ط).(د.م) دار محمد علي الحامي، سلسلة فوانيس.

الصايغ، وجدان (1992م). *الاستعارات في الشعر العربي الحديث*.(ط.3). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

صغير، فاطمة (1433هـ – 2012 م). *أساليب البيان النسوي من الجاهلية إلى العصر العباسي*. رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان. الجزائر.

الضبي ،المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم (ت: 168هـ).(د.ت). *المفضليات*، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ،(ط6). القاهرة. دار المعارف.

ضيف.شوقي. (د.ت). *تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي* .(د.ط). القاهرة: دار المعارف.

الطائي، حاتم (1415هـ _ 1994م). *الديوان*. شرح يحيى بن مدرك الطائي. (ط1). بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: 322هـ).(د.ت) *عيار الشعر*. تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع.(د.ط)، القاهرة: مكتبة الخانجي.

الطبري ،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. أبو جعفر. (ت: 310هـ). (1387هـ). *تاريخ الطبري*.(ط2). بيروت: دار التراث.

ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت: 280هـ). (1326هـ – 1908 م). *بلاغات النساء*. شرح: أحمد الألفي.(د.ط). القاهرة: مطبعة مدرسة والدة عباس الأول.

ابن ظفر الصّقلي، محمد بن عبد الله(د، ت). *أنباء نجباء الأبناء*.(ط1). دمشق: مطبعة التّقدّم.

العامري، لبيد بن ربيعة (د.ت). *الديوان* . (د.ط). بيروت: دار صادر .

العاملي، زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز. (ت: 1332هـ). *الدر المنثور في طبقات ربات الخدور*. (ط.1).مصر: المطبعة الأميرية الكبرى.

العاني، سامي مكي. (1968م). *دراسات في الأدب الإسلامي*.(د.ط). ساعدت جامعة بغداد على نشرة. بغداد: مطبعة المعارف.

العباس، عبد الرحيم بن أحمد (ت 963هـ). (1367هـ – 1947 م). *معاهد التنصيص على شواهد التلخيص*. تحقيق: محيي الدين عبد الحميد .(د.ط). بيروت. عالم الكتب.

عباس، فضل حسن (2007م)، *أساليب البيان*. (ط1). الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

عباس، فضل حسن (1987م).*البلاغة فنونها وأفنانها* .(د.ط). الأردن: دار الفرقان.

عباس،إحسان (1402هـ –1982م). *ديوان شعر الخوارج*. (ط4). بيروت: دار الشروق.

عبد الباقي، محمد فؤاد (1997م). *اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان* .(ط.3). القاهرة: دار الحديث.

عبد الرحمن، نصرت (1979م). *في النقد الحديث*.(د ط).(د.م) مكتبة الأقصى.

ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي. (1404هـ). *العقد الفريد*. (ط.1). بيروت. دار الكتب العلمية.

عبد قاسم، محمد. (1430 هـ- 2009م). *مراثي النساء في شعر عصري ما قبل الإسلام وصدر الإسلام. دراسة موازنة*. رسالة ماجستير. الجامعة الإسلامية. بغداد.

ابن العبد، طرفة (2000م). *الديوان* . تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال.(ط.2). بيروت: المؤسسة العربية، والبحرين: دار الثقافة والفنون .

العبيدي، محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد .(ت: 702هـ).(د.ت). *التذكرة السعدية*.(د.ط).الكتروني.الشاملة.

أبو العدوس، يوسف (2010م). *مدخل إلى البلاغة العربية*. (ط2).(د.م). دار المسيرة للنشر والتوزيع.

ابن العديم العقيلي، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة. (ت: 660هـ). (1404 هـ - 1984م). *الدراري في ذكر الذراري*، تحقيق: علاء عبد الوهاب محمد. (ط1). دار السلام، دار الهداية.

العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر. (ت: 852هـ). (1415 هـ). *الإصابة في تمييز الصحابة*. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. (ط.1). بيروت: دار الكتب العلمية.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. (ت852هـ). (1423هـ-2002م). *الإصابة في تمييز الصحابة*. دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود. والشيخ علي محمد معوض.(ط.2). بيروت: دار الكتب العلمية.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت:395هـ).(د. ت). *جمهرة الأمثال*.(د. ط). بيروت: دار الفكر.

العسكري، أبو هلال (2002م). *الصناعتين*. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. (ط1). بيروت: المكتبة العصرية.

عصفور، جابر (1974م). *الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي*.(د ط). القاهرة: دار الثّقافة للنشر والطّباعة.

عفيفي، عبدالله. (1932م). *المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها*. (ط.2). القاهرة: دار المعارف.

علام، عبد العزيز.(1410هـ – 1990م). *علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الحديثة* (ط.1).(د.ن).(د.م) .

أبو علي، نبيل (2001م). شاعرات عصر الإسلام الأول.(ط1). القاهرة : دار الحرم للتراث.

عنترة بن شداد.(د.ت). *الديوان*. شرح: الخطيب التبريزي.(د.ط). بيروت: دار الكتاب العربي .

العواجي، محمد جرمان (1415هـ). *القيم الإنسانية في شعر الرثاء الجاهلي*. (ط1). مكة المكرمة: دار الحارثي للطباعة والنشر.

عوض، أحمد عبد التواب.(د.ت). *الترقيص والغناء للأطفال عند العرب*.(د.ط). القاهرة : دار الفضيلة.

الغزالي، أبو حامد (1917م). *إحياء علوم الدين* .(د.ط).القاهرة: دار الكتب العربية.

الغيث، نسيمة. (1418هـ_1997م). *ليلى الأخيلية وفن الرثاء* . مجلة كلية دار العلوم . العدد (22) .

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا القزويني الرازي (ت: 395هـ).(1418هـ-1997م). *الصاحبي في فقه اللغة*. محمد علي بيضون.(ط1). (د.م). (د.ن).

الفارسيّ أبو القاسم زيد بن علي (ت: 467 هـ).(د. ت). شرح كتاب الحماسة. تحقيق: محمد عثمان علي. (ط1). بيروت: دار الأوزاعي.

فاضلي، إبراهيم شمس الدين محمد(2008 م). *شرح ديوان الخنساء*.(ط1) بيروت: دار صبح.

فالح، خليل رشيد، (1985م). *الصورة المجازية في شعر المتنبي*. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة بغداد. العراق.

الفراهيدي البصري، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم. (ت: 170هـ). (د.ت). *كتاب العين*. تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي.(د.ط). (د.م). دار ومكتبة الهلال.

فرحات، يوسف (1992م). *ديوان الصعاليك*. (ط.1). بيروت: دار الجيل.

قاسم، عدنان حسين،(2000م). *التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية*.(ط2). القاهرة: الدار العربية للنشر والتوزيع.

القالي، أبو علي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (ت: 356هـ). (1344هـ- 1926م). *الأمالي* .عني بوضعه وترتيبه: محمد عبد الجواد الأصمعي ،(ط2). القاهرة: دار الكتب المصرية.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت:276هـ)،(1418هـ).*عيون الأخبار*.(د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية .

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: 276هـ). (1423 هـ). *الشعر والشعراء*. (د.ط). القاهرة: دار الحديث.

قدامة بن جعفر،(1932م). *جواهر الألفاظ*.(د.ط).القاهرة: مطبعة الخانجي.

قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (ت: 337هـ).(1979). *نقد الشعر*. تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي.(ط1).القاهرة.(د.ن).

قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت: 337هـ).(1302هـ). *نقد الشعر*.(ط1). القسطنطينية: مطبعة الجوائب.

القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب. (د.ت). *جمهرة أشعار العرب*. تحقيق علي محمد البجاوي.(د.ط).القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

القرشي، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري (ت:197هـ). (1416هـ- 1995م). *الجامع في الحديث لابن وهب*. تحقيق: مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير،(ط1). الرياض: دار ابن الجوزي .

القرطاجني، حازم (1966م). *منهاج البلغاء وسراج الأدباء* . تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة (د.ط). تونس: دار الكتب الشرقية .

القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (463هـ).(1422هـ، 2002م). *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*. تحقيق وتعليق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود.(ط.2). بيروت: دار الكتب العلمية.

القزويني، الخطيب (2002م). *تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع*. تحقيق: ياسين الأيوبي. (ط1). بيروت: المطبعة العصرية.

القزويني، الخطيب (د.ت). *الإيضاح في علوم البلاغة*. تحقيق: مجدي فتحي السيد. (د.ط). القاهرة: المكتبة التوفيقية،.

القزويني، أحمد بن فارس بن زكرياء أبو الحسين الرازي (ت: 395هـ).(1399هـ – 1979م). معجم *مقاييس اللغة*. تحقيق:عبد السلام محمد هارون. (د.ط). (د.م). دمشق: دار الفكر.

القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري (ت: 453هـ).(د.ت). *زهر الآداب وثمر الألباب*. (د.ط). بيروت: دار الجيل.

القيرواني، أبو على الحسن ابن رشيق الأزدي (ت: 463 هـ).(1401 هـ – 1981 م). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.(ط5).بيروت: دار الجيل.

القيرواني، عبد الكريم النهشلي (د. ت). *الممتع في صنعة الشعر* تحقيق: الدكتور محمد زغلول سلام،(د. ط). الإسكندرية: منشأة المعارف.

القيسي، نوري حمودي(1982م). *شعر الحرب عند العرب* . سلسلة الموسوعة الصغيرة. (د.ط). بغداد: دار الحرية للطباعة.

ابن قيم ،(1982 م). *أخبار النساء*. تحقيق نزار رضا. (ط1). بيروت: مكتبة الحياة.

كامل، حيدر وحساني، محمد شراد (2002). *ديوان فاطمة الزهراء*. (ط1). بيروت: منشورات دار البحار ومكتبة الهلال.

كحالة، رضا محمد (1978م). *الحب*، (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.

كحالة، عمر رضا (1397هـ-1977م). *أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام*. (ط.2). بيروت: مؤسسة الرسالة.

كحيل، بشير (2004 م). *الكناية في البلاغة العربية*.(ط1) القاهرة: مكتبة الآداب.

ابن كلثوم، عمرو (1411هـ _ 1991م). تحقيق ايميل بديع يعقوب. (ط1). بيروت: دار الكتاب العربي.

لويس سي دي (1982). الصورة الشعرية. ترجمة: أحمد نصيف الجنابي.(د ط). الكويت: مؤسسة الخليج للطّباعة والنشر.

ماريديني، رغداء (1422هـ - 2002م). *شواعر الجاهلية دراسة نقدية*.(ط.1). دمشق: دار الفكر.

المبارك، مازن (1423 هـ/ 2002 م). *الموجز في تاريخ البلاغة*. (ط2). بيروت: دار الفكر المعاصر، المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت: 285هـ). (1421 هـ). *الفاضل*. (ط3). القاهرة: دار الكتب المصرية.

المبرد ،أبو العباس محمد بن يزيد. (ت: 285هـ).(1417هـ - 1997م). *الكامل في اللغة والأدب*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.(ط3). القاهرة: دار الفكر العربي.

المبيضين، أحمد ماهر (2003م). *الأسرة في الشعر الجاهلي*.(ط1). عمان. دار البشير.

المرزباني، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى. (1415 هـ - 1995 م). *أشعار النساء*. حققه وقدم له: سامي مكي العاني و هلال ناجي. (ط.1).بيروت: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.

المرزباني، الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران (ت: 384 هـ). (1402هـ - 1982م). معجم *الشعراء*. تصحيح وتعليق ف. كرنكو. (ط2). بيروت: دار الكتب العلمية.

المرزباني، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى (ت: 384هـ). *الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء*.(د.ط).(د.ن)(د.م).

المسعودي، (1981 م). *مروج الذّهب ومعادن الجوهر*.(ط4). بيروت: دار الأندلس للطّباعة والنشر والتوزيع.

مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري. *صحيح مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). بيروت. دار إحياء التراث العربي.

مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري(د.ت). *صحيح مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مطلوب، أحمد (1985م). *الصورة في شعر الأخطل الصغير*.(د. ط). عمان. دار الفكر.

معبدي، محمد بدر(1983م). *أدب النساء في الجاهلية والإسلام*.(د.ط).(د.م). مطبعة مكتبة الآداب المطبعة النموذجية،.

معروف، نايف .(1983 م). *ديوان الخوارج* .(د.ط). بيروت: دار المسيرة.

معيطة ، أحمد (1999م). *شعر النساء الخارجيات* . مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث . المجلد (21). العدد (14) .

مقبول علي بشير النعمة، *المراثي الشعرية في عصر صدر الإسلام*. (ط1). بيروت: دار صادر.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقي. (ت: 711هـ). (د.ت). *لسان العرب*. (ط.1). بيروت: دار صادر.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الانصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ). (1402 هـ - 1984م). *مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر*. تحقيق: روحية النحاس. رياض عبد الحميد مراد. محمد مطيع،(ط1). دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.

ابن منقذ أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر الكناني الكلبي الشيرزي (ت: 584هـ).(د.ت). *المنازل والديار*.(د.ط).(د.ن).الكتروني. الشاملة.

المنقري، نصر بن مزاحم (1382هـ). *وقعة حنين*. تحقيق: عبد السلام هارون. (ط2). القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر .

المهدي، جمال.(1416، 1995م). *أصوات العربية دراسة وصفية*، (د. ط).(د.ن).(د.م).

المهدي، حسين بن محمد(2009م). *صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال*، راجعه: عبد الحميد محمد المهدي،(د.ط). الجمهورية اليمنية: وزارة الثقافة. دار الكتاب برقم إيداع (449). مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدي.

مهنا، عبد الأمير (1990). معجم *النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام*.(ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

مهنا،أحمد سلمان (2009)، *المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام*. رسالة ماجستير غير مطبوعة. الجامعة الإسلامية – غزة.

ميدان، أيمن محمد (1995 م). *شعر تغلب في الجاهلية*. القاهرة: معهد المخطوطات العربية.

ميدان، أيمن محمد (1995). *شعر تغلب في الجاهلية*.(د.ط). القاهرة: معهد المخطوطات العربية.

الميداني. (د.ت). *مجمع الأمثال*. (د. ط). بيروت. لبنان: دار الكتب العلمية.

النابغة الذبياني، (1411– 1991). *الديوان*.(ط1). بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن النحاس.(د.ت). *شرح القصائد المشهورات*.(د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

نصار، حسين (1980م).*الشعر الشعبي العربي*.(ط1). بيروت: منشورات اقرأ.

نفاع، محمد فؤاد (د ت). *الجود والبخل في الشعر الجاهلي، مدخل لغوي أسلوبي*.(د ط). دمشق: دار طلاس للدراسات والنشر.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين،(ت 733هـ) (1423هـ)، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، (ط1).القاهرة. دار الكتب والوثائق القومية.

النويهي، محمد. (د.ت). *الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه*.(د.ط) القاهرة. الدار القومية للطباعة والنشر.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد. (ت218هـ). (1411هـ) *السيرة النبوية*. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.(ط.1). بيروت. لبنان: دار الجيل.

الواقدي، لأبي عبد الله محمد بن عمر. (ت 207هـ).(1417هـ- 1997م). *فتوح الشام*.(ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

الواقدي، أبي عبد الله محمد بن عمر. (ت207هـ). (1417هـ-1997م). *فتوح الشام*. (ط.1). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الورد، عروة. (1998). *الديوان*. تحقيق أسماء أبو بكر محمد. (د.ط). بيروت: دار الكتب العالمية.

ابن الورد، عروة،(1998). *الديوان*. تحقيق أسماء أبو بكر محمد. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن وهب، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (ت 197هـ). (1416هـ - 1995م). *الجامع في الحديث*. تحقيق: مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير. (ط1). الرياض. دار ابن الجوزي.

وهبة، مجدي، والمهندس، ومجدي (1984م). معجم *المصطلحات العربية في اللغة والأدب*،(ط2). بيروت: مكتبة لبنان.

ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ).(د.ت). معجم *البلدان*. (ط2). بيروت: دار صادر.

اليزيدي، أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد بن المبارك (ت: 310هـ)، (1397 هـ - 1938 م). *الأمالي*.(ط1). حيدر آباد الدكن، الهند: مطبعة جمعية دائرة المعارف.

يعقوب، عبد الكريم. ومحفوظ رامية. (1411هـ- 1990 م). *الرثاء لدى شواعر الجاهلية في العصر الأموي*.(المجلد (12). العدد (1).

يموت، بشير (1353 هـ، 1934 م). *شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام*. (ط.1) بيروت: المطبعة الوطنية.

اليوسف، يوسف.(1980م) *مقالات في الشعر الجاهلي*. (ط.2). دار الحقائق. الأدب والبلاغة. مرقم آليا.